



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

محمد الفايز

الأعمال الشعرية الكاملة

المجلد الأول

أشرف عليه وراجعاه وقدم له

د. عبدالله أحمد المهنا

الكويت

2014



التدقيق الطباعي

محمود إبراهيم البجالي

الصف والتفيد

أحمد متولي

أحمد جاسم علاء محمود

الإخراج وتصميم الغلاف

محمد العلي

صدر هذا الديوان بمناسبة مهرجان ربيع الشعر (الموسم السابع)
للمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
مارس ٢٠١٤م



حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: +٩٦٥ ٢٢٤٣٠٥١٤

فاكس: +٩٦٥ ٢٢٤٥٥٠٣٩

E-mail: kw@albabtainprize.org



التصدير

يصادف هذا الشهر مارس ٢٠١٤ الذكرى السنوية الثالثة والعشرين لرحيل الشاعر العربي محمد الفايز، فقد ولد الشاعر الفايز في الكويت عام ١٩٣٨ وتوفي في الأول من مارس عام ١٩٩١ بعد أيام قليلة من اندحار الغزاة عن بلده الكويت، إذ قيض الله له أن يعيش ليرى عودة وطنه إلى أهله، وأن يستنشق في هذه الأيام القليلة قبل وفاته عبير الحرية؛ حرية الإنسان والوطن الذي احتلته القوات الصدامية الباغية وعاثت فيه فساداً وطفغياناً.

محمد الفايز علم من أعلام الشعر العربي في الكويت والوطن العربي، وهو شاعر مبدع امتلك ناصية الكلمة الشعرية مبكراً؛ فكتب القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة صدر له اثنا عشر ديواناً شعرياً مطبوعاً هي: مذكرات بحار، والنور من الداخل، والطين والشمس، ورسوم للنغم المفكر، وبقايا الألواح، وذاكرة الآفاق، ولبنان والنواحي الأخرى، وحذاء الهودج، وخلاخيل الفيروز وتسقط الحرب وخرائط البرق (جزآن).

وعندما قررت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن تحتفي بالشاعر محمد الفايز إلى جانب الشاعر العربي السوري عمر أبو ريشة في مهرجان ربيع الشعر لهذا العام ٢٠١٤ بإقامة ندوة أدبية عن الشاعرين وأعمالهما الإبداعية - كان أول ما فكرت فيه المؤسسة أن تقدم للقارئ العربي ديوان الشاعر محمد الفايز كاملاً، وأن تجمع لأول مرة في كتاب واحد ما تفرق من نصوص



في مجموعات شعرية، وما توزع بين الصحف اليومية السيّارة والمجلات الأدبية المتخصصة، وما يغلب الظن على كونه لا يزال مخطوطاً لم يسمع به الناس من قبل. وقد بادرت الأمانة العامة للمؤسسة بالاتصال بأسرة الشاعر محمد الفايز التي رحبت بشدة بمسعى المؤسسة للاحتفال بالفايز، وأبدت تعاوناً كبيراً، حيث صدقت ابنة الشاعر الدكتورة شذا؛ وهي كأغلب بنات الشعراء والأدباء شديدة الاحتراف بإبداع والدها، حريصة على المحافظة على إرثه الشعري - ما توقعناه، وقامت بتزويد المؤسسة بديوانين فريدين نادرين من آخر ما كتب الفايز قبل وفاته، لم يسبق نشرهما من قبل، والديوانان مخطوطان في كراستين بخط والدها؛ يحمل أولهما عنوان «كتابات فوق الأبواب القديمة» ويشتمل على أربع وعشرين قصيدة (٢٤) لم تنشر من قبل، أما ثانيهما فيشتمل على اثنتي عشرة قصيدة أخرى (١٢)، وعنوانه: «قباب الوادي الأخضر».

وفوق ذلك قدمت الدكتورة شذا الفايز مجموعة كبيرة من قصائد الفايز أكثرها مما نشرته الصحف والمجلات في حياة الفايز وبعضها مما نشر بعد رحيله. وقد تمت مراجعتها ومقابلتها بما نشر في دواوين الشاعر السابقة؛ فتجمع من هذه القصائد الميثقة في الصحف والدوريات سبع وتسعون قصيدة (٩٧) لم يسبق نشرها في دواوين الفايز الأخرى، ينفرد هذا الديوان الذي تقدمه المؤسسة للقارئ العربي بنشرها في ملحق خاص بها مرتبة ترتيباً زمنياً من الأقدم إلى الأحدث.

وليس من شك في أن محمد الفايز شاعر مبدع يستحق التقدير والتكريم بجدارة، وقد كرمته مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عام ١٩٩٠م بحصوله على أرفع جوائزها آنذاك، وهي جائزة الإبداع الشعري، وكرمته دولة الكويت بمنح اسمه جائزة الدولة التشجيعية للشعر عام ١٩٩٥؛ كما نال الفايز العديد من شهادات التقدير ومظاهر التكريم من حكومات ومؤسسات





عربية مختلفة في الكويت وسلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية.

لقد امتلك الفايز الموهبة الفطرية وصلها بالغوص في دواوين الشعراء القدامى ما مكنه من نسج معجمه الشعري الخاص به، وهو معجم غزير أعانه من سبك قصائده بتراكيب قوية متنوعة بصورها ومعانيها، وهو ما هيأ أمامه الفرصة ليكون واحداً من أصحاب الإنتاج الشعري الغزير، فترك لنا الفايز وفرة من النصوص الشعرية التي تتميز ببنائها الفني الخاص، وتبدو للقارئ وكأنها لوحة قصصية فنية كما في مذكرات بحار التي صور فيها معاناة الأجيال السابقة من الكويتيين في سبيل التغلب على شظف العيش ومصاعب الحياة عندما كانوا يقضون الشهور الطويلة على مياه الخليج والبحار الأخرى ليعودوا بعدها بالأمل وليدخلوا الفرحة في قلوب ذويهم الذين أمضوا شهوراً طويلة من الترقب والانتظار.. فكانت هذه المذكرات الشعرية لوحات فنية بديعة صوّرت حالة البحار ومعاناته؛ وقدمت أيضاً صورة واضحة عن موهبة الفايز وشاعريته وكانت جواز مروره إلى مصاف المبدعين البارزين في الوطن العربي.

هذا هو محمد الفايز الذي نحتفي به والذي كان مهماً أيضاً بقضايا الوطن العربي والأمة وظل كذلك إلى أن رحل إلى بارئه تاركاً لنا إرثاً شعرياً خالداً جعله في مصاف كبار الشعراء..

ولا يسعني إلا أن أشكر ابنة الشاعر البارة الدكتورة شذا الفايز على تعاونها مع الأمانة العامة للمؤسسة ولجمعها عشرات القصائد التي لم تنشر من قبل وتمت إضافتها إلى هذا الديوان.. ولا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور عبدالله أحمد المهنا الذي نعز به أستاذاً بارزاً من خيرة أساتذة جامعة الكويت، أخصاً عزيزاً وعضواً





مؤثراً في مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على ما قام به من جهد واضح في متابعة هذا العمل والإشراف عليه وتسديد خطاه بما قدم من توجيهات مخلصه وآراء محكمة أعانت على جمع نصوص الديوان وترتيبها وإخراجها على هذه الصورة التي بين أيديكم؛ إضافة إلى القراءة الفنية العميقة التي قدم بها الدكتور عبدالله أحمد المهنا للديوان، واضعاً يده فيها بحس الناقد الفنان وخبرة الأستاذ الأكاديمي على أبرز قيم العطاء الفني في تجربة محمد الفايز الإبداعية.

وفي الختام يسعدني أن أقدم إلى محبي الشاعر ومتذوقي إبداعه هذا العمل..

والحمد لله من قبل ومن بعد،،

عبدالعزیز سعود البابطين

الكويت في 1435/4/2هـ

الموافق 2014/2/2م



المقدمة

أ.د. عبدالله أحمد المهنا
جامعة الكويت

على مدى ثلاثين عامًا ١٩٦٠ - ١٩٩١ استطاع الشاعر محمد الفايز أن يكون له قامة شعرية سامقة تميزه عن أبناء جيله من الشعراء، إذ صدر له خلال حياته عشر مجموعات شعرية، وثلاث أخرى بعد وفاته، مدونة بخط يده، عدا الكثير من القصائد المنشورة في الصحف اليومية والمجلات الدورية، التي أمكن جمعها ومراجعتها على «السجلات المحفوظة ضمن تركة الشاعر الثقافية، التي يعود الفضل في حفظها وصيانتها إلى ابنة الشاعر الدكتورة شذا الفايز، التي يعود لها الفضل في نشر مجموعة أبيها الشعرية «خرائط البرق» في جزئين، بعد وفاة والدها بفترة قصيرة.

عُرفَ الشاعر الفايز في بدايات حياته الشعرية بـ «مذكرات بحار» التي تعد من أجل أعماله على الإطلاق، حتى ولو لم يكن له غيرها لكفاه أن يكون من طلائع الشعراء المجددين في الشعر العربي المعاصر، فقد أصدرها وقت أن كانت الساحة الثقافية يوم ذاك تموج بالصراعات الثقافية حول مستقبل شعر التفعيلة، الذي نظم الفايز في إطاره قصيدته «مذكرات بحار» التي كانت في وقتها ولا تزال عملاً إبداعياً رفيع المستوى سواء في تقنياته الفنية، أو في تشكيلات أبيته اللغوية، التي استطاع في سياقاتها المختلفة أن يصهر المصطلحات الدارجة في البيئة الكويتية القديمة، لتصبح جزءاً فاعلاً في البنية اللغوية لفهم النص الشعري.



ولعله من الواضح أنّ «مذكرات بحار» قد صنعت بلا ريب شعرية الفايز وسجنته سنوات طوال في إطارها، لذا نجد أنّ الكثيرين ممن تصدّوا لدراسة شعر الفايز، خلال العقود الماضية لا يكادون يتجاوزون في دراستهم له قصيدته «مذكرات بحار» بها يبدأون وعندها ينتهون، ولا تعليل لذلك سوى أن هذه القصيدة تملك سحرًا وجاذبية خاصة بحكم موضوعها المتكئ على مشاهد إنسانية مؤثرة يسعى أصحابها وراء لقمة العيش، متجشمين أقصى المصاعب والمهالك فلا يظفرون من وراء ذلك إلا بالنزر اليسير.

وحين نعاود النظر في شعرية الفايز بعد رحلته مع عالم القصيدة، نجد أن الفايز، ليس «مذكرات بحار» فحسب كما سجنه فيها النقاد، بل هو شاعر له نبضه الشعري القائم على التفاعل مع قضايا عصره، على امتداد عمره، فله مواقف شعرية من الحروب، التي كانت تمر بها الأمة خلال عقد الثمانينيات من القرن الماضي، سطر فيها مواقف إنسانية مؤثرة، لغة وتصويرًا ورؤيا، وهناك رؤيته في الموت والحياة، التي تحمل فلسفة خاصة، وهناك مواقفه المتعددة من الحب وقضايا المرأة يجلوها في سياقات رومانسية حاملة، إلى جانب كثير من القضايا المعاصرة التي حظيت عنده باهتمام خاص وعالجها في شعره.

وحين نتأمل مجمل الإنتاج الشعري للشاعر، نجد أنّ الشعر العمودي يمثل الفضاء الأوسع في تجربته الشعرية، على الرغم من أنه عرف في بادئ أمره باعتباره أحد طلائع شعراء التفعيلة، في الكويت خاصة، والخليج بعامة، اعتماداً على قصيدته الأولى «مذكرات بحار» بيد أنه أثر فيما بعد أن يوطد أركان شاعريته في الشعر العمودي الذي حظي منه بالنصيب الأوفر، وكأنه بهذا يرد بصورة غير مباشرة، على الذين يتهمون به بتخريب الشعر العمودي، واتباع أصحاب الحداثة





الشعرية، ومع كل هذا فلم يتخلَّ الفايز عن شعر التفعيلة، بل له فيه إسهامات أخرى، لكنها دون المؤمل منه، وبخاصة أنه عرف به، وبه شمخت قامته، وليس هذا فحسب، بل أراد الفايز أن يؤكد شاعريته، وإبداعه بكتابة «قصيدة النثر» في المرحلة الأخيرة من حياته، في توافق مع الكثيرين من شعراء عصره الذين تراجعوا عن كتابة قصيدة التفعيلة إلى كتابة «قصيدة النثر» من أمثال محمد عفيفي مطر ونزار قباني، وقاسم حداد، وسعاد الصباح من غير أن ينقص ذلك من شاعريتهم أو يوهن من مكانتهم، بل زادت من قناعة النقاد والدارسين أن كتابة قصيدة النثر أكثر تعقيداً في أبنيتها اللغوية مما قد يظن، ويتجلى لك ذلك حينما تدخل في تحليل أنسجة هذا الضرب من الشعر المثير للجدل على الدوام.

وإذ تقوم اليوم مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بطباعة ديوان الفايز كاملاً بعد أن بذلت جهوداً مضيئة في متابعة كل نصوصه الشعرية التي تضمنتها الصحف اليومية، والمجلات الدورية، خلال السنوات السابقة لوفاته، ولم تتضمنها مجموعات شعريته السابقة، بالإضافة إلى بعض المجموعات الشعرية الأخرى، التي دونها بخطه ولم تر النور في حياته، فإنها تكون بهذا العمل الكبير قدمت خدمة ثقافية كبيرة لمسيرة الشعر العربي المعاصر في الكويت خاصة، وللنقاد والدارسين بعامة، ولعله من المتوقع أن الصورة التي حبس بها الشاعر بوصفه شاعر البحر، أو صاحب مذكرات بحار فحسب ستتغير، مع نشر شعره كاملاً، فالفايز قد ارتاد آفاقاً شعرية متعددة، تجعله في طليعة شعراء الكويت، الذين كانوا وما زالوا يحملون في شعرهم نبض العصر، وروح المرحلة الشعرية الراهنة بكل تعقيداتها الفنية واللغوية.

ويبقى في نهاية المطاف أن نشكر الأخ الكريم الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين، رئيس مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على





جهوده في متابعة هذا العمل، والشكر أيضًا إلى الأستاذ الدكتور محمد مصطفى أبوشوارب، نائب الأمين العام للمؤسسة، على كل ما بذله من جهود، ومتابعات حثيثة تكاد تكون شبه يومية لإخراج هذه المجموعة في تزامن مع احتفالية المؤسسة بمهرجان ربيع الشعر، وبالشاعرين الكبيرين محمد الفايز وعمر أبوريشة في الثالث والعشرين من مارس ٢٠١٤، ولا ينبغي في هذا المقام أن ننسى جهود ابنة الشاعر الدكتورة شذا الفايز، إذ يعود الفضل إليها في الحفاظ على شعر أبيها من الضياع فوضعت تحت يد المؤسسة كل ما أمكنها الحصول عليه من شعر والدها مخطوطًا أو مطبوعًا، وتركت للمؤسسة تنظيم هذه الأعمال دون تدخل منها على الإطلاق، فلها الشكر والتقدير، والشكر موصول أيضًا إلى الأستاذ محمود إبراهيم البجالي، المحرر في المؤسسة الذي كان وراء رحلة هذا العمل من بدئه حتى نهايته متابعة وتدقيقًا، كما لا يفوتني هنا أيضًا أن أشيد بالجهود التي بذلها رفاق له في هذه المهمة الصعبة وهم الأساتذة أحمد متولي، وأحمد جاسم، وعلاء محمود، ومحمد العلي، فلهم منا جميعًا الشكر والتقدير.

والحمد لله رب العالمين.

الكويت ١٩/٣/١٤٣٥هـ
الموافق ٢٠ يناير ٢٠١٤م





الديوان الأول النور من الداخل (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٦٤م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ٦ ص ١٢١.







مذكرات بحار.. المذكرة الأولى(*)

أرْكَبْتُ مثلي («البوم» و«السنبوك» و«الشوعي»)^(١) الكبير؟
أرْفَعْتُ أشرعاً أمام الريح في الليل الضريز؟
هل دُقْتُ زادي في المساء على حصير؟
من نخلة ماتت وما مات العذابُ بقلبي الدامي الكسير
أَسْمَعْتُ صوتَ «دجاجة»^(٢) الأعماق تبحث عن غذاء؟
هل طاردتكَ «اللخمة»^(٣) السوداء و«الدول»^(٤) العنيد؟
وهل انزويت وراء هاتيك الصخور؟
في القاع و«الرمي»^(٥) خلَّفَكَ كالخفير
يترصدُ الغَوَاصَ. هل دُقْتُ العذاب؟
مثلي وصارعت العباب
أَمْسَكْتُ «مِفلقة» المحار؟
في الفجر مرتجفاً لتكتملَ القلادة

(*) نشر الشاعر محمد الفايز هذه القصيدة (التي عرف بها فيما بعد) للمرة الأولى عام ١٩٥٦م تحت اسم مستعار هو سيزيف؛ ثم أعاد نشرها في ديوان مستقل تحت عنوان مذكرات بحار عام ١٩٦٢م؛ ثم نشرها ضمن ديوانه النور من الداخل عام ١٩٦٤م. وهي بين قصائد ديوان الشاعر محمد الفايز المنشور عام ١٩٨٦م: ص ٧ - ص ٨٣.

(١) سفن شراعية تصنع في الكويت.

(٢) تشبه الدجاجة إلا أنها سمكة جارحة.

(٣) سمكة جارحة.

(٤) حيوان بحري شرس.

(٥) حيوان له شوك كالمسامير.





في عُنُقٍ جاريةٍ تنام على وِسَادَةٍ
ريشيَّةٍ في حُضْنِ سَيِّدِهَا . ورائحةُ المحارِ
بإِزَارِكِ البحري تعبُّقُ . والبحارُ
مملوءةٌ دُرًّا سيملكه سِوَايِ
كحقولِ تلك الأرضِ . يا دنيا العذابِ
ما ذاق مرَّكَ مثل بحارٍ تقاذفُهُ العُبابُ
عريانَ إلا من سِوَاكَ
تتهَيَّبُ الأسماءُ منه . والبحارُ
أحنى من الأرض التي مَحَلَّتْ . فلا عطرٌ يضوُّعُ
فيها ولا نبتتُ كرومُ
مهما تلبَّدتِ الغيومُ وأمطرتُ كلُّ السماءِ
تبقى ككفٍّ بخيلةٍ تأبى العطاءَ
أواه يا أرضَ الحرائقِ والسُّمومِ
البحرُ أحنى من ضفافِكَ ، والشِّراعُ
أذرى إلَيَّ من الصَّنَوْبَرِ ، يا بحارُ
الملحُ فيكَ ألذُّ من عنبِ الدوالي في المدينةِ
فخُذِي شراعي يا رياحُ خذي السفينةَ
سأعيدُ للدنيا حديثَ «السندباد»
ماذا يكون السندبادُ؟
شَتَّانَ بين خيالِ مجمونٍ وعملاقٍ تراه
يطوي البحارَ على هواه
بحباله





بشراعه

بارادة فوق الغيوم

بيد تكاد عروقتها الزرقاء ترتجل النجوم

يا أرض يا كهف الهموم

من أمس أمس ولم تزالى مثل ماخضة بها مات الجنين

لا السحر تبط من جماحك لا ولا الحق المبين

من عهد «قاييل» وقمحك كل عام

يسطو عليه الدود يا أرض الظلام

مصباحي النفطى يلهت مثل عيني لا تنام

تترصد الآفاق تبحث عن ضفاف

وتهب عاصفة فتطفئه. ويرتفع «النهام»^(١):

ضوء الشموغ

من وهج عينيها فذوبي يا ضلوع

والجوع والجدرى في الأرض الحزينة

وترصد الأسماك للبحار في غرق السفينة

والموت في غرق أجل من البقاء

في عالم فيه مكان لابن أوى والقروء

إلا أنا

ما دمت حيًا فالبهار

مأواي. أو باع قصير

في الأرض حين أموت. يا ملح البحار

(١) النّهام: الذي يقوم بالغناء على السفينة أثناء أداء البحارة لعملهم مما يشجعهم على العمل بهمة ونشاط ومن دون ملل.





ستكون شهيداً عن قريبٍ. والنهارُ
سيُطلُّ مثلَ عيونها. القُوا الشُّراعَ
ودعوا السفينةَ يا رفاقي في الضَّفافِ
ها نحن عدنا ننشدُ «الهولو» على ظهر السفينةِ
من وحلة الصيف الحزينةِ
ها نحن عدنا للمدينةِ
ولسوفَ نُبحرُ حينَ تُمطرُ في الشتاءِ
فإلى اللقاءِ

المذكرة الثانية

الشمسُ فوق السور تُشرق مثلَ قنديلٍ كبيرٍ
تهدي خُطانا مثلما كنا على ضوء النجوم
في الليل نسري عبرَ هاتيك البحارِ
أيامَ كنتُ أعيش في الأعماق. أبحثُ عن محارٍ
لقلادةٍ لسوارٍ حسناء ثريةٍ
في الهند. في باريسَ. في الأرض القصيةِ
أيامَ كنتُ بلا مدينةٍ
وبلا يدٍ تحنو عليَّ ولا حَدينةٍ
إلا حبالِي والشرأخُ
ويدي المقرَّحةُ الأصابعِ والضَّياعُ
والريخُ. والأسماكُ في القاعِ الرهيبِ
غرثي تُطارِدني بعالمها الغريبِ
عن عالمي القاسي العنيفِ
يا بحرُ. يا قبرًا بلا لحدٍ. ويا دنيا عجيبةٍ
أجتاز عالمها المخيفَ بروح بحارٍ كثيفةٍ
أبدًا يغنى للسواحل والعِيالُ
يترقبون قدومه بعدَ المحالِ
ويعود من رحلاته كيما يعودُ
للبحر والأسفار. والدنيا كفاحُ



ضدّ المجاعة والرياح
الجوع فوق الأرض والريخ الخؤونة في البحار
وتظلّ زوجته هناك بلا سوار
وبلا قلادة
في بيتها الطينيّ حاملةً وحيدة:
سيعودُ ثانيةً بلؤلؤةً فريدةً
يا جارتِي سيعود بحاري المغامر
سيعود من دنيا المخاطر
ولسوف تُغرّقني هداياه الكثيرة
العطرُ والأحجارُ والماءُ المعطرُ والبخورُ
ولقاؤه لما يعود كأنه بدرُ البدور
وتظلّ تحلمُ والحياةُ
حُلمٌ يجول بلا نهاية
وبلا بداية
والشمسُ والأقمارُ تُشرقُ فوق كوكبنا الكبير
وأنا هنا في هوةِ الأعماق كالحوث الصغير
فكأن هذي الشمس ما كانت. ولا كان الصباحُ
إلا لغيري. والقناديلُ الصغيرةُ
أبدًا تضاء بغير بيتي والحدائقُ والأقاحُ
في حقل غيري. والرياحُ
أبدًا تُطارِدني على ظهر السفينة
والموتُ والحوثُ اللعينةُ





و«السيب»^(١) و«الدين»^(٢) في كَفِّيْ وَأَلْفُ الْحَارِ
فِي الْقَاعِ تُبْرِقُ بِاخْضِرَارِ
كَعْيُونِ عَفْرِيتٍ يَطَارِدُهُ النَّهَارُ
مِثْلَ الْمَصَابِيحِ الصَّغَارِ
وَالدُّودُ وَالْأَسْمَاكُ حَوْلِي وَالْحَجَارُ
أَوَاهُ يَا تَعَبَ الْبَحَارِ
حَطَّمَتْ ظَهْرِي. وَالْحَيَاةُ رَحَى تَدُورُ كَمَا يَقُولُ
«نَهَامُنَا» فِي اللَّيْلِ: أَيَّامُ تَزُولُ
وَتَدُورُ أَفْلَاكُ الْحَيَاةِ لَغَايَةٍ فَوْقَ الْعُقُولِ
يَا أَيُّهَا الْبَحَارُ سَوْفَ تَظَلُّ فِي لَيْلِ الْبَحَارِ
نَجْمًا بِلَا أَفَقٍ. وَفِي تِلْكَ السَّوَاوِلِ
الشَّمْسُ تَشْرِقُ فِي الْخَمَائِلِ
كَعُرُوسَةٍ شَقْرَاءَ. وَالدُّنْيَا نَهَارُ
فِي عَيْنِ غَيْرِي. وَالسَّوَارِ
سَيُصَاغُ لِلْحَسَنَاءِ فِي «بِمْبَاي» يَا رُوحِي الْكُنْيَةُ
«نَهَامُنَا» يَشْدُو لِشَيْطَانٍ قَرِيبَةٍ
سَأَرَى بِسَاحِلِهَا الْحَبِيبَةَ:
عَدْنَا عَلَى ضَوْءِ النُّجُومِ إِلَيْكَ يَا دَارَ الْحَبِيبَةِ
وَالرَّيْحُ نَشْوَى وَالشَّرَاغُ كَأَنَّهُ سَرَبُ الْحَمَامِ
سَارَ عَلَى صَوْتِ «النَّهَامِ»
وَيَظَلُّ «يَنَهُمُ» وَالسَّوَاوِلُ مِنْ بَعِيدٍ
تَبْدُو لَنَا صَفْرَاءَ تَعَكُّسُ كُلِّ مَا فِينَا مِنَ الشُّوقِ الشَّدِيدِ

(١) المراد هنا حبل السيب وهو حبل طويل يربط به الغواص عندما يهبط إلى الأعماق.
(٢) الدين: عبارة عن وطاب للمحار.





وتطلُّ كُثبانُ الرمالِ على الضَّفافِ الحاماتِ
ونسائِنا المتحجباتِ
يضرِبْنَ فوقَ دفوفهن كَأَنَّهُنَّ بيومَ عيدٍ
فرحُ اللقاءِ على الوجوه وفي النذورِ
والشمسُ فوقَ السورِ تُشرقُ مثلَ قنديلٍ كبيرٍ
تَهْدِي خطانا مثلما كنا على ضوءِ النجومِ
في الليلِ نسري عبرَ هاتيكَ التُّخومِ



المذكرة الثالثة

أحلى ليالينا الليالي المقمرات
حيث النجوم الغارقات
في الضوء كالأعراس في كهفٍ مضاء
حيث السماء
في البحر ترسمُ عالماً نشواناً من نورٍ وماءٍ
يجتثنا ويطير فينا في الفضاء
للحورِ. للجناتِ. للدنيا الجميلة
عندي حكاياتُ لها من «ألف ليلة»
من «شهرزاد» وليلها المخبورِ. ليلِ الحاماتِ
الشارباتِ الماءِ من شطِّ النجومِ
مثلَ التي كانت تُغني للغيومِ
فتصير نارا ثم تُمطرُ. والحياءُ
مملوءةٌ بالسحرِ. حيثُ السّاحراتِ
قد كن ربّاتِ البيوتِ العامراتِ
ونظُلُ نحلُمُ بالقصورِ. وبالدّهاليزِ الطويلةِ
تلك التي قد صورتها شهرزادُ بألفِ ليلةٍ
والدودُ في بطني يشاركني غذائي. والوجارُ
خالٍ بلا قدرٍ. وأسماكُ البحارِ
أكلتُ ونامتُ. والصّحابُ
يتحدثونَ عن الموائدِ في القصورِ
وعن التي كانت تُعطرُ خدرها المسحورَ من أشهى العطورِ
وعن الضفائرِ عندما تُطوى على نهْدٍ وجيدٍ



وعلى سفينتنا القمرُ
يَضُوي ولا يُعطى كَتُّورٍ بعيدُ
كسفينةٍ بيضاءٍ عاليةٍ الشَّراعُ
أو مثلَ شباكٍ مُضاءٍ
تحت السماءِ
ونروح نستوحيه كالشعرَاء نشكيه الهيامُ
حتى ننامُ
يا ربُّ يا ملكاً تعالى في سماه
يا أيها الأبدي يا نوراً نراه ولا نراه
دعنا ننم. وبلا غيومٍ
ودع القمرُ
يضوي علينا والنجومُ بلا مطرٍ
نحن العراءُ المبحرينَ مع المخاطر والمنونُ
ربَّاهُ لا تُمطر علينا فالزوابُعُ والرياحُ
تأتي مع المطر الذي يروي الأَقاحُ
والتين والزيتون في أرض «العُجر»
ربَّاهُ إن الأرض تُزهر بالمطرِ
لكننا سنضيع نحن وينطفئ ضوءُ القمرِ
وتهبَّ عاصفةٌ ويحتدُّمُ الظلامُ
وتذوب أنوارُ السماءِ وينتهي حلمُ النيامِ
الساهرينَ مع القمرِ
والشاربينَ الخمرَ من كأس السَّهرِ
ويطير قنديلٌ وتضطربُ السفينةُ
كخُلُوع مومسةٍ تورقُها خطاياها الدفينةُ
البحرُ ثارُ
يا أيها البحارةُ الشجعانُ إن البحرُ ثارُ
القُوا الشراعُ





وارموا إلى البحر الحمولة والمتاع
فالحوت والأسماك جائعة. وأمطار السماء
هيها تَغسلُ حقد حوت. والرجال
في البحر تُعرف ما معادنها. هضاب أم جبال
شدوا الحبال
وتعادلوا فالبحر يعرف ما الحرام من الحلال
والريخ ضد البحر والبحار من ماضي الزمان
ونروحُ نقرأ بعض آيات الكتاب
فالموت في غرق عذاب
لكن تجار السفينة هؤلاء يفضلون
موتى وموت الآخرين
وفناء كل الأرض. كل العالمين
كل الوجود. ولا يرون
أموالهم تُرمى لقاع البحر. تجار البحار
أقسى علينا من رياح البحر والحوت الكبير
ونروح نلعنهم كما لعن الكتاب
«كفار مكة» والذي سح السحاب
أحنى علينا من جميع الناس. يا قمر السماء
عيناك أقوى من عيونهم المريضة. والنجوم
ستشع ثانية وتحترق الغيوم
ونعود نحلُم بالجنان وبالقيان وبالدهاليز الطويلة
تلك التي قد صورتها «شهرزاد» سميرة الملك
الجميلة.



المذكرة الرابعة

أنا ما رأيتُ
لكنني ما زلتُ أذكر نارَ موقدنا بمنزلنا القديمِ
وحديثَ والدي الضَّريحِ عن الحياةِ
وعن الحروبِ. حروبنا ضدَّ الغزاةِ:
الأرضُ قاحلةٌ هنا حتى الذئابُ
تخشى ظهيرتها. ولكنَّ الملوكَ
و«الترك» و«الألمان» والمتسللونَ
باسمِ الحضارةِ والحماية.. هؤلاء المدعونُ
كم حاربونا بالأساطيل الكبيرةِ والجنودُ
يترصَّدونَ شراعَ غَوَّاصٍ يعودُ
كي يغرقوه
كي يقتلوه
يا قاربَ الصَّيادِ إياك التوغَّلُ في البحارِ
فالبحرُ مثلُ الأرضِ ملكُ الأقوياءِ
والدرُّ للحسناءِ نجمعهُ ونحنُ إلى الشقاءِ
ويروح والدي الضريحُ
يبكي ويسعلُ والدخانُ
يندسُّ في عينيه في البيتِ القديمِ.
ونروحُ نسأله المزيّد:



يا والدي ماذا رأيت؟
يا والدي لمَ قد بكيت؟
ويظلُّ يسْعَلُ ثم يجهِشُ في البكاء
ويقولُ كنا! أقوىاء
كنا أمام هجومهم مثل الرمال على العيونُ
مثل الظهيرة في بلادك يا بني
مثل المنونُ
أنا ما رأيتُ
لكنَّ والدي الضريزُ
قد قال لي هذا بمنزلنا القديمُ
وأروحُ أسأل: ما الذي ببلادنا غير الرمال؟
ويُجيب والدي الضريزُ عن السؤال:
لا بد للأظفار من شيءٍ تُمزِّقُه. ومن حملِ الحرابِ
أبدًا يفتش عن رقابِ
والأرضُ تمنح عندما تجد الرجالُ
انظر. ويكثِفُ والدي عن صدره الواهي الضعيفُ
وأرى الندوبَ كأعينِ الموتى كأوراقِ الخريفِ
في صدره الواهي الضعيفُ
ويروح يلمسُها كآثارٍ قديمةٍ
بأصابعٍ مثل العيونِ
تفلي مكانَ الجرح. تعرف أيَّ تاريخٍ حزينٍ
في كلِّ جرحٍ. والجراحُ
فخرُ الرجالِ





كالوشم في الحسناء. يا وطنَ الظهيرة والرمالِ
الموتُ والجدرِيُّ أرحمُ من قراصنةِ البحارِ
وذراك أرفعُ، والجميعُ إلى الزوالِ
إلا النجومُ
والشمسُ والأقمارُ والسور العظيمُ
يا نار موقدنا بمنزلنا القديمُ
ما زال دفؤك في عروقي مثلَ آثار الجراحِ
في صدر والدي الضريزِ
قنديلُ عينيه أضاءَ لي الطريقُ
وجراحُه مثلُ الهوامشِ في طريقِ الشمسِ. يا
وطنَ البحارِ
يا عندليبَ الفجرِ يا عطرَ القرنفلِ يا سماءَ
الرمْلِ أورقَ بالدموعِ وبالدماءِ



المذكرة الخامسة

عندي خمورُ
عندي عطورُ
عندي بخُور الهندِ يا تجَّارَ مكَّةَ يا ملوكُ
عندي القلائدُ والأساورُ للجواري والنساءُ
من يشتري أفراحَ بخَّارٍ يعود مع المساءُ
الشمسُ في عينيه ماتت مثلما مات العبيرُ
والنورُ في بيتٍ خلا لولا حصيرُ
وفتيلُ مسرجةٍ كأهدابِ الضيرِ
لِمَ تنبتُ الأرضُ الزهورُ
وعظامُ موتانا بها؟ أين الحبيبةُ؟
ماتت من الجُدريِّ «طيبة»
من يشتري كلَّ المحارِ؟
من يشتري كلَّ البحارِ؟
بعيون «طيبة» يا نهارُ
قد أطفأتَ عينيك عيناها فحاربتِ الضياءَ
أين الضياءُ؟
بعيونها؟ أين انطلاقاتُ الضفيرةِ
ووميضُ مَفْرِقِها كخطٍّ من نجومٍ
في ليل أيامي الحزينةِ، أين أفراحُ اللقاءِ؟



لَمَّا أَعُوذُ وَمَلَّ أَعْمَاقِي كَأَبَاتِ الْمَسَاءِ
أَيْنَ الضَّفِيرَةُ حِينَ أَنْشَرَهَا كَلِيلٌ مِنْ عَبِيرٍ
مِثْلَ الْقَرْنَفِلِ؟ أَيْنَ ضَحَكُهَا الْحَزِينَةُ
لَمَّا أَعُوذُ مِنَ الْبَحَارِ إِلَى الْمَدِينَةِ؟
أَفَرَاخُ عَيْنَيْهَا تُذَيِّبُ بَيَّ الْعَنَاءِ
وَلِقَاؤُهَا. أَوَّاهَ مَا أَحْلَى اللَّقَاءَ
مِنْ غَيْرِ وَعِدٍ فَالْدَمُوعُ
تَهْمِي مَعَ الْفَرَحِ الْمَغْنَى فِي الضَّلُوعِ:
أَحْبَابُنَا دَخَلُوا الْمَدِينَةَ
يَا لَيْتَ أَهْدَابِي شِرَاعٌ لِلسَّفِينَةِ.
غَدَا الْقُلُوعُ

أَمْسِ رَسُونَا وَالرَّحِيلُ غَدَاً. وَمَا لِي مِنْ رَجُوعٍ
غَنِيْتُ أَمْسٍ لِلْعَيُونِ وَلِلرُّودِ عَلَى الْخُدُودِ
غَنِيْتُ أَمْسٍ لِمَنْ أَحَبَّ وَهَمَّتْ فِي لَيْلِ الْبَحَارِ
لَأَعُوذَ ثَانِيَةً لَهَا. وَمَعِيَ الْهَدَايَا لِلصِّغَارِ
وَالْيَوْمَ حَارِبْتُ الظَّهِيرَةَ وَالنَّهَارِ
شَمْسٌ بَلَا أَقْمَارٍ عَيْنَيْهَا ظِلَامٌ
أَطْفِ الشَّمُوعُ
فَعَيُونُ «طَلِيئَةٍ» كُلُّ مَا حَوَتْ الشَّمُوعُ
وَالْكُلُّ وَهَمٌّ وَالْحَيَاةُ إِلَى الْفَنَاءِ
أَبْوَابُنَا غُلِقَتْ كَمَقْبَرَةٍ فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ
بِالْمَوْتِ وَالْجَدَرِيُّ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ
بَيْتِي تَهَاوَى مِثْلَ أَضْلَاعِي وَمَاتَ بِهِ الْعَبِيرُ





حتى الحصيد

لم يُبقِ منه الداء شيئاً يا حياتي يا فناء

أيامي الأولى ويا «طيبة» الجميلة

عينك تحت الأرض تُبرِّقُ لي كفانوسٍ بعيد

يُومي إليّ. أكادُ أَلَس من هوَى عرقِ الضفيرة

مذُ كنتِ عند البئر تحت لظى الظهيرة

يا قِرْطها الذهبيُّ يا كُحلَ العيون

يا طيبَ مبخرةٍ يُغازِلني الدخان

فيها فتوبي من روائحها يَضوَعُ

يا (حَقَّها) الوردِيّ يا صندوقَها تحت الشموع

وإضاءة الأهداف في الأخشاب من صنْعِ الهنود

يا ثوبَها يا رَدْنها المعطارَ حين تَلْفُهُ لما أعود

عطرُ البنفسج تحت نهديها وفي فمها الورود

يا «شهر زادي» في البحار

أروي حكايتها لروحي. الوداع

فأنا سأرحلُ. أصدقائي والشراع

في الشاطئ النائي. سأرحل فالوداع



المذكرة السادسة

تحت الفوانيس المشعة كالنجوم
السور يبرق مثل خط النار. يا ليل الهموم
ستذوب في حدق العيون الساهرات مع النجوم
الحاملات الماء في جرّاتهنّ، وفي الشفاه
ظمأ الصيام:
غداً «التّار» سيدخلون مدينتي. أين الرجال؟
عطري سأنضحه على قدم تسير إلى القتال
وضفيري السوداء أغزلها حبال
لسفينة في الليل تُبحر بالرجال
هَبِّي شَمال
يا أنت يا ريح البحار
هَبِّي شَمال
«اللقصر» حيث رجالنا الأبطال. يا وهج الرمال
يا نار صحراء الجنوب
وأنا وراء السور أسمعها. فأشعر باللهيب
والنار في رأسي تُعربد. أين تجار الحروب؟
أين الذين يشوّهون الأرض بالدم والدخان؟
أين الملوك وأين «عنتر» يا جبال
الكل فأن



إِلا الحَقِيقَةُ والرجولَةُ يا بلادي. والزمانُ
أَبداً يدورُ
والمجدُ والتاريخُ للشمسِ السَّخِيَّةِ والبدورُ
وإلى الخنادقِ يا «حراء»
يا خندقَ الأبطال في الماضي القديمِ
«الشمريُّ» على الجوادِ
والقصرُ تحت الفجرِ يبرقُ مثلَ فجرٍ من رمالِ
أقوى من الأعصارِ يا وطنَ الرجالِ
وعلى «الجزيرة»
بطلُ أقلتِه سَبُوحُ فالعبابُ
واحاتُ أعنابٍ تظللُهُ. وتبرقُ من بعيدِ
سفنُ الرجالِ القادمينَ من المدينةِ
جاءوا إذنُ فالويلُ للمتلصصينَ القابعينِ
تحت الجدارِ ومن وراءِ القصرِ والمتسللينِ
ها همُ رجالُ مدينتي جاءوا على متنِ العُبابِ
صوتُ المجاديفِ الطويلةِ مثلُ ألسنةٍ تقولُ:
لا شيءَ غيرَ الحقِّ. والأفعى تموتُ
في البرِّ أو في البحرِ.. والسَّمُّ الرُّعافُ
كأسُ الذين بنوا المعابدَ والقصورَ على الدماءِ
جاءوا إذنُ. فحفيفُ أشعةِ السفائنِ مثلُ
أجنحةِ العقابِ
فوقَ العُبابِ
الفجرُ تحمله السفينُ. فيا شمالُ





هُبِّي سِرَاعًا . فالغزاةُ
ملأوا الصحارى والوهادُ
مثلَ الجرادِ
والفجرُ أقوى من كهوفهم العميقة . والحياةُ
والمجدُ . للانسانِ . فاصدحْ يا هزازُ
هُزَمَ «التتارُ»
رجلُ البحارِ على سفينتهِ وفي يده منازُ
من نور عينيه يُضاء كما النهارُ
خاضَ المعاركَ بالماولِ والفؤوسِ وبالحجارِ
والمجدُ للإيمانِ في صدر الرجالِ
لسفينةٍ رجعتْ كأن شراعها العالي هلالُ
والسورُ تحت الشمس يبرق كالسوارُ
في جيد حسناء يُباركها النهارُ
مات «التتارُ»
يا إخوتي الأبطالُ قد مات «التتارُ»
والبدْرُ يشرقُ في سواحلنا كلؤلؤةٍ كبيرةٍ
كرسالةٍ بيضاء تحملها النجومُ
لعيونِ موتانا على تلك المفاوزِ والتُّخومِ



المذكرة السابعة

كصرير أبواب القلاع
في الفجر كالأهات في ظلمات قاع
كدوي رعد فوق مقبرة بعيدة
كرنين أجراس عتيقة
أصواتنا فوق السفينة حين نُبحر. «والنَّهَام»
كغراب حارات قديمة
يشدو بألحان حزينه
للبحر والمحار: أبحرت السفينة
وغدا نعود لكم أحبائي على شاطئ المدينة
حاراتكم فوق الرمال ونحن في ليل البحار
ضوء النهار نصيبنا منه الظهيرة والجثام
ومن الشموع دخانها، صوت النَّهَام
قيثارة بحرية ألواحها التكلّى عظام
من صدر مسلول: تعالي يا «حذام»
قد قلت صدقاً ليس يفهمه الأنام
بيتي أحب إلي من قصر يُقام
في وسط مَربلة. تعالي يا «حذام»
ويظل ينهم ثم يبكي. والمجاديف الطويلة
تحت الضوع الناتئات
تحت البطون الخاويات
رفسات عفريت تخبّط. والبحار



فيها العجائبُ. مهدُ طفلٍ من حِجارٍ
قبرٌ بلا لحدٍ. عُرّةٌ يغزلونُ
إكليلَ عرسٍ. سندبادُ
تحت المياه يعيش كالأسماك. سقراط الحزينُ
والكأس والقمر الجميلُ
كالبيت يسكنه. حُفّةٌ يصنعونُ
نعلًا من الفيروز. غاباتٌ مخيفةٌ
للنجم والأقمار. مقبرةٌ كبيرةٌ
أمواتها يتحركونُ
ويدي ومجدافي وصندوق العتيقُ
هم عدتي في البحر يا وطني الحبيبُ
يا أيها الرملُ المعطرُ بالدماءِ
يا موطنَ الصيادِ والبحارِ يا خيرًا وماءِ
أصواتنا فوق العُباب وراء هاتيك القلاعُ
كصرير أبواب القلاعُ
كدوي رعدٍ فوق مقبرةٍ كأجراسٍ عتيقةٍ
في الليل تقرعُ. والسفينةُ
وسط العُبابِ
«كسدوم» أو «روما» التي شبَّ الحريقُ
فيها ليطربَ ذلك المجنونُ. يا ريحَ البحارِ
نام النَّهائمُ وفي الصدورِ
مات التشبُّبُ والحنينُ
مثل البراعمِ
أوراقها يبست عليها. والحناجرُ قد تموتُ
إلا الأغاني سوف تخلدُ يا بلادي. يا رياحُ
سيكون بطنُ الحوت قبري. والحياةُ





قد تنتهي الا العذاب
يبقى كما تبقى الطلوع
بعد الزلازل. فالهوى
مثل القبور
والشمس تغرب مثل حسناء تموت
والبدن يذبل مثل قنديل تكسر. والجبال
تنهار كالجدران. حتى الأرض تُقلقها الزلازل والرياح
الا البحار
تبقى لتبتلع الجميع
كالخوت حين يجوع يا طوفان نوح
يا حكمة الدنيا القديمة
في البدء كان البحر لا الكلمات، يا تلك
السفينة
أبناء «نوح» فوق متنك يبحثون
عن ساحل وأنا افتش عن محار
ذهب الغراب ولن يعود
الا غرابي عاد كالمطروود في وضح النهار
كرسالة سوداء يعلوها الغبار



المذكرة الثامنة

مازلتُ أذكر كلَّ شيءٍ عن مدينتنا القديمة
عن حارتي الرملية الصفراء والمقلِ الحزينة
لما نحدّق في السماء على السطوح
نَضَبْتُ جِراؤُ الماء والغدرانُ مثلُ يد البخيلِ
مَحَلَّتْ فَأَمَسْتُ كَالْقُبُورِ
مخسوفةً سوداءَ تماؤها الصخُورُ
وعلى الضفاف الغارقاتُ
بالشمس والرمل المنْدَى والضبابُ
وقف الصَّحابُ
يترقبون سفينةَ الماء التي قالو: تعودُ
بالماء من نهر الشُّمال
فالأرضُ رملٌ والسماءُ
بيضاءُ صافيةٌ كنهْرٍ من جليدٍ
نفرٌ يبشِّرُ: أن صاريةً تلوحُ
كهلالٌ مثذنةٌ يغلفها الضبابُ
عبرَ العُبابِ
وعلى ظهور جمالنا الظمأى تحجَّرتِ القِرابُ
سوداءَ فارغةً يُغطيها الترابُ
كبطوننا تحتُ



صَلِّيْ اِذْنُ فَاَلَمُوْتُ اَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ
وَالرِّيْحُ اَغْرَقَتْ السَّفِيْنَةَ وَالسَّمَاءُ
حَقَقَتْ عَلَيْنَا يَا «أَمِيْنَةُ»
صَرَخَاتُ طِفْلِكَ فِي الظَّلَامِ اَتَسْمَعِيْنَهُ
نَهْدَاكِ مَلُوْهُمَا الْحَلِيْبُ وَأَنْتِ ظُمَاى تُرْضَعِيْنَهُ
فِي بَيْتِكَ الطِّيْنِي قَابِعَةً حَزِيْنَةً
تَتَسَاءَلِيْنَ عَنِ السَّفِيْنَةِ
وَعَنِ السَّحَابِ وَعَنِ رِفَاقِي فِي الْمَدِيْنَةِ
وَالْأَفْقُ صَحْوٌ وَالنَّجْمُ
زَرْقَاءُ تَبْرِقُ مِثْلَ أَقْرَاطِ ثَمِيْنَةٍ
وَتَتَوَرَّدُ عَاصِفَةً كَأَنَّ قُوَى الْوُجُوْدِ
سَمِعَتْ أُنْيَنَكَ فَوْقَ اَرْضٍ لَا تَجُوْدُ
إِلَّا بِرَمْضَاءِ الرَّمَالِ وَبِالْمَاءِ
وَالْجَوْعِ وَالْجَدْرِ يَفْتِكُ بِالصَّغَارِ
ضَحَكَاتِهِمْ فِي اللَّيْلِ تَبْرِقُ كَالنَّجْمِ، وَفِي الصَّبَاحِ
يَتَسَاقَطُوْنَ كَمَا الزَّنَابِقُ حِينَ تَعْصِفُهَا الرِّياحُ
وَكَمَا تُنِيرُ الشَّمْسُ أَعْمَاقَ الْكَهْفِ
إِيْمَانُنَا بِالْأَرْضِ مَلَأَ قُلُوْبَنَا رَغْمَ الْجَفَافِ
نَحْنُ الرِّجَالُ
نَحْنُ الْعَطَاءُ إِذَا تَعَذَّرَتِ الْحَيَاةُ عَنِ الْعَطَاءِ
وَفِي السَّمَاءِ
الْجَنَّةُ الْخَضِرَاءُ وَالْمَطَرُ الَّذِي يَرِي الْقُحُوْلُ
لَا فِي الْقُصُورِ الشَّامَخَاتِ





أو في خزائن أغنياء مدينة «اسطنبول» أو «روما»

البعيدة

تلك التي شبت بها النيران. أبرقت السماء

عينك تحت ضيائها الفجري تشرق يا «أمينة»

مثل الشموع

والريح كالراعي الذي ألقى عصاه

لينام خلف الأفق. والبرك الحزينة

بدأت تفتح مثل أفواه الجياع

مثل البراعم حين يلفحها شعاع

حتى «خليفة» جارنا الأعمى تحسس أن أمطاراً

ستهبط يا «أمينة».

هل تسمعيه؟

هل تسمعين عصاه «تقري»^(١) السلم الطيني

تبحث عن مداه

فالسطح يزخر بالمياه

والبركة الجوفاء فارغة كبطن الذئب تبحث عن غداء

أختاه امطرت السماء..

وذكرت قصة من تمرّد ضد طاغية عنيد

في ذلك الماضي البعيد

فتألبوا كي يقتلوه

وتساءل الملك الذي في كفه أمر المدينة

عن ميتة أقسى من الموت الذي قد قرّروه

(١) تقري: تتحسس.





فرموه في الصحراء حيث رؤى السراب
كالماء يبرق في مهاويها الرحاب
ويروح يركض ثم تنجس المياه بكل خطوة
فإذا الرمال الصفرة ربوه
خضراء تملأها الأزاهر والطيور
ويكوخه عند الغدير
جلس المشرّد كالنبي ليكتب الكتب الكثيرة
عن رحلة الإنسان فوق الأرض والدنيا الأخيرة
عيناه ينبوعان من نور وجبهته ظاهرة



المذكرة التاسعة

لا . لا تقولي رحلتي كانت طويلة
مازلت أذكر كل شيء عنك يا «طيبة» الجميلة
إني دفنتك في فؤادي
بين أضلاعي العليّة
لا في التراب . وقد أجسك حيث أمسك كل
شيء في جواري
القرط يحمل ليل شعرك والمواقد حرّ ناري
حتى ثيابك لا يزال عبيرها عبقاً بداري
صندوقك الهندي ذو الأصداف والحقّ الصغير
قبران لي ولقلبي الدامي الكسير
يا للملاءة والعباءة غيمتان
في أفق أيامي وما أحلى السّواد
لما يوشحها ستدبل يا فؤاد
كعيونها . ويح الرمال
كيف احتوتّ والوجود
قد كان يصغر أن يضمّ حبيبتي لما أراها
حرّ القلادة أفق نجم فوق نهديها تناهي
أو دورة القمر الذي قد شغّ محترقاً فتاها
أين الشفاه العابقات كما الزنابق في رباها؟



ورداؤها العربي حين تخطه ليلاً يداها؟
ياليتني مسرى الخيوط وإبرة حملت شذاها
أين العيونُ الحاملاتُ
ضوءَ المسارج حين يُغرقني سناها
أين الشفاهُ العابقاتُ؟
بالطيب والجمر الشهي المتقلاتُ
بالنار والعطر الذي هيهات تحمله الورودُ
في كل غابات الشمال أو الجنوبُ
أواه يا موتي. وقبل مماتها ما قلتُ آها
فيم البقاء وعالمي في قبرها الرملّي تناهى
قال الصحابُ غداً سنبحرُ فاستعدّ إلى القُلوع
فأجبتُهم: كلُّ البحارُ
بحدودِ قبرٍ عبرَ هاتيك القفارُ
الرملُ يرضعُ شعرها ويمصُّ أيامي العذابُ
ياليت أعماقي تُرابُ
بدلُ الرمالِ العابقاتِ على ثراها يا رفاقي في
البحارُ
أمسٍ كرهت الرمل وهو لظى ونازُ
واليومَ أحببتُ الرمالُ
العابقاتِ بعطرها وكرهتُ محار البحارُ
والعطر. كلُّ جواهر الدنيا وأعناق النساءِ
فحببتي ماتت ولو أن الحبيبُ
محارةً لسكنتُ أعماقَ البحارُ





لو أنها نجمٌ لكان الليل أجملَ من ينابيع النهار
ليس الجفافُ بأن تعيشَ مع الجفافِ
إن الجفافُ بأن تعيشَ بلا حبيبٍ
والأرضُ لولا الحبُّ قبرٌ من جليدٍ
ويحَ الحِمَامُ
أَيكون بطنُ الأرضِ أحنى من ضلوعي
والحِجَارُ؟
ولمَ البقاءُ وكلُّ شيءٍ للفناء؟
العطرُ والضحكُ والعبثُ المحبُّ والهناءُ
ضوءُ النجومِ من العيونِ الحالماتِ
تحتَ الثرى. ومن الشفاهِ الذابلاتِ
عطرُ البنفسجِ والورودِ العابقاتِ
ويحَ الحياةُ
تعطي القليلَ لتأخذ الشيءَ الكثيرَ
من رحلةِ العمرِ القصيرِ



المذكرة العاشرة

البحرُ أجملُ ما يكونُ
لولا شعوري بالضياءُ
لولا هروبي من جفاف مدينتي الظمأى وخوفي
أن أموتُ
عريانَ في الأعماق أو في بطنِ حوتٍ
إني أحاذرُ أن أموتُ
لَمَّا أَفَكَّرْتُ أَنَّ لِي بَيْتًا وَلِي فِيهِ عِيَالُ
لَمَّا أَحَسُّ بِأَن فِي الدُّنْيَا جَمَالُ
يَا أَيُّهَا الْفَجْرُ الْمَشْعُ وَيَا أَصَائِلُ يَالِيَالُ
الشمسُ في الآفاق كالإيمان في قاع النفوسِ
ومن القلوب المؤمناتُ
بالأرض والانسان تنبثقُ الحقيقةُ والحياةُ
زرقاء صافية كعين حبيبتي عند اللقاءِ
كالفجر كالأموج حين تنام كالأفق المضاءِ
وكما يشعُّ النجمُ في كبد الظلامِ
يأتي الربيع من الشتاءِ
وغدًا ستمطر غيمتي. ويزوب في الرملِ
الصقيعُ
والمجدُّ للأسرار في القلب العظيمُ



وإلى المحبة للجميع
وإلى الربيع
في كل أرض في الشمال أو الجنوب
والمجد للمحار في كفي هدايا للعدا
الطاهرات
الحاملات جنين إنسان الحياة
القارع الأجراس في ليل الطغاة
يا بحر يا محار يا سحر الأصائل يا غداة
أمنت أن غدا سيشرق في بلادي والحياة
ستدب حتى في الرمال
ومن التشرّد في البحار
سيشع في روعي النهار.





المذكرة الحادية عشرة اللولوة

وصرختُ: عندي^(١). وانتفضتُ. وأبرقتُ كلُّ العيونُ
كشموعٍ أقبية المناجم كالجروح الداميات: قمرٌ صغيرٌ.
في عشه الفضِّي أمسِكهُ. وصاح بي الصَّحابُ:
طوباك. وانتفض الرئيس كمن يحاذر أن تذوبَ
من نار عيني: إنه يوم جميلٌ
قال الرئيس. وراح يُشبع ناظريه رحتُ أسألُ:
أَيُّ جِدِّ يا فلان؟
ستشعُ فيه قلادةٌ حملت عذابي في البحار؟
وذكرتُ، «طيبة» عندما انتفضتُ ضلوعي
كالحمامة في الصباخ
حتى أكاد أشمُّ رائحةَ الضفيرة والوشاخ
ورطوبةَ البئر المثرثر حين تُلقِي دلوها عند المساء
طار الخيالُ
بضلوعي الظمأى وأقدامي تُقرِّحها الحبالُ
وكأن سرّاً في البحار
مازلتُ أجهله ويفهمه القراصنة الكبارُ

(١) عندي: كانوا يغلقون المحار في الفجر بينما يجلس الرئيس في مكان مشرف على الجميع، ومن عاداتهم أن يهتف من يعثر على لؤلؤة بكلمة: عندي.





الباحثون عن المحار
وعن اللآلي والجواهر للنساء الأخريات
وككف عفريتٍ تُمَدُّ من العُبابِ
أبصرتُ صاريةً تكاد تطير. وابتسم الصَّحابُ
عاد الغرابُ
وضحكُ من غُبنٍ. وغنَّى بعضنا: ليت النساءُ
اللابسات لآلي البَحَّار قد دُفن العذابُ
ومرارة الدنيا كزوجته الحزينةُ
في بيتها الطينيِّ حاملةً وحيدةً:
سيعود ثانيةً بلؤلؤةٍ فريدةٍ
يا جارتِي سيعود بحاري المغامرُ
سيعود من دنيا المخاطرُ
ولسوف تُغرقني هداياه الكثيرةُ.
العطرُ، والأحجارُ والماء المعطرُ، والبخورُ
ولقاؤه لَمَّا يعودُ. كأنه بدر البدورُ.
وشعرتُ بالحقِّ اللذيذ على الحياة، على
الجميع، على المدينةُ.
و«كخفرع» في أرض مصرَ، وفي الصباحِ،
جلس «الرئيس» يمسُّ غليوناً ويسعلُ في رياءِ
كالملوكُ:
هذا هو «الطواش»^(١) والكيس الكبيرُ
كيس النقود. والكغرابُ

(١) الطواش: تاجر اللؤلؤ. يبحر مع سفن الغواصين قديماً لشراء اللؤلؤ.





يعلو ويهبطُ في سفينتنا الحزينة. والجميعُ

يتساءلونَ - بكم يبيعُ؟

وكفارتينُ

عيناَيَ تندسَّانِ في ثوبِ الرئيسِ تُفتَّشانُ

عن خرقه حمراء^(١) تحجب ضوءَ لؤلؤة عجيبة

تحلو على صدر الحبيبة

وسمعتُ دندنةَ النقود وضحكةً كصريرِ باب:

خذاها فأسواقِ الهنودُ

هيهاَتَ تملك مثلها. وكغيمةٍ سوداءٍ تلعنها

الجرارُ

شقَّتْ سفينتنا العُبابَ وغاب «طواشُ البحارُ»

كاللصِّ في وضحِ النهارِ

والأرضُ تشتتُ من بعيدٍ: يا بكارُ

مازلتِ مثلي ترزحين بكلِّ عبٍّ والسماءُ

خرساءٌ صامتةٌ تطلُّ على الجميع بلا حياءَ

(١) كانوا يضعون اللؤلؤة في خرقه حمراء بعد أن يخرجوها من المحار.





المذكرة الثانية عشرة

قَلَّمْتُ أَشْجَارَ الْفَرَاتِ
وَحَمَلْتُ أَلْفَ الصَّخُورِ مِنَ الشَّوْاطِي النَّائِيَاتِ
وَدَخَلْتُ «مَسَكْتَ» فِي الظَّلَامِ بِلَا سِرَاجٍ
حَيْثُ الرَّؤْيَى وَالسَّحَرُ فِي حَارَاتِهَا. وَبِلَا دَلِيلٍ
أَبْحَرْتُ فِي شَطْآنٍ «أَفْرِيقِيَا» وَحَارَبْتُ الرِّيحَ
فِي بَحْرِهَا اللَّيْلِيِّ كَالنَّجْمِ الْحَزِينِ
حَيْثُ التَّمَاسِيخُ الْكَبِيرَةُ وَالْأَفَاعِي الْقَارِعَاتُ
أَجْرَاسُهَا فِي لَيْلِ غَابَاتِ الْهَنُودِ
وَأَكَلْتُ لَحْمَ الْحَوْتِ مِنْ جُوعٍ وَصَلَّيْتُ الْمَسَاءَ
بِجَوَارِ أَجْرَاسِ الْكُنَاسِ فِي بِلَادِ أَجْنِيَّةٍ
وَمِنَ الْمَرَارَةِ فِي كَوُوسِي مِنْ عَذَابِي فِي الْبَحَارِ
دَخَلَ النَّهَارُ
وَالشَّمْسُ فِي رُوحِي فَشَعَّتْ كَالنَّهَارِ
وَعَرَفْتُ أَنَّ الْأَرْضَ لِلْأَيْدِي السَّخِيَّةِ وَالْعَطَاءِ
وَالَّذِينَ يَحَارِبُونَ
مِنْ أَجْلِ إِيقَادِ الشَّمُوسِ
وَالَّذِينَ عَلَى الضَّفَافِ الْقَاحِلَاتِ
صَنَعُوا الْحَيَاةَ
فَكَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ ظِلَالُ
تَحْتَ الظَّهِيرَةِ أَوْ رُبَيْعُ





يا أغنياتِ الفجرِ يا أمطارَ واحاتِ الجنوبِ
يا أنجُمُ الليلِ الحبيبِ
لا تبرحي تلكَ القبورِ
العاقباتِ كأنها واحاتُ زيتون ونورِ
والمشرقاتِ كما البدورِ
تحت الرمالِ
وعلى السواحلِ كالمناثرِ كالقلاعِ
يا عاشقًا عطرَ الجنوبِ
ليست عطورًا ما نَشَقَّتْ بِلِ العظامِ
لا لن يموتَ
قلْبُ كمصباحٍ يشعُّ إلى الجميعِ
أني أكاد أَشَمُّ في تلكَ الرمالِ
مسرى خيولهم الأصيلة حين تذهب للقتالِ
وقرابَ نوقهم الحزينة حين يُسكرها الحدا
وخيَامَهم تحت الشَّموسِ وقهوةً عند المساءِ
و«دلالَهم» صفراءَ عابقةً تدارِ
مثلَ النجومِ المبحراتِ مع العطورِ
والرواياتِ حديثَ سُمَارِ الليالي والبدورِ
وحداؤهم خلفَ الجمالِ:
وهجُ الظهيرةِ والبدَاوةِ والرمالِ
وسراجُ غواصِ يعودُ أحبُّ من مدنِ الشمالِ





المذكرة الثالثة عشرة

في ليلةٍ سوداءٍ كالكهف الكبيرُ
كانت سفينتنا الحزينة وسط أمواج الخليج
مملوءةً ببضائع التجار والمتشردين
الباحثين عن الظلال
وعن الرغبة
والهاربين من المجاعة «كالهنود»
و«كالمهاري» الضائعين على الخليج
تحت العواصف. كان عمري لا يزال
في قمة العشرين أو سنةً يزيد من العذاب
وردُّ بلا عطرٍ كأشجار الصخور!
أبصرتُ صعلوكًا يحدق في وجوه الآخرين
كاللص كالجاسوس خلف أزاره القذر العتيق
عيناه تُبرق كالمواقد وسط غاب
كالجمرتين كعين قط. والصحاب
موتى من النوم العميق
إلا أنا والموج والأسماك والنجم البعيد
وشعرت بالخوف الغريب كأن في عينيه عملاق
البحار
الناطح السفن الكبيرة! أيها الوغد اللعين





وَتَرَصَّدَتْهُ عَيُونِي الظَّمْأَى لِمَعْرِفَةِ الْيَقِينِ
مَاذَا سَيَفْعَلُ؟ قَلْتُ فِي نَفْسِي. وَفِي سَفْنِ الْبَحَارِ
مَا فِي السَّوَاوِحِلِ مِنْ صَعَالِيكَ وَأَغْرَابٍ كَثَارًا!
هِيَهَاتَ تَنْقُذُكَ السَّفَائِنُ فِي الْبَحَارِ مِنَ الْجَفَافِ
فِي الْأَرْضِ. وَارْتَعْشِ الْإِرَارُ
فَكَأَنَّ فَأْرًا خَلْفَهُ
فِي اللَّيْلِ يَحْلُمُ بِالْغَذَاءِ. وَفِي الظَّلَامِ
مَأْوَى الْجَرِيْمَةِ. وَالْعِقَابُ
فِي الْفَجْرِ حَيْثُ الشَّمْسُ تَهْتِكُ كُلَّ نَوَلٍ
لِلْعَنَاكِبِ وَاللَّصُوصِ
وَسَمِعْتُ صَوْتًا فِي الْعُبَابِ يَدُبُّ
كَالْحَجَرِ الثَّقِيلِ
وَتَدْفَقْتُ نَقْطَ الْمِيَاهِ عَلَى السَّفِينَةِ كَالْبَصَاقِ
وَقَفَزْتُ كَالْمَلْدُوغِ أَلْتَمَسُ الْحَقِيقَةَ فِي الظَّلَامِ؛
فِي اللَّيْلِ يَنْتَحِرُ الْجَبَانُ. وَصَحْتُ مِنْ أَعْمَاقِ صَدْرِي أَنْقَذُوهُ:
وَتَحَرَّكَتْ جِثَّتُ النَّيَامِ كَأَنَّهُمْ
نَفْضُ الْعِبَاءَةِ حِينَ يَعْطُوهَا الْغَبَارُ
مَاذَا؟ وَأَبْرَقَتِ الْجَسُومُ الْعَارِيَاتُ
وَأَجَبْتَهُمْ: قَدْ مَاتَ. مَاتَ
وَتَطَلَعُوا لِلْبَحْرِ كَالْمُتَشَكِّكِينَ
الْبَحْرِ أَسْوَدَ كَالزَّنُوجِ. وَفِي الْفَضَاءِ
ضَوْءُ النُّجُومِ يَمُوتُ قَبْلَ وَصُولِهِ. وَسَرَّاجُنَا الدَّبَقُ الصَّغِيرُ
هِيَهَاتَ يَكْشِفُ مَا تَلْبَدُ مِنْ ظَلَامٍ مِثْلَ صَدْرِ الْمُسْتَرِيبِ





يا أيها الصُّلوك أنت قتلتَهُ

وحلفت: بالله العظيم

قد مات منتحرًا. ولو أن النجوم

تُعطي شهادتها لقات ما أقول:

يا أيها النجم الحزينُ كعين والدتي العجوزُ

وبكيت من حزن عليه وليس خوفًا أن يقال:

أني قتلتُ. لأنني أهوى الجوى

وأحفظ الشيء الكثير من الكتاب:

القاتلون سيقتلون. وفي السماء

ربُّ سيئار للضعيف إذا ازدراه الأقوياء

وكما يُشَقُّ القبرُ عن صوتٍ سمعنا في الظلام

فوق العُباب نداءً إنسانٍ يموتُ

وبلا انتظارُ

ألقيت نفسي في الخليج ورحت أسبح مثل تمساحٍ صغيرٍ

يتفقد الأمواج. يسألها. وتبرق من قريبٍ

قطرات ماء كالدموع القافزاتُ

ويدُّ تُمُدُّ من العباب كما اللسانُ

ورفعت رأسي آنذاك كسلحفاةٍ في الفراتُ

ومسكته. وهمستُ واللهثتُ في صدري: تعالُ

ومن العذاب إلى العذاب

القيته فوق السفينة مثل مصعوق. وباركني الصَّحاب:

أنقذت روحًا. سوف يجزيك الإله. وفي الصباحُ

شهِقَ الجميعُ لأنه أمرٌ عجابُ





وضحكتُ في سري. لقد كان الغريقُ فتًى يُقال له «حسين»
قذفتُهُ عاصفةُ البحار من السفينة للعبابِ
ورفيقُنَا «الهندي» مات وربما أكلته أسماكُ البحارِ
في الليل وابتسم الجميعُ
وكُلُّهُمْ في البحر أعياءُ المطافِ
شَقَّتْ سفينتُنَا العبابَ «لزنजार»



المذكرة الرابعة عشرة

قصصُ البحارِ كثيرةٌ
ماذا أقصُّ لكم؟ وهل تتحسسونُ
وخز الحرارة في حروفي؟ والحروفُ
أعصابُ إنسان يغني أو يموتُ
ماذا أقصُّ لكم؟ وفي صدري تموت
أحلى أغانيه وحبكم القديمُ
وجحيم ليل الأمس أحرقني. وهأنذا رماذُ
وغداً ستجبله الأيادي كي يصيرُ
تمثالاً عارٍ للجميع. وكاللسانُ
أبدأً يحدثُ عن حقارةِ عالمٍ
من عهد «قاييل» تهاوى للحضيضُ
ماذا أقصُّ لكم
وماذا تفهمونَ عن الجراحِ السَّارِداثُ
قصص الذين يغامرونُ
كيما يعودوا بالذَّلَى والعطورُ
لنسائكم. وإلى الجواري الشاربات دم العيونُ
والشمسُ تشرق للجميع سوى الظلالُ
للنائمينَ إلى الضحى. ماذا أقولُ





وفمي به ماء كضفدعة الحكيم
ونساء غابات الشمال
للآن ما برحت عطوري في صفائهن والتاج الكبير
قد رصعته لألني. ماذا أقص لكم وفي قاع البحار
أسطورة الدم والعظام
وحبال غواص. ولوح سفينة
وحروف أغنية «النهام»
ورماد شمس في ضلوعي يا «حذام»
عينك في روعي وجسمك في الرغام
تتعطر الأرضون منه كأنه
عسل وخمر للجميع
وكوردتين
كنجمتين
كدرتين من البحار النائيات
عينك في ليلى وحبك موقدي
ماذا أقص لكم وعهدي في البحار
قد صار ياما كان صار
لم يبق غير الذكريات
الزاحفات على المباني الشاهقات
المطبقات على منازلنا القديمة
وطفولتي الرعاء والدرب الحزين كوجه والدتي الحزينة
ونداء جاري يا «أمينة»





سفن المغاص غدًا تعود إلى المدينة
وصباي و«المكصي»^(١) في الساحات والثوب الجديد
في العيد نلبسُهُ. وإن جاء المساء
تبدو الكآبة في العيون القابعات على الطريق
والموقد الطيني ينتظر الجميع
كعيونٍ مجدورٍ. وجارتنا العجوزُ
وطهارة الكلمات حين تقولها
مثل الدواء
وغناء سقاءٍ ضريزٍ
أعمته شمسُ البحر. يا بابًا^(٢) كبيرًا نصفه باب صغير

(١) إحدى لعب صبيان الحارات القديمة في الكويت.

(٢) المقصود هنا الباب الشعبي القديم «أبو خوخة».





المذكرة الخامسة عشرة

الليل يُطبّق فوق حارتنا الحزينة. والنجوم
زرقاء لاهثة كألْسنة ظماء
وأنا ووالدتي وموقدنا المرمد لا يزال كرأس والدتي العجوز
فيه بصيص من لهيب سوف يطفئه الزمان
قد أبحرت سفن المغاص وأنت باقي. والرغيف
كحمامة بيضاء تقطن في البحار
وتطلّعت عيناى من ثقب الجدار
تتسلّق الأفق الدجي إلى السماء
كالعنكبوت
وسمعت والدتي تقول:
في البحر رزق الناس يا ولدي. وأيام الجفاف
في الأرض ما برحت. ومن يُلِق الشباك
يأكل. وفي قاع البحار
الخاتم المسحور والرزق الكثير
وتروح والدتي تقصّ عليّ ما سمعته من إحدى النساء
الساھرات على المواقد في الشتاء:
عن ذلك الصياد والكنز الثمين
وعروسة الماء الجميلة حين مرّقت الشباك لكي تعود
للبحر ثانية وعن حجر ثمين
للآن يحلم فيه بحار وصياد يجول. وكالغراب
طار الخيال إلى الصّحاب





وحبالهم وسط الخليج
تحت المياه يفتشون عن المحار
وأنا هنا أصغي لوالدتي العجوز كأنني طفل صغير
تُروى حكايات الصغار إليه قبل النوم يا سمك البحار
الزورق الخشبي والحبل الممسد والشباك
مُلْكٌ لغيري والرسول عليه إصدار البلاغ كما يُقال
ماذا أقول إذا رجعت مع المساء لسيدي حيث الشباك
مبتلة تهتز فوق الكتف خالية الوطاب
والبحر فيه الرزق يا سمك البحار
وعلى المياه الزرق تنزلق الشباك
وتغط كالأنعى الكبيرة للقرار
والزورق الخشبي تحت الشمس يبرق مثل جاسوس صغير
حيث السماء
زرقاء صافية تطل على الجميع
وأحسكن إذا تلوث فوقكن شباكي المتلصصات
لطريقكن. وصوت أُمي لا يزال
وخيالها المسحور في أذني: في سمك البحار
الخاتم المسحور. وانطفأ النهار
وكما يغني في بحارهم الصَّحاب
تحت الشراع
غنيت حين سلكت دربي للمدينة:
أواه يا روعي الحزينة
لا شيء عندك تملكينه





المذكرة السادسة عشرة

تحت السَّقوف الواهيات
كضلوعٍ مسلولٍ. وفوق حصيرنا الدبق العتيقُ
في بيت «سيدنا» تعلّما الكتاب
الحمد لله الذي خَلَقَ العظامَ من الترابُ
ومن الثقوبِ الناتئاتِ على الجدارِ
كعيونٍ أعمى كالجروحِ الدامياتِ
ينسلُّ ضوءُ الشمس كالجاسوس من كلّ الجهاتِ
وبما تبقى من حصيرٍ
أو بالخروقِ البالياتِ
نسُدُّ عينَ الشمس في ذاك المكانُ
وعلى الجدارِ
مسمارُ «فلقتنا» تهدّل كاللسانُ
كالأصبع المجذور ينذر بالعقابِ
للصبية المتمردينُ
والرمل في الساحات. والبحرُ الجميلُ
يذكي بنا العبثَ البريء. ومن خلالُ
شقَّ الجدارِ
أو ذلك الثقبِ الصغيرِ
ننسلُّ كالفران حين يغيبُ سيدنا





وفي غد القريب
«الفلقة» الملعونة الرقطاء كالأنعى الكبيرة
تُطوى على أقدامنا السود الصغيرة
ورقابنا لما تميدُ على الكتاب
مثل الدلاء الفارغات:
اقرأ. وتهتزّ الظهور الواهيات
يا والدي أنا لن أعود. وفي الصباح
صلّ الصباح
يا أيها القرد الصغير. يقول والدي العنيد
ومن خلال
أهدابي اللزجات من دمع المساء
والقرمز الليلي المَحْ وجهه القاسي العنيف
وأنا أُصلي بيدَ أني لستُ أفهم ما أقول
وما حفظت من الكتاب
وكقطعة صفراء تبدو الشمس في عيني
في ذاك الصباح
لابدّ من حفظ الكتاب وحمل سيفك كالمحارب. والحياءُ
سيفٌ وقرطاسٌ. كما قالوا بحارتنا. وفانوس صغير
فوق الضفاف أحبُّ من شمسٍ على ذاك الحصيْر
ولكلّ دلوٍ ماؤه. وفوادي الحرّ الصغير
صندوقُ آلامٍ تحطّم من زمانٍ
لن تدخل الكلمات فيه عن لسانٍ
رجلٌ عجوزٌ





وعصاهُ فوق رؤوسنا . نحن الصغار
الهاربين من اللحي السوداء أشبه بالكبار
الحاقدين على الحياة وليلها . نحن الصغار
نترقَّب الجُدري يأكلنا وتصهرنا الظهيرةُ
كي لا نعودُ
للسقفِ في بيتٍ كقبرٍ من رمالٍ
تتحركُ الجدرانُ فيه إذا سرت ريح الشمال
وكعنتر العبسيِّ حين يعود من ساح القتال
سيفي المذهب في يدي وتحت ثوبي لا يزال
أثر الحرارة مثل آثار الندوب
في أمِّ رأسِكَ يا أبي من ضرب سيدك القديم
في أرضٍ «نجدٍ» والعذابُ هو العذابُ
في كل أرضٍ في الشمال أو الجنوب
وغداً سأنسى ما حفظتُ كما نسيت . وفي الرمال
أثرُ القوافلِ سوف تمحوه الرياحُ





المذكرة السابعة عشرة

الأرض تطردنا وتلفظنا البحارُ
للِقاعِ أو لسواحلٍ ظمأى تعربد في مجاهلها الرياحُ
والليلُ حيث كهوفهُ السوداء كالأشداق تملأها العظامُ
وهياكلُ الموتى الذين رماهم البحر المعربد في الظلامُ
ها نحن تحت الريح نبحت عن ضفافِ
الريحِ حطمتِ السفينةُ فهي ألواحٌ يبعثرها العُبابُ
كعظامِ إنسانٍ تكسرها الخناجرُ والحراِبُ
والأفقُ أسودٌ كالعيون المطفأتُ
والبحرُ مثلُ ضميرٍ جلاذٍ كآدمَ حين أغوته الحياةُ
أين الطريقُ؟ لقد أضعنناه على الأرض الكئيبةِ والبحارُ
لا شيءَ وانطفأ النهارُ وغاب ثانيةً وعاد
وأنا وصحبي الهائمون بلا دليلُ
نتفقّدُ الشيطانَ لا ماءً ولا زادًا سوى زبدِ الأجاجِ
وسوى اجترارِ
شيءٍ بداخلنا يموتُ
ورطوبةُ الأفقِ الحزينِ نلقُها لقا من الظمأ الشديدِ
فلعلَّ فيها قطرةٌ تشفي غليلُ
وشعرتُ في موتي يشدُّ يدي وأذني للرفاق العائمينُ
قربي عراً يلهثون وقد تغوّرت العيونُ
الحاملاتُ حقارة الأرض الذليلةُ





وسمعت صوتاً في القراز
أين الفراز؟
الأرض تطردكم وتلفظكم متاهات البحار
الحوث جائعاً هنا والأرض ظامئة هناك
لابدّ منك وإن نجوت فمن هلاك سوف يعقبه هلاك
وسألت في نفسي إلى أين الفراز
ولمّ اللجوء إلى الضفاف ونحن فضلنا البحار
أهناك ثالوث؟ وعربد ملء أعماقي جواب
لا شيء. والدنيا عذاب
ها نحن فوق البحر أربعة وخامسهم يموت
غرقاً قبيل وصولنا الشاطي. وكان لظى الرمال
تحت الظهيرة ذوب أكباد بها داء عضال
وتلففتنا الأرض حاقدة كتثور كبير
ولمّ الوصول؟
لمّ لم نمت غرقاً إذا كان المصير
في الأرض جوعاً للجميع؟
ها نحن غرثى هائمين بلا متاع
لا شيء غير الجوع والاختساب نأكلها كأن بها بقايا من ثمار
ومن الأجاج نعْب كأساً من زلال
والجنة الخضراء تبرق كالمواد في الخيال
وتطلعت حولي العيون
مثل الخروق
وشعرت بالخوف العظيم
وقلت ماذا يفعلون؟





لأبدٍ من أكلٍ. وكنت فتًى. وأكلة اللحوم
للآن ما برحوا سنأكله ولو فيه السموم
وصرختُ من جوع ومن خوف وقالوا: لا محالٌ
ستموتُ كي نحيا. وكانوا كالوحوش
وهتفتُ من أعماق أعماقي: حرامٌ
وتفتحتُ أشداقهم غرثي يغطيها الجثامُ
والمُحُ والجوعُ المعربدُ.. يا رفاقي الأوفياءُ
وتألبوا ضدي «كيوسف» ثم وليت الفرارَ
وكنْتُ أسمعهم ورائي يركضونُ
فوق الرمال. وفي الظلامِ
في قعر كهفٍ قد أويْتُ وكنْتُ
أسمعُ خطوهم تحت النجومِ
ونسيتُ أن تأتي الذئابُ
كيما تمزقني
لقد كانوا أشدَّ من الذئابِ
لأبدٍ من أكلي. وأبرقتِ السماءُ فخفتُ من ضوء السماءِ
ستنيرُ دربهم لكهفي. جائعونَ يفتشونُ
عن جائعٍ كي يأكلوه. وفي الصباحِ
ألفيتهم فوق الرمالِ المطراتِ
يتنفسونَ بلا حراك كالمواتِ





المذكرة الثامنة عشرة

صوتُ الدفوفِ يرُنُّ في أذني فتشربه الضلوعُ
من الحنينِ
قبلَ الرُّسُوِّ إلى الضفافِ المشرقاتِ
بنسائنا ودفوفهن. نسائنا المتطلعاتِ
للبحرِ حيثِ شراعُنا كحمامةٍ بيضاءٍ أعيانها المطافُ
فلها حنينٌ للضفافِ
وكفرحةِ الأيديِ الرشيقة حين تضربُ
أو تلوح بالدفوفِ
فرح القلوبِ الحاملاتِ الأغنياتِ
والشوقُ من شمسِ البحارِ
وكما أميز وردةً بين الورودِ
أو نجمةً بين النجومِ لمحتها بين النساءِ
وأكاد أنشقَّ عطرها قبل اللقاءِ
وكملتقى النهرينِ يرتفع «النهام» مع الغناء:
روحي فداءً
لسفينةٍ عادت بهم. وهبطتْ شطآنَ الرمالِ
مع الصَّحابِ
وغداً يباركني الرجالُ كما تباركها النساءُ
وغداً سادخلُ بيتها بعد المساءِ
سينيرُ دربي ضوءُ فانوسٍ وتهليل. ورائحةُ البخورِ
في بيتها الطينِيَّ يومئٍ، لي لبيتلح الزمانُ
يومي وشمس غدي، ليجمَّعني وإياها مكانُ





سأذيبُ فيه العمر. يا أشهى العطور ويا حريزُ
يا أغنياتِ البحرِ يا رقصِ النساءِ الضارباتُ
على الدفوفِ ويا عذارى الأغنياتِ
سأشوقِ دربي بينكنِ بثوبي العطرِ الجديدُ
وعباأتي السوداء حيث يدي
تراقصُ خيطَ مسبحتي الطويلُ
وبأضلعي شوقُ السنين بما تضم من الحنينُ
سمراءُ يا فجرَ الربيعِ ويا عطورَ الياسمينُ
يا أغنياتِ القلبِ حين يجيش بالفرح الحزين
ها أنتِ قربي تجلسين
بثوبك العربيّ ذي الكمّ الطويلُ
والسلة الحمراء كالعشّ الجميلُ
وعلى الجدار بصيصُ فانوسٍ ومراةٍ كبيرة
وتدفّقي وأنا أصلي فوق ثوبك والنساءُ
الأخرياتُ
خلف الجدارُ
وحديثهن عن السوارُ
والحقّ والصندوق والماء المعطر والمراشُ
وكوردتين
أهداب عينك تومئانُ
تحت النقابِ
والأصدقاء على الضفاف مع الشراعُ
يتربعون مجيء فارسك الحزينُ
كي يبحروا. وكما رجعت مع المساءُ
إني سأبحرُ عائداً. فإلى اللقاءُ





المذكرة التاسعة عشرة

في كل أمسية وراء جدار مسجدنا الكبير
يتحرك الماضي بنا ويذوبُ عالمنا الجديد
وتطلُّ من شُرف الخيالِ المشرَّبِ إلى البعيدِ
نكرى البحار وما تناثر في سواحلها من المدنِ
الكبيرةُ

(بمباي) والسوق الكبيرةُ

ولحى الهنودُ

وهواء «دارين» الجميلة والفواكه والورودُ

بحقولها الخضراء. و«اليمن» السعيدَ

وما تناثر في سواحلها من السفن الكبيرةِ

والضبابُ

والعاملاتِ السَّحَرَ في الغار البعيد

«بحضرموت»

والفيل حين يعود من غاباته في «زنجبار»

وزنوج «أفريقيا» الحزينة والتماسيح الكبارُ

ومقاهي العشاق في أقصى الجنوبِ

وضحى «المكلا» حي يعبق بالعطور والنساءِ

العائداتِ من الحقولُ

ونروح نجتر الخيال ونستعيدُ





ذكرى الجار الهابط مع الرجال إلى القرا
حيث الصخور المورقات وحين أكوام المحار
وسفينة «الطواش» مثل مدينة ملعونة
وسط البحار
تترصد الغواص في ضوء النهار
وغناء «نهام» ضريز:
قد أطفأت شمسي الرياح
وعرقلت سبلي الصخور
وجماجم وعظام موتى قاءها ليل القبور
وأنيئنا فوق المجاديف الطويلة مثل شلال الجبال
أه. وتنزل السفينة بالبضائع والشتائم
والسماء
دكاء في عيني ومشرقة بأيام الجميع
وشراعنا عند القلوغ
رئة تعرت من ضلوغ
ونباح كلب في الضفاف
لما رسونا هاربين من الرياح
شيء كثير
ما زال في أعماقنا. والذكريات
مثل الغذاء
والدفء في صمت المساء
تحت الجدار. جدار مسجدنا الكبير
في الحارة البيضاء. والأطفال من فوق السياج





يودعونُ

شمسَ النهارِ باغنياتٍ لستُ أفهمُ ما تقولُ
ويَرُنُّ في سمعي الأذانُ وينتهي لعبِ الصغارِ
والذكرياتُ ولعبةُ « الداما » وتسقط كالنقودِ
في ذلك الكيس الكبير لكي نعودُ

للذكريات مع المساءِ

في يومنا الثاني. وفي صمت البحارِ

نبتتُ عظامُ رفاقنا مثل المحارِ

وغداً سيجمعها الصغارُ

اللاعبونَ على السَّياجِ

وسيبحرون مع الرياح مع الشراعِ

فالبحر مأوى للجميع وإن رمتنا للضفافِ

ريحُ الشمالِ

وسيلعبونَ بلعبتي تحت الجدارِ

ويغازلونَ الذكرياتِ المبحرات معَ النهارِ



المذكرة العشرون العودة إلى الأرض

الشمسُ في حارتنا تلوبُ
تبحث عن بيوتنا الموصدةِ الأبوابِ
كأنها مقبرةٌ لعالمٍ قديمٍ
عظامُها مزامرٌ تنفخُها الرياحُ
فتهربُ الشمسُ والأقمارُ
الشمسُ في دروبنا تنهارُ
كأنها عروسةٌ
إكليها ممزقٌ يا أيها الجدارُ
يا نولَ عنكبوتٍ
أكاد أن أموتُ
مختنقًا بالليلِ والدخانِ
يا أيها الربانُ
جننا هنا نجدد العهدَ إلى الشيطانِ
نصنعُ من عظامنا مدينةً ثلجيةَ الجدرانِ
ما قيمةُ الشمسِ إذا أضاعت الكهوفُ
وأحرقت بيتي يا شموغُ
يا موقدًا تسعل من دخانه الدموغُ



في بيتنا القديم. يا كوتنا السوداء
يندسُ من خلالها الصبَّاحُ والمساءُ
يا جارتِي العمياءُ
والقصص الحزينة التي تطولُ
كي يقصرَ الليل ولا تزالُ
في خلدي أسطورةُ الحسناءِ
وحُبُّها العميقُ للبحارِ. والرسولُ
يقتله الأميرُ في حكايةِ الخبازِ
وفي الخيال
مأوى الذي تطرده الحياةُ



شاهدتُ في مدينتي الشيطانُ
يسخرُ من آدمَ. فالسماءُ
تلفظه. تلغنه. حبيبتِي حواءُ
سيدتي. أميرتي الحسناءُ
أعراقنا مسمومةٌ وحُبُّنا اشتهاؤُ
شربتُ من عينيك ما أظمأني
واضحكُ الشيطانُ
وأنزل الانسانَ من عليائه لتأكل الديدانُ
أعصابه. وتنهش الذئبُ
لحومهُ. يا عالمَ الصَّبيرِ والذبابِ
يا خيمةَ مهروءةِ الأطنابِ
حبَّالها مشنقةٌ تأوي لها الغربانُ





أخرجنا الشيطانُ
منها . وفي خمائل التفاح
مأواه . والغلالُ
يجمعها «يوسفُ» للذين قد رموه
في البئرِ والقميصُ
ممزقٌ يعرب عن جريمة العشاق
هيهات لن يُطاق
عبءُ الهوى . ما قيمة العطورِ
وأغنيات الحبِّ والزهورِ
ولعنة السماءِ
تطارد الجميع يا حواءُ
يا شجر التفاح
نحن هنا تحرقنا الشمس ولا تضيئنا
والأرض كالآثاءِ
حليها السموم . والأقمارُ
يخنقها الجدارُ

☆☆☆☆

كفرتُ بشمسٍ تضيئ الكهوفَ
وبيني ظلامٌ كفيفُ البصرِ
كفرتُ بأرضٍ لغيري الغلالُ
ولي الشوكُ من ريعها والسَّهرُ
سلامٌ على نفحات الخليجِ
وإن كان للغيرِ منه الدُّرُ





سلامٌ على الرمل عند الضفافِ
كمخدعٍ فجرٍ عليه انتحر
سلامٌ على ذكرياتِ السنينِ
تلوحُ كسربِ حمامٍ عبر
سلامٌ على سفنِ العائدينَ
و«نهَّامهم» تحت ضوء القمر
سلامٌ لأشعةٍ في الخليجِ
تجوبُ البحارَ وتهوى الخطر
سلامٌ على راحلٍ للمغاصِ
سلامٌ على عائدٍ من سفر
سلامٌ على ضارباتِ الدفوفِ
ونذُرٍ يحققُ حلمًا ظفر
سلامٌ على مجلسٍ في الظلامِ
تنوِّرهُ أغنياتُ الوتر
سلامٌ على فاتلٍ للحبالِ
يصارعُ فيها رياحَ القدر
سلامٌ لحاراتنا في الشتاءِ
ودربٍ يضيئُ بماءِ المطر
سلامٌ لسقَّاءِ حاراتنا
وأجراسِهِ عبرَ ذاك الممر
سلامٌ على البئر عند الصُّباحِ
وثرثرةِ الدلولمَّا انحدر
سلامٌ على موقدٍ في الشتاءِ
يدورُ عليه حديثُ السَّمر





سلامٌ على السَّور حيثُ القلاعِ
وَأَلْـوَاحُ أَبْـوابِهِ وَالْحَجَرِ
سلامٌ لحاراتنا الهامداتِ
كأَمْـوَاتِنَا وَسَطَ تِلْكَ الْحُفْرِ
تَكَادُ تَزِيحُ المَبَانِي الضَّخَامَ
لِتَعْرِبَ عَنْ يَوْمِهَا المُنْدَثَرِ
أَكَادُ أَشْمُ بِهَا الغَابِرِينَ
وَمَا يَنْطَوِي تَحْتِهَا مِنْ أَثَرِ
«لَطِيبَةً» حَيْثُ انْزَلَّاقُ الوَشَاحِ
أَمَامِي لِأَنِّي حَبِيبٌ حُضِرِ
تَطَالَعَنِي مِنْ شَقَوقِ الجِدَارِ
وَتَشْكُو إِلَيَّ عَذَابَ السَّهْرِ
سلامٌ. سلامٌ. فَإِنِّي انْتَهَيْتُ
كَغَيْمٍ تَجَمَّعَ ثَمَّ انْهَمَرِ
سَتَشْرِبُهُ يَابَسَاتُ الصَّخُورِ
وَتُمَلِّى الْقَرَابُ بِهِ وَالْجُرَرِ



من بلاد الهولو

كثبانُ رملِكَ واحدةٌ معطارُ
وأجاجُ بحركَ سكرٌ وبَهَارُ
يا موطن «الهولو» الذي غنّيتَ لهُ
من أمسِ أمسِ سواحلُ وبحار
يا ساحلَ الفيروز حيثُ سفيئُهُ
ملءُ البحار كأنها الأقمار
يا قصةَ البحار في جولاته
لما رمتَه إلى البحار قِفار
تتهيّبُ الحيتانُ من مجدافه
فله دويٌّ فوقها هَذار
لولا الحنينُ إلى الجمى ورماله
لبنّتَ عليه حراشفُ أسفار
سرجُ الصّواري في العبابِ كأنها
نجمٌ تكسّر فوقها وشَرار
ضياءُ الخليجُ بها كأن مدينَةً
هبطتُ به أو عالمٌ نَوّار
عريانُ يمنح لؤلؤًا وقلائدًا
لولا حبالُ مُسَدّت وإزار
عيناه تحت دجى العُباب نهار
ويداهُ تحت سُرى الشّراع منار



السَّندِبَادُ مَضَى وَكَانَ خُرَافَةً
قَدْ حَقَّقَتْهَا تِلْكَمُ الْأَخْبَارُ
الرَّأَوِيَّاتُ عَنِ الْبَحَارِ وَمَارِدِ
خَضَعَتْ إِلَيْهِ الرِّيحُ وَالتَّيَّارُ
فِي كُلِّ شُطْطَانٍ «نَهَامٌ» صَاعِدُ
وَبِكُلِّ بَحْرِ رَحْلَةٍ وَمَسَارِ
لِلآنِ مَا بَرَحْتَ عِظَامُ رِفَاقِهِ
فِي الْقَاعِ مَشْرِقَةً كَمَا الْأَنْوَارُ
الْمُبْحَرِينَ مَعَ الرِّيحِ كَأَنَّهُمْ
فَوْقَ الْعِبَابِ مِلَائِكُ أَبْرَارِ
وَالْمُخْرَجِينَ مِنَ الْأُجَاكِ حَلَاوَةٍ
هِيَ فِي أَيْدِي الْغَانِيَاتِ سِوَارِ
وَالسَّاخِرِينَ مِنَ الْجَفَافِ كَأَنَّهُمْ
فَوْقَ الرَّمَالِ سَنَابِلُ وَجَرَارِ
سَكَبُوا الدَّمَاءَ عَلَى الرَّمَالِ فَأَزْهَرَتْ
فَكَأَنَّهَا بَعْطَائِيهَا الْأَمْطَارُ
لَوْ تَعَرَّفُوا الْأَسْوَارُ طِينَةَ رَمْلِهَا
لَتَفَاخَرَتْ بِبِنَائِهَا الْأَسْوَارِ
وَلَوْ السَّوَاوِحِلُ قَدْ تَحَدَّتْ رَمْلُهَا
لَعَرَفَتْ كَيْفَ يُحَارِبُ الْبَحَّارُ
فَوْقَ الْخَلِيجِ يَعُودُ طَارِقُ رَافِعًا
رَايَاتِهِ وَالْفَتِيَّةُ الْأَخْيَارُ
فَكَأَنَّ نَارًا أُضْرِمَتْ بِسَفِينِهِ
هَفَّتْ لَتَرْفَعَ فِكْرَةً وَشَعَارُ





وعزيمةً عربيّةً جبّارةً
هيهات يبلّغ شأوها جبّار
وكان صاريّةً تجمّر لوحها
رُفِعَتْ ليسمو فوقها جمّار
ريّع الخليج من السفن فلم يقر
ر له من الموج العتيّ قرار
وتثاقل الرمل النّديّ من الدّما
فالأرض صحوٌ والعُباب غبار
وتصاعد «الهولو» بلحنٍ صاخِبٍ
وجفّت لوقع دويّيه الأبصار
هيهات يهبط في الضّفاف تتار
أو أن يُدنّس أرضنا استعمار
ولكلّ فجرٍ مُوقدٌ لضيائه
ولكلّ ليلٍ ثعلبٌ ووجار
والمعتدون همّ الضّعاف عزائمًا
في ملتقى الجمعين والأشرار
والشمس ما ضاءت ليشرب نورها
قبرٌ ويسكن شرقها حفار
الشمس للبحار حيث شراعُه
وحبالُه والبحرُ والمحار
الشمس للبدوّ حيث جماله
وحداؤه في البيد والأشعار
الشمس للخبّاز حيث عجينةُ
وغنّاؤه ورغيفه الدّوّار





الشمسُ للفلاح حيث بذوره
والتربةُ السمحاء والأنهار
الشمسُ للصياد حيث شباكهُ
وخيوطهُ والساحلُ الموار
الشمسُ «اللهولو» الذي لمّا تزل
ألحائه وكأنّها الأسفار
تروي حكايات البحار وشرعها
في الفجر لما يأنف الأبحار
مزجوا الدماء مع البناء ولم يزل
في السور من تلك الدماء آثار
وكانما تلك القلاع مجامر
العطر ملّ فتيلها والنار
سفن المغاص عن القلوع تعطلت
وكانها فوق الخفاف ديار
نزع الألى فيها وكيف قلوغهم
وعلى الخليج غمامة وغبار
وتعطلّ الجداف عن دوراته
ومداه فهو معاول وحجار
وغنائ بناء يُقلّم صخرة
وسرى جرار ماؤها معطار
زيح النقاب فلم يعد لجميلة
خدر تموت بليلة وخمار
وكانهنّ والجرار تدفق
غيمات ورد فيضها مدرار





وَتَرْجُلُ الْبَحَّارُ لَا «هَوْلًا» وَلَا
شِرْعًا تُشَدُّ حِبَالُهَا وَتُدارُ
وَكأنَّه الحَدَّاءُ خَلْفَ جَمَالِهِ
تَدْعُوهُ فِي قِيَعَانِهَا الْآبَارُ
الآن تَنْتَفِضُ الْبَحَّارُ وَشِرْعُهَا
وَالرَّيْحُ «وَالْيَامَالُ»^(١) وَالْأَوْتَارُ
وَمِنَ الْمَرَارَةِ أَنْ يَحَارِبَ «أَحْمَدُ»
«عَمْرًا» وَيَهْدِمَ بَيْتَهُ «بَشَّارُ»
وَأَشْرُّ جَوْعٍ أَنْ يَجُوعَ «مَحْمَدُ»
وَلِحَوْمُ أَبْنَاءٍ لَهُ إِفْطَارُ
وَلَمَنْ يُحَارِبُ بَعْضُنَا بَضْرَاوَةٍ
بَعْضًا وَتَطْلُقُ أَسْهَمُهُمْ وَعِيَارُ
أَيْنَ الْعُرُوبَةُ يَا رِفَاقَ مَدِينَتِي
أَيْنَ السَّلَامُ وَكُلُّهُمْ أَشْرَارُ
لَوْ أَنَّ «أَحْمَدَ» عَادَ مِنْ مَلْحُودَةٍ
لَتَغَيَّرَتْ كَحَيَاتِنَا الْأَفْكَارُ
وَتَكَلَّمْتُ أَسْوَارَ مَكَّةَ مِثْلَمَا
بَبْلَادِنَا تَتَكَلَّمُ الْأَسْوَارُ
قَالُوا قَرَاصِنَةٌ تَشْتَتُّ شِمْلَهُمْ
فَبِكُلِّ شَطْطَانٍ لَهُمْ أَثَارُ
لَا الْمَاءُ يُسَعِّفُهُمْ وَلَا غَنَى لَهُمْ
وَسُطَّ الْحَقُولُ الْعَابِقَاتِ هَزَازُ

(١) نغم بحري.





ومن الشَّموسِ اللاهباتِ وجمرها
ومن المَرارة تُخَلِّقُ الأفكار
قد عَلَّمَتْنَا الشَّمسُ كيف تُضَاءُ في
حلكِ الظُّلامِ مع السُّرى الأنوار
سرُّ الحياةِ بأنَّ تَعاكسَ ليلَها
وتشعُّ حيثُ تحيِّطُكِ الأستار
ولكلِّ صقِرٍ رحلةً وتنقُّلُ
ولكلِّ نجمٍ قِمةً ومدار
والأرضُ كالأنسانِ فيه محبةٌ
وبه جحيمُ الحقدِ والإيثار
إيهِ رمالُ الشمسِ أيَّ غمامةٍ
قد فجَّرتُها تحتَ الأقدار
سألَ السَّنا من راحتيكِ وأبرقتُ
فيكِ الرمالُ وأمطرتُ أحجار
فكأنما بكِ جَنَّةٌ مخبوءةٌ
وكانَ فَجْرُكَ في الثرى فَوَّار
فَتَلَطَّفَتْ جِمْمُ الظهيرةِ وانزوى
ذاك الجفافُ وبُذِلَتْ أطوار
وعلى الضَّفافِ سفينةٌ مهجورةٌ
يبكي على ألواحِها مسمار
فكأنها بيتٌ تَقَادِمُ عهدُهُ
أو أنها ما يَتْرُكُ الإعصارُ





وتَفِيَّاً الْبَحَّارُ ظِلَّ مَدِينَةٍ
عَصْرِيَّةٍ وَتَغْيِيرَتْ أَدْوَارُ
وَتَبَدَّلَتْ حَارَاتُهُ وَدُرُوبُهُ
وَالْبَيْرُ وَالسَّقَاءُ وَالْحَمَّارُ
☆☆☆☆

وطني وفيك من النجوم سُمُوهَا
ومن العروبة رُوحَهَا الْقَهَّارُ
عَنَيْتُ فَجْرَكَ وَالظَّلَامُ يَشْدُنِي
شَدًّا وَتَعَصَّرُ أَضْلَعِي الْأَكْدَارُ
شُطْرَانُ رَمَلِكَ وَاحِدَةٌ مِعْطَارُ
وَأُجَاجُ بَحْرِكَ سَكْرُ وَخُمَارُ



العامرية

عَلَّقْتُ كُلَّ شَمُوعِي فِي مَنَازِلِكُمْ
وَفِي دُرُوبِكُمْ وَزَعْتُ أَقْمَارِي
وَكَلَّمَا عَصَفْتُ رِيحُ بِسَاحَتِكُمْ
أَوَيْتَكُمْ بِضُلُوعِي وَهِيَ كَالنَّارِ
حَتَّى مَضَى جُلُّ أَيَّامِي وَمَا كَشَفْتُ
أَسْتَارَ لَيْلِكُمْ الْكَهْفِيِّ أَنْوَارِي
عَشْرُونَ عَامًا تَقَضَّتْ لَيْتَهَا رَجَعْتُ
لَكِي أَبَدَّلَ أَرَائِي وَأَفْكَارِي
فَكَمْ تَحَطَّمْ نَجْمٌ فَوْقَ صَخْرَتِكُمْ
وَكَمْ رَمَيْتُمْ قَنَادِيلِي بِأَحْجَارِ
وَمَا كَرِهْتُ شَمُوسًا كُنْتُ أُوقِدُهَا
لَكِي أَلُوذَ فَرُوحِي كَوَكَبٍ سَارِ
أَنَا الْمَشْعُ إِذَا مَا الْكُلُّ قَدْ هَفَتُوا
أَنَا الْقَوِيُّ بِإِيْمَانِي وَإِصْرَارِي
لَكِنِّي لَمْ أَهْبُ لِلرِّيحِ أَشْرَعْتِي
مَا دَامَتِ الرِّيحُ تَجْرِي ضِدَّ تِيَارِي
وَلَنْ أَمُدَّ يَدِي لِلرَّاقِصِينَ عَلَى
جُرْفِ الْحَيَاةِ وَلَمْ أَعْبَأْ بِثَرثارِ



فتحتُ للنورِ أبوابي ونافذتي
وللجمال أساريَري وأغوارِي
في أضلعي ألفُ ينبوعٍ لأغنيةٍ
وفي يدي مشعلٌ من قمّةِ النارِ
ظمئتُ يا شاربِي الكاساتِ من عطشي
وجعتُ يا سارقي قمحي وأثماري
أسفتُ أنّ شبابًا رحّتْ أمطرُهُ
على الظمَاءِ وإنّي الظامئُ العاري
على الرمالِ قناديلي محطّمةٌ
وفي الصخور بقايا بعضِ قيثارِي
كأنني زهرةٌ في عطرها اختنقتُ
أو محرّبٌ نصرهٌ قد آلَ للعارِ





العجرو مدينة البحار

عجرو

عجرو

قوافل العجرو

قد دخلتُ مدينتي لتخطفَ القمرُ

وتسرقَ الرحيقَ من براعم الزهرُ

عجرو

عجرو

والحارسُ المجدورُ في مخدعها:

حبيبتني «سحرُ»

لتحترقَ روما فني عينيك لي

أجملُ من قمرُ

وكلُّ ما في الأرض من بشرُ

عجرو

عجرو

مدينتي يسرقُها العجرو

قد هدموا أسوارها

فلم يعدْ من ذكرها خبرُ

ودنسوا رمالها

فلم يعدْ لخيمةٍ أثرُ





وشرّدوا بَحَّارَهَا
فلا «نهام» ساهر ولا وترٌ
عَجْرُ
عَجْرُ
يشرب من عيوننا
يحرقتنا
يصنع من عظامنا أُكْرُ
يجبلُ من رمادنا قصرًا «لشهرزاده»
يَقْتُلُ من أعصابنا أَرْجوحةَ السحرِ
عَجْرُ
عَجْرُ
لا تقرعِ الأجراسَ يا شاعرنا
فالكلُّ في ألامه سَكِرُ
وبعضُنا على صليبها انتحر
وبعضُنا يعاتبُ القدر
يصنع من جراحه قصائدًا
حروفُها ميتةُ الصوَرِ
عَجْرُ
عَجْرُ
لتغلقِ الأبوابَ يا قوّة البحارِ
والرملِ والمحارِ
لتغلقِ الأبوابَ فالتتارِ
قد هدموا الأسوارِ





ليخنقوا الأشعارَ في حَنْجَرَةِ البَحَارِ
ويُطْفئوا الحَرْفَ الذي استعزَّ
ليحرسَ القمرُ
عَجْرُ
عَجْرُ
ونحن قد تُبْنَا من التجوَالِ
يا آهة «اليامال»
أعيادنا حزينَةٌ
أمطارنا رمالُ
يا أيها العائد من أسفاره تعالُ
فالبحر للحيتانُ
الأرض للصَّلالُ
وعصبة العَجْرُ
عَجْرُ
عَجْرُ





أربع أغنيات لجارية القصر

(١)

شرفةُ القصرِ على النهرِ تُطلُّ
وأنا خلفِ كرومِ الحقلِ
أستعرضُ أشياءَ كثيرةَ
مَلِكِي غادرَ في الليلِ سريرهُ
والأميرة
تسألُ العرَّافَ عن سرِّ خطيرِ
ما الذي بدَّلَ أطوارَ الأميرِ

(٢)

وعلى أبوابِ روما كتبتُ إحدى النساءِ
عندما تعشَّقُ أنثى لم يعدْ منها رجاءُ
تمنحُ العاريَ ماءً وإلى الظامي كساءَ

(٣)

شهر زادُ
نامت الليلةُ والقصةُ تمَّتْ
يا حكاياتِ السُّهاذِ
مَلِكِي ما زالَ سهرانَ بقصرِه
أه لو أعرفُ ما يطوي بسرِّه





أُتْرَى قَدْ أَرَقْتَهُ
فَصَّصُ مِنْ شَهْرَزَادُ
عَنْ غَرَامِ السَّنْدِبَادُ
وَهَوَى بَلْقِيسَ: وَالْهَدَهُدُ يَأْتِي بِالرَّسَالَةِ
مَنْ سَلِيمَانَ إِلَيْهَا
مَا الَّذِي أَقْلَقَ بِأَلَهُ

(٤)

قَمْرِي مَازَالَ سَهْرَانٌ وَنَامَتْ شَهْرَزَادُ
خُدْعَةٌ كَانَتْ سَافَشِي السَّرَّ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ
عِنْدَمَا يَسْتَقِظُ النَّاسُ
وَمَنْ خَلْفَ السِّتَارِ
كَنتُ أَصْغِي لِحَكَايَاهَا الطَّوِيلَةَ
أَلْفَ لَيْلَةٍ
لَمْ تَذُقْ عَيْنِي الرِّقَادُ
أَحْرَسُ الْقَصْرَ بَلَا أَجْرٍ وَفِي سَوَاقِ الْمَزَادِ
عَرْشُ مُوَلَايَ يُبَاعُ
خُدْعَةٌ كَانَتْ وَتَلُجُّ اللَّيْلُ مَا عُ





الذي احترق ولم يمت إلى بدر شاكر السياب

لا تدفنوه
هو لم يمتْ لا تدفنوه
هو في عيوني لا يزالُ
ويعمقُ أعماقي وفي بيتي دُبالُ
هو في عيونِ صحابه
هو لا يزالُ
حيناً يُغنينَا أغانيه الطَّوالُ
الحاملاتِ الشمسَ في أبياتِها
هو لن يموتُ
من قال ماتُ
من قال إن الشمسَ كَفَّنَها السُّبُاتُ
لا لم يمتْ حرفٌ يُغني للحياةَ
ورطوبةُ الأكفانِ عبْقُ بالمواتِ
لا بالقلوبِ الواهباتِ
خيرًا وماءٌ للجميعِ
يا أصدقائي الطيبينِ
يا أصدقاءَ الفجرِ مذ غناه بدرٌ من سنينِ
لا تذرفوا دمعًا عليه
بلْ فالعنوا الليلَ الذي لَعَنَتْهُ أغنيةٌ إليه
ولتُعلنوا ليلَ الذئابِ
ليلَ الأظافرِ والحِرابِ





لا تذرفوا دمعاً فبدرٌ لن يموثُ
هو في العيون وفي القلوب
بنوافذِ الفجرِ العظيمِ
بحدائقِ الأعيادِ. في فرحِ الطيورِ
ببيادرِ حملتِ عطاءَ الأرضِ
في ضوءِ البدورِ
وعلى النجومِ
وبكل شيءٍ ضوءٌ بدري يا صاحبي الطيبين
الأرضُ للقلبِ العظيمِ.
للشعرِ للكلماتِ للخبزِ المقدّسِ فاطعموني
من خبزهِ. من جرحهِ
جُرحِ البطولةِ وادفنوني
بجوارهِ. ومن العظامِ البالياتِ
ومن الجراحِ الدامياتِ
من قبرِ بدرٍ. من قبورِ الواهبينِ
الدفءِ. والكلماتِ تَنبُتُ بعدَ حينٍ
ماذا أقولُ
ماذا أحدثكم عن الفجرِ الحزينِ
عن غيمةٍ هطلت حروفاً. أُغنياتُ
عن شاعرٍ غنّى وماتُ
سنتين مات ولن يموثُ
سنتين فوق سريرهِ مُلقًى يُجلِّله المساءُ
فكأن شمساً عبر نافذةٍ تحجر في ستارتها
الضياءُ





أغنيتان.. للحروف المحترقة

(١)

في أضلعي الكلمات تُولَدُ كالقناديلِ الصغيرة
لكنَّ حارتي القديمة لا تزال
جدرانها السوداء قائمة. وفي سُفنِ الخيال
جيراننا رحلوا إلى الجزر البعيدة
فالشيخ محيي الذين قال لهم قصيده
من شعره الصوفي. يا غسلَ التواشيح الطويلة
يا رحلة الأعصاب في الشرق الحزين
شرق الرجال القاطنين
بحدائق العنقاء والجدران تنسُفُها العيون
الحاملاتُ الفجرَ في أَمَاقِها. والسائحون
يتحدثون عن السجاجيد الجميلة. عن حذاء
صنعتُه جاريةٌ من الشرق القديم
عن مدينةٍ تركيَّةٍ
عن كنزٍ مقبرةٍ يُقالُ:
حفارها قد كان ينحت من جماجمها
مباخرًا للنساء
عن زوج أقراطٍ وفضةٍ «معصدي» والذكريات
هي كلُّ ما ورثته «لولوة» عن أبيها حين مات





فَلْيَشْرَبِ الْأَعْرَابُ مَاءَ الْبَيْرِ. وَلْيَتَسَكَّعِ الْمَتَسَكِّعُونَ
فِي كُلِّ مَنْعَظٍ وَدِهْلِيْزٍ. وَيَا صَدَا الْجَلِيدِ
كَلِمَاتُنَا انْتَحَرَتْ عَلَى صَنْمٍ وَجِيْدٍ
وَالْخَطْبَةُ الْعَصْمَاءُ لَا تَمَحُو. وَأَوْزَانُ الْخَلِيلِ
مَا خَلَفَتْهُ وَرَاءَهَا الْأَجْيَالُ فِي أَمَدٍ طَوِيلٍ
☆☆☆☆

(٢)

يَا قَنَادِيلَ الْحُرُوفِ
صَدَأْتُ أَجْرَاسُ أَعْيَادِي وَأَعْيَانِي الْوَقُوفُ
بَدْرُوبِ اللَّيْلِ كَالنَّاعِي وَأَفْكَارِي تَطُوفُ
كَالْمَسَارِجِ
كَالْهُوَادِجِ
أَهْ يَا حَرْفَ الْقَصَائِدِ
لَطَّخُوا الْأَقْمَارَ بِالطِّينِ. وَأَنَوَالُ الْعِنَاكِبِ
خَنَقَتْ شَمْسِي. وَعُجْبَادُ النُّجُومِ
أَوْقَفُوا اللَّيْلَ عَلَى دَرْبِ الْمَدِينَةِ
وَعَلَى الشَّاطِئِ مِنْ أَمْسٍ سَفِينَةٍ
أَبْحَرْتُ تَبَحُّثَ عَنْ مَرَسَى وَعَادْتُ
مِثْلَ أَفْكَارِي حَزِينَةٍ
وَعَلَى جُدرَانِنَا الْفَجْرُ يَمُوتُ
قَبْلَ أَنْ يَوْقَدَ فِي بَيْتِ دُبَالٍ
بِاللَّيَالِي الْعَنَكُوتِ
لَمْ يُعَدِّ فِي مَوْقَدِي نَارٌ وَجَارِي لَا يَزَالُ





ينسج الأكَفَانُ للموتى. وبينى في الخيال
قصره المزعوم. قصر السندباد
في ليالي شهرزاد
فارس في الليل عاد
ها هو الآن على بابي يُغني:
يا قناديل الحروف
قرننا العشرون هذا لا خيال الشعراء
خمرة (الخيّام) جفّت
و(النواصي) من البصرة جاء
قصره حفنة رمل وأغانيه بكاء





المسافر مع الأغنيات إلى فهد العسكر

يا راحلاً بلا وداعٍ
يا زورقاً تخافُ من قلوهِ الرياحِ. يا شرعاً
حباله الأعصابُ
وبحره العذابُ
يا عائداً من عالمٍ تُشرق في عينيه
أنواره.. وفي يديه
قيثارةٌ تفسرُ المجهولُ
وتلعن الجفافَ والطلولُ
في الأرضِ. يا رسالةَ الحرفِ الذي سيحرقُ الغاباتُ
وليلها الوحشيَّ والرمالُ
ترضعُ من عينيكِ. يا شاعرنا العظيمُ
تحيةً إليك من فوادي الكليمِ
من بيتك المدفونِ. من أخيك
يفخرُ بالندي الذي سقاه ما سقاكَ
تحيةً إليك
من الذين عذبوكُ
لأنهم لم يفهموكُ





تحيةً إليك من بلادك الحزينة
من شاطئ المحار من «أمينة»
تُسائلُ الرياحَ عن شراعٍ
يا «فهد» يا قيثارةَ النهار
يا مُوقدَ الشمسِ والأقمارِ
في الكهف. يا ربيعَ
رمالنا. تحيةً إليك من جميعِ
بحارةِ الخليجِ
وأصدقاءِ الليلِ. والسُّمائرِ
تُضيئهم ما قُلتَ من أشعارِ
عن غادةٍ سمراءِ
تشرب من عيونها الضياءَ
عن فكرةٍ فجريةٍ ستوقدُ الشموعَ والأفكارِ
عن حارةٍ تخزن في بيوتها الأمطارَ
وعن سفينةِ المياهِ
يحلمُ في شراعها الظمأء. والأسوارُ
ما برحت كمجدك العظيمِ
كحرفك الذي أكاد
أشربه. وذلك الصيادُ
ما زال في غاباته يحلمُ بالأمجادِ
وفي شمالِ بيتنا كتائبُ الجرادِ
تُهدد الحقولَ. والأمطارُ
وكلُّ ما في الأرض من بحارِ





لن تطفئَ الشمسَ التي غنَّيتها . تعالُ
عندي لك الخمرُ «واليامال»
قاعي بلا قرارُ
واضلعي حزينة كغيمةِ المساءِ
ومن صخور الليل والعظامِ
بيوتنا . تعالُ
لنلعنَ الظلامُ
ونفتحَ الأبوابَ للضياءِ
يا راحلاً مع المساءِ
ما برحتُ جارتنا العميةُ
تقبُّعُ عند الموقدِ الطينيِّ والأطفالُ يعبثونُ
ببيتها ويسرقونُ
من قدرها الصغيرُ
ولا يزالُ
مكانك الحزينُ في حارتنا الصفراءِ
أمامَ بيتك الذي فارقتَه
حيّاً كأنك المسيحُ
تبرقُ في عيونك الأفكارُ
كأنها مواقدُ . وفي المساءِ
يروي لنا الرواةُ
ما قلتَ من أشعارُ
عن مخلبٍ مرَّقٍ أمعاءك . عن رمالٍ
بحارنا . لك الأجاجُ





من مائها. والدُّر للذين يحرقون
عظامنا ويأكلون
أكبادنا. أكلة الأكباد لا تزال
وارتفع النباح
فوق الأغاني. يا صديقنا الحزين
يا أيها الأعمى الذي تنبثق الشمس من عينيه
وتنبئت الأقمار في كفيه





يا نار عينيك..

أمنتُ بالنورِ من عينيكِ ينبثقُ
وبالنجومِ على نهديكِ تنزلُ
وبالعناقيدِ ما أحلى تهددها
إذا تنفّسَ هذا العاطرُ العَبِقُ
أكادُ أشهقُ من شوقٍ يُمزّقني
إذا خطرتِ أمامي مثلما الألق
يا نارَ عينيكِ كم ضاءتِ لتحرقني
وما ألدُّ احتراقي حين أحترق
يا دفءَ صدركِ ما أشهى حرارتَهُ
إذا استراحَ عليه ثغري النَّزِقُ
صبّني الجحيمَ بأعماقي فبي عطشُ
إلى الجحيمِ كأنني منه مُختَلِقُ



المتنبي

أَعَنْ قَمَمٍ تُفْتَشُ فِي وَهَادِ
وَبَعَثًا أَنْتَ تَطْلُبُ مِنْ جَمَادِ
وَهَلْ يُدْنِيكَ مِنْ نَجْمٍ حَنِئٍ
تَغْلُغِلُ فِي سَمَاوَاتٍ بِعَادِ
وَأَمْنِيَةٍ تَحَاوُلُهَا فَكَانَتْ
مَطَافًا عُدَّتْ مِنْهُ بِلا مَفَادِ
وَكَمْ دَرَبٍ شَقَقْتَ لَهُ فِجَاجًا
بَلِيلٍ مِنْ سَوَادٍ فِي حَدَادِ
وَكَمْ شَمْسٍ تَحَاذَرُهَا فَلَمَّا
تَوَارَتْ لَحَتْ فِي أَبْهَى اتِّقَادِ
وَلَمَّا لَمْ نَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَأْوَى
لِمِثْلِكَ لَمْ تَطْأُهَا مِنْ عِنَادِ
وَمَنْ قَدِمَ سَنَاهَا مِلْءُ عَيْنِ
أَحَقُّ لِمَوْقِهَا ذَرُّ الرَّمَادِ
مَوَاسِمُهَا تَفِيضُ عَلَى سَوَانَا
وَبَيُذَرُّهَا انْتَهَى قَبْلَ الْحَصَادِ
نَحَاوُلُ مَا نَحَاوُلُ أَنْ نَرَاهَا
وَقَدْ هَرِمَتْ وَزَادَتْ مِنْ فُسَادِ



وكم نضجت دماء في ثراها
فكانت للرزائل كالسما
لك الألم العظيم إذا أديرت
كؤوس التائهين بكل واد
تغازل بالقوافي ألف فجر
وتصبغ كل أفق في مداد
وجدت الدر مأواه ظلام
وتطفو كل طيعة القياد
ولن ينقاد فكر عبقرئ
له من روحه أقوى عتاد
ولن تهوي نجوم عن سماها
ولم يبلغ ذراها أي عادي
ولو يرضيك من عيش رغيف
كشأن الوالغين بكل زاد
لما نبحت كلاب خلف ركب
تشق به متاهات البوادي
وفي حلب وفي بغداد كأس
تدار على الجميع وأنت صاد



عذارى النيل

عذارى النيل ما مات الغرام
ولم تبخل على السّاقى المدام
ولكنّ الهوى تعب جموح
له في كلّ أُنفة مرام
عذارى النيل لم أهرق فؤادي
على شفة بها أبداً أوام
ولكنني بقايا من فؤاد
به من أمسه الدامي حطام
يُلطّف من جراحات بكأس
ويؤنسّه بأوقات غرام
عذارى النيل في روعي خمور
وأسحار رقيقات وسام
وما انطفأت سماوات بروحي
ولا نبل البنفسج والخزام
فإن سالت جراحي فهّي وحي
سيخلد والجروح لها كلام
خايا من أغانٍ في فؤادي
وفي أعماق أعماقي سلام

☆☆☆☆



وفي روعي الحزينة نبع فجرٍ
أضيئ به اذا اختشد الظلام
أنا السّاري أنا الجوّاب وحدي
أنا النّسر الملقّ والسّنام
عذارى النيل والدنيا هلوّك
تقلّب مثلاً ما شاء العُرام
وكلّ مَشَرَّقٍ مأواه غرب
كان أوائل الشّيء الختام
أحدّق في مياه النيل حتى
تكاد تضمّهُ منّي العظام
كان الأرض قد ألقت عصاها
على الشاطئ وأعجبها مقام
كان الموج يلفظ كلّ حُلمٍ
لعذراءٍ وأعراسٍ تُقام
يذوب حلاوة فكان نحلاً
يُراضعه ويُسعفه غمّام
عذارى النيل ما «سقراط» اسمي
من «الخيّام» أو بطل هُمّام
وكم حوت المزابل زنبقاتٍ
وكم غنى على طلل حَمّام





مالم يقله المعري

كلُّ شيءٍ مصيرُهُ للفناءِ
فكأنَّ الفناءَ سرُّ البقاءِ
تضحكُ الأرضُ للربيعِ إذا جا
ء وخلفَ الربيعَ ليلُ الشتاءِ
وتطلُّ النجومُ زرقاءَ نشوى
كالمصابيحِ في عنانِ السماءِ
بيدَ أن الرعودَ والغيمَ في الأفِ
قِ وعصفَ الرياحِ والأنواءِ
كلُّ كأسٍ بقاءِها حُسوةُ الصَّا
بِ فكأسُ الهناءِ كأسُ الشقاءِ
صانعُ المهدِ مثلهُ صانعُ النُّع
شِ وطينُ القبورِ طينُ البناءِ
ربُّ قصرٍ سَكَنَتْهُ فيه نُرٌّ
من عظامٍ وحَفَنَتْهُ من دماءِ
وثيابٍ لمنعمٍ ساعةَ العيدِ
يدِ تنخَضتْ بميتةٍ في الخفاءِ
أينما كنتَ فالقيودُ حواليدِ
لَكَ قيودُ المَوَاتِ والأحياءِ





لِمَ هَـذِي الْحَيَاةُ وَالْكَـلُّ فِيهَا
نَهَبُ مَوْتٍ وَصَفْوَهَا لَانْتِهَاءِ
أَفْنَائِي هُوَ الْمَرَادُ بَعِيشِ
أَمْ بَعِيشِي تَتِمَّةُ لَفْنَائِي
تُزْهِرُ الْأَرْضُ مِنْ عِظَامِي إِنْ مِتُّ
سُتُّ وَقَدْ كُنْتُ لِقَمَّةِ الْأَقْوِيَاءِ
صَاحِ زِدْنِي بِمَا يَثِيرُ بِي الشُّكُّ
كَ فَاِنَّ الْيَقِينَ سَرُّ بِلَائِي
عَجَزَ الْأَنْبِيَاءُ أَنْ يَصْلَحُوا الْأَرْ
ضَ فَمَاذَا فِي حِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ
وَيَحَ عَقْلِي فَقَدْ تَخَبَّطَ عَقْلِي
فِي مَتَاهَاتٍ ظُلْمَةٍ سَوْدَاءِ
مَنْ قَدِيمٍ وَكُلُّ أَنْ صِرَاعُ
سَاحَةِ الْحَبْرِ أَوْ نَجِيعُ الدَّمَاءِ
كَمْ بِنَاءٍ نَقُولُ فِيهِ صَوَابُ
فَإِذَا قَامَ بَعْدَ طُولِ عَنَاءِ
حَوَمَتُ حَوْلَهُ الشُّكُوكُ وَقَلْنَا
بَعْدَ مَا تَمَّ بِنْسَ ذَا مِنْ بِنَاءِ
إِنْ يَكُنْ عَقْلُنَا الدَّلِيلَ فَمَاذَا
بِصَوَابِ الْعَقُولِ فِي ذَا الْغِبَاءِ
كُلُّ نَفْسٍ وَمَا يَعْرِبُ فِيهَا
مَنْ أَمَانَ خَفِيَّةٍ خُضْرَاءِ





مَتَّعِ النَّفْسَ بِالَّذِي أَنْتَ تَهْوَا
هُ وَخَلَّ مَلَامَةَ الْجَهْلَاءِ
لَيْسَ مَا تُمْسِكُ الْأَيْيَادِي وَلَكِنْ
مَا تُحَسُّ الظَّنُونُ مِنْ أَهْوَاءِ
وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ فِي الْأَرْضِ مَأْوَا
هَإِذَا ثَارَتْ الشُّكُوكُ بِنَفْسِ
وَجَدَتْ فِي الظَّلَامِ مَا فِي الضِّيَاءِ
مَحَصَّتْ نَفْسِي الْحَقِيقَةَ فِي النَّ
نَاسِ فَكَانَ الْجَمِيعُ مُحَضَّ هَبَاءِ
حَالَةٍ إِثْرَ حَالَةٍ كُلُّ شَيْءٍ
فَعَلَامَ الْإِيمَانِ بِالْأَشْيَاءِ
قَدْ وَرَثْنَا الْغِبَاءَ مِمَّا ظَنَنَّا
فِيهِمُ الرُّشْدَ فِي الزَّمَانِ النَّائِي
فَتَعَرَّيْتُ عِنْدَمَا كُسِّيَ الْكُلُ
لُ وَعَرَّيْتُ فِكْرَتِي مِنْ رَدَائِي



موت الشاعر

لِينْطَفَى الْفَجْرُ الَّذِي أَنْتَ وَاقْدُهُ
وَيَفْنَى وَجُودُ أَنْتَ بِالْحَرْفِ وَاجْدُهُ
قِنَادِيلُكَ الزَّرْقَاءُ ذَابَتْ جَمِيعُهَا
وَمَا زَالَ لَيْلًا طَالَ بِالنَّوْمِ رَاقْدُهُ
هِيَ الْأَرْضُ مَهْدُ الشَّرِّ مِنْ عَهْدِ آدَمَ
يُعَاكِسُ ضِدُّ ضِدِّهِ وَيُطَارِدُهُ
وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا الضَّعْفُ فِينَا لِأَنَّنَا
سَبَقْنَا لَشَيْءٍ حَازَ بِالشَّرِّ قَاصِدُهُ
وَمَا تُبَّتِ الظُّفُرُ الطَّوِيلُ بِأَنْمِلٍ
عَلَى سَفْهِ لَكِنْ لِيَنْشَبَ حَاقِدُهُ
وَمَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا لِهَدَايَةِ
سِوَى أَنْنَا فِي لَا حَبِّ ضَلَّ رَائِدُهُ
وَجَدْتُ الَّذِي مَنَ فِيهِ هَدْيٌ مُضِلًّا
بِأَفْكَارِهِ وَالرَّشْدُ فِي مَنْ يُعَانِدُهُ
سَلَامٌ عَلَى مَاضٍ دَفَنْتُ بِقَاعِهِ
أَوَائِلَ عُمْرٍ مَا اسْتَقَرَّتْ مَرَاقِدُهُ
تَجَشَّمْتُ فِيهِ أَوْعَرَ السُّبُلِ عِنْدَمَا
خُدِعْتُ بِأَنْ السَّهْلَ نَزَرْتُ فَوَائِدُهُ
فَحَارِبْتُ حَيْثُ السَّلْمُ أَحْسَنُ حَالَةً
وَسَالْتُ مَنْ حَيْكْتُ لِقَهْرِي مَكَائِدُهُ
وَخَادَعْتُ كَفِّي بِالَّذِي طَيَّ فِكْرَتِي
وَضَحَّيْتُ أَيَّامِي لِيَوْمٍ أَنْشِدُهُ



خِداغْ لَعَمري كُلُّ شَيْءٍ وَضِلَّةٌ
وَدَرْبُ سِرَابٍ مُهْلِكَاتُ شِدَائِدِهِ
تَغْلَغَلْتُ فِي قَاعِ الْحَيَاةِ وَجُبَّتْهَا
بِدَرْبَيْنِ مِنْ سَهْلٍ وَوَعْرِ أَكَابِدِهِ
وَعَاقَرْتُ مِنْهَا كُلَّ كَأْسٍ فَلَمْ أَجِدْ
شَقِيًّا كَذَا فِكْرٍ تَمَرَّدَ شَارِدِهِ
تَخَبَّطُ «سُقْرَاطُ» وَمَاتَ لِفِكْرِهِ
هِيَ الْيَوْمَ وَهْمٌ يَبْلُغُ الْكَفَرَ نَاشِدِهِ
وَهَا نَحْنُ فِي أَيَّامِنَا نَنْشُدُ الَّذِي
سَيَدْحُضُهُ جَيْلٌ لَنَا وَعَقَائِدِهِ
هِيَ الْأَرْضُ كَالْإِنْسَانِ تَمْشِي لِغَايَةِ
وَنَحْنُ بِهَا سِرْبٌ تَخَبَّطُ قَائِدِهِ
سَبَقْتُ حَيَاتِي قَبْلَ مَوْتِي وَمَوْتَهَا
وَعَدْتُ وَصَدْرِي لَاهِبَاتُ مَوَاقِدِهِ
وَبَدَّلْتُ أَطْوَارِي الْقَدِيمَةَ بِالَّتِي
تَسْرُّ الَّذِي مِنْ كُنْتُ دَوْمًا أَضَادِهِ
خَنَقْتُ بِصَدْرِي كُلَّ مَا تَغْتَلِي بِهِ
دِمَائِي وَفَكْرُ ضَلَّالَتِهِ شَوَارِدِهِ
وَهَأَنَذَا صَفَوًا زُلَالًا لَشَارِبٍ
وَقَدْ كُنْتُ زُقُومًا تَحَاشَاءُ وَارِدِهِ
تَرَكْتُ لِمَنْ يَبْغِي الْخُلُودَ خُلُودَهُ
وَبَارَكْتُ يَوْمًا لَمْ تَفْتَنِّي فَوَائِدِهِ



التنور الكبير..

أَعِدْ ذِكْرَ شَطَانٍ مَطْرُزَةٍ زَرْقَا
«وَنَهَّامَهَا» لَمَّا شَدَا مَثْقَلًا عِشْقَا
أَعِدْ ذِكْرَ بَحَّارٍ بَلِيلٍ بِحَارِهِ
إِذَا اخْتَشَدَتْ ظِلْمَاؤُهَا شَقَّهَا شَقًّا
أَعِدْ ذِكْرَ غَوَاصٍ تَهَاوَى لِقَاعِهِ
كَأَنَّ بِهِ رَغَمَ الْعُرَا عَالِمًا أَرْقَى
كَأَنَّ حَقُولَ الْأَرْضِ لَمَّا تَعَذَّرَتْ
عَلَيْهِ رَأَى الْمَحَارَ فِي بَحْرِهِ أَنْقَى
هَلِ الْغَادَةُ الْحَسَنَاءُ جَسَّتْ عَقُودَهَا
وَهَلْ عَرَفْتُ مِنْ زَيْنِ الصَّدْرِ وَالْعُنُقَا
فَلَيْسَتْ حُلِيًّا مَا ارْتَدَّتْهُ وَإِنَّمَا
مَحَاجِرَ غَوَاصٍ وَبَحَّارَةٍ غَرَقَى
كَأَنَّ الصَّوَارِي فِي الْعُبابِ ضَرَاعَةٌ
لِأَشْجَارِ أَرْضٍ مِثْلَهُ لَمْ تَجِدْ رَزْقَا
كَأَنَّ الشَّرَاعَ الطَّلَقَ سَرَبُ حَمَائِمٍ
تَحَاوَلَ فِي إِقْلَاعِهِ أَبَدًا عِتْقَا
سَرَى وَالْدَجَى كَالْمَوْجِ يَنْصَبُ فَوْقَهُ
وَمِنْ تَحْتِهِ الْأَفَاتُ سَدَّتْ لَهُ الطُّرُقَا



نضالاً إلى أن يملأ الفم خبزُهُ
وُكسى جُسُومٌ لم تجد فوقها خرقاً
إذا ما انتهى من رحلة الصيف حثُّهُ
شتاءٌ به الأمواج من مطرٍ غرقى
كأن به عن لمسِ الأرض عِفَّةً
فيتركها للشمس تحرقها حرقاً
تلظت كتنورٍ كبيرٍ فرملها
جسومٌ قبيلَ البعث في نارها تشقى
عجبتُ لها لما استشاط مخاضُها
وصرَّحت الصحراءُ عن عيشةٍ أرقى
وعرَّشَ فيها الرملُ فهو خمائلُ
وكانت فلاةً ذئبها لم يجد حُقاً
كأنني بها لما تنشقَّتْ عطرها
أحاول بحثاً عن حقائقها نشقا



لكم كرمكم..

لئن نَضَبْتُ كَأْسِي وَجَفَّ حَبَابُهَا
فَفِي ظَمَمِّي كَأْسٌ لَذِيذُ شَرَابُهَا
سَأَطْوِي شَفَاهِي بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضِهَا
إِذَا ظَمِئْتُ حَتَّى يَجِفَّ لِعَابُهَا
سَأَنْتَبُتُ حَتَّى يَبْلُغَ الْمَخْضُ غِيَمَتِي
وَيَمْلَأُ أَفَاقِي الْفَسَاحَ سَحَابُهَا
لَكُمْ كَرْمُكُمْ وَالْعَاصِرُونَ وَلِيْلُكُمْ
وَلِي الشَّمْسُ فُضْفَاضًا عَلَيَّ إِهَابُهَا
وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا بَقَايَا أَصَابِعٍ
قَدْ اخْتَرَقَتْ لَمَّا اعْتَلَاهَا شَهَابُهَا
وَمَا ارْتَفَعَتْ جِدْرَانُكُمْ مِنْ مَهَابَةٍ
وَلَكِنَّهَا الْإِيَّامُ هَاجَ عُبابُهَا
مَدِينَتُكُمْ هَذِي الَّتِي تُرْضِعُونَهَا
سَتَمْتَضُّكُمْ حَارَاتُهَا وَقِبَابُهَا
هَبِطْتُمْ بِهَا لَمْ تَعْجِنِ الْخَبِرَ كُفُّكُمْ
وَلَا دُورَكُمْ مِنْهَا يُسَوِّى تَرَابُهَا
ظُهُورُ جِمَالٍ تَعْتَلِيهَا هَوَادِجُ
بَصَحْرَائِهَا حَيْثُ الدُّنَا وَرَحَابُهَا



أَجَلٌ لَعَمْرِي مِنْ حَدُودِكُمْ الَّتِي
يُعَشَّشُ فِيهَا مَوْتُهَا وَخَرَابُهَا
تَلُوذُونَ فِي ظِلِّ وَرَيْفٍ وَخَلْفَهُ
ظَهِيرَةُ يَوْمٍ لَا يُطَاقُ جَنَابُهَا
وَمَا رَفَضَتْ نَفْسِي الْحَيَاةَ لِأَنَّهَا
عَذَابٌ.. أَنَا وَالْآخَرُونَ عَذَابُهَا
وَلَوْلَا غِبَارُ الْأَرْضِ لَمْ تُحَجِّبِ السَّمَاءَ
وَلَمْ تَخْتَفِ الْآفَاقُ لَوْلَا ضَبَابُهَا
وَلِلْأَرْضِ كَالْإِنْسَانِ غَايَتُهَا الَّتِي
سَتَبْلُغُهَا أَوْ لَا يَقْرُرُ رِكَابُهَا



حملتك دهرًا

حملتُكِ دهرًا في عيوني وفي قلبي
فلم تحفظي عهدي ولم تفهمي حبي
وهبتُكِ أيامًا كأن شمسها
تُطلُّ بلا شرقٍ وتخبو بلا غروبٍ
وجاريتُ فيكِ الجهلَ حتى كأنني
أشاهدُ جهلاً فيكِ أعظمَ من لبي
أداري براءاتٍ بعينيك لطفها
وان حملتني الصَّعبَ في المسلكِ الصعبِ
ولما تجلَّى كلُّ شيءٍ وليتني
أطيق احتمالاً شربَ أسنةِ الشَّربِ
وجدتُكِ مثلَ الأخرياتِ أقودها
ببعضِ ابتسامٍ من شفاهِ بلا قلبِ
فليت جمالاً فيكِ يفهمُ قوتي
وليتكِ مثلي تعشقين بلا كذبِ
هَبيني أني قد قسوتُ. ألم أكنُ
حبيبك؟ أين العطفُ من قلبك الرَّحْبِ
وأين حكاياتُ بليلٍ تُطيله
وتُقصره أحلامُنا ساعةَ اللَّعبِ



أَتَطْفِئُنِي عَيْنَاكَ وَهِيَ مُوَاقِدِي
وَتُظْمِئُنِي تِلْكَ الشَّفَاءُ بِلا ذَنْبِ
وَإِنْ حَقَدْتَ نَفْسِي عَلَى الْأَرْضِ إِنْنِي
أَحْدَقُّ فِيهَا لَا أُرَاكَ بِهَا قُرْبِي
أَفِيضْ عَلَى دُنْيَاكَ فَيُضْ غَمَامَةٌ
رَبِيعِيَّةِ الْأَمْطَارِ صَادِقَةِ السُّحُبِ



الليل والكلمات

ظمأنُ أين منابعي ومناهلي
لا شيءَ غيرُ سباسبٍ ومجاهلِ
لا شيءَ غيرُ الليلِ في أبعادهِ
وبصيصِ أنجمه رمادُ قنادلِ
وكأنني وأنا بعالمٍ واقعي
أبدًا أعيشُ على هوامشِ راحلِ
متغلغلٌ وكأنني مُذْ أرتقي
أبدًا أُراني في مَهاويِ واغلِ
وقد احترقتُ مع الحروفِ وها أنا
بُقيًا رمادِ أضالعٍ ومفاصلِ
وإذا اشتكتُ نفسي الظَّما فلطالما
قد كنتُ أشكو من نميرِ مناهلي
يا ضيعةَ العربي لا صحراؤه
تُجدي ولا أعشابُ ربعِ أهلِ
لم يبقَ من أشعاره وخيامه
ومن المواقِدِ غيرُ ظلِّ زائلِ
قُلِبَتِ مفاهيمُ الحياةِ جميعُها
وتبدَّلتِ مثلَ الخيالِ الآفلِ
لم يبقَ في كأسِ الرشيدِ بقيةُ
لأبي نؤاسٍ في الزمانِ الرَّاحلِ



وكأنني مازلتُ استسقي الطَّلَى
من ليلهم فأنا خميرةٌ ناهل
أبدًا أعيشُ على هوامشِ عالمٍ
وهو الذي قد قام فوق كواهلي
أنا ما نَقَمْتُ عليه لكني أرى
معنى حياتي في فراغِ هائل
جدرانُ بيتي لم تسوَّ صخره
كفِّي ولا مرَّتْ عليه أزاملي
وتكاد أفكاري تذوبُ بناره
من بعد ما حرقت جميعَ أوائلِي
متناقضُ أنا والحياةُ ولم أكنُ
قلقًا ولكني حرارةٌ عاقل
أحرقْتُ يابسةَ الهشيمِ بجذوتي
ثم ارتقيتُ على الرَّمَادِ الذَّابِلِ
ووقفتُ حيث الشمسُ تملأُ جبهتي
نورًا وتملأُ بالضياءِ وسائلي
حتى انتهيتُ أمام جدرانِ الألى
وضعوه دون مواكبي كالحائل
ونضحتُ أشعاري على أعتابه
متلمسًا دربًا يقودُ رواحلي
فسمعتُ قهقهةَ الحياةِ وهُرَّها
مني وها أنذا نهايةُ جاهل
ولحتُ قافلتِي التي غَنِيَتْها
مثلي تضيُّعُ بلا قيادةٍ عاقل





ورجعتُ للماضي لعلَّ بقيةً
من جُذوةٍ تُذكي حرارةً خامل
قلقًا كحافضة الجبان بداخلي
قلبانِ قلبٌ معاندٍ ومُجامل
هيهات ضعتُ مع الدروب ولم أجد
دريًا يقود غمامتي وقوافلي
من يشتري الكلماتِ إنِّي بائعُ
هيهات ليس لكونها من طائل
كانت كأفواه الظَّماءِ تعبٌ من
فيضِ الطَّبيعةِ والجمالِ الشَّامل
وإذا تفجَّرتِ الحروفُ بأضلعٍ
فاضت بأغدقٍ منبعٍ للنَّاهل
ولكم أطاحت بالعروش وأوقفت
أقدامَ خاذلةٍ وعزيمةَ خازل
والآن يابسةُ العروقِ يُحيلُها
صخبُ الحياةِ إلى احتضارِ قاتل





الديوان الثاني

الطين والشمس (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٧٠م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز ١٩٨٦م: ص ١٣٢ ص ١٦٨.







نداء

يا راعف الرّمل يا برقًا تألّق من
صخرٍ ويا جدولاً أمواههُ نازُ
ويا نزيّفَ صحارانا التي انتفضتُ
كما تحرّكَ تحت الثلج منقار
ويا جبلاً كبقيا من عمالقةٍ
كأن أعينهم في البيد أقمار
ويا مكاناً خلا إلا لنائحةٍ
من الرياحِ وإلا ذلك الغار



هي جذوة

هي جُذوةٌ وغداً تصادقُ قابساً
سَينيرُ مشعلُها الكبيرُ حنادسا
وأنا وأفكاري كقاذف زورقٍ
في لُجّةٍ وكنٍ يسير معاكسا
إنني أحسُّ أحسُّ قرعاً خافتاً
طوراً وأونّةً شديداً جارسا
وكان أبواباً تَفَتَّحَ مثلما
فتح الهوى صدرًا وجفنًا ناعسا
إنني أحسُّ كأن بدء عزائمٍ
بدأت تثير مدافنًا ووساوسا
حطّابنا العشرون مات وجدّعنا
صُلِبَ كما واجهت شيئاً عابسا
يا سন্দبادَ الليلِ إن جزيرةً
ضحكتُ لنا وغداً تُعانق فارسا

قصة التاريخ

كُلُّ أَنْ لِي مَكَانٌ وَبَرِيدُ
لَسْتُ أَدْرِي يَا رَفِيقِي هَلْ نَعُودُ
قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ كُنَّا هَدَفًا
لِلَّذِي يَبْغِيهِ غَايٌ وَيُرِيدُ
جَاءَ (نَابِلْيُونُ) بِالْأَمْسِ وَقَدْ
عَاقَهُ مَنَا كِفَاحٌ وَصَمُودُ
وَقَفْتُ أَسْوَارُنَا فِي وَجْهِهِ
وَوَقَفْنَا وَبَنَّا عَزْمٌ أَكِيدُ
وَدَمْ مَا زَالَ فُؤَارًا لَهُ
عَرَقُ أَبْقَاهُ سَعْدٌ وَالْوَلِيدُ
صَمَدٌ عَكَاءٌ ثُمَّ انْدَحَرْتُ
عِنْدَمَا خَانَتْ عَرُوقٌ وَجَدُودُ
لَمْ أَزَلْ أَذْكَرُ كَيْفَ انْتَصَرُوا
وَانْتَهَى الْأَمْرُ كَمَا شَاءَ الْيَهُودُ
وَعَلَى النَّاصِرَةِ الْأُمُّ دُمُ
لِسَيِّحٍ صُلْبُوهُ وَوَرِيدُ
رَبَّمَا تَصَدَّقْ أَحْلَامَ لَهُمْ
وَسَيَبْقَى حَلْمُنَا أَنَّا نَعُودُ



قصة التاريخ من أولها
أمّة تحيا على أخرى تبيد
أعظم الموتى شموع عندما
يُغور الركب إذا سار الوقود
ما خسرنا بل خُدعنا ولنا
أوبئة أخرى وإيمان جديد
يا رفيقي أنا لا أبكي على
وطنٍ أقصته عن عيني الحدود
قد غشى «عاداً» دخان عندما
أُحرقت في موقدِ الله «ثمود»



خليجية

أرى لافحات الرِّملِ أُمستُ حدائقًا
تُناسمُ ربَّانًا وتحضنُ طارقًا
تحاشدُ فيها العطرُ حتى تقدَّحتُ
منابتها لونين عطرًا وناشقا
يظللُّها ظلٌّ وإن كان لافحًا
فما زال نشوانًا وما زال شاهقا
فيا حُسنها حتى بالأم عرسها
ويا لطفها مهما استحالت صواعقا
تنبَّهَ فيها الضوءُ حتى كأنني
أراها سطوحًا مشرقَاتٍ بواسقا
كأنَّ خيالاتِ الذين تجنَّحوا
مراقٌ وإن كانت ردًى ومزالقا
ترصَّدُ للظلماءِ حتى كأنها
تُسوِّي الزوايا الدَّاجياتِ حرائقا
إذا ما نَزَا منها ذراعٌ ممزَّقٌ
لمحتَ سماءٌ أو تتبَّعتَ بارقا
ستبقى الخطى أشواطها في مفازةٍ
مِنَ الأرضِ سوَّتْ من هواها طرائقا
إذا العقدُ أرضى طيشَ صدرٍ فلم يزلْ
هواه حنينًا أو شعورًا مُعانقا

عيناك

عيناكِ عيناكِ .. يالِى كمُ أحبهما
سوداءُ في كلِّ هدبٍ فيضُ إشراقِ
يكادُ فيضُ سَناها حينَ يلفحني
يَشِدُّني بِسَماواتٍ وأفاقِ
تكلَّمتُ والشفاهُ الحمُرُ مطبقةُ
على حكاياتِ أحبابٍ وعُشاقِ
دعي الكلامَ ففي عينيكِ قافلةُ
من الحروفِ سَراها بينَ أعراقِ
عيناكِ تزرعُ أفاقاً بذاكرتي
وتُطرِ الصَّحُوَ دفاقاً بأمَاقِ



يا بيتها

يا بيتها المنيفِ
أثعبَني الوقوفُ
يانافذاتٍ مثلما
ترتفعُ الأنوف
كأنما جدرانُهُ
من هيبةٍ سقوف
يا حارةً كأنها
أمٌ له عطفوف
تطوفُ بي بيوتها
كما بها أطوف
يا ضحكةَ الضوءِ إذا
توافدتُ ضيوف
يا بيتها المنيفِ
أثعبَني الوقوف



كفاني طموحاً

كفاني طُموحاً أنَّ عينيك عندما
أُلاقِيكَ تزهو فتنةً وتدلُّلا
وتلوِيحُ أَعْضاءٍ إِلَيْكَ كأنما
تساقطُ وردًا أو عبيراً مُنرِّلا
كأنني من عينيك في ليل غابِةٍ
أسامرُ من أقمارها السودِ ما علا
لك الضَّحِكَاتُ الْآنَسَاتُ ونظرةُ
تُجسِّدُ أسرارَ الرؤى والتَّخيلا
وهمسُ به عَبَّأتُ صممتي ملاحنا
وشَدَّوْا تَمَادَى في هواهُ وأوغلا
إذا ما التَّقَتْ كَفِّي بِكَفِّكَ خِلْتُهَا
تدسُّ بِأَعْرَاقِي حَدِيثًا مُرْتَّلا
إذا أَشْرَقَ الشُّوقُ الْمُلْحُ وَأَعْرَبَتْ
مَلامِحُ ذاك الوجه عَمَّا تَغْلَغلا
وشعَّ سراجُ من عيونِ كأنما
تَقَمَّصَتْ نَارًا أو تَمَثَّلَتْ مِشْعلا
أراني بمكتنظٍ من اللونِ زاخِرٍ
يُحيلُ حَيَاتِي من جمالك محفلا



لئن أبطأتُ ساعاتُنَا وتأخرتُ
إلينا لقاءاتُ كما كان أوْلا
فما زلتَ لي دنيا من اللون والشُّذا
وما زلتَ لي نجوى دعاءٍ وهيكلَا
أراك كأحلى ما تُجسِّمُ لي الرُّؤى
إذا سرحتُ أو خاطرٌ قد تغزَّلا
وما أنَا إلا أحرفٌ منك تستقي
بشوقٍ شفاهٍ قد تکرَّعنَ مَنهَلا



شهران

أهـواكِ لـكننـي لا أـسـتـطـيـعُ عـلـى
نـطـقٍ فـأـصـمـتُ مـذهـولاً ومُحـتـدِماً
شـهـرانِ يا حُـلـوتـي والشـوقُ يـعـصـرنـي
عـصـراً ويـنـزـفـنـي فـي راحـتـيـكِ دـما
وكم تصافح كَفَّانَا بـمـنـعـطـفٍ
فـهـل شـعـرت بـشـيء كان بـيـنـهـما
ومـجـلسٍ أـتـحـاشـى مـنـكِ بـادـرةً
فـأنـتـحـي صـامـتاً أو أنـحـني أـلـما
إنـي أعـاكـسُ نـفـسـي وفـي جـامـحةً
ظـمـأى وأعـصـرُ قـلـبـي بـعـدهـا نـدـما
وأين مَنـي مَن تُذـكـي بـنـظـرِـتـها
روحي وتـشـبـع فـي أعـماقـي النُّهـما
وما حـجـمـتُ عـن الـورد الـذي سـنـحـتُ
لـي المـصـادرُ فـيـه أو فـقـدـتُ فـما
لـكنـنـي لا أرى فـيـك الـتي فَهـمـتُ
حُبِّي لـعـيـنـيـكِ والشـيء الـذي بـهـما

شرقية

يا مَنْ رآها وهَيَّ في فستانها
تتوافدُ الألوَانُ في ألوانها
ليليَّةُ النَّظَرَاتِ إلا أنها
عَدَقُ الضَّيَاءِ السَّمَحِ في أجفانها
حركاتُها كلمائُها فكائُها
تعطي بها ما فوق بوحِ لسانها
وكائُها واللفظُ في حركاتِها
تنسابُ بي فأفورُ من فورانها
شرقيَّةُ حركاتِها غربيَّةُ
أدوائُها وحشيَّةُ في شانها
وكائُني وأنا أعالجُ عنفَها
وأحاذرُ الفزعَاتِ من شيطانها
في وسطِ لَجَّاتِ تراخُرُ قاعها
من عطرها وحديثها وحنانها
في غرفَةِ حجريَّةِ عِطريَّةِ
روحيَّةِ لولا خطوطُ بيانها
فُرُشُّ على فُرُشٍ تناسقُ لونُها
كتناسقِ الأزهارِ في أغصانها
شرقيَّةُ جمَعَتِ طويْفَ جدودِها
في رائعاتِ النَّقْشِ من فَنَائِها



وكأَنَّهَا وَاللَّحْنَ لاصِقُ جَوِّهَا
وتجاوَزُ الإِبْدَاعِ فِي جدرانِهَا
غَارٌ مِنَ المِجهولِ سَوَّتَهُ يَدٌ
رَضَعَتْ عِذارى الفَنِّ وَخَيَ بَنانِهَا
تتجاوَزُ الإِحْساسَ رَغَمَ حَدودِهَا
وتلاصِقُ الأرواحَ رَغَمَ عِنانِهَا
تلك المِرايا الصَّفْرُ في حِيطانِهَا
مِثْلُ النُّهودِ البَكْرِ في اِبدانِهَا
تتظاهرُ الأشياءُ فوق أديمِهَا
مِثْلَ العِيونِ تَجِيشُ في إعلَانِهَا
وكانَ وشوشةُ الأرائِكِ تحتِنا
مَا وشوشَ النَّزَقِ الذي بكيانِهَا
قالت وقد فَتَحَتْ خِزاناتِ لَهَا
تتسابقُ الشَّهواتُ في قِمصانِهَا
تهتزُّ فيها نَشْوَةٌ أَخَذَتْ بِهَا
ما تَأْخُذُ الكاساتُ من نُدْمانِهَا
جسدي بِهِ حُبُّ الثِيَابِ وإنَّه
أَحْلَى الجِسامِ السُّمْرِ في عِريانِهَا
وتألَّقَتْ وأخالَها اتَّقَدْتُ وَقَدْ
شَبَّتْ بِي النِّيرانُ من نيرانِهَا
سمراءُ يَجْذِبُها الشَّبَابُ إلى الهوى
جَذَبَ السَّفِينِ إلى هوى رُبَّانِهَا





أنفاسُها مَخمورةٌ وشافِها
مَـمـطورةٌ والضعفُ في بُنيانها
وإذا تَواثبَ شوقِها وتحفُّزُ
أعماقها واسترسلتُ بعنانها
فَاضتُ بها أعضاؤها وتشبَّعتُ
تلك الشفاهُ الحمرُ من فيضانها
تتلاصقُ الشفتانِ في مشبوبةٍ
من قُبلةٍ وأنام في أحضانها
غَطَّتْ حرائرُ شَعْرِها أكتافَها
واسترسلتُ سوداءَ في لعانها
يا مَنْ رآها وهَيَّ في فستانها
تتوافدُ الألوانُ في ألوانها



5 أبيات لها

أخافُ منك إذا ما جرّني نظري
إلى زخارفِ جسمٍ فيك من صورِ
كأن أعضائه والحبُّ يغمرها
كوؤس مرقصٍ ليلٍ مشرقِ القمر
تلوُّبُ فيك عيوني فهي غارقة
بزاخمٍ من تلاوينٍ ومن فِكر
يكاد يزحف بي شوقي ليقذفني
على يديك كمحمولٍ على قدر
فما التفتُ لشيءٍ أو تلفتَ لي
إلا وأنت به كاللحن في الوتر

وحشية

سلامٌ لكتظُّ بها يترجرجُ
به نَزَقٌ من فرحةٍ كاد يهزجُ
أخالُ بها مسًّا إذا ما تجاذبتُ
عيونٌ عليها صبوَّةٌ وتوهجُ
تعبًا فيها اللونُ والمرحُ الذي
يُصيرُ منها أبحرًا تتموجُ
عليها مراحاتٌ لأعباءٍ خاطِرِ
وفيها كينبوعُ اللظى حين تحدجُ
إذا اختركتُ حاجتُ وإن هي سلمتُ
تألقُ نَوَّارٌ وغنى بنفسجِ
كأنَّ بها نايًا تمطَّى أضالعي
إذا شاء أشدو أو إذا شاء أنشجِ
كأنَّ فساتينًا عليها قصيرةً
تلاوين أحلامٍ بها تتبرجِ
ويا لطفها في صمتها حين تنتحي
ويا حلوها في غنجها حين تغنجِ
صبوحٌ كمصباحٍ على برجِ قمةٍ
ضحوكٌ كفجر العيد بل هي أبهجِ



مَلاحَأتُها في كُلِّ عَضوٍ تَدْفُقُ
خَلايا لَحونٍ أو رُوى تَتَسَرَّجُ
بَها وَحشَها لَكنه مَن صَبابة
يَروح بِها حَينًا وَحَينًا يُعَرِّجُ
سَتَبَقِينَ يا سَمراءُ أَشهى تَوهُجِي
وَأَحلى سُويعاتِي الَتي تَتَأرَّجُ



الخيال الراعف

غاضتُ عيونُ الشَّعرِ وهَيَّ غَزَارُ
وَطَوَى مَفْتَقَةَ الضَّلُوعِ دَثَارُ
شَفَتَاكَ تَخْنُقُ كُلَّ حَرْفٍ عِنْدَمَا
تَتَمَخَّضُ الْأَعْصَابُ وَالْأَفْكَارُ
هِيَهَاتَ مَا غَاضَ الشَّرِيقُ وَلَا انْتَهَى
ذَاكَ الْخِيَالُ الرَّاعِفُ الْمِدَارُ
أَتَضَنُّ بِالْغَدَقِ السُّخْيِّ وَمَا حَوَى
قَلْبُ كُلِّ ظَهِيرَةٍ زَخَّارُ
هَلْ تَقْنَطُ الْأَمْطَارُ حِينَ يَعِيبُهَا
بِالرَّعْدِ مَدُّ بَارِدٍ غَدَّارُ
يَغْشَى الضُّفَافَ صَبِيبَةٌ فَإِذَا أَتَى
جَرَزٌ مُضَى فَإِذَا بِهِ أَحْجَارُ
تَبْكِي الْقِرَابُ جَفَافَهُ وَلَطَامَا
أُومِتَ بِبَرْقِكَ صَادِقًا أَمْطَارُ
وَتَتَرَبَّتُ الشَّهْبُ الْأَصَائِلُ وَالْدُّجَى
وَتَدْحَرَجَتْ مِنْ أَنْفِقِهَا الْأَقْمَارُ
وَإِذَا تَدَجَّجَتِ الْعَيُونُ فَمَا عَلَى
شَمْسِ النَّهَارِ بِأَنَّهَا أَنْوَارُ



زحفتُ جيوشُ الليل فوق سماءِها
فَانسَدَّ أفقٌ واستغامَ نهار
وَإِذَا اللّهُاءُ تَشَنَّجَتْ بحروقِها
وترمَّدتْ بخلوعِها الأشعار
فهناك تعرفُ أيَّ رغوٍ يعتلي
وتلوذُ بين حشائشٍ أنهار



نواسية

فدئى لنهديكِ أكوابٍ من العسلِ
وللعيونِ زرافاتٍ من الشُّعلِ
في كلِّ مفترقٍ من أضلعي مزقٍ
وما خلا كلُّ درٍ من دمي الهملِ
فكيف أبخلُ؟ يا ليت العذابَ إذا
لا بدَّ منه عذابُ الأعينِ النُّجلِ
خذي بقيةَ عمرٍ ما أسِفْتُ سوى
على ليالٍ به مرَّت بلا غزلِ
يا ليتني منكِ عِقْدٌ لا يفارقه
عنقٌ أغوصُ به في عاطرٍ خضلِ
تَهْرَهُ منكِ أعطافٌ وهدهدةٌ
ويستريحُ ببدرٍ نصفٍ مكتملِ
لولا هوى الفاتناتِ السَّمرِ ما عشقتُ
روما البحارَ، ولم تحصلُ على وشلِ
وقد شربتُ مع العشَّاقِ نخبَهُمْ
وقد أفاقوا سوى مُضناكِ لم يزلِ
كأنما أعرقني التفت على عُرقِ
لكرمةٍ استقى من فيضها الهطلِ



للهِ دُرٌّ فؤادي كم يحمله
هوى الحسانِ وكم يحيا بلا أمل
أقسمت بالعاطفاتِ الملهباتِ دمي
والجاءلاتِ فؤادي شبهً مشتعل
وبالهوى والتّدامى حين نقرعُها
كأسًا كان سناها ضاحك المقل
لن أنتهي من غواياتي ولا عمهي
ولن أجانِبَ ليلَ الساهرِ التّمل
ومِن قديمٍ وأيامي معلّقةً
على الغديرِ فلم ينشفْ ولم أصلِ





ابنة السندباد.. صمود

أرى شغفي يجتازني حينَ تخطرُ
كما يتجلى بالتلاوينِ منظرُ
أراها كينبوعِ اللحنِ وتارةً
أحسُّ بها في داخلي تتفجّرُ
حوى وجهها أشياءها فهي نزوةٌ
تغنّي وطوراً هاجساً يتموّرُ
كأنني بوديانٍ إذا ما لمحتها
تطلّقَ فيها شوقها المتسترُ
عطوفٌ إذا عطفتها فكأنها
تُماشي شعوراً في مطاويك يهدرُ
خليجيةٌ بيضاءٍ تحسبُها إذا
تجلّت خليجاً بالرغائبِ يزخرُ
تكلّمُني أعضاؤها فكأنما
بأعضائها بوحٌ وفيها تخفّرُ
هنيئاً لأضلاعٍ بها ألفُ ساطعٍ
من النّور حتى خلتها تتنوّرُ





أرى شغفي فوق احتمال جوانحي
إذا نُظِرْتُ يا حُلُوهَا حين تُنْظَرِ

لن ينطفئ الضوء

لن تطفئوا الضوء في صدر وفي مهجٍ
وإن قذفتُم بنا في كلٍّ منعرجٍ
أشياءونا سوف تبقى مثلما بقيتُ
في آخر الدَّربِ زخاتٌ من السَّرجِ
أرى الرمالَ استحالتْ رغمَ قاحلها
منابتَ الوردِ في عرسٍ من الأرجِ
أرى قبورًا لها صارت كما ارتفعتُ
جذورٌ باذرةٌ نامتْ على فَرَجِ



القيثارة

يا مَنْ غصصتِ كأعماقي بنجواكِ
هذي بقاياي أم هذي بقاياكِ
شحرورة الليل ما فحواكِ من حطبٍ
وإن برزتِ بألواحٍ وأسلاك
إذا الدُّروب تَمَطَّتْها كَابَتْها
وهوَمَ الليلُ في بابٍ وشبَّاك
سَكَبَتْ كُلَّ صباحٍ في محاجرنا
فمن تراه عن الإشراقِ أعماكِ
ها أنتِ في الركن مثل الركنِ مهملةٌ
كأنَّنا قبل هذا ما عرفناكِ
أين الحكاياتُ أين الحبُّ يبعثُهُ
جمالُ لحنٍ إيطارُته حنايك
لوح تفكُّكَ ألواحًا مبعثرةً
كأنها فكرة في رأسٍ شَكَّاك

في البحرين

ظَمْنًا لِكَأْسٍ مِنْ دِنَانِكِ كَمْ سَرَى
بَلِيلٍ سَرَا جَا قَدْ دَحَاهُ فَنُورًا
بَلِيلٍ كَأَنَّ الْفَجَرَ خَبَّأَ عِنْدَهُ
بَقِيَّةُ ضَوْءٍ مِنْ سَنَاهُ تَأْخُرًا
تَطَرَّرَ ضَوْءٌ فِي دُجَاهُ وَعُجِبْتُ
مَطَاوِيهِ عَطْرًا أَوْ مَكَائًا مُعْطَرًا
أَشْمُ هُنَا وَرَدًّا لِبَغْدَادَ عَابِقًا
وَأَسْمَعُ طَيْرًا مِنْ ذَرَى الشَّامِ قَرْقُرًا
كَأَنَّ الْكَوْؤَسَ الْمَبْحَرَاتِ مَعَ الْهَوَى
نَهْوْدُ عِذَارَى قَدْ تَعَرَّيْنَ ضُمَّرًا
كَأَنَّا وَأَنْسَامُ الْمَنَامَةِ قَدْ بَدَتْ
تَنْبَهُ فِينَا هَاجِسًا وَتَذَكَّرًا
نَلْمُ بِهَا أَطْيَافَ دُنْيَا قَدِيمَةٍ
تُطَلُّ هُنَا رَسْمًا قَدِيمًا مُدَّتُّرًا
أَوْيُنَا بِهَا فِي غُرْفَةٍ خَشَبِيَّةٍ
تَدَلَّتْ كَعَنْقُودٍ بِنَا قَدْ تَسَكَّرًا
تَوَارَثَهَا بِحَارَةً عَنْ أَبِيهِمْ
تَخَالَهُمْ مِمَّا يَعَانُونَ أَبْحُرًا



يَمْجُونَ بِالذِّكْرِ الْقَدِيمَةِ مَثَلَمَا
تَهْزُ غُصُونًا أَوْ تُبْعِثُ جَوْهَرًا
لُطَافٌ إِذَا مَا زَحْتَهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ
مَكَامِنُ أَسْرَارٍ حَوَتْ مَا تَعْذَرَا
أَقُولُ لَصَحْبِي وَالْكُؤُوسُ تَوَافَدَتْ
عَلَيْنَا كَمَا فَاجَأَتْ طَيْرًا مُذْعَرَا
خُذُوهَا عَلَى عِلَاتِهَا فَهِيَ سَاعَةٌ
تَسَاقُطُ مِنْ عُمُرٍ وَإِنْ طَالَ قَصْرَا
نَشَاوَى وَفِينَا الصُّحُوفُ حَتَّى كَأَنَّنَا
نَمَارِسُ فِيهَا عَالَمًا غَيْرَ مَا نَرَى
إِذَا مَا اغْتَلَى فِينَا زَلَالٌ مُدَامَةٌ
يَلُوحُ خِلَالِ الْكَأْسِ مَاءٌ مُجْمَرَا
تَأَلَّقَ فِينَا اللَّيْلُ حَتَّى كَأَنَّمَا
تَفْطُرُ مِنْ ظُلُمَائِهِ مَا تَفْطُرَا



إلى لبنان

عامانَ مَرًّا ولمْ ننعمْ بلُقيَاكَ
يا ساكنَ الأرز من لبنانَ حَيَّاكَ
يا منهضَ الرِّبواتِ الخُضِرِ، يا قممًا
من الزهورِ تمطَّتْ في زواياكَ
ويا شرعَ سفينِ مثلما ارتفعتْ
كفُّ على البحرِ تُعْطِي من عَطَايَاكَ
يا قمَّةَ الثلجِ سَاحٍ تدفُقُها
كأنه ضَحْكَةٌ شَعَّتْ بِدُنْيَاكَ
يا رَبَّ أحمدَ حيثُ الليلُ مُشْتَبِكُ
على شِتَائِكَ مُجْتَازًا منَايَاكَ
يَحْدُو رَوَاجِلَهُ الظَّمأى على جبلٍ
يجتازُ بعضهمَا بعضًا بمَشْتَاكَ
تمشي برودةُ هذا في مفاصلِ ذا
وذاك يجتازُه صخرًا وأشواكَ
كأنما أنتَ مأوى كلِّ سَارِحَةٍ
أو أنْ كلَّ خيالٍ كان مأواكَ
حتى المغاراتُ تدحوها زخارفُها
صخرًا تَأَلَّقَ أو غَابًا تَمْطَاكَ
عامانِ والفرحُ النَّشوانُ يملأني
كأنني حاضِنُ عاميْنِ إِيَّاكَ

في بيتها

تَمَاسَكْتُ لَا بَوْحًا بِمَا فِي السُّرَّائِرِ
وَلَا نَظْرَةً فِيهَا أَفَانِيْنَ نَاطِرِ
وَفِيَّ الَّذِي يَدْنِيكَ مَنِّي وَكَلَّمَا
أَحَاوَلُ بَوْحًا شَتَّتَنِي خَوَاطِرِي
أَأَنَسَى سِتَّارَاتُ كَأَنَّ خِيَوطَهَا
يُنَاشِقُنْ أَنْسَامَ الرِّيَاضِ الزُّوَاهِرِ
غَمَرَتْ يَدِي مِنْ كُلِّ عَطْرِ أَحَبَّهُ
وَصَيَّرَتَنِي مِنْ أَحْرَفٍ وَقَيَاطِرِ
نَسِيتُ فَلَمْ أَذْكَرْ سِوَى ضَوْءِ أَعْيُنِ
تُسَوِي شِعَاعًا مِنْ سِوَادِ الْحَاجِرِ
وَحَقَّقْكِ مَهْمَا كُنْتُ لَمْ أَرْدِعِ الْهُوَى
وَلَا أَنْتَهِيَ مِنْهُ انْتِهَاءَاتِ خَاسِرِ
فِيَا حَبِّذَا تِلْكَ الْعَطُورُ وَحَبِّذَا
قَوَارِيرُهَا عِنْدَ الزَّوَايَا الْعَوَاطِرِ
تَسَامَتْ بِهَا جِدْرَانُهَا فَكَأَنَّهَا
تُسَوِي شَقُوفًا مِنْ بَهَاءِ الْمَنَاطِرِ
تَلَقَّفَنِي مِنْهَا مَرَّاحٌ لِمَقْعِدِ
وَضَوْءٌ تَنْزَى مِنْ خِلَالِ السِّتَائِرِ



وَأَنْتِ أَمَامِي مِثْلَمَا يَرْتَقِي الضُّحَى
تَشْعَيْنَ كَالْمَصْبَاحِ فِي جِسْمٍ بَاكِرٍ
كَلَامٌ لَنَا عَنْ فِلَسَفَاتٍ كَثِيرَةٍ
وَفِينَا شِعَاعَاتُ لَشْتَى الدَّفَاتِرِ
يُجَاذِبُنِي شَوْقٌ إِلَيْكَ كَأَنَّهُ
يُشَقِّقُ فِي عَيْنَيْكَ أَفْقًا لَطَائِرِ
أَجِلُّ عِيُونًا فِيكَ أَنْ تَكْتَمَ الْهَوَى
وَهَنْ مَرَايَا كُلِّ خَافٍ وَظَاهِرِ
أَحْوَمٌ عَلَى أَهْدَابِهَا مِثْلَ طَائِرِ
وَأَجِثُوا عَلَى أَحْدَاقِهَا مِثْلَ سَامِرِ
لَكَ الْفِثْنَتَانِ دَقَّةٌ بِمَلَامِحِ
وَعَنْفٌ بِأَعْمَاقِ كَنْزِ الْجَوَاهِرِ
طَفَّتْ أَحْرَفِي حَتَّى اسْتَحَالَتْ سَفَائِنًا
بِبَحْرِ عَلَى عَيْنَيْكَ جَمِّ الْمَعَابِرِ
وَأَجْمَعُ إِحْسَاسًا بِحَبِّكَ مِثْلَمَا
أُولَّفُ عِقْدًا مِنْ جَمَالِ الْمَشَاعِرِ
تَجُولُ عِيُونِي فِي بَهَائِكَ مِثْلَمَا
تَجُولُ بِأَفَاقِ بَعَادِ الْمَصَادِرِ
تَفَنَّنْتَ حَتَّى بَانَ سِرَاحُ ضَفِيرَةٍ
وَتَصَمِّمِ أَثْوَابٍ وَصَبِغِ أَظْفَارِ
إِلَى الْآنَ مَا زَالَتْ حِكَايَاكَ مِثْلَمَا
يَغْرُدُ طَيْرٌ فِي عَمِيقِ سِرَائِرِي





ورونقُ أشياءٍ إليكِ كأنَّه
يُضاحكُ أسرارَ الرؤى والضُمائرِ
فيا فتنةً محبوبكةً من ملامحِ
ويا رغبةً مكتومةً كالذخائرِ
ألا إن ألوانًا حوتك لو انها
تفيضُ لصاغتُ أحرفي من بشائرِ
كأنك مَأوى كلِّ لونٍ مُحَبِّبِ
لَهُ مَرَحٌ في أعينِ وُصفائِرِ



وقفه على السور

لست ممّن يلوذ بالأطلال
عندما يخطر النزوع ببالي
بيد أني وجدتُ فيك فصيحًا
لاح في صامتٍ كثيرِ السُّؤال
الظَّهيراتُ خبأت فيك شمسًا
والليالي مَلاءةً من جلال
لم أزلُ أذكرُ الليالي اللواتي
كنتُ فيها محلّقًا كالهلال
يربط البحرُ جانبك كعقدٍ
فوق صدرٍ أو فضة الخلال
كنتُ في أمسنا كآخر دنيانا
فأصبحتَ عائقًا للكمال
يزحفُ الفكرُ في صخورك حتى
كدتُ أصغي إلى البنية الرجال
ينحتون الحياة من راعفِ الدَّه
ر من رغبة الليالي الطَّوال
وأياها مشنجاتٍ عرايا
نابضاتِ العروقِ والأوصال



أبحر الباحثون عن درّة التّـا
جِ وغابت مواكبُ «اليامال»
تركوا الأرض والجفاف احتواها
كاحتواء الشّقاء وجهه الجمال
ينزف البحر رملها فهُيَ ظمأى
بنتُ ظامٍ تجسّدت في رمال
تعشق الشمس ليلها فهي لولا
دورة الأرض أشرقَتْ في الليالي
ثم عادوا وفي الوطابِ لآلٍ
أحكموا سَبْكَها لتلك اللّـالي
أنتَ في هامشِ الحياة خطوطُ
تربطُ اليومَ بالزمان الخالي
ولسانٌ يقول مَن عضّه الصُّلُـ
لُ تحاشى نعومةً في الحبال







الديوان الثالث

رسوم للنغم المفكر (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٧٣م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز ١٩٨٦م: ص ١٦٩ ص ٢٥٤.





النغم الأول

لا تقولي أين من كانوا هنا
كلُّهم راحوا وأُبقيتُ أنا
أصنُّعُ الفجرَ على شُرفِها
وأُسوي من خيالاتي مُنى
أضلُّعي قيثاراً أوتارها
بيدٍ تمتدُّ من خلفِ السَّنا
تقرعُ الليلَ تُناغي نغما
ورسوماً صرن شدواً وغنا

النغم الثاني

في فمي صاح (أحمدُ) من جديدٍ
صيحةُ الثائر العنيدِ الوحيدِ
لم يزلْ يوغلُ المسيرَ لبغدا
دَ وفيها بقيةٌ من (رشيد)
كلُّ حرفٍ مغرَّدٍ سوف يبقى
هكذا قال لي وكلُّ جديد



النغم الثالث

وجدتُك تَقْتَفِي حَرَكَاتِ حُرُفِي
وتَجْهَلُ مَا تَمْخُضُ عَنْهُ نَزْفِي
وقَدْ خَلَفْتُ أَبْوَإًا وَرَائِي
مَكْسُورَةَ الرَّتْوَاجِ تَنْنُ خَلْفِي
أَقَاجِمُ مِنْكَ أَسْوَارًا وَلِيَالًا
وَنَوَلُ عَنَاكِ وَصُخُورَ كَهْفِ

النغم الرابع

نَهَبْتُ مَعَ الْأَلْوَانِ حَتَّى كَأَنَّنِي
أَرَى أَثَرِي فِي كُلِّ لَوْنٍ وَرَوْنِي

النغم الخامس

أَنَا اللَّيْلُ مَرْسُومًا عَلَى عَطَشِ الْهَوَى
أَنَا الْفَجْرُ مَوَّارًا عَلَى شَفَةِ السُّحْبِ
أَنْزَخِرُ مِنْ عَيْنِيكَ أَفَاقَ نَشْوَةٍ
وَأَشْرَبُ مِنْ نَهْدِيكَ كَأَسَا عَلَى الشُّهْبِ
مَسَالِكُ مِنْ وَجْدٍ مُلَحٍّ بِأَعْرُقِي
وَرَوْنَقُ أَحْلَامٍ يَجُولُ عَلَى دَرْبِي





أَهَاجِرْتِي مَا ذَنْبُ حَرْفٍ مَغَرَّرٍ
تَنَاوَلَ مِنْ عَيْنِيكَ لَوْنًا مِنَ الْحَبِّ
أَهَاجِرْتِي مَهْمَا تَرَامَتْ مَسَافَةٌ
فَإِنِّي مِنْ عَيْنِيكَ أَقْرَبُ مِنْ هُدْبٍ

النغم السادس

إِلَى الْآنَ مَازَلْتُ الشُّجَاعَ الْحَارِبَا
وَمَازَلْتُ ذَا رَأْيٍ وَقَدْ كَانَ صَائِبَا
يَدِيرُ اتِّجَاهَاتِ الَّذِينَ تَحَرَّفُوا
إِلَى اللَّيْلِ أَوْ دُبُّوا عَلَيْهِ عَقَارِبَا
وَقَدْ فَرَّغْتُ تِلْكَ الْمِيَادِينَ كُلُّهَا
فَلَمْ أَرَ مَضْرُوبًا وَلَمْ أَرَ ضَارِبَا

النغم السابع

تَحَرَّكِي يَحْتَرِكُ وَجُدٌ وَيَحْتَدِمُ
وَنَقْلِي الْخَطْوَ لَا شَأْنَتْ لَهَا قَدَمُ
رِسْمُ أَعْضَائِكَ السَّمَرَاءِ أَجْنَحَةٌ
مِنْ اللَّهِيْبِ تَمَادَى فَوْقَهَا الضَّرَمُ
سَمَرَاءُ كَالْأَكْوَسِ الْمَلَأَى كَأَنِيَّةٍ
يَمْدُهَا الْعَطْرُ وَالْأَشْوَاقُ وَالنَّغَمُ





النغم الثامن

تَجَسَّمِي تَجَسَّمِي
يَا فَكْرَةً فِي نَغْمٍ
يَا جَسْداً كَأَنَّهُ
مَبْرَعٌ فِي بُرْعٍ

النغم التاسع

لَدَيَّ الْكَثِيرُ لَدَيَّ الْمَزِيدُ
وَأَنْتَ الْقَرِيبُ وَإِنِّي الْبَعِيدُ
ضَحَكْتَ لَأَنْتَ فِي غَفْلَةٍ
كَأَنِّي الْلَهِيْبُ وَأَنْتَ الْجَلِيدُ
كَأَنَّكَ تَجْهَلُ مَاذَا الْحُرُوفُ
وَمَاذَا الرُّسُومُ وَمَاذَا الْقَصِيدُ
كَأَنَّكَ تَجْهَلُ مَا نَشُوتِي
وَعِنْدِي نَزِيفٌ وَعِنْدِي وَرِيدُ

النغم العاشر

مَسَاوُكُ هَذَا الْأَرْجَوَانِي مَقْمَرُ
وَإِنْ شَابَهُ مِمَّا بِهِ نَتَفَكَّرُ





مساؤك هذا موغلٌ في غياهبِ
يقال لها نجمٌ وها نحن نسهر
نحاول من أفاقه وهي كلما
نقول بلغناه تطولُ ونقصر

النغم الحادي عشر

أُعَابِثُ من أعضائه ما أُعَابِثُ
وأبعثُ فيه الشُّوقَ والشُّوقَ لاهثُ
إذا ما التقينا جاذبتني فنوئُهُ
وفاجأني منه هوى وبواعثُ
أراه إذا انحازتُ به كبرياؤُهُ
يحاول إيهامي وإنِّي لما كُث

النغم الثاني عشر

صَيَّرْتَنِي يا عطرُ عطرًا نازفًا
وهوى يُحيلُ القاحلاتِ متاحفًا
مَنْ صَيَّرَ الثغرَ الشحيحَ جداولًا
فاضت عليَّ مباسمًا مَراشِفًا
أهواك يا قمرًا يُرصِّعُ ليلتي
لونا يُجاذبني الغرامَ العاصفًا
تهتزُّ بي النَّشواتُ حتى خِلْتُني
رَقَصْتُني نغمًا وكنْتُ العازفًا





النغم الثالث عشر

رسمت ثغرك في أنحاء زاويتي
ورحمتُ أصنعُ مِن عينيك أفاقي
عينانِ يجثم فيها صمتُ زوبعةٍ
لكنها ذاتُ إيماءٍ وإشراق
يهتزُّ ليلٌ سنيني كلما شخصت
نحوي وتنشلني من قاع أعماق
يرسو بها الضوءُ إرساءَ النجوى على
ليلٍ تأنَّق بالألوان دُفَّاق
نهبت فيها ليالي التي نُهبتُ
مني وعادني شوقٌ لمشتاق

النغم الرابع عشر

لم تعلمي أيَّ لونٍ فيك يُعجبني
فكيف علمك في بئِّي وأوجاعي
صغيرةٌ أنت لا تدرين كم سببٍ
إلى هواكِ بأحشائي وأضلاعي
إذا عيونكِ مالت نحو رغبتها
وأعربت عن خفايا كلِّ أوجاعي
بيضاءٍ إلا عيونٌ شبه لاهثةٍ
زرقاء بين تلاوينٍ وإشعاع





هناك أعلم ماذا خلف صامتةٍ
من الشفاهِ ولا سمعُ كأسماعي

النغم الخامس عشر

من أين يُسكبُ هذا العابقُ الشَّيْمُ
وأَيَّ عرقٍ من الأعراقِ يلتهمُ
يكادُ ينزفني مصُّ الرُّضابِ إذا
تشابكتُ أعينُ غنَّى بها الضُّرم
تكادُ أوراكُها والشوقُ يقعدُها
تنهار في نغمٍ يحدو به نغم
شقراءُ تحمَّرُ فيها لاهثاتُ دمي
إذا تناولتُها والشوقُ يحتدم
كأنَّ أعضاءها انصاعتُ لنشوتها
فكلُّ لفتةٍ عضوٍ عندها نهم

النغم السادس عشر

لئن سألْتُ لنا أرضَ ففينا
أراضٍ لا يؤوِّلُ لها سبيلُ
كأنَّ زوابجَ الأيامِ فيها
إذا جالت بها فِكرٌ تجول





ومهما شذَّنا قاعَ لقاعٍ
وغطَّتْ دَرَبَنا هذي الوحول
فما زالتْ دمانا مُعْرِقاتٍ
إذا فقدتْ عراقَتَها الأصول

النغم السابع عشر

أَلوانُ ليلِكَ أَم أَلوانُ أَفاقِ
أَم صحوَةُ الصَّمتِ في إشراقِ أحداقِ
عَطَّرتْ ليلِيَّ من صدرٍ كمتكأٍ
فدَّتْ عطوركَ أَقلامِي وأوراقِي
من فَصَّلِ النجمِ قَمصانًا ملونَةً
وصيَّيرَ الليلِ أَلوانًا لأحداقِ
تَدفِّقِي يا قَرابَ العطرِ في شِفَةِ
تكاد تبدو عليها مسحةُ السَّاقِ

النغم الثامن عشر

هذا هو العيدُ. ماذا أيها العيدُ
تحضَّنتكِ روابِي البانِ يا بيدُ
ويا مصفَّ خيولٍ في أعنَّتِها
تَدفِّقُ من خصورِ الغيدِ محشود





ويا جداول ألوانٍ يفيضُ بها
شوقُ العصافيرِ والنِّدْمَانُ والعود
بأيِّ لونٍ حريرٍ سوفُ أصنعُهُ
وعدًّا. أنا وغزالُ البان موعود

النغم التاسع عشر

إيه «كويْتُ» ولأبواب هيبَّتْها
في السور تحمل أفاقًا وأجواءً
كأنها أعينٌ لآن ما برحتُ
تَلُمُّ من خطراتِ الأمس سيماءً

النغم العشرون

وكم أتيحت لـلذاتُ لمنعفرٍ
وملصقٍ في الدِّياجِي أيِّ إلصاقٍ
يخوض في زُخرفِ الألوانِ منسرحًا
يخوض فيه الدَّجَى أحشاءَ أفاقٍ

النغم الحادي والعشرون

يا غيمةً شرَّدتها الرِّيحُ مذُ سكبتُ
بعضَ الصَّبِيبِ على أنحاءِ غلاتي





لئن هبطتِ على رملٍ وعوسجِه
فقد تركتِ غليلي في الظَّهيراتِ

النغم الثاني والعشرون

إلى الآنَ مازلتِ الشَّقِيَّ المَعْدَبَا
ومازلتِ ذا وجدٍ ومازلتِ مُتْعَبَا
تراكمَ في أجوائكِ الليلُ معتمًا
وهوَّمَ في سيمائكِ الصمتَ مُرْعَبَا
تمارسُ أحوالًا كَثَارًا أَخْفَهَا
هوَّى ظامئٍ يقفو سَرَابًا وَسَبَسَبَا^(١)
كأنك ماذوَّيتِ ثَغْرًا بَقْبَلَةً
ولا احتضنتِ يَمَنَّاكَ صَدْرًا مُذْهَبَا

النغم الثالث والعشرون

في مقلتيكِ تطلُعُ وسوألُ
وعلى يديكِ تراكمتُ أغلالُ
لا تعجَّبي من صامتاتي إنها
صخبٌ تجاوزَ حُدَّةَ قتالِ
إني أعاني ما تُعَانِيَنِ الهوى
ويَشوِّقُنِي كَأَخْرِيْنَ جَمَالِ

(١) السَّبَسْبُ: المفاضةُ





فإذا تباطأ بي فلم تهتفُ بهِ
شفةً فقد باحت بهِ أوصال
إنِّي أسايرُهُ وأقفو خطوهُ
فلديّ منه مسافةٌ ومجال
مارستُهُ حتى سبرتُ قرارهُ
وانسقتُ وهو العارم الشلال
فإذا قنطتُ فمثلما قنطتُ رؤى
لم تكتملُ فمجالهنّ خيال

النغم الرابع والعشرون

أطلقُ عناني. قد كرهتُ عناني
وتوقفتُ بطلولها وجراني
أطلقُ عناني. إن قلبًا آخرًا
غيرُ الذي قد كان في جثماني
سأليّ من هذي الشفاهِ قنوطها
وأحيلُها صخبًا بكلّ مكان
وأثبّتُ القدمَ التي زحزحتُها
وأمدُّ رخوَ بنانها ببناني
تلك العروقُ الزرقُ صرّنَ أفاعيًا
هذا دبيبُ سموها بلساني
أطلقُ عناني إنّ مُديتي التي
حاولتَ تكسرُها من الصّوان





حَجَرٌ تَقْوَسَ كَاللِّسَانِ تَمَدَّةٌ
شَفَّةٌ بِهَا إِغْمَاءُ الظُّمَانِ
الْأَخْطَبُوطُ بِدَاخِلِي وَمَلَامِحِي
كَصَحِيفَةٍ بَقِيَّتْ بِلا عَنَوَانِ
أَنْسَابُ فَيْكَ كَمَا يَدْبُ بِكَاهِلِ
غَشِيَانُ سَائِبَةٍ مِنَ السَّرْطَانِ
الْقَدْسُ يَحْرِقُهَا الْيَهُودُ وَمَنْزَلِي
مَأْوَى الْأَشْبَاحِ مِنَ الشَّيْطَانِ
وَتَفِيئُوا أَشْلَاءَ أَحْبَابِي كَمَا
جَعَلُوا الْحَضِيضَ مَكَانَ كُلِّ عَنَانِ
صُورِي مَشْوَهَةٌ الرِّسُومِ لِأَنَّهَا
صُبِغَتْ بِأَهَةِ ثَائِرٍ غَضْبَانِ
عَصَرُوا شِفَاهَ حَبِيبَتِي وَرَمَوْا بِهَا
عَطْشًا يَلُوبُ. وَسَمَّمُوا غُدْرَانِي
وَسَيَعْلَمُ الْمُتَسَكِّعُونَ بِبَابِهَا
أَنْ سَوْفَ تَذْهَبُ نَشْوَةُ النِّشْوَانِ
هَوْلٌ يُرِيْعُ قُلُوبَهُمْ فُوجُوهَهُمْ
مِنْ خَوْفِهِمْ صَوْرٌ بِلا أَلْوَانِ
يَا لَيْلُ يَا عَطَشَ الصَّبَاحِ وَشَوْقَهُ
لَمْ دَجَاكَ قَدْ أَنْتَهَى إِذْعَانِي
إِنْ كُنْتَ مُسَجِّنَ شَهْوَتِي وَتَحْفَزِي
فَغَدًّا تَكُونُ السَّجْنُ لِلْسَّجَّانِ
عَطْشِي غَدِيرٌ قَوَافِلِي. وَتَوَغَّلِي
فِي الصَّمْتِ شَيْءٌ مِنْ لَظَى فَوْرَانِي





النغم الخامس والعشرون

عَلِّمْتَنِي كَيْفَ أَهْوَى النُّورَ يَا قَمْرِي
وَكَيْفَ يَغْمُرُ أَعْمَاقِي بِهِ نَظْرِي
مَا لِي أَوْزَعُ قَلْبِي فِي الْعَيُونِ فَفِي
أَحْدَاقِ كُلِّ جَمِيلٍ عَلَّقْتُ صُورِي

النغم السادس والعشرون

شَرْقِيَّةٌ هِيَ فِيهَا الْعَطَرُ وَالْأَلْقُ
وَفِي أَحَادِيثِهَا بَوْحٌ وَمَنْطَلَقُ
إِذَا تَحَفَّزَ فِيهَا شَوْقُهَا وَبَدَتْ
مَلَامِحُ الْوُجْدِ فِيهَا يَنْجَلِي أُنْفُ
عُرُوقُهَا أَوْغَلَتْ فِي أَمْسِهَا فَعَلَى
سَيَمَائِهَا ظَلُّ أَجْدَادِي الْأَلَى عَشَقُوا
الْهَائِمِينَ مَعَ الرِّيحِ الَّتِي اغْتَرَبَتْ
كَأَنَّهُمْ مِنْ حَنِينِ الرِّيحِ قَدْ خُلِقُوا
فِي كُلِّ مَفْرَقٍ دَرْبٍ مِنْ خَوَاطِرِهِمْ
مَعَالِمٌ تَتَجَلَّى تَحْتَهَا الطُّرُقُ
شَقَرَاءُ سَمَرَاءُ. فِيهَا نَفْحُ بَادِيَةٍ
وِظَلُّ رَوْضٍ وَأَشْيَاءُ لَهَا أَلْقُ
إِذَا الْعَصَافِيرُ غَنَّتْ قَلْتُ عَاوَدَنِي
هَمْسٌ لَهَا أَوْ رَسَالَاتٌ وَلَا وَرَقُ





وكم تطلَّعتُ في لَوْنٍ لَأَلَحَّهَا
إذا نأتُ بهواها دوني الطَّرق
كأنما هي في حَسِّي وفي خَلْدي
ما يُشبهه النومَ. أولا فهي بي أرق
إذا توغَّل فيها الفكرُ عاودني
وملؤه اللونُ مشبويًا به النَّزق

النغم السابع والعشرون

لم يبقَ من أمسها إلا هداياها
ونظرةٌ في الحنايا من حناياها

النغم الثامن والعشرون

يا وردُ يا عطرُ يا أنسامُ يا قُبْلُ
يا نشوةٌ تتراخى تحتها المقلُ
يا غفوةَ الصحو في أشراقٍ يقظتها
إذا تمازجَ فيها الشَّوقُ والخجلُ
ويا تدفُّقَ شوقٍ كلَّما مُسِكَتُ
زمامُهِ يتمادى وهي تشتعل
تبسُّمي يا ضفافَ الورد في فمها
قد طال شوقٌ مجاديفي. متى أصل؟





النغم التاسع والعشرون

ثم التقينا وكان الليلُ كالنَّفَقِ
أطاحَهُ الضوُّ من ثَغْرِ ومن حَدَقِ
كأن فستانها اللَّيْلِيَّ زنبَقُهُ
تضمُّ زنبَقَهُ أُخْرَى بلا ورقِ

النغم الثلاثون

ما للحروف لها شوقٌ إليك كما
تشتاق للماء أحشاءُ العصافيرِ
إذا استجاشَ بأعماقي الهوى ومشى
حتى توغَّلَ في حَسِّي وتفكيري
من أعينٍ دار فيها الليلُ دورَتَهُ
ومن رموشٍ كأَسْرَابِ الشُّحَارِيرِ
أحسستُها كينابيعٍ لها زخمٌ
بداخلي أو فراشٍ شبه مذعورِ

النغم الحادي والثلاثون

بدا ما بدا منها وعاقَت عوائقُ
وقامت دروبٌ بيننا ومزالقُ





وقد أعربت عن وجدها غير أنها
تُعاصي الهوى طورًا وطورًا توافقُ
ألا إنها لولا بقيات أمسيها
وأمسي لما ضاقت علينا المضايق
نحاول أن نجتازها فتفوتنا
تُسبق من أشواطنا ما تُسبق
أُذبل أثوابُ عليها كأنها
حدائق عطرٍ نَمَّقَتْها الزنابق
وما لامستها أنمل أو تسرح
عليها عيون أو تنشق ناشق
أينشف عطر في زوايا ملصق
وتذبل في أسوارهن الحدائق؟
ألا رب جدران ثوى خلفها هوى
يُعانقه من شوقه ما يُعانق

النغم الثاني والثلاثون

غداً سأجتاز أبواباً معطرةً
لبابها. وهو مفتوح ومسدود
بابٌ عليه قناديل ملونة
كما تلوّن تحت الفجر عنقود
ورونق لثياب البدو عالق
أنداؤه. فهو منحل ومشدود





إذا العبيرُ توارى في مفاتنه
تَكشَّفَتْهُ عِیونُ الغید والغید

النغم الثالث والثلاثون

أَتَهْجُرُنَا هَذَا جَمَالُ
وَتُقْصِيكَ عَنَّا دُرُوبُ طِوَالُ
أَيَقْنِطُ صَوْتُكَ ذَاكَ الْقَوِيُّ
وَيَبْعُدُ شَخْصَكَ إِلَّا الْخِيَالُ
يُطْلِعُنَا مِنَ الْخَافِيَاتِ
شُرُوقًا مَسَافَاتُهُ لَا تُنَالُ
كَأَنَّ مَمَاتَكَ بَدْءَ الْحَيَاةِ
إِلَيْكَ. كَذَاكَ تَمُوتُ الرِّجَالُ
يُخْبِرُنَا مَوْتُكَ الْعَبْقَرِيُّ
بِأَنَّ مَمَاتَ الصِّغَارِ الزُّوَالُ
وَلَيْسَ مَمَاتُ الْأَلَى يَصْنَعُونَ
حَيَاةً يَرْفُ عَلَيْهَا الْكَمَالُ
لِنَنْ هَاجِمَ الدَّهْرِ أَعْمَارَنَا
فَفِينَا عَلَيْهِ هَجُومُ سِجَالِ
وَفِينَا عَلَيْهِ مِنَ الْغَابِرِينَ
رَسُومٌ عَلَيْهَا الْهُدَى وَالْجَلَالُ
تَقْقِيَّتُهَا مِثْلَمَا تَقْتَفِيكَ
كَذَاكَ تَشْدُ الْجِبَالُ الْجِبَالُ





النغم الرابع والثلاثون

أرى خطراتِ الفنِّ أسمى وأصدقًا
من الفكرِ محشورًا بليلاً وملصقًا
ألم ترَ أشياءً تقضى زمانُها
إلى الآنَ لم تفقدُ بهاءً ورونقًا
متاحفٌ من فنٍّ يُخطُّ بريشةً
وإزميلِ فنّانٍ تسامى وحلّقًا
أرى الفكرَ أمّا أفقُّه فمحددٌ
حبيسٌ تفاهاتٍ بها عاش موثّقًا
أحال لذاتِ الحياةِ متاعبًا
وموتًا وشيكًا أو زوالًا مُحقّقًا
من الأمسِ حتى الآنَ يزحفُ مارداً
تخبّط حتى قيل عنه تَزندقا
وما الفكرُ إلا نزوةٌ ثم تنتهي
لأخرى كما رتّقت ثوبًا مُرتّقًا
يحاولُ تفسيرَ الحياةِ ولم يزلْ
الى الآنَ سرًّا مثلها حيثما ارتقى
وما هو إلا الفنُّ يوغلُ مثلما
توغلَ ماءٌ في الثرى وتعمّقًا
تناولَ أبعادَ الجذورِ بديهةً
وأورقَ في أوراقِها وتسألّقًا
أرى أجملَ الأشياءِ أبعدها مدًى
يخامرُ إحساسًا بنا بات مُرهقًا





ولو أنَّ هذا البدرَ بينَ أَكْفُنَا
ولم يكُ مجهولاً ولم يكُ مُغلِقَا
لَخِلْنَاهُ فأنوساً تقادِمَ عهدُهُ
تسمُّرَ في أجوائه وتعلُّقَا
يشقُّ الدياجي نورُهُ وهُوَ صخرةٌ
لها حركاتٌ ما أدقُّ وأرشفَا
أرى قرننا العشرينَ بدءَ انطلاقةٍ
لفكرٍ جديدٍ كان حلمًا مُشوِّقَا
تناوله الماضونَ حرفًا لشاعرٍ
ورؤيا لرسامٍ براهما وزوِّقَا
وأنغامَ فنَّانٍ يجسِّدُ فكرةً
بلحنٍ يُحيلُ النايَ ثَغْرًا ومنطقَا
ويا رَبُّ أحجارٍ بقاعاتٍ مُتحفٍ
حوت فكرةً كانت خيالاً تحقُّقَا
تجول كألوانٍ بأحداقٍ ملهمٍ
وطورًا حريقًا بينَ عينيه حَدَقَا

النغم الخامس والثلاثون

مازلتُ منتظرًا قدومَكَ حَالًا
بالعطرِ واللمساتِ والبسماتِ
بمساءٍ شَعركَ حينَ تنبِشُهُ يدي
فالَمَّ منه النجمُ والهالاتِ





بمواقِدٍ في مقلتيكِ تدفأتُ
فيها برودةُ أضلعِ الكلمات
كم أيقظتني الهاتفُ بأعينِ
سودِ تضيءُ عليَّ بالنُّظرات
كم أوقفتني في مشارفِ لذةٍ
وتفَيَّأتُ بظلالها غلاتي
سمراءُ بي عطشٌ إلى عطشِ الهوى
وتحفزُ لمباعِدِ الأذات

النغم السادس والثلاثون

ألم ترَ أني لا أزالُ مُسَهَّداً
ولمَّا أزلُ في التيهِ أقطعُهُ سُدى
«حذامي» وماذا من رؤاها سوى الرؤى
«وليلي» وما لي من صداها سوى الصدى
تَمْشَى الهوى فيهنَّ حيثُ ظلالُهُ
ونرجسُهُ من حيثُ اجتازَ فَدَفدا
خُلِقْتُ بأضلاعٍ ثقالٍ وإنما
تطيرُني شوقٌ إذا أرخيتُ شَدَّدا
وأخِرُ علمي أنني لستُ عالماً
بشيءٍ سوى أني أعاني التَّجلدا
إذا نزفتُ من عاطفاتِ نوازفُ
وشاء الهوى والوجدُ أن أتمرَّدا





رجعت إلى حرفٍ تناول حذّتي
وشرّدني في الأرض حرفاً مُشرّداً
أكاد إذا أوقفت من مسرعاته
أعاكسُ تياراً بجسمي تلبدًا
ومازلت مطوّعاً له غير أنني
أرى من دواعي الأمر أن أتبلّدًا
فيا روضةً في آخر الرمل أزهرتُ
سقتك غواصي الغيثِ مثنى وموجدًا
فإنّ التي تأوي ضلوعي تخضّني
لتسقطني شلّوا وحرفاً مغرّداً
يطارح أمثالي الذين تهوّرُ
نوازعهم فيهم فهاموا بلا هدى
تطاردهم أفكارهم وشعورهم
تقفّي أحاسيساً ترامى بها المدى
إذا وقفت فيهم مواقف شوطهم
عن السير صاروا موقداً حتّ موقداً
وما فيهم شيء من النار إنما
يضيئون حيث الليل أطبق أسوداً
كأنهم تحت السماء مشارقُ
من النور أو طير مع الفجر غرّداً
مسافاتهم لا تنتهي بحدودها
سكاري وما نالوا الذي ينقع الصدى





خَلِيلِي كُفَّا السَّيْرَ وَالتَّتْمَهَا
وَإِنْ رَمْتَا قَوْلًا صَرِيحًا لِتَقْعُدَا
عَرَفْنَا أَخِيرًا أَنَّنَا شُوطُنَزْوَةٌ
وَقَدْ شَاءَتِ الْأَيَّامُ أَنْ نَتَرَدُّدَا

النغم السابع والثلاثون

إِذَا تَنَقَّلْتَ إِنِّي غَيْرُ مَنْتَقِلٍ
وَلَنْ أُبَدِّلَ أَنَهَارِي بِذَا الْوَشَلِ
مَا زِلْتُ أَحْمِلُ أَلْوَانِي الَّتِي رَضَعْتُ
مَنْ الشَّمُوسَ وَذَاكَ الزَّخْمَ لَمْ يَزَلْ
غَدًا سَتُنَسَفُ جِدْرَانُ لِعَنْكَبَةٍ
تَبْنِي سَقُوفًا عَلَى الدِّيْبَاجِ وَالْحُلِّ
غَدًا تُمْزِقُ أَقْمَارُ لِفَائِفِهَا
وَتَسْتَفِيقُ شَمُوسٌ فِي رُؤْيٍ مُقْلٍ
لئن سَهَرْتَ بِأَلَامٍ مَكْدَسَةٍ
فَقَدْ سَهَرْتُ بِحَرْفٍ شَبَهَ مَشْتَعِلٍ
حَرْفٌ إِذَا احْتَرَكْتَ أَجْوَاؤُهُ احْتَرَكْتُ
هَذَا الْأَكْفُ الَّتِي فِيهَا هَوَى الْقُبْلِ
هَوَى الشَّمُوعِ إِلَى لَيْلٍ أَوَاخِرَةٍ
أَوَاخِرُ الْوُخْزِ مِنْ نَحْلِ وَمِنْ عَسَلٍ
إِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنِّي رَاسِمٌ نَغْمًا
مِنْ الشَّعَاعَاتِ. إِنِّي غَيْرُ مَنْتَحِلٍ





أَقْسَى الْعَانَاةِ صَمْتُ فَوْقِ صَاخِبَةٍ
مِنْ الْأَحَاسِيْسِ وَالْأَفْكَارِ فِي رَجُلٍ
الْأَحْدُوْدَ أَرَاهُ فِي مُدَوَّرَةٍ
يَدْعُوْنَهَا الْأَرْضَ وَالْحَفَارُ فِي شُغْلٍ
لَوْ كُنْتُمْ وَاحِدًا مَا كُنْتُ أَعْبَأُ مِنْ
جَوْلَاتِهِ لَوْ أَتَاهُ الْعِزْمُ مِنْ جَبَلٍ
لَكُنْكُمْ عَصَبَةٌ لَاذَتْ بِمِنْحَدِرٍ
غَدًا سَتَنْهَارُ كَالْآثَارِ فِي الطَّلَلِ
قُبْحَتُمْ مِنْ نَفَايَاتِ مُسَلَّطَةٍ
عَلَى بَوَاكِيْرٍ أَحْلَامٍ عَلَى أَمَلٍ
لَا تَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ فَنَصْحَبِكُمْ
وَلَمْ تَقِيْمُوا عَلَى شَيْءٍ سِوَى الزَّلْزَلِ
أَيُرْفَعُ اللَّيْلُ مَشْلُولًا عَلَى قَمَرٍ
وَتُدْفَنُ الشَّمْسُ فِي وَادٍ مِنَ الْوَحْلِ؟
وَلِلْأَعَالِي شَمُوْخٌ رَغْمَ عَالِقِهَا
مِنْ الثَّلُوجِ وَلَا حَمْلٌ كَمَحْتَمَلِي

النغم الثامن والثلاثون

أَدِيرُوا عَلَيْنَا الْكَأْسَ صَفْرَاءَ مِثْلَمَا
تَبَاعَدَ ضَوْءٌ أَوْ تَلْتَمَّ كَوْكَبٌ
لَهَا فِي الْكَوْوسِ الْبَارِدَاتِ تَوْقُدُ
وَفِي الْأَعْيُنِ السَّوْدِ الْوَسَاعِ تَلْهُبُ





إذا وطأت أحشائنا فتناولت
دواخلنا ألفتها تتشعب
تلاحقها أعماقنا فكأنها
بها ما بنا من شوقنا حين تُسكب
ولم أرَ مثل الكأس مؤنس وحشة
ولا مثلنا لما تُدار وتُشرب
مُبردة شقراء فيها ملامح
من الفُرس إلا أنها تتعرّب
سلّ البید عن روادها هل تمكنت
بها الريح أن تلوي الخطى حين تدأب
وهل أسكتت صوتًا لأحرفها التي
تجيشُ بها أضلاع من يتصبّب؟
وهل عطلت من سامرٍ قد تسامرت
به من مطاويه التي هو يكتب؟
وهل شحبت واحاتها أو تخارست
نسائمها النشوى؟ وهل نام ملعب؟
لعمرك ما زالت بها خاطراتها
وأفكارها القصوى التي تتقرّب
أديروا علينا الكأس حتى نُحسّها
تناولت الأبعاد أو هي أقرب
وماذا إذا اجتازت دواخلنا ترى
سوى التيهِ نطوي شأوه وهو ينهب





وماذا سوى سيمائنا قد تسَلَّلْتُ
عليها المطاوي فهي جرداء سَبَسَب
بها من أديم البِيدِ بعضُ جفافِها
وفيها الذي في جوفها يتلَهَّب

النغم التاسع والثلاثون

أنا يا مشرقة العيـ
نـينِ جـرحُ بقـصـيدـه
وضـرـاعـاتُ خـيالِ
عـبـر آفـاقٍ بـعـيدـه
كـلَّ أنِ لي جـمـوحُ
وانـطـلـاقـاتُ جـديـدـه
وانـزـلـاقـاتُ حـرـوفِ
بـمـتـاـهـاتٍ شـريـدـه
الـثـلاثـونَ إلـى الآ
ن بـدـايـاتُ بـليـدـه
بـسـارـداتٍ وأنـا أغـ
إـلي بـأفـكارٍ عـنيـدـه
أنت لا تـدريـنَ ماـذا
بـمـسـافـاتـي المـديـدـه
وبـأقـمـاري التـي تـز
حـفُّ في الوـحـل شـهـيدـه





تنطحُ الليلَ تهزُّ الشُّـ
شَمْسَ مِـراتٍ عديده
أنا يا ضارعةً النَّهـ
ـدينِ أعصابٌ شديده
فدعي كهفي وأمطا
رَ خيالي ورعـودَه
ما الذي تبغين ممَّنْ
جعل الحـرفَ وجـوده
ما الذي تبغين ممن
جعل التيه حـدودَه
ما الذي تبغين ممن
سار دريًّا لن يعوده

النغم الأربعون

رجالُكِ اثْنانِ مطعونٌ ومهزومٌ
وثالثٌ مُوثَّقُ الكفَّينِ ملطومٌ
ما لي أراكِ كموثوقٍ تخطُّفه
خوفٌ وأذهله صمتٌ وتسليم
ما بال نيلكِ لم تصدحِ حمائمُه
ولا انتخى فيه صقرٌ فهو مهموم
وأيّن أكؤسه من ليلٍ شاربها
صفراءُ بيضاءٍ تحدوها الترانيم





وأين من «بردى» سيفٌ وشاعره
يخافُ ذكرهما الصّلبانُ والروم
وأين (هارونُ) من «بغداد» يشحذُها
وأين (منصورُها) الباني (معصوم)
وأين جيشُ فتوحاتٍ وألويةٍ
سوداءُ بيضاء لم يعلق بها الشّوم
أما انتختُ من عرون الصّيد نازفةً
فقد عهدنا لظاها وهو محموم
كأنما لاهثاتُ البيد لاهتُها
تحت التراب لها غيظٌ وتشتيم
كأنما كل عظمٍ في مقابرهم
مكانه بيننا صدرٌ وبلعوم

النغم الحادي والاربعون

ما تزالين حلاوة الإشراقِ
رغمَ ما فيك من شحوب الفراقِ
ما تزالين روعةً تتجلّى
بعيونٍ يغرفنَ من أفاق
لم يزل صوتُك الحزينُ شهيداً
يستثيرُ الحنينَ في أعماقي
لأصيلٍ يقفّوه منّا أصيلٌ
وتلاقٍ يقفّوه منّا تلاقٍ





إن توارى شعاعُ شمسٍ تجلّت
ألفُ شمسٍ لنا بدفءِ العِناقِ
يتمادى بنا الحنينُ ويطفو
مُشرئبًا بنا على الأحداقِ
أنا نشوانٌ في عيونكِ مشغو
فُ بليلٍ حواهما ذي إتلاقِ
كم تطلّعتُ كي أراكِ فأقصا
ني بريقُ الخدودِ والأحداقِ

النغم الثاني والأربعون

لئن تمؤنتُ من عينيكِ أو رتعتُ
صبا بتي بجمالٍ فيكِ خلّاقِ
أحالني عطشًا يهفو أيّ عطشٍ
فكلّنا اليومَ ساقٍ عندهُ ساقِ
فإنني سوفُ أبقي منك باقيةً
من الشروقِ على أفاقِ أوراقِ
أرى ارتفاعاتِ عطرٍ فيكِ تحملُني
إلى مشارفِ أفاقٍ بأحداقِ
ألودُ بالعطر والألوان في شفةٍ
تحوي الشعاعاتِ دفأًا بدفاقِ
حمراءُ تملأني من لونها صورًا
راحت تُجاذب أحلامًا لعشاقِ





ضاقتُ بهم جنباُ الأرضِ وانقطعتُ
بهم دروبٌ سوى فَوْهاتِ أشداقِ

النغم الثالث والأربعون

هوَى تقمَّصَ أعضائي إليكِ كما
تقمَّصَ الماءُ أوراقاً وأغصانا
ثيابُكِ الحمرُ والزُّرْقُ التي رَعَفَتْ
من كل لونٍ جعلنَ العمرَ ألوانا
تضاحكتُ فيكِ حتى كدتُ أُحسِّبُها
تموسقتُ فيكِ أو سَوَّتُكِ أَلحانا
كأن سربَ فراشاتٍ مُنرَّقةٍ
جعلنَ منك ضفيراتٍ وفستانا

النغم الرابع والأربعون

سمراءُ لا صورٌ عندي أناغيها
إلا طيوفُك تُخفيني وأبديها
كأنها وخيالاتي تُداعِبُها
تَقْفُو هواجسَ حسي أو تُماشيها
وكنيتِ لي. كيف كنتِ؟ نسمةٌ حملتِ
أشذاءَ دنيا أراني في نواحيها





دنيًا تُزخرفها عينانِ ملؤهما
عمقُ الحياةِ إذا اكتضتْ معانيها
ألمٌ فيك هوى دنيًا تُلوّن لي
دروبَ عطرٍ أراني هائمًا فيها

النغم الخامس والأربعون

يا ليلةَ الأَمْسِ ما كانتُ سويّعاتي
إلاّ فداءً سويّعاتٍ بليّلاتٍ
حيثُ التقى عطشي بالماء تسكّبُهُ
شواطئُ العطرِ في أحشاء غلّاتي
حيثُ انسيابي في أعضائها شفةً
ظمأى تُصفّقُ في أحواضِ غيمات
حيثُ انصهارُ حنيني في تَلَفُّتها
والوجدُ يصنع منها لونَ هالات
مَنْ لوّنَ الكلماتِ الخضرِ، مَنْ سَكَبَ الـ
هالاتِ فيها مشعّاتٍ بديعات
يا ليلةَ الأَمْسِ إنني لم أزلُ قممًا
تنهارُ. تغمرُها رشّاتُ زخّات
تموّجتُ في ثيابٍ فوق مُتَكَأٍ
غاصت به كهلالٍ عبرَ واحات
أكاد أحسبُها والشّوقُ يغمرُها
إحدى بناتِ خيالٍ رائحِ آت





تجسَّدتُ فتَناهتُ في مَلاحَتِها
وقد تجسَّدَ طيِّفٌ في مَلاحات

النغم السادس والأربعون

غداً أسافرُ واجتاحتُ مَلامَحَها
مَلامِجٌ من كَآبَاتٍ تُغَطِّيها
مَلامِجٌ عكستُ فيها دواخِلَها
بلا شعورٍ وأبدت من خوافيها
كأنها اختصرتُ في وجهها دمعَها
أو شَبَّتِ النَّارُ فيها أو تُعانيها
فقلتُ والليلُ تنهار النجومُ بهِ
من هول ما انهار فيها من معانيها
إني سأدفنُ عيني في محاجرِها
حتى أراكِ شروقاً في دياجِها

النغم السابع والأربعون

متى ستأتين؟ لا أدري. وهزَّ دمي
شِبهُ ارتعاشٍ ولاحَتْ منكِ أَطْيافُ
اللونِ والمرحُ النشوانُ والعبثُ الخُطُ
ظَلامي الحراكِ ووجهُ منك شَقَاف
يكاد يخرقُ الأبعادَ طائِفُهُ
حتى أراكِ به والشوقُ نَرَاف





يا رحلة العطر يا ألوان قافلة
من العبير عليها اللون أفواف
متى تعودى يعد لليل رونقه
وتنجلي عنه أستار وأسدف
تاوى الرؤى خلفها حتى إذا اكتملت
تلوح لي منك أطراف وأعطف

النغم الثامن والأربعون

يا زخرف الثغر في هالات بسمتها
يا رونقاً يتجلى حين تبتسم
ويا ضفירותها اللاتي يسرحها
منها التفات كما يُسترسل النغم
يا كل شيء بها حتى قساوتها
إذا استجاش بها وجد فتحتدم
إذا تطلعت عن سهو لمنطلق
من الجمال كما تُستشرف القمم
إذا تفيأت واحات بهاجرة
لها علي ظهيرات كما الضرم
إذا الحروف تراخت مثل ذابلة
من الغصون تمشى فوقها الهرم
لا تبعدى عن مسافاتي وناحيتي
إلى نواحيك. مالي عنك مُنصرم





عطورُ ليلِكَ ما زالت تُعبِّئُني
زخارفًا من حروفٍ فيك ترتسم
يا لوحةً أتقرّأها بعاطفةٍ
كما تلوحُ لعينِ الشاخصِ السُّدم

النغم التاسع والأربعون

لا تَعْجَبِي من قُنُوطِي حينَ أَلْقَاكِ
وما تَمْشُئِي بأَعْضَائِي لِمَرَاكِ
قد حَاطَ بِي الْوَجْدُ حتَّى لَمْ أَجِدْ سَبِيلاً
إِلَّا إِلَيْكَ فَمَنْنَاكِ كَلْقِيَاكِ
إِذَا انْعَطَفْتُ لِأُخْرَى رَدَّنِي شَغْفُ
إِلَى بَهَاكِ فَمَا أَشْتَاقُ إِلَّا
حَبِيبَتِي لَا تَقُولِي أَنْتَ تَلْعَبُ بِي
أَوْ مِنْ ضَحَايَايَ. إِنِّي مِنْ ضَحَايَاكِ
لِنَنْ سَهْوَتُ قَلِيلًا عَنْكَ أَوْ سَرَحْتُ
بِي الطَّيُوفَ لَدُنِّيَا فَهِيَ دُنْيَاكِ
هُوَ أَجْنَحَتِي فِيهَا وَأَخِيلَتِي
وَمَا تَخِيلَتُ إِلَّا حَلَوَ سِيمَاكِ
وغيرِ بِسَمْتِكَ الْأُولَى وَمَتَقَدِّ
فَاضَتْ بِهِ كَالْهَتَافِ الْحَلَوِ عَيْنَاكِ



النغم الخمسون

مِنْ أَيْنَ جِئْتُ؟ أَرَى لِلنَّيْلِ رَابِيَةً
بِصَدْرِكَ السَّمَحِ تَحْشَوْهُ الْعِنَاقِيدُ
تَضَرَّمِ الْوَجْدُ فِي عَيْنَيْكَ فَاضْطَرَبْتُ
بِئِى النَّوَافِثُ تُذَكِّيهِا الْمَوَاعِيدُ
وَأَنْسَسْتُ خَطَوَاتُ مَنْكَ أَرْوَقَةً
لَهَا عَلَيْهَا أَهَازِيحُ وَتَغْرِيدُ
عَيْنَاكِ أَمْ جَدُولًا لَيْلٍ يُحِيطُ بِهِ
ضَوْءٌ مِنَ الْقَمَرِ النَّشْوَانِ مُحْشودُ
أَشْوَاقُ عَامٍ عَلَى أَهْدَابِهَا نَضَجْتُ
كَذَاكَ فِي كُلِّ عَامٍ يُورِقُ الْعُودُ

النغم الحادي والخمسون

تَلَفَّتِي يَلْتَفْتُ عَطَرُ وَيْنَسْكُبُ
ضَفِيرَةٌ هَذِهِ الشَّقْرَاءُ أَمْ ذَهَبُ؟
كَأَنَّ زَخْرَفَهَا النَّشْوَانُ مَنْحَدِرُ
غَنَّى وَأُورَاقُ فِي أَنْحَائِهَا الْعَنْبُ
تَلَفَّتِي فَمَكَانِي مِثْلَمَا فَرَعْتُ
كَأَسُّ تَحْجَرُ فِي أَنْحَائِهَا الْحَبِيبُ
تَلَفَّتِي فَالْحُرُوفُ الْخَضِرُ ظَامِئَةٌ
كَأَنَّهَا سَرَبٌ أَطْيَارُ بِهَا سَغَبُ



تَلَفَّتِي مَرَّ عَامٌ دُونَ نَاسِمَةٍ
مِنْ عَطْرِ شَعْرِكَ هَذَا الدَافِقِ الْعَذِيبِ
كَأَنَّ تِلْكَ الْقَوَارِيرَ الَّتِي شَخَصْتُ
عَلَى رِفَوفِكَ سُحُبٌ أَوْ هِيَ السُّحُبُ
ظَمِئَتْ لِلْسَاحِلِ الْغَافِي عَلَى شَفَةِ
تَكَادُ مِنْ لَوْنِهَا الْوَرْدِيُّ تَلْتَهَبُ
أَيَنْشَفُ النَّهْرُ لَمْ تَعْبِرْهُ أَشْرَعْتِي
وَلَا مَلَأْتُ قِرَابِي. إِنَّهُ الْعَجَبُ

النغم الثاني والخمسون

تَأَلَّفْتُ فِيكَ سَيِّمَاءٌ وَأَعْضَاءٌ
فَكُلُّ مَا فِيكَ يَا سَمْرَاءُ إِغْرَاءُ
سَوِّيتُ مِنْ نَغْمِي الْمَبْحُوحِ أَغْنِيَةً
لَهَا مَعَ الْفَجْرِ تَرْنِيمٌ وَإِصْغَاءُ
تَقْوَسَ اللَّيْلُ مِنْ حَرْفٍ يَفْجَرُهُ
قَلْبٌ تَجُولُ بِهِ الرُّوْيَا وَأَحْنَاءُ
لَوْلَاكَ مَا انْتَفَضَتْ قَاعَاتُ زَاخِرَتِي
كَمَا تَفْجَرُ فِي أَعْمَاقِهِ الْمَاءُ
أَنَا الْمَسَافِرُ يَا سَمْرَاءُ مَا وَقَفْتُ
بِي الرِّكَابُ وَلَا شَلَّتْنِي أَجْوَاءُ
أَنَا الْمَسَافِرُ فِي عَيْنِيكَ يُرْشِدُنِي
سَوَادُهَا وَنَوَاحٍ فِيكَ خَضْرَاءُ





النغم الثالث والخمسون

ظلالُ بيتك تفأحُ ورمَانُ
بها من الظلِّ أشكالٌ وألوانُ
ألقى المسافرُ فيها رحلَهُ ومشى
به الهوى فهو مِطْوَاغٌ ومِذْعَانُ
مازلتُ أذكر ليلاً كاد يشعلُهُ
توهُّجٌ قد تولَّانا وطوفانُ
كأن أعرأقنا من نشوةٍ سبُلُ
مشى بها اثنان مفتونٌ وفَتَّانُ
لا تسألني عن سنيني ما حكايتها؟
ما الأمس؟ ما اليوم؟ ما لي عندها شانُ
تلك الثلاثونَ من عمري خلاصتها
كما يمرُّ على الظمآنِ ظمآنُ
إذا الدُّروبُ استدارتْ نحو قاحلةٍ
فَلِي من الحبِّ أنهارٌ وبستانُ
توهَّم الطَّيرُ أن الشمسَ بازغةٌ
فراح يشدو بليلاً وهو نشوانُ

النغم الرابع والخمسون

دعي التكتُّمَ يا سمراءُ وانتشري
عطرًا يشقُّ دروبًا بين أكمَامِ





إنني رأيتك تومي لي الروائحُ في
ثوبٍ تفصّل من إبداع إلهام
يكاد يُخرجني من كل زاويةٍ
تلبّدتُ بتفاهاتٍ وأوهام
سمراء ما قيمة الدنيا إذا حُشرت
أقمارها بين أحجارٍ وأصنام
أيذبل الوردُ لم تلمس براعمه
بناجحٍ من لقاءاتٍ وأنسام
ذكرتُ ليلتنا حيث ارتقتُ قممي
على اخضرارٍ وهادٍ فيك بسّام
حيث اتكأوك كالنشوى على كتفي
يفيضُ منك حنينُ الوالهِ الظامي
وحيث شَعْرُك ينهار الضياءُ على
سواده بين كاساتٍ وأنغام
أخالُ أعضائكِ النَّشوى إذا طفحتُ
بذلك الوجدِ من إبداعِ رسّام

النغم الخامس والخمسون

قولوا لها إنني مازلتُ أهواها
وإنّ تناءى بها دربُ فأقصاها
ولم يزلْ عطرُك الفوّاحُ مذ رحلتُ
يهيج بي ذكرُها. وإِهْ لذكرها





إذا تطلعتُ صوبَ الأفقِ فاجأني
منها خيالُ فرؤياها كمرأها
ما زلتُ أذكرُ أهاتٍ لها امتزجتُ
بأهيةٍ بعدها أتبعثُها أها
كأنها والحنينُ العذبُ يصبغُها
عند السوداعِ فأبكاني وأبكاها
تبدلتُ كلُّها لا الصوتُ ذو نغمٍ
ولا المحيا الذي أهوى مُحياها
يا سكرَ الوردِ في تلك الشفاهِ ويا
ضوءَ الخدودِ التي شبَّتُ ويا فاهها
ويا تصاميمَ أثوابٍ لها حملتُ
ملاحهً طرَّزْتُ بالحَبِّ دنياها
ويا أحاديثَها الخضراءَ لا ذبلتُ
تلك الحروفُ وما يطويه معناها
لسوفَ تبقينَ أحلى ما يُفجِّرُنِي
أغانيًا أنتِ يا سمراءَ أشجاها

النغم السادس والخمسون

تكلِّمي فالجمالُ السَّمْعُ أعذْبُهُ
حرفُ يُصعِّدُهُ شوقٌ إلى شفةِ
يا ضحكةً في شفاهِ الوردِ مشرقةً
ويا اخضرارَ ربيعٍ في ندى ضفةِ





لئن تكلمتِ الأعضاء معلنةً
عن شوقها بانسكابٍ منكٍ مُلتفت
فَللحروفِ صداها الحلو إن حملتِ
ما تستجيشُ به الأعماقُ سيدتي
حملتِ كلَّ عطورِ الأرضِ وانسكبتِ
بك التلاوينُ في أعضاء زنبقة
وقد تمشَّى الهوى في مقلتيك كما
مشى الشباب بصدرٍ فيكٍ ذي عنت

النغم السابع والخمسون

تنقُّلي تنقُّلي	كموجةٍ من عسلٍ
كرونيقٍ من زخرفٍ	مجسِّدٍ في هيكلٍ
كأنما أعضاءه	من عبق القرنفل
تَعَتَّق الدفءُ به	كأنه يهتف لي
فيا حروفي غرَّدي	ويا رسولي هلي
ويا مخابيء الهوى	تفتحي كالأمل
بالعطر فواخًا على	ضفيرةٍ كالشُّعل
شقراءٍ في توهجٍ	يُذكي حنين الغزل
تغوص في عبيرها	كفي وتطفو قبلي
شقراءٍ يا ساقيةً	يهفو إليها جدولي
تنقُّلي تنقُّلي	كموجةٍ من عسلٍ



النغم الثامن والخمسون

أُحْرِكُ فِي أَعْضَائِهَا سَكَنَاتِهَا
إِذَا نَظَرَاتِي دَاعَبَتْ نَظَرَاتِهَا
وَيَجْذِبُهَا شَوْقُ بَعِينِي شَاخِصٌ
يَفْجِّرُ فِي أَعْضَائِهَا شَهَوَاتِهَا
يَظِلُّ كِلَانَا شَاخِصًا وَعِيُونَنَا
صَحَائِفُ وَجُدٍ نَحْنُ فِي صَفَحَاتِهَا
وَلَمْ أَرَ كَالْأَحْدَاقِ حِينَ انْطِلَاقِهَا
طَيُورَ رَحِيلٍ غَادَرَتْ وَكُنَاتِهَا
كَأَنَّ رَبِيعًا يَقْتَنِي خَطَوَاتِهَا
إِذَا ابْتَسَمَتْ يَنْسَابُ فِي بَسْمَاتِهَا
وَلَمَّا اسْتَحَرَّ الْوُجُدُ فِيهَا وَأَعْرَبَتْ
ظَوَاهِرُهَا فَاسْتَنْطَقَتْ خَافِيَاتِهَا
سَمِعْتُ لَهَا طَرَقًا بَبَابِي وَطَالَمَا
تَعَرَّفْتُهَا مِنْ قَبْلِ فِي طَرَقَاتِهَا
فَفَاجَأَنِي مِنْهَا شَرُوقٌ تَسْرَحَتْ
عَلَيْهِ ثِيَابٌ أَنْقَتْ سَرَاحَاتِهَا
بَلِيلٌ كَأَنَّ الْفَجَرَ يَكْرِهُ لِمَسَّهُ
بِهِ مِنْ عَوِيلِ الرِّيحِ شَتَّى لَغَاتِهَا
أُجَرِّدُ مِنْهَا مَا اسْتَطَعْتَ حَيَاءُهَا
فَتَنْقَادُ وَالْأَشْوَاقُ فِي حَرَكَاتِهَا
كَأَنِّي أَيْقَظْتُ الشَّمْسَ بِجَسْمِهَا
وَفَجَّرْتُ عَنَفَ الرِّيحِ فِي يَقْظَاتِهَا



كأن توابيتاً تناثر لوحها
أمامي وأبواباً كسرتُ جهاتها

النغم التاسع والخمسون

في أول الصَّيفِ ألقاها وتلقاني
على الينابيع في أجواء لبنانِ
يا منهضَ الصِّدرِ بل يا لطفَ منسرحٍ
له ولفطة تفاحٍ لرمَّانِ
ويا وثوبَ صباباتي ومنطلقني
إذا احتركت بأوراقٍ وأعكانِ
ويا زخارفَ أعضاءٍ ألوذُّ بها
إذا استحرَّتْ ظهيراتي ونيراني

النغم الستون

لبنانُ أنتَ مواسمُ الألوانِ
وحكايةُ الازهارِ للغدرانِ
الصخرُ فيك متاحفٌ مبعثرةٌ
كمقاعدٍ فرشت على الشُّطآنِ
يتفياً التاريخُ تحت ظلالها
كتفويي في ظلِّكَ النَّشوانِ
من ها هنا كأسٌ إذا ما أوغلتُ
نشواتها بدمي شَدَّتْ أحزاني





وعيونٌ من تهفولهنَّ نوازعي
زرقاءُ بالعطشِ الشَّهي روان
بيضُ الوجوه كأنهنَّ مخابئُ
للعطيرِ والبسماتِ والألحان
سامرتُ منهنَّ النجومَ على رُبى
والفجرِ مرسومًا على أبدان
حركأتهنَّ طلاقَةً ما أوقفت
أشواطُها الأغلالَ في الإنسان
كأسٌ إلى كأسٍ تُرصُّ وأهَةٌ
في أهَةٍ ويـدانٍ ثم يدان
مارستُ ألوانَ الجمالِ فلم أجذُ
لونًا كلونٍ بنفسجٍ ببنان
يومي إليَّ مع المساء كأنه
بُقيًا نهارٍ هائمٍ حيران
من شاهدَ الإنسانَ طيرًا مُشرقًا
بل من رأى الأشرارَ في وديان
خضرٍ يُضربها اخضرارٌ راعفُ
فكأنها كونٌ من الأكوان
كادت بها الألوانُ تُنطقُ بعضها
فألهنَّ شبهُ حكايةٍ ومعان
ولهنَّ شبهُ تلفتٍ وتأنقٍ
حتى كأن بيانهنَّ بياني





وتناسقُ الأشياءُ في إشراقها
وجمالها همسٌ بغيرِ لسان
لبنانَ جئتُكَ من نواحي بسمّةٍ
شَعْتُ على الشيطانِ والكُثبانِ
لولا ثلوجُكَ ما عرفتُ لهيبَها
والثلجُ بعضُ مواسمِ التَّيرانِ
ما ابعدتُكَ المبعِداً فكلَّنا
أبناءُ سائرِ هذه الأوطانِ
من هذه الأرضِ التي لمَّا تزلُ
عذراءٌ رَغَمَ تلاحقِ الحَدَثانِ
من هذه القممِ المنيفةِ فكرُّنا
ودماؤنا من عارِمِ الطُّوفانِ
ولئنَ تَناهَبَنا الزَّمانُ فإنَّنا
لألانُ فوقِ مذاهبِ الأزمانِ
والأرضُ مذُ كانتِ مسارحُ فكرةٍ
شرقيّةِ النزعاتِ والبُنيانِ

النغم الحادي والستون

تأنقُ الرملُ حتّى صارَ أضواءُ
وفجَّرَ الصخرَ ألواناً كما شاءَ
واستوقفَ البدويُّ الحرَّ ناقتهُ
على السواحلِ مَلاحاً وحَدَّاءِ





قد كانت البيدُ أشواطاً لموكبهِ
مستهلماً أفقها وحياً وأراء
واليومَ يهبطُ في الشاطي تعانقه
أمواجُه الزرقُ أنساماً وأنداء
من صيّرَ العطشَ المخنوقَ في شفةٍ
ماءً تغلغلَ في الصّحرا وإرواء
أحالَ تلكَ الصخورَ السّودَ مُسرّجَةً
تنوّرَ الأرضَ شطآنًا وصحراء
وعلقمَ البحرَ حلواً مثلما انقلبَتْ
مخالبُ صرنَ بعدَ الوخزِ أثداء
لن تعطشَ البيدُ بعدَ الآنَ يا سُحباً
من الهيبِ ببطنِ الأرضِ سوداء
سيماؤها لهبٌ بادٍ وباطنها
كالماءِ يحملُ إرواءً وإنماء
توشحت قاحلاتُ البيدِ أريّةً
من فيضها السّمعِ حمراءَ وخضراء
يا ظامئِ الحرفِ في أنحاءٍ جارحةٍ
هاتِ اسقني من سُلّافِ الحبِّ صهباء
وارو لنا خبرَ البيدِ التي انتفضت
سمراءَ حثّت لبابَ الفجرِ سمراء
يا أيها الواغلُ المجتازَ ناحيةً
من العراقِ كما تجتازُ أنحاء





مجهولة لم تطأها أي قافية
وإن ترامت على الأحشاء رمضاء
حدت لنا عن جذور الفكر راسخة
شماء ترضع في الآفاق شماء
تبارك الحرف ما زالت روائعه
تعانق الأرض إلهاماً وإيحاء
مررت بالشاطئ الغافي ورملة
والصخر في الفجر استوحيه أنباء
عن السفائن والأبحار عن نغم
لناهم يتقفى الريح والماء
عن أشرع وحبال عن مودعة
لمبحر لم يجد في الأرض إواء
عن خفقة الشرع في ألواح صارية
كأنها حملت قلباً وأعضاء
عن الدفوف على الشاطئ وعودتهم
وربما عاد «براك» كما جاء
وعدت والأفق تبدي لي ملامحه
كفًا تمد على الصحراء بيضاء
تألق الرمل حتى صار أضواء
وفجر الصخر ألواناً كما شاء





النغم الثاني والستون

سيكونُ ليلاً مظلمًا وطويلاً
إن لم تكنُ في قاعهِ قنديلاً
إن لم تكن عطشاً يسيح جداولاً
للظامئِ وللطغاةِ غليلاً
الناهبينَ شروقنا وروبيعنا
والتاركينَا عتمةً وذبولاً
مسخوا بنا التاريخ حتى خِلْتنا
- لولا سماتٌ لا تزال - مغولاً
قطعوا بنا الأعراقَ وهي روابطُ
فتقَّحُمونا عالمًا محلولاً
في كلِّ آنٍ بقعةً منهوبةً
بقوى تفلُّ وشائجاً وأصولاً
ومفجرٍ لضغائنٍ مطويةٍ
تركَّت روابطنا الضخامَ فلولاً
ليس الذي يأوي لصبرٍ قادراً
مثلَ الذي يأوي إليه ذليلاً

النغم الثالث والستون

سنخلعُ الليلَ قالتُ لي المصابيحُ
على العيون التي فيها التَّسابيحُ





يا دُورَةَ الأَرْضِ لآلِيامِ دورَتِها
إذا تَسَمَّرُ في مَثَواهُ مطروح
لئن تَخارسَ في أياَمِنا قَدَرُ
ففي سِواكِ نَنا هَمْسٌ وتَلَميح

النغم الرابع والستون

من صَيَّرَ اللَّيْلَ في أنحائكم قِمما
والظِلُّ مُنتَصِبًا والنُّورُ مُحْتَشِما
أرى نَزيْفِي في أَقصى مَراحِلِهِ
ولا أزال رَسومًا تَحْضُنُ الأَلا
أَكاد أَمسِكُ مَجْهولًا يَخاطِبُني
منه شِعاغُ أراه كَلِما احتدما
يا زَخِرفَ الخِيطِ في أنوالِ عاشِقَةٍ
راحت تُطَرِّزُ لَوْنًا يَقتَفي حُلما
يا رِحلَةَ الحَرفِ في أنحاءِ دَامِسةٍ
راحت تَلَمَّسُ فيها راحتي صَنما

النغم الخامس والستون

وَجَدْتُ ليلَكَ لا طَولَ ولا قِصرَ
يَأْتِي ويمضِي كشيءٍ ما لَه أثر
وَجَدْتُ ليلَكَ أَحلامًا مَكْدُوسةً
مِنَ الحَروفِ عَلَيا يَجثمُ السَّهر





لا الأعين السُّود دُفَّاقُ بزخرفها
ضوءٌ ولا نغمٌ شادٍ ولا وتر
هل أُفْرِغَ الليلُ حتى من كواكبه
أم أقفر الأفقُ حتى لم يعد قمر
أين اللذاتُ في ألوانٍ ساهرةٍ
يكادُ يُشرقُ في ألوانها السَّحر
تُؤنِّقُ الليلَ تدحُّوه روائعها
أوانيًا وكؤوسًا حقَّها الزُّهر
وأين دورةٌ ثغرٍ كلما اتَّضحتُ
ألوانه تتجلى ثرَّةً صُور
يا مجلسًا نسجته أنملُ عرفتُ
كيف المجالسُ والنَّدمانُ والسَّمر
تنغمَّ الحرفُ في أجوائه وشدَّتْ
قصائدُ في هواه وانتشَّتْ فِكر

النغم السادس والستون

مَنْ أَنْتِ يا قممي من أَنْتِ يا قاعي
ويا بواعثَ أفراحي وأوجاعي
في أضلعي كلُّ دُفَّاقٍ لعاطفةٍ
تدعوك. هل سمعتَ أذنًا للداعي
بأهةٍ أتشَّهاها إذا انطلقتُ
وإن تفكَّكَ منها حَبُّكَ أضلاعي





تنسلُّ نَحْوَكِ أَحْدَاقِي مَلْبُدَةً
بِزَاخِمٍ مِنْ هَدِيرِ الشَّوْقِ لِمَاعِ
دَعِي الْعَطُورَ. وَمَاذَا عَطَّرُ امْرَأَةً
بِلا حَبِيبٍ؟ سَفِينٌ دُونَ إِقْلَاعِ

النغم السابع والستون

قَالَتْ وَقَدْ أَلْهَبْتَنِي مِنْ تَلْهُبِهَا
وَفِي ضَرَاعَاتِهَا أَنْاتُ مَغْلُولِ
أَمْسٍ سَمِعْتُ صَدِيقَاتِي يَدُورُ عَلَى
حَدِيثِهِنَّ حَدِيثٌ شَبَّهَ مَنْقُولِ
وَمِنْ عَيُونِكَ فَسَّرْتُ الْعَيُونََ وَمَا
يَدُورُ فِيهِنَّ مَنْ قَالَ وَمَنْ قِيلَ
مَا لِي إِذَا خَطَرْتُ لِي مِنْكَ سَانِحَةً
بَدَا بِي الْوَجْدُ يَا هَذَا فَتَبْدُولِي
فَأَنْتَ بَيْنَ عَيُونِي وَهِيَ هَاجِعَةٌ
وَأَنْتَ بَيْنَ ضُلُوعِي شَبَّهَ مَحْمُولِ
بِي مِنْكَ بَعْضُ تَعَابِيرٍ أُحَاذِرُهَا
كَأَنَّني مِنْكَ فِي أَضْوَاءِ قَنْدِيلِ
إِذَا تَوَغَّلْتُ فِي عَيْنَيْكَ وَاتَّضَحْتُ
دَوَاخِلِي كَضَرَاعَاتِ الْمَوَائِلِ
شَعَرْتُ أَنَّ بَصْحَوِي غَفْوَةً أَخَذْتُ
بِوَاقِعِي. وَتَرَاءَى ظِلُّ إِكْلِيلِ





فقلت والنزقُ الظمآنُ يشربني
من كلِّ حرفٍ مُلِحِ الهمسِ معسول
من الشفاه اللواتي عُبئت نغمًا
ومن سماتِ كألوانِ التَّماثيل
ومن قميصٍ على أردانه سُرحتُ
ضفائرُ العطرِ حُبلى بالتَّهاويل
تحدّثي عنكِ. عن عينيكِ. عن شفةٍ
من الكروم. وسُحفاً للأقاويل

النغم الثامن والستون

مازلتِ أنتِ وما زالت تُعاودني
طيوفُ حبِّكِ من حينٍ إلى حينٍ
وما يزالُ لقانا البكرُ يحملني
إلى مكانٍ لنا كالسرِّ مكنونٍ
يكاد يفضحُنا عطرٌ بمتكأٍ
من عطرِ ثوبكِ يسري في شراييني
كأنَّ صوتكِ من دَفءٍ ومن مَرَحٍ
ينسلُّ من جانِحاتي ثم يأتيني
أكادُ أرسمُه شوقًا وانشُقُّه
إذا تقمَّصني مثل التلاوين
تلك النوافذُ ما زالت مشرَّعةً
على الطريق وفيها من مضاميني





النغم التاسع والستون

سألتها عن عقودٍ كان يجمعُها
أبٌ لها كان صيِّداً وبَحَّارا
رؤى السواحل في عينيه شاخصةً
كأنها حملت قاعاً وأغوارا
يعود من غزوات الصيف متشخاً
سمومهُ قاطعاً مدناً وأمصارا
يصارعُ الموج في بحرٍ وعاصفةً
على الضفافِ وأهوالاً وأخطارا
تراه في الليل مثل الليل مُتَشَخاً
بالغامضاتِ، أحال العمر أسفارا
كأنما الأرضُ تائباه وتُنْكِرُهُ
فليس يملك في أنحائها دارا
سألتها وهوى العشرين يملأها
كما دحا العطرُ أوراقاً وأزهارا
ولم تعدْ من رسومِ الأمس باقيةً
إلا الطيوفُ كما رُقعت أطمارا
مُورَّعاتٍ على بيتٍ مُتَلَمَّةً
أحجاره ككتابٍ ضمَّ أسرارا
سألتها وكأني حين أسألها
أحيلها نغماً حلواً وقيثارا



النغم السبعون

شاهدتُ قلبك في خديك يحترقُ
والموعدُ السمحُ، في عينيك يأتلقُ
تكاد تُشرقُ ألوانُ العطور على
ثيابكِ الحمرِ لولا أنها عبق

النغم الحادي والسبعون

وليلةٍ من ليالي الصيف مقمرةٍ
يكاد يهتفُ في أجوائها القمرُ
كأنما النجمُ أعراسٌ قد اتكأَتْ
في الأفقِ أو أنها من روعةٍ سُررُ
تلوّنَ الضوءُ في أنحائها وسرى
كما يشاءُ. فمحبوكُ ومنتشر
سلكتُ دربي مشتاقًا إليك وبي
وجُدُ يسابق خطوي حينَ يستعر
قارورةُ الطيب في كفِّي لها عبقُ
والحبُّ في داخلي حرفٌ له صور

النغم الثاني والسبعون

غداً أراك.. وشَدَّتْني إليك يدُ
مجهولةٍ وهوى في داخلي ضرمُ



هوى تسلَّق أعضائي إليك كما
تسلَّقَتْكِ عطورُ نفْحِهَا عَرِمَ
ورونقُ لثيابِ طالما سهرت
وأسهرتني. كلانا اليومَ منهم
غداً أريكِ رُسُومي الأخرى في
في كل أنِ رسومٍ فيَّ ترتسم
ألم ترى قسماتي حين يملأوها
هوى اللقاءاتِ حيث الشُّوقُ مُحْتَدِم
كأن ساحلنا في الصَّيفِ تعرَّفنا
رمالهُ فإذا جئناه تبتسم

النغم الثالث والسبعون

تَكْتُمْتُ شَفْتَاهَا ثم باح بها
ما في ملامحها من رائع الفِكَرِ
فَكَرُّ تحرُّكِ في أعضائها ومشى
على العيون بزخاتٍ من الحور
وفي الوجوه مسافاتٌ تجول بها
سواكنٌ تحت أضلاعٍ لمصطبر
أكاد أسمعُ فيها الصَّمْتَ المَسْهُ
كما لمستُ تعابيراً على صور
ينساب فيها الهوى عذباً وتوقُّفه
حواجزٌ تتخطى كلَّ مُعْتَبِر





تُضَاجِكُ النَّاسُ عَيْنَاهَا وَبَاطِنُهَا
دَمْعُ يَسِيحٍ بَصِمَتْ شَبَهُهُ مُنْفَجِرٌ
رَأَتْهُمْ بِمَهَاوِيهِمْ تُبَاعِدُهُمْ
عَنِ الْجَمَالِ تَلَاوُفٌ مِنَ السُّتْرِ
عَجَزُ تَقَمُّصَهُمْ عَنْ كُلِّ شَامِخَةٍ
كَأَنَّهُمْ حُفِرُ تَنْدُسٍ فِي حُفَرٍ
تَرَصَّدُوا لِلنَّبِيِّ حِينَ عَلَّقَهُمْ
مِثْلَ الْعِرَاقَةِ أَمَامَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
لِلشَّاعِرِينَ وَأَبْيَاتٍ لَهُمْ حَمَلَتْ
قِيَاثَرَ الْحَرْفِ مِنْ ثَغْرِ وَمِنْ وَتَرٍ
لِلنَّازِفِينَ دُمًّا فِي كُلِّ مَنْعُطٍ
وَالوَاقِفِينَ عَلَى أَشْفَارِ مَنْحَدٍ
قَالَتْ وَفِي شَفَتَيْهَا الْآةُ تَنْزِفُهَا
ضُلُوعُهَا مِثْلَ طَيْرٍ شَدَّ فِي حُجَرٍ
مَا أَضْيَقَ الْجَسَدَ الْمَحْبُوكَ هَيْكَلُهُ
مِنَ التَّرَابِ عَلَى شَوْقٍ بِلا ظَفَرٍ
مَاذَا سَأَفْعَلُ وَالْأَلْوَانُ تَنْهَبُنِي
وَالْحُبُّ فِي دَاخِلِي كَالْعِطْرِ فِي الزَّهْرِ
أَقْسَى ذُبُولٍ وَرُودٍ حِينَ يَلْفَحُهَا
حَرُّ السَّمُومِ وَلَمْ تَبْرُحْ عَلَى الشَّجَرِ
مَاذَا شَخُوصِي وَالْجِدْرَانُ شَاخِصَةٌ
وَلَا اخْتِرَاقُ لَنَا إِلَّا عَلَى خَطَرٍ
إِذَا تَمَرَّدَ بِي شَوْقِي وَقَدْ شَهَقْتُ
رَوَائِحِي لِلِقَاءِ مِنْكَ مُنْتَظَرٍ





وشبَّ بي النهمُ المكبوتُ منتشرًا
على ملامحٍ وجهي أي مُنتشر
من ساكنٍ تحت أعماقي يُلبِّدني
كما تلبَّدَ عنفُ السحبِ في الشرر
شاهدتُ أعينهم سيماءَ راصدةٍ
من الكواسرِ في سيما من البشر
كان أحداقهم تَقْفُو أظافرهم
ففي تطلُّعها وخزُّ من الإبر
وهالني ضعفُها. يا من رأى امرأةً
ينسلُّ من شفتيها قلبٌ محتضر
نموذجٌ لهفوتِ الشمسِ. ظاهرةً
عن الحياةِ بلا لونٍ ولا أثر

النغم الرابع والسبعون

خُذي أحرفي الظَّمأى وهاتي جداولي
وإنَّ أظمَّأتني وهي سكَبٌ لناهلٍ
خُذي أحرفًا كم حاولتها مسامعُ
ولولاك لَمَّا أنفجرَ من دواخلي
تلبَّدَ بعضٌ فوق بعضٍ فنشَّرتُ
مكامنَها ذكرى السَّنينِ الأوائلِ
سنيِّ كَأَن اليَوْمَ يحسُدُ بعضُهُ
من اللطفِ في أسحارهِ والأصائلِ





بمخضرة المسرى إذا درجت بها
نسائمها هاجت أغاني البلابل
ومنتزه للطرف إن حلقْتُ به
خواطر إحساسٍ تُعدُّ كالقنادل
ودربٍ لعذراءٍ يغازل لطفها
بواعثٌ وجِدٌ مشرَّبٌ الدلائل
تؤنِّقُ بالحناء والشذر كُفُّها
وتؤنسُ ساقِها بلَغْوِ الخلاخل
كأنَّ خيالاتٍ لها في جوانحي
يحاولنَ مني ما خطَّته أناملِي

النغم الخامس والسبعون

سأجعلُ منك بُقْيًا من ليالي
كما صيَّرتني أفْعَى رمالِ
تفحُّ كأنها تبغي انعتاقًا
لِتمسي فوق كهفك كالهلال
عجبتُ لشدَّكَ الأعماقَ شدًّا
ولم يسبِّحْ خيالكُ في خيالي
وكنَّا كالجبال أمام ريحٍ
فها نحن بقايا من جبال
وقد كنَّا انعتاقًا من كهوفٍ
فها نحن انحدارٌ من أعالِ





وليس لأننا لم نبغِ شرًّا
بمن يبغى لنا مثل الرجال
وليس لأننا أحلامُ ماضٍ
كما قالوا تاهبٌ للزوال
ولكننا تهاوينَا فكُنَّا
ضياعًا ضاع في قيلٍ وقال
وما أدنى دروبك من دروبي
وحالك ربما كانت كحالي
كلانا نبتغي هدفًا ولكن
رأيتُ بك انحرافًا للخلال
تحاول أن تحيلَ الشرَقَ غربًا
وأنت أقلُّ من بعضِ الذُّبال

النغم السادس والسبعون

أقولُ لكم كغيري حين قالوا
وما من عادتِي الخُطْبُ الطُّوالُ
أقولُ لكم بأننا في نهارٍ
ولكن كاد يخطفه الزُّوال
وذاك لأننا لم ندرِ ماذا
يُخيط بنا وخذرنا أتكال
وأننا لا نرى الأشياءَ حتى
تقاحمنا وثورتنا انفعال





وَأَنَا مِنْ هَوَاةِ الْقَوْلِ لَمَّا
يُراد بنا التَّقَحُّمُ والنَّزَالُ
نتَوَقُّ إلى السَّرَابِ وَكُلِّ نَهْرٍ
شَقَقْنَا لِلدهاقين الزَّلَالِ
قصورُ ترجفُ الأحجارُ فيها
من النُّعمى وتحرسُها الظُّلالُ
وكاساتُ كما انتصبت عيونُ
تَأْنُقُ في مَحاجيرِها الدُّلالِ
وليلٌ مثلما ينساب فجرُ
تَطَلَّقَ في جوانبه الجَمالِ
كأنَّ الأرضَ تعصرُها أكفُ
لأكؤسِهِمْ وتُرفدهمُ جبالِ
متى يستيقظ الانسانُ فينا
ويُطْلِقُ للنهارِ بهِ مجالِ

النغم السابع والسبعون

مازلت تهفولها من بعد عشرين
وقد تجاوزت أبعادَ الثلاثين
حيث امحَى درْبُ «ليلى» أو تعطفهُ
درْبُ وأقفرَ بستانُ «لنسرين»
ولم يعد من «حذامي» غيرُ بسمتها
رؤى تعاوُدُ بين الحين والحين





إذا تذكرت ليّلاتٍ بمنحدرٍ
على الضّفاف ظليلٍ بالبساتين
سربُ العذارى على شطآنه ألقُ
من النجوم ولكن في فساتين
يا مرقص العطر يا ألوان زنبقةٍ
يا مفرش الورد جيّاش التّلاوين
يا مستحمّ الندى في الفجر تعصّرة
سماوة في مسافات الرّياحين
يا صوت ناعورةٍ يصحو الأصيلُ بها
كأن ألواحها أضلاعُ مفتون
ويا عنادل فجرٍ في حناجرها
قياثراً. تتمشّى في الشرايين
هلاً أعنتم حروفاً طالما رعت
دماً وماءً بصدٍ شبه مسكون
يكاد ينثر أضلاعي على ورقي
هوى حروفٍ غريباتِ العناوين
ما لي أفتّر منها وهي أخذة
بي المدى فزغاً منها وتدعوني
عشرون عاماً وأضلاعي ملبدة
مثل الغيوم على أفاق كانون
رأيت فيها الصحارى أصبحت عسلاً
لكنه في مواعين الدّهاقين
والليل فيها كاتون له صخبُ
من الخليج إلى أفاق «دارين»





كأن بُقيَا نبوأتِ بها انتفضت
مع الرياح على أسوار «قارون»
رأيت (ذا النُّون) حيث الحوت عائمة
حمقى تعاكسُ تيارًا بذى النُّون
رأيت بحارة البحرين أعينهم
على الخليج نذيراتُ باتون
يا مرتقى الظلّ إن الشمس قد تركتُ
على ملامح وجهي ظلّ محزون
قد كانت الكأس تُدنيني بنشوتها
للحبّ والشعر أقفوها وتقفوني
وكانت الأعين السّود التي اكتحلتُ
بليل شرقك تدنيني وتقصيني
وكنّت. ما كنت؟ بحارًا وأشرعتي الـ
أهدابُ والعطرُ أدعوها فتأتيني
واليوم أحسبُني غصنًا بدوحته
معلقًا لهوى ريحٍ تُلاويني
كتب أمس عن الصياد مذ رجعت
شباكهُ خالياتٍ مثل «ديّن»^(١)
وعن سفائنٍ غواصين قد هبطتُ
بهم صخورهم في جوفِ تَنّين
سود الوجوه كأن الليل يسكنهم
أو أن طينتَهُم ليست من الطين

(١) الدين: عبارة عن وطاب شبيه بالكيس يجمع به المحار، وهي كلمة شعبية.





كَتَبْتُ أَمْسٍ عَنِ الشَّمْسِ الَّتِي احْتَجَزَتْ
وَسُمِرْتُ فِي دِهَالِيزِ السَّلَاطِينِ
وَالْيَوْمَ مَاذَا؟ وَفِي حَرْفِي شِرَاهُتُهُ
إِلَى الصَّرَاخِ كَمَطْعُونٍ بِسَكِّينِ
يَكَادُ يَنْبُتُ شَوْكُ الصَّخْرِ فِي شَفْتِي
لَوْلَا ابْتِلَالِي بِهَذَا الْأَسْوَدِ الْجَوْنِ

النغم الثامن والسبعون

تَغْلِغِلِي يَا جَذُورَ النُّورِ وَأَنْهَمِرِي
يَا غَيْمَةً مِنْ حُرُوفٍ فِي هَوَى صَوْرِ
فَقَدْ تَمْشَى الظُّلُمَا فِينَا وَأَوْقَفَنَا
تَطَوَّأْنَا بِصَحَارِهِ عَلَى حَجَرٍ
تَغْلِغِلِي يَا جَذُورَ النُّورِ واقتلعي
حَوَاجِزًا وَسَقُوفًا ثُمَّ لَا تَذْرِي
لَا تَتْرَكِي مِنْ هَشِيمِ الْأَمْسِ بَاقِيَةً
وَلَا مِنْ الْيَوْمِ إِلَّا وَاقْدَ الْفِكْرِ
الْمَشْرَاطُ إِلَى الْأَعْمَاقِ يَنْبِشُهَا
وَخَلْفَهُ أَلْفُ رِيحٍ أَلْفُ مَنْحَدٍ
وَأَنْتِ يَا غَيْمَةً حُبْلَى بِعَاصِفَةٍ
كَأَنَّ عَابِسَهَا أَتَ مِنَ الْقَدَرِ
تَمَخُّضِي عَنْ سَمَاوَاتٍ مَلُونَةٍ
تَمَخُّضِي وَإِذَا مَا شَتَّتْ فَانْفَجَرِي





فما ارتقيتِ إلى أفقٍ لتتكنِّي
على النجوم وتستلقي على القمر
أكادُ أسمعُ صوتَ الأرضِ لاهثةً
والشمسُ تصنعُ أجراسًا من البشر
مَن أغلقَ الأفقَ مَن سوَّى سماوتنا
كهفًا لعنكبةٍ مشلوليةِ النَّظر
وحُرِّفَ البحرَ عن مجراه فانقلبتُ
مَنابتُ الوردِ صحراءَ بلا مطر
من صيَّرَ المرشفَ الهامي بزخرفه
نابًا وملمسَهُ وخزًا مِنَ الإبر
يا أيها الصمتُ. يا تابوتَ عاصفةٍ
يا حشَرَجَاتِ حروفٍ يا هوى وترٍ
يا آخرَ الشُّوطِ للأضواءِ وأغلةٍ
في أعرقِ الليلِ والآلامِ والسَّهرِ
إنِّي لأسمعُ ريحًا خلفَ نافذةٍ
تَهزُّها أو ببابٍ شِبْه مُنكسرٍ





الديوان الرابع

بقايا الألواح (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٨٠م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ٢٥٧ ص ٣٣٩.







الإهداء

إلى التي أَلَمَحُهَا في كل امرأة
ولكنني لم أَرَهَا بَعْدَ
والتي أراها تتدفَّقُ في كل لون
ولكنني لم أُمَيِّزُهَا بَعْدَ
والتي أتحسسها في كل طراوة منعشة
ولكنني لم أَمسُكُهَا بَعْدَ
والتي أَتَتَّبَعُهَا في كل اتجاه
ولكنني لم أَعَثُرْ عليها بعد
والتي أَسْمَعُهَا في كل الأصوات الرائعة
ولكنني لم استوعبْهَا بَعْدَ
إلى الإشعاعات المخفية
التي تسبَّبَ الضياع المنطلق
والوضوح المخفي في أن واحد
أرفع هذه الألواح الملتهبة





وتمزق الإكليل يا لبنان

ألا لهفي على حقلٍ لسلمي
يفاجئهُ حريقٌ في المساءِ
كأن طيورَهُ والنارُ تسري
بها شُعْلُ تطايرُ في الفضاءِ
ألا لهفي على تلك الدوالي
كأن جذوعها أيدي الإماءِ
ألا لهفي على حاراتٍ وردٍ
وزيتونٍ وأعنابٍ وماءِ
تقوَّستِ السطوحُ بها فأمسَتْ
ظهورًا مثقلاتٍ من عياءِ
على الألوان يحجبها دخانُ
كما أصفرت وجوه من حياءِ
كأن عواري الشجر المدمى
نساءً عارياتٍ في كساءِ
تعطَّلتِ السواقي عن خريزٍ
وأحجمت الطيورُ عن الغناءِ
وأفرغت الجداولُ من مياهِ
كأعراقٍ تلوح بلا دماءِ
لقد سقطت بوديانٍ جبالُ
كما ذابت شموعٌ في إناءِ





ألا لهفي على الجبل المعنّى
فقد أمسى حزينَ الكبرياء
يهيم به المقيم على هشيم
ويُقْعده العناء على العناء
كأن مخابئ العشاق فيه
محاريب حزينات الدعاء
ألا لهفي على نقشٍ قديم
بجدران شهيات البناء
على (عاليه) والليل المغنّى
على (بيروت) والليل المضاء
كأن ضحى الضفاف سماء شعر
فأوا لهفي على تلك السماء
تهيجُ بها الأغاني عن طيور
على شجر كأعضاء النساء
كأن غصونها أيدٍ أطلّت
من الأفق زاخرة العطاء
ألا لهفي على الشرفات لما
يدور بها الحديث عن الشتاء
على همس النوافذ والسّواقي
وهففة الستائر والملاء
على غسل الجبال ولونٍ وردٍ
يغطيها كمنسرح الغطاء
على الواحات تزخرُ بالعذارى
كما احتشد البهاء على البهاء





على إبر تُزخرفُ في ثيابٍ
على الحبِّ المطرِّز في رداء
على تلك النواحي زاخراتٍ
بأسباب الصبابة واللقاء
على الحبِّ الذي ينمو سريعاً
بأجسام من النعمى بطاءٍ
إذا علقت عيون في عيونٍ
فقد علق اشتهاً باشتهاً
كأن كوامن الانسان تطفو
على تلك الوجوه من الصفاء
أهجرة الروابي والدوالي
خذي كأساً ودعك من البكاء
خُذي كأساً فإن الأرض ضُمَّتْ
جوانبها على حدٍّ سواء
تعالى جرّبي عطشي وبئري
عسى تجدين بي بعض العزاء
فأخوة يوسفٍ جاؤوا أباهم
وهم يبكون يوسف في العشاء
وما زال القميض به دماء
وأخر مرقوه من الوراء





الآخرون

دعني من الآخرين يا قمري
وهاتِها واسقِني بلا حذر
يا عاقداً الحاجبين ما برحت
ألوانكم في تعاقبِ الصور
كأنها والقميصُ لاصقُها
مشتقةً من تطايرِ الشرر

☆☆☆☆

تؤلفُ من إيمائها لغةَ الهوى
وترسمُ في أعضائها عندما تبدو
ولم أرَ جسمًا غيره صار زخرفاً
ولا مثلَ ذاكَ الشجرِ ريحته الورْدُ
تمشّت وفي أعطافها وقفَ الهوى
ورنّحها حتى يكاد بها يشدو
تمخّضَ عنه وجهُها وحرأكُها
وفاضتْ به أردافُها. ولنا وعد



قَدَر

لَا تُكْثِرِ الْهَمَّ إِنَّهُ قَدَرٌ
يَأْتِي بِمَا لَا يَحِبُّهُ الْبَشَرُ
لَا تَكْثِرِ الْهَمَّ رَبِّمَا اتَّضَحَتْ
عَوَاقِبُ الْأُمْرِ حِينَ يَنْفَجِرُ
وَقَدْ يَكُونُ السَّكُوتُ مَهْلَكَةً
وَصَاحِبُ الشَّأْنِ مَنْ لَهُ أَثَرُ
لَا تَكْثِرِ الْهَمَّ إِنَّهَا فِتْنَةٌ
مَسْعُورَةٌ. شَرُّ دَائِنَا السُّعُرُ

شموس

مَنْ رَأَاهُنَّ فِي الثِّيَابِ الرَّقَاقِ
وَاهِيَاتِ الْخُصُورِ وَالْأَعْنَاقِ
لَوَحَّتْهُنَّ فِي النَّهَارِ شُمُوسُ
وَتَرَقَّرَقْنَ فِي اللَّيَالِي الرَّقَاقِ



جروح في فم القمر

نهرٌ يضيئُ جروح في فم القمرِ
دُمُ العصافير مرسومٌ على الشجرِ
ماذا تقولين؟ قولي أنتِ واهمةٌ
وأنتِ أضْيَعُ من ماءٍ على حجر
لئنْ نهبتِ كرومي وانزويت ففي
قاعاتٍ ليلكِ من لوني ومن أثري
لقد اضاء حريقُ الورد ناحيةً
قد أبدعتُ سنن النيرانِ والشُّرر
لطختُ دربكِ بالضوء الذي قدحتُ
به الحروفُ التي ترميكِ بالصُّور

القنديل القديم

قالت له ما الشُّعرُ؟ قال زهولُ
يأتي فيأتي فيضُهُ المجهولُ
تكتظُّ أعماقُ به فيشبُّها
شَبًّا ويُلهبُّها السَّننا فتقول





وهو انهيارُ الثلج في القمم التي
تعلو فُهْنٌ وقد عُرينَ ثُلُولُ
تتكشَّفُ الأعماقُ تحت لهيبه
فكأنه من فوقها قنديل
وهو الرسومُ وهمسُها المنقولُ
والساكناتُ وما بهنَّ يجول

عن بغداد

أبغدادُ إنني قادمٌ منكم لكم
كأنني شوقٌ راحلٍ وهوَ واصلُ
إذا اختلفتُ افكارُنا أو تخالفتُ
فإن الدمَ الفؤازَ لاشكَّ عاقل
قَبيلتُنا الأولى التي في جِسمِنا
تسيرُ بنا. إن الدماءَ قبائل
وما هذه الأشياءُ إلا عناصرُ
يخالف بعضُ بعضها ويشاكل



قلبان

قالوا له هل سيصحو قلبك التَّمْلُ
أَمَا كفاك الهوى والعشق والغزلُ
في كلِّ يومٍ دروبُ أنت قاطعها
لمن تحبُّ وفيك الشوقُ متَّصل
فقال والأعينُ السوداءً تقدحُ في
أضلاعِهِ فَبِهِ من قدحِها شعل
قلبانٍ في أضلعي قلبٌ يجيش هوى
تُذكي حرارته الأردافَ والمقل
وأخرُ غيِّرته الريحُ من زمنٍ
ونقَّلتَه الليالي حيث تنتقل
يا ساقِيَّ أعيناني على عطشٍ
لا الصِّبرُ عالجَه فينا ولا الحيل
يا ساقِيَّ أحتَمُ أن نضيقَ بما
ندري وتتسعُ الدنيا لمن جهلوا
معاصرونَ ولكن في عروقهم
يسري «أبو لهبٍ» والأعصرُ الأول
لابدَّ من فكرةٍ أخرى فقد هرمتُ
أفكارُ من نهبت دولاتها الدول



تسلّقوا سورَ «يافا» قبل زحفهم
وقبل أن يدخلوا الأبوابا قد دخلوا
كأنهم بالدمِ الموروث قد سكنوا
وقبل أن ينزلوا في الأرضِ قد نزلوا



النفق المختفي

قد كان أدنى عطاءٍ منك يُرضيه
كذا. وغرفة كَفَّ منك تكفيه
وكان ليُلك يغيريه بأنجمه
ولم تكن قُطُولا أنت تُغيريه
وكان بابُك موصودًا سوى نفق
تَنسلُّ منه على رغم أفاعيه
وكان يأتيك لا شوقًا ولا شغفًا
لكنه ضاق أو ضاقت نواحيه
بلى لقد كان ذا قلبٍ فغيره
كما يغيّر نهرٌ من مجاريه
أتشربين هواه وهو في عطشٍ
وتسكنين ذراه وهو في التيه
معلقًا فوق أشداقٍ وأونَّةٍ
على الأظافر يُدميها وتدميه
كأنما كأسُه والملحُ يغمُرُها
مما تذر به ريحٌ وتلقيه
رأسٌ على الرملِ مغروسٌ وهيكلُه
عروقٌ داليةٌ مدفونةٌ فيه



الجدران المنتفخة

تَمَخَّضُ أَيُّهَا الْحَرْفُ
فَقَدْ طَالَ بِكَ النَّزْفُ
وَأَنْتَ حُشْوَدُ أَقْمَارٍ
فَكَيْفَ يَحْوِزُهَا سَقْفُ
وَأَنْتَ تَدْفُقُ الرُّوْيَا
فَكَيْفَ يَعْوُقُهَا سَجْفُ
وَجَدْرَانُ بَهَا نَفْخُ
بِمَنْتَفِخٍ لَهَا خَسْفُ
وَأَنْتَ حُشْوَدُ هَالَاتٍ
لَهَا مِنْ كَوَكِبٍ كَفْ
تَمَخَّضُ إِنَّ أَيَّامَهَا
تَعَانِيهَا هِيَ الْحَتْفُ
تَمَخَّضُ رُبَمَا أَتَّخَذْتُ
بِكَ الرُّوْيَا الَّتِي تَقْفُو
يُجَسِّدُ عَمَقَهَا وَجْهٌ
لَهَا بِخَطْوَتِهِ زَحْفُ
وَصَدْرُ فَيْكِ يَحْبِسُهَا
كَأَنَّ صَمِيمَهُ كَهْفُ





إذا ارتجأت به أنهارُ
أضالعه كما الجرف
بما تكتظُّ من صورٍ
لها في أحرفٍ رُفِ
وساح الرمل والصخر
بنعماءٍ وهم جفوا
تمخض أيها الحرف
فقد طال بك النُزف





المروج العائمة في الدم

«ماري» سألتك كيف النار والحطب
وكيف أجسامهم يمشي بها اللهب
وكيف لون مروج؟ كيف زخرفها
وكيف كرمتنا والظل والعنب
قالت وفي كأسها خمر مهربة
وفي شعاعات عينيها بدا غضب
تقلصت من هنا أرض إذا انكشفت
كما تكشف عن أشجاره الخشب
ينسل في وجهها جلد ويقعدها
ضعف فتصبح لا لون ولا عصب
وجدت أجمل سيف في متاحفهم
والوجه أجمل من أغصانه الشنب
وهاجر الطير إلا ريشه بقيت
ألوانه كدموع حين تنسكب
منشّرة فوق أغصانه مكسرة
كأنه فوقها ما ينفث القصب
كأنما هو أفكار منشّرة
فوق البيوت كما قد نُشرت كتب
«بيروت» امرأة شقراء نائمة
على الدماء وفي «حمانه» العجب



أبواب السرايب

ألاهِتُ أَنْتَ مِثْلِي حِينَ تَمْنَعْنِي
عَنِ الْوَقُوفِ عَلَى أَمَالِ عِرْقُوبٍ؟
وَهَلْ تَوَغَّلْتَ مِثْلِي فِي مَجَاهِلِهِمْ
وَفِي صَحَارَاهُمْ ذَاتِ الْإِنَابِيِّ؟
تَفَجَّرَ الصَّخْرُ عَنْ مَاءٍ كَمَا زَخَرَتْ
مَرْمُولَةٌ بِسَخِيِّ الدَّفْقِ مَسْكُوبٍ
وَلَا تَزَالُ أَيَادِيهِمْ مُقْلَصَةً
مَقْفُولَةً مِثْلَ أَبْوَابِ السَّرَايبِ
لَا يَفْهَمُونَ كَلَامًا فِي مَخَاطِبَةٍ
وَلَا يَعُونَ اسْتِغَاثَاتٍ لِمَنْهَوْبٍ
تَكْتَضُّ أَعْرَاقَهُمْ مِنْ حَشْدٍ سَائِبَةٍ
وَسَائِبٍ مِنْ حَوَاشِي النَّاسِ مَنْسُوبٍ
بِیْضِ الْوُجُوهِ وَلَكِنْ فِي عِرْقِهِمْ
دُمُ الْوَحُوشِ وَأَخْلَاقُ الْيَعَاسِبِ
يُحَرِّضُونَ عَلَيْنَا كُلَّ سَاقِطَةٍ
وَسَاقِطٍ قَلَقِ الْإِنْحَاءِ مَنْخُوبٍ
عَجِبْتُ مِنْ حَالَةٍ فِي حَالَتَيْنِ لَهُ
يَبْكِي مِنَ الشَّاةِ أَوْ يَسْطُو مَعَ الذَّيْبِ

شعر

يَظَلُّ يَكْتُبُ شَعْرًا مِثْلَمَا عَبَرْتُ
مَخَاضَةَ الرِّيحِ فَوْقَ الرَّمْلِ وَالْمَاءِ
يَظَلُّ يَكْتُبُ شَعْرًا مِثْلَمَا خَرَجْتُ
قَوَافِلُ مِنْ مَتَاهَاتٍ وَأَجْوَاءِ
تَكْتَظُّ فِيهِ السَّنِينُ الْمُثْقَلَاتُ بِمَا
يُحِيلُهُ غَابَةٌ مِنْ مَلَحِ صَحْرَاءِ

مغامرة

وَكَانَ طِفْلُكَ فَوْقَ الْجُرْفِ مَنْطَرَحًا
يَخْوُضُ فِي مَنْخَرِيهِ الرَّمْلُ وَالْمَاءُ
وَكَانَتْ الْأَرْضُ فَوْقَ الرَّمْلِ مَشْرِقَةً
يَدْرُهَا كَنُهْوِ الْبَكْرِ دَرَاءُ

الأنهار والطين

يَظَلُّ يَكْتُبُ شَعْرًا مِثْلَمَا شَهَقْتُ
بِرَاعِمٍ لَمْ تَجِدْ نَهْرًا وَلَا دِيمًا
كَأَنَّمَا الْأَفَقُ مَأْوَى رَاهِبٍ قَنَطَطُ
بِهِ تَرَاتِيلُهُ أَوْ هَيْكَلُ هُدَمَا



كَأَنَّ أَنْهَارَهُمْ وَالطَّيْنَ يَمْلَأُهَا
بَلَا مِيَاهِ جُسُومٍ أَنْهَكَتِ الْمَا
سَوَى سَقِيظِ الْبِنْدَى يَا شَوْقَ بَرَعْمَةٍ
يَرشُ غَصْنَكَ رَشًّا لَا يَبْلُ ظَمًا

المزامير

شَطُوطُ الْهَوَى هَلْ مِنْ مَقَامٍ لِعَابِرٍ
وَهَلْ فِي السَّفُوحِ الْخَضِرِ مَأْوَى لَطَائِرٍ
يُغْنِي الْهَوَى الْمَبْثُوثُ فِي كُلِّ هَاجِسٍ
وَيُعْرِبُ عَنْ نَجْوَاهُ فِي كُلِّ خَاطِرٍ
كَأَنَّ مِيزَامِيرًا دَحْثُهُ وَلَا مَمْتُ
أَضَالِعُهُ أَنْاتُ لَوْحِ الْقِيَاثِرِ
لَوَى شَوْقَهُ شَوْقٌ وَشَدَتْ ضُلُوعُهُ
إِلَيْكُمْ كَأَنِّي غَائِبٌ شَبَهُ حَاضِرٍ
وَمَا زَالَ هَذَا اللَّيْلُ يَرْخِي سِدُولَهُ
عَلَيْنَا وَأَنْتُمْ فَوْقَهُ كَالْمَنَائِرِ
تَشْعُونَ حَتَّى خِلْتَكُمْ مِنْ مِقَابِسٍ
وَتَسْمُونَ حَتَّى لَا تَرَائِمْ نَوَاطِرِي
تَلِينُونَ حَتَّى خِلْتَكُمْ مِنْ أَنْامِلٍ
وَحَاشَى لَكُمْ أَنْ تَصْبَحُوا كَالْأَظْفَارِ



النواحي الأخرى

سَلامٌ على أمطاركم حين تُمطرُ
وللشَّيمِ الأولى التي تتكرَّرُ
تَجَاوَزْتُمُ الإِشْرَاقَ حتَّى كَأَنَّكُمْ
جَوَانِبُ هَذِي الأَرْضِ مِنْ حَيْثُ تُزْهِرُ
مَوَاسِمُكُمْ كُلُّ الفصولِ كَأَنَّكُمْ
رَبِيعٌ تَمَطَّى عامَّةً فَهُوَ أَخْضَرُ
عَجِبْتُ لِهَذَا الشُّعْرِ كَيْفَ وَقُوفُهُ
عَلَيْكُمْ فَيَسْمُو فِي ذِرَامٍ وَيَكْبُرُ
كَأَنَّ نَوَاحِي الأَرْضِ ضُمَّتْ جَمِيعُهَا
إِلَيْكُمْ فَأَنْتُمْ شَوْقُهَا حِينَ تَنْظُرُ
وَفَاضَتْ صَخُورُ الرَّمْلِ مَا تَلَقَّحَتْ
بِأَيْدِيكُمْ النِّشْوَى الَّتِي تَتَقَطَّرُ



عندما تتغير الثياب

وَأَرْقَاهُ قَوْلُ لَهَا عِنْدَمَا التَّقَى
بِهَا عِنْدَ مَاءِ النَّبْعِ فِي زَمَنِ السَّلَامِ
تَقُولُ لَهُ إِنَّا سَنَرْحَلُ مِنْ هُنَا
وَنَهْجُرُ أَرْضَ الْوَرْدِ وَالْعَنْبِ وَالْكَرْمِ
أَلَمْ تَرْنِي بَدَّلْتُ ثَوْبِي بِآخِرِ
وُغَيِّرْتُ مِنْ جُلْدِي وَحَرَفْتُ مِنْ اسْمِي
وَشَاعَتْ بِنَا الْأَشْيَاءُ حَتَّى تَرَكَمْتُ
عَلَيْنَا كَأَنَّا ضَائِعُونَ عَلَى عِلْمِ

الخشب الوردي

سَمِعْتُ صَوْتَكَ مَشْحُونًا وَمُحْتَدِمًا
يَا مَنْ رَأَى الصَّوْتَ مَرْسُومًا إِذَا ارْتَطَمَا
عَبَرَ الْحُدُودَ وَمَا زَالَتْ مَلَامَحُهَا
تَجِيءُ أَوْجَاءُهَا شَوْقًا وَمَا عَلِمَا
كَأَنَّمَا الْخَشْبُ الْوَرْدِيُّ مَا بَرَحْتُ
نَقُوشُهُ وَالزَّجَاجُ الْبِضُّ مَا عَتَمَا
كَأَنَّ مَحَارَةً فِي الْجُرْفِ قَدْ فُتِحَتْ
أَوْ أَنَّ ذَا النُّونِ جَاءَ السَّاحِلَ الْعَتَمَا
تَكْتَنُظُ فِي بَعْضِهَا الْأَشْيَاءَ خَارِجَةً
مِنْ عَمْقِهَا تَقْتَفِي الْإِشْرَاقَ وَالْهَرَمَا



المتنرد

تكأء بها الالوان أن تتوقءا
وتخرج منها مثلما يخرج الصءى
اذا نظرت صارت عيوننا مشعة
وساعا أضاءت عمقها المتلبءا
وأخرجها منها احتدام قنوطها
وخببط فيها الوجود حتى تمرءا
تحياتها إشراقها في سكونها
يؤزخرف فيها وجهها المءورءا
اذا ما اطمأنت خففت من سمائها
دنوا فما أدنى هواها وأبعءا

الاهتءاء باللمس

من أمس أمس وحلم الأرض يخنقه
قاع ويحببه ليل وجءران
كأنما شجر الصفا ف ما وعلت
عروقه واستطالت فيه أغصان
إلا ليصنع منه لوح مشنقة
وأن يقوم لسفاح به حان
يضيع في ربه الأعمى فيألفه
وفي أصابعه عين وإنسان



عندما ينتهيا الصمت

ليس بنا العجزُ كما تَزْعُمُ
ولا بنا الجهلُ كما تفهمُ
لكننا نمارسُ الصُّمتَ كي
ينطقَ فينا في السكوتِ الدَّمُ
نسكتُ للوقتِ الذي ينتهي
سكوُّتنا فيه بما نَكُتُّمُ
الأرضُ نعم الأرضُ لكنها
أكثرُ من نصفِ بها مُظْلِمُ
والشمسُ نعم الشمسُ لكنها
تحرِّقنا حرِّقًا ولا ترحمُ
لو يعلمُ اللائمُ ما لا مَنَّا
يا ليتَهُ يعلم ما نعلمُ

الرغو والوقود

يبقى ويذهبُ هذا الرِّغْوُ والرُّبْدُ
حرفٌ له حركاتٌ حين يتَّقِدُ
تناول الأمدَ الأقصى توغلُهُ
وليس يُوقِفُ من جولاته أمدُ
لأنَّ ما بَرَحْتُ أحلامُ عائشةٍ
مكبوتَةٌ خلف جدرانٍ لها عَمَدُ





عندما يكتب النهر

ولم أرَ قبله نهرًا كئيبًا
كأن ضفافه قلق الخُلع
فهل للنهر كالإنسان شوق
فإن الماء من بعض الدُموع

الحانة القديمة

وتطايرت أضواء نافذة
مسحت كآبة ذلك الليل
من حانة النهر التي بقيت
عند الضفاف قديمة الشكل
أخشابها رسمت ملامحها
أشجارها وكثافة الظل
كانت محط مواسم سلفت
لمعاقرين أتوا هنا قبلي

الشجر الحزين

ولم أرَ قبله شجرًا حزينًا
وأوراقًا كما انكمش الوميض





كَأَنَّ الظِّلَّ قَلَّصَهُ شُحُوبٌ
هَنَّاكَ وَأَعْجَزَ الشَّجَرَ النَّهْوضُ

الدوافع

وَقَلَّصْنَا عَنْهُمْ دِمَاءَ أَبِيَّةٍ
لَهَا رَفْرَفَاتٌ نَحُوكُمْ وَدَوَافِعُ
كَأَنَّ هَوَى الْأَيَّامِ مَالَ إِلَيْكُمْ
فَأَنْتُمْ لَهَا أَحْشَاؤُهَا وَالْأَضَالَعُ

التوهج

تَأْتَقُّ وَاضِحُ الثَّغْرِ النَّدِيِّ
وَأَعْرَبَ عَنْ تَوْقِدِهَا الْبَهِيِّ
كَأَنَّ شَفَاهَا حَمَلَتْ هَوَاهَا
فَفِيهَا مِنْ تَوْهُجِهَا الْخَفِيِّ
تَحْرُكُهَا عَلَى بَعْدِ فَتْئِيدِي
مَسَافَةَ شَوْقِهَا النَّائِي الْقَصِيِّ
إِذَا ابْتَسَمَتْ تَكْشَفُ عَنْ شَفَاهِ
هَوَى يَدْنِي الشَّجِيِّ مِنَ الشَّجِيِّ
تُلْمِمْ ثَغْرَهَا طَوْرًا وَطَوْرًا
تَمَدِّ بِهِ بِمِيتَسَمِ سَخِيٍّ





كَأَن سَكُوتَهُ أَحْلَى إِذَا مَا
تَنَاوَل صَامَتِ الْقَاعِ الدَّجِي
تَشِير بِهِ إِذَا شَاءَتْ كَلَامًا
خَفِيًّا تَحْتَ إِشْرَاقِ جَلِي
لَهُ حَرَكَاتٌ زَنْبَقَةٌ تَمْشِي
بِهَا كَسَلُ النَّدَى الْهَامِي النَّقِي
تَفُوحُ رَوَاحِ الْمَسكِ الشَّذِي
عَلَى سَرَاحَاتِ سَارِحَةِ الشَّهِي
كَأَن زَخَارْفًا تَنْمُو عَلَيْهِ
بِمَحْتَشِدٍ مِنَ اللَّوْنِ السَّنِي
وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ ثَغْرًا صَغِيرًا
لَهُ زَخْمُ الْهُوَى الْعَرِمِ الْعَتِي



الليل والفسق

تجلى الهوى في ثغريها وتأنقا
بأحداقها الوسنى وغنى وصفقا
لقد أشرقَتْ فيها الملامحُ واكتستْ
بما فاض من أعماقها وتدفقا
وكانت قبيلَ الوصلِ إيماءَ حرقه
تلوح بعينيها حريقاً مُحدقا
وبعضِ احمرارٍ في خدودٍ كأنها
صحوٌ دماها العشقُ لوناً ورونقا
وطوقها حتى استحالت من الهوى
غداة التقى الثغرانِ غصنا مطوقا
إذا ما انثنت فاضت صفائرُ سندسٍ
عليها وغطت وجهها المتألقا
وغننت عصافيرُ الحلى بصدريها
فَفَكَّتْ بها صدرا على الغشّ أطبقا
إذا ما انتشت من قبلةٍ مهَّدتْ له
بأخرى وفكَّتْ وجدها فتطَلَّقا
بها فزَعِ العصفورُ حين يرشُّه
سقيطُ الندى في الفجرِ لما ترقرقا



وَمَرَّتْ سَنِينَ وَالْهَوَى يقرعُ الهوى
ومارس من أشكاله وتعمقاً
يلوذُ بها والليلُ داجٍ كأنه
غشاواتٌ نسجٍ كاد أن يتشققاً
بها مسحةٌ من روحه فكأنها
تلاصقه روحاً وجسماً ومنطقاً
ثمَّهْدُ من راحاته وهو متعبٌ
فتفرش حضاناً أو مكاناً للالتقى
بها ولعٌ بالحُلِيِّ والعطر والضحي
وبالليل تدحواه شراباً وفُسْتَقاً





آه عليك يا لبنان

كأَنَّكَ تَذْكُرُ الزَّمْنَ الْقَدِيمَا
و«سَلَمَى» وَالشَّوْاطِيَّ وَالْكُرُومَا
وَمَجْلَسَهَا إِذَا شَاءَتْ خُرُوجًا
فَتُخْرِجُ مِنْ رَوَائِعِهَا رَسْمُوا
بِجَسْمٍ تُومِي الْحَرَكَاتُ فِيهِ
وَيُلْهَبُ فِي تَلْهَبِهِ الْجِسْمَا
لَهَا فِي سِرْحَةِ الشَّاطِي مَكَانٌ
تَعْدُّ بِصَدْرِهَا فِيهِ النُّجُومَا
وَتَنْشَقُّ مِنْ رَوَائِحِهَا عَبِيرَا
كَأَنَّ حَرَكَاتَهَا يَنْزَوْنَسِيمَا
لِعَمْرُكَ إِنَّهُ زَمْنٌ تَوَلَّى
حَمِيدًا تَارِكًا فِيكَ الْهَمُومَا
لَدَهْرِيَّتِ عَصَافِيْرُ الدَّوَالِي
مُخْلَفَةٌ عَلَى الشَّاطِي الْهَشِيمَا
فَلَا شَجَرَ الْكُرُومِ وَلَا «سَلِيمَى»
هَنَّاكَ وَلَنْ تَرَى ذَاكَ النِّعِيمَا
فِيَا لِبْنَانَ يَا شَوْقًا حَزِينًا
نَمَارِسُهُ وَيَا حُبًّا عَظِيمَا
هِيَ الْأَرْضُ الْقَدِيمَةُ قَدْ تَنَاهَتْ
بِهَا الْأَشْوَاطُ فَانْقَلَبَتْ جَحِيمَا



الحارة القديمة

خِلَايَ مُرَّا لِي بِهَا ثَم سَلَّمَا
وَقُولَا لَهَا عَنِّي الَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا
وَقُولَا لَهَا مَا زَالَ يَعشَقُ حَارَةً
وَبَيْتًا لَهَا يَهْفُو لَهُ حَيْثُ يَمَّا
وَقُولَا لَهَا مَا زَالَ يَسْلُكُ دَرَبَهَا
لَعَلَّ يَرَاهَا أَوْ تَرَاهُ فَرِيَمَا
وَقُولَا لَهَا لَوْلَا الْهَوَى مَا تَرْنَمْتَ
قَصَائِدُهُ النِّشْوَى بِهَا أَوْ تَرْنَمَا
وَقُولَا لَهَا أَنْتِ الْهَوَى وَقَصِيدُهُ
وَأَنْتِ كِتَابُ الْحَبِّ جَاءَ مِنَ السَّمَاءِ
أَزَاحَتْ شَفِيفًا مِنْ نِقَابٍ كَأَنَّهُ
عَلَى وَجْهِهَا لَوْنٌ مِنَ الْحَبِّ هَوْمَا
وَحَقَّقْضَاهَا ثَقُلَ الْهَوَى فَتَزَخَّرَتْ
عِبَاءُهَا عَنْ صَدْرِهَا فَتَجَسَّمَا
وَمَا زَالَ الثُّوبُ يَوْمُضُ مِثْلَمَا
تَبَقَّى وَمِيضٌ مِنْ هَشِيمٍ تَضَرَّمَا

الحديث بالأصابع

يظلُّ عبيْرُ الوردِ ما بقي الوردُ
بأغصانهِ أو نشَّرتْ شعرها هندُ
بلى إنها «هندُ» بألوانِها التي
يطلُّ بها ثغرٌ ويفضي بها خدُ
لقد أومات عند الرواقِ وأشرقَتْ
ملامحُها واهتزَّ في صدرها عِقدُ
تُعابِثُهُ قصدًا ويَحسَبُها الذي
به غفلةٌ أن ليس في عبثها قصدُ
حديثٌ لها فيه إذا انسجمتُ به
أصابعها أو أنه لؤلؤٌ يشدو
ولم أرَ عِقدًا قبله في حراكه
حراك هوى لم يكتمل شوطه بُعدُ
ومرَّتْ شهوْرٌ صامتاتٌ خلالها
يراها ولكن لا سلامٌ ولا ردُ
تظلُّ جمالاً ساكنًا ومَلامِحًا
يجول بها من حيث جالَ بها الوجدُ

لقاء في خيمة

أطل علينا كوكبٌ بعد كوكبٍ
تلهَّبَ في أضواءٍ عقدٍ مُذهَّبِ
فمن ها هنا «سلمى» ومن ها هنا «منى»
ومن ها هنا أحداق «ليلى» و«زينب»
تصبُّ لنا هذي كؤوسَ مُدامةٍ
وترقصُ هذي في الرِّداءِ المقصَّبِ
إذا احتركت أكتافها احتراك الشِّذا
وهزَّتْ ضلوعَ الهائمِ المتصبَّبِ
لعمرك ما زال الهوى في خيامه
وصحرائه ذاتِ الفضاءِ المحبَّبِ
بما عبقَّتْ واحاتُها وتناقلتْ
نسائُها من نفحِ شرقٍ ومغربِ
ولم أرَ عقدًا فوق صدرٍ كعقدِها
ولا مثلَ ذاكِ الصدرِ عندَ التوتُّبِ
إذا ما نضتْ عنها القناعُ تلهَّبَتْ
وفاضتْ كنهرٍ في قميصٍ مُحجَّبِ
كأن سلالاتِ الهوى قد تجمَّعتْ
بأعراقِها ذاتِ الدِّمِ المتلهَّبِ
إذا جلستْ صارت زخارفُ كرمه
وفيهما إذا سارت مهابةٌ موكبِ

غزل

كَأَنَّ سَكُونَهَا غَزْلٌ
وَدَفْقُ حَرَكَاتِهَا شَعْلٌ
تَطَايَرَ عَنْ جَوَانِبِهَا
كَمَا تَتَنَفَّسُ الْقُبُلُ
كَأَنَّ خِدَوَدَهَا صَحْفٌ
مُنَشَّرةٌ أَوْ الرُّسُلُ
إِذَا هَدَأَتْ يَضْجُ بِهَا
هَوًى فِي وَجْهِهَا تَمَلُّ
تَحَاوُلُ أَنْ تُثَبِّطَهُ
فَيَغْلِبُهَا فَتَمْتَنِثِلُ
تَلَفَّتْ فِي تَلَفَّتِهَا
لِكُلِّ تَلَفَّتٍ عِلَلُ
يُخْرِجُ وَجْهَهَا خَجَلًا
أَلَا يَا حَبِّذَا الْخَجَلُ
وَفَكَّتْ مِنْ ضَفَائِرِهَا
كَمَا يَتَرَنَّجُ الْعَسَلُ
وَشَعَّتْ بَعْدَمَا اتَّخَذَتْ
وَجْوهُ وَأَنْتَ شَتَّ مُثَلُّ



المفارش الملونة

سلامٌ للمستائرِ والمرايا
وللبوردِ المصقَّفِ في الزوايا
سلامٌ للمفارشِ ناعماتُ
جوانبُها رقيقاتُ التَّكَايا
على العطرِ المثرثرِ في مرشٍ
كأنَّ ثَقْوَبَهُ تَروي حكايا
على ألوانٍ مبخرةٍ إذا ما
أديرتُ خِلَّتَها حملتُ حنايا
حنايا أضلَعٍ تنزوعبيرا
علينا من روائحها بقايا
إذا شاءتْ كلامًا أوقدتها
فأوقدَ وقْدُها فينا الخفايا
كأنَّ ضفائرَ المرجانِ لما
تراءى بعضُها بعضُ الهدايا
تُعابِثُها لِتُخرِجَها فكانت
نوايا خاطبت فينا النوايا
كأنَّ قِنَاعَها لما استطارتُ
غواشيهِ تَساقُطُ كالشظايا



لبنان والأشباح

لبنانُ هل هربتُ عَصافِيرُ الضحى
والليلُ هل خفتت به الاضواءُ
يا حانةَ النهر الصغير ويا رُبِّي
تبدو كما تتجسَّمُ الاعضاءُ
هل رُضَّ نهدٌ تحت صخرةٍ حائِطٍ
قد هَدَمَتْهُ غَارَةٌ شعواءُ
قد صادفوه أعزلاً وتجمَّعوا
من كل ناحيةٍ وهم أعداءُ
من كل أنحاء الذين تألَّبوا
زمنًا تزجُّ شخصُهم أنحاءُ

الأرض والشذى

سرى شراعُ الهوى وهنَّا بشاطيها
وعاد سامرُها يُحيي لياليها
يا أيها الساحلُ النشوانُ ها هو ذا
على ضفافِك نشوانًا يُناجيها
كأنه والنَّدِيمُ السَّمْحُ يُعْجِلُهُ
لا يستطيعُ انصرافًا عن دواليها
يقول ليلتُنَّا في الجُرفِ واحدةٌ
والقلبُ ذو حاجةٍ شتى نواحيها
تميل في كَفَّةِ كَأْسٍ إذا انحرفتُ
سهوًا فُتْسَقَى ثَرَى قد كان يسقيها
لو ينشفُ النهرُ حتى لا صبيبَ له
وأقلعتُ سحبُ امواهٍ فيها
لمَّا شكا الوردُ والتفاح من عطشٍ
كأنما أرضُه ثديٌّ يُغذِّيها
بما تغلغلَ من ماءٍ بها وشذاً
ممَيَّزٌ عن سواه في مغانيها
والأرضُ كالنَّاسِ بعضُ حشوه زيفُ
صفرٌ وبعضُ جنانٍ في تساميتها

الملح والجمر

لقد تسبَّبَ لكن لم يجدُ سببًا
ولابقاءً على حالٍ ولا هربًا
تناول العطشُ الأقصى مواسمَهُ
وقد أتيحَ له نهرٌ فما شربا
لذاك ما عاد يخشى أن ساقيةً
جَفَّتْ وأنَّ سماءً أَمْسَكْتُ سُحبا
بكى الثلاثين والعشرين في زمنٍ
كان الشبابُ جميلاً والهوى عَذِبا
واسترجع الزمن الماضي فأفرحَهُ
بأنه قد تَخَطَّاهُ وقد ذهبَا
هل تُرجع الأربعونَ الحبَّ مُذْ خَسِرْتُ
به الصباياتِ والوجدِ الذي رسبا
بلى فقد تُرجع السبعونَ جُذوتَهَا
في حين نهارُ ذو العشرينَ مُنْقَلِبا
أما ترى النهرَ أقوى من جداولهِ
ولا يُنَشِّفه سكبٌ إذا انسكبا
يا رملةَ الساحل المحضور مشرُّها
لكنها تنبت المرجانَ والذهبَا



ما همُّهُ أَنْكَ المَلْحُ الَّذِي اخْتَلَطْتُ
به المِياهُ وَكُنْتُ الجَمْرَ مُلْتَهَبَا
ما همُّهُ أَنَّهُ التَّائِثُ مَسَالِكُهُ
فإنَّهُ اعتَادَ أَنْ يَرْتَادَ ما صَعُبا
وَأَنَّهُ نَامَ لا شَوْقًا بِذَاكِرَةٍ
كما تَرَيْنَ ولا كَأْسًا ولا حَبِبا
كَأَنَّهُ انْسَخَلَتْ مِنْهُ أَضَالَعُهُ
أو أَنَّ أَعْصَابَهُ قَدْ أَصْبَحَتْ حُشْبَا



أيها القمر

إِنْ كُنْتَ مِنْ حَجَرٍ فَالنَّاسُ مِنْ طِينٍ
يَا رَوْعَةَ الطِّينِ فِي سِرٍّ وَتَكْوِينِ
إِنْ كُنْتَ مِنْ حَجَرٍ فَالنَّاسُ قَدْ جُبِلُوا
مِنْ التُّرَابِ وَلَكِنْ فِي مَوَازِينِ
فَبَعْضُهُمْ طِينَةٌ مَا جَفَّ لِينُهَا
وَبَعْضُهُمْ صَخْرَةٌ فِي نَارِ آتُونِ
وَبَعْضُهُمْ مِثْلُ مَصْنُوعٍ يُصَفِّفُهُ
إِزْمِيلُ ذِي خَبْرَةٍ بِالنَّاسِ مَلْعُونِ
فِي صُورَةِ الْبَشَرِ الْأَعْلَى كَمَا زَعَمُوا
وَمَنْ صَنَوْفَهُمْ صَنَفَ الشَّيَاطِينِ
وَالْأَرْضُ مَا بَرَحَتْ مَا بَيْنَ مَنْسَكِبِ
مِنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ الدُّونِ
تَأْتِي مِنَ الْأَفْقِ كَالنَّشْوَانِ أَوْنَةً
وَتَارَةً مُثْقَلًا فِي حَزَنِ مُحْزُونِ
كَأَنَّمَا أَنْتَ مِثْلُ النَّاسِ يَا قَمَرُ
بِكَ السُّرُورُ وَالْأَمُّ الْمَسَاكِينِ

العطش النشوان

أَنَا قَرِيعُكَ فِي شَتَّى الميادين
ترقى مع الطير أو تندس في الطين
عندي كريحك في عنفٍ وخضضةٍ
كذاك أملك أنفاس الرياحين
كأن ليلاك مهدوم كما هدمت
(بيروت) و(القدس) في عصر الموازين
كأنما الأرض ما عادت لتقبلكم
والأرض كالناس في فحوى وتكوين
تبسّطت وهي من عرش مكسرة
ألواحه وجنازات السلاطين
يا أيها الزمن الآتي لقد وضحت
خرائط منك في هذي الأحيين
يا أيها العطش النشوان معذرة
إذا ارتميت على هذي البراكين
إذا قنعت بمن سوّتك ناحية
منهوبة مثل سيقان المساكين

الدم القديم

أَحَقُّا سَوْفَ نَدْخُلُهَا كَرُومًا
كَأَنَّ ظِلَالَهَا رُسِمَتْ رُسُومًا
أَحَقُّا سَوْفَ نَشْرَبُ مِنْ فِرَاتٍ
وَنَنْشَقُّ مِنْ جَوَانِبِهِ نَسِيمًا
نَجِيءٌ لَهُ كَمَا امْتَدَّتْ ضُلُوعُ
وَنَخْرُجُ مِنْهُ يَحْشُونَا كُلُّوْمَا
أَمَّا وَالدَّائِرَاتُ عَلَى الشَّوْاطِي
وَإِنْ لَمْ تَرَوْا مِنْ عَطَشٍ حَمِيمَا
نَكَادُ نَحْسُ أَنْ لَا لَيْسَ مِنْكُمْ
وَإِنْ كُنْتُمْ بَنَّا الْعَصَبَ الْقَدِيمَا

خطوات النهر

أَلَمْ تَتَسَمَّعِي لَفَاةِ الْعَبِيرِ
وَمَا نَقَلْتُ زَهْوَرٌ عَنْ زَهْوَرِ
أَلَمْ تَتَسَمَّعِي خَطَوَاتِ نَهْرٍ
بِأَشْجَارٍ كَمَنْسَرِحِ الْحَرِيرِ
وَسَاقِيَّةٍ يَغْنِي الْمَاءُ فِيهَا
كَمَنْ كُسِيتْ ضُلُوعُهَا مِنْ طَيُورِ

المحار

لم يبقَ للنار إلا حَرْقُ مُضِرِّمِهَا
والنارُ تَأْكُلُ لا تُبْقِي ولا تَذُرُ
كأنكم من محارِ البحرِ أَكْثَرُهُ
خاوٍ وقلَّ الذي تأتي به الدَّرر

النيل والصندوق

يا (نيْلُ) عادتُ عَصافيري مُنْشِجَةً
أعصابُها وحزِيناتِ المناقيرِ
إنْ كانَ ماؤُكَ عَذْبًا فالهوى عَطَشٌ
والوَجْدُ هاجِرَةٌ في قلبِ عَصْفورٍ
هَبِطْتُ جَرَفَكَ حتَّى كادَ يرفعني
إلى أَعالي الهوى من جانِبِ الطُّورِ
وكدتُ أسمعَ صَوْتَ الليلِ مرتَطِّمًا
وكدتُ أسمعُ أصواتَ المزاميرِ
وكدتُ أَلْحُ صَنْدُوقًا يَضِيءُ بِهِ
طِفْلٌ تَهَادَى معَ الأنسامِ والنُّورِ
تلكَ المقاصيرُ ما زالت وما برحتُ
مَواسِمَ العَشِقِ في تلكَ المقاصيرِ

المهابط الخضر

مَنْ مُعِيدِي إِلَى الضَّفَافِ بِمَصْرِ
عِنْدَ لَيْلٍ لَهُ غَلَائِلُ فَجَرٍ
وَعَيُونٍ كَأَنَّهُنَّ شِعَاءُ
تُ تَرَاءَتْ مَا بَيْنَ زَرْقٍ وَخَضَرٍ
وَنَدِيمٍ لَهُ حَذَاقَةٌ عَصْفُو
رٍ وَكَأْسٍ لَهُ زَخَارِفُ ثَغْرِ
فِي ظِلَالٍ مِنَ الْكُرومِ عَلَيْهَا
عَشُّ طَيْرٍ وَتَحْتَهَا مَاءُ نَهْرٍ
يَجْتَمُ الْحَسُّ فِي مَهَابِطِهَا الْخَضِرُ
رَثَقِيلاً وَيُرْتَقِي كُلُّ فِكْرٍ
مِنْ قَدِيمٍ لَهُ مَلَامِحُ كَنْزٍ
فِي صَخُورٍ لَهَا نَفَاسَةٌ دُرٌّ
وَحَدِيدٌ كَأَنَّهُ يَتَمَطَّى
خَارِجًا مِنْ صَخُورِ كَهْفٍ وَقَبْرِ
يَرْفُسُ الْأَرْضَ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي
كَشَبَابٍ يَهْزُ أَعْطَافَ بَكْرِ

دعوة

أختاهُ قال سيأتي هل أقابلهُ
وهل أسايرهُ فيما يحاولهُ
أختاهُ إنَّ به سرًّا يُخَيِّرُنِي
كأنه السَّحَرُ أو شيءٌ يماثلهُ
لا أستطيعُ انحرافًا عن مسالكهِ
كأنما كلُّ حالاتي تقابلهُ
أختاهُ والسَّنةُ العشرونَ قد كملتُ
والنهرُ تنزفه حينًا جداوله
والأرضُ أن تُركت جفَّت طراوتُها
وقد تهاجرُ عن حقلٍ بلبله
ضجَّت خزائنُ قمصاني بما حملتُ
من الحريرِ رقيقاتٍ غلائله
ما قيمةُ العطرِ لم تُنشقِ روائحُه
والكحلُ ما مارست عشقًا مكاحله
أختاهُ ها هو ذا قد جاء معذرةً
إذا دعاني فإني لا أماطلُهُ

زمن السقوط

أَلَمْ تَرَهُمْ كَمَا انْكَشَفَ الْغَطَاءُ
كَذَاكَ. وَمِثْلَهَا انْحَسَرَ الْغِشَاءُ
تَبَدَّلَ نَهْجُهُمْ فَهُمْ ضِيَاءُ
وَحُورٌ فَكَرَهُمْ فَهُمْ انْتِمَاءُ
وَمَا سُلِبَتْ أَرْضِيهِمْ وَلَكِنْ
يُنَاقِضُ سَاكِنًا فِيهِ الْبِنَاءُ
وَمَا انْهَارَتْ جَسُومٌ مِنْ عِيَاءٍ
وَلَكِنْ بُدِّلَتْ فِيهَا الدِّمَاءُ
فَهُمْ شَجَرٌ يَهَاجِرُ عَنْ طَيُورٍ
وَهُمْ نَهْرٌ يَهَاجِرُ عَنْهُ مَاءُ
يُنَاقِضُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهَاهُمْ
أَعَاصِيرُ وَبَعْضُهُمْ هَبَاءُ
كَأَنَّ دَمَ الْحَسَنِ يَرِيدُ ثَأْرًا
وَتَخْرُجُ مِنْ جَدِيدٍ كَرِبْلَاءُ
إِذَا نَشَفَتْ دِمَاءٌ فَوْقَ أَرْضٍ
فَسَوْفَ يَظِلُّ يَحْمِلُهَا الْهَوَاءُ
إِذَا مَا خَالَطَتْ حَجَرًا جَمَادًا
تَشْعُ بِهَ كَمَا شَعَّ السَّنَاءُ
وَمَا زَالَ الْهَوَى فِي الشَّرْقِ يَسْمُو
وَمَا زَالَتْ تُبَارِكُهُ السَّمَاءُ



فَإِذَا زَمَنُ السَّقُوطِ لَأَنتَ أَسْمَى
وَأَحْلَى أَنْكَ الزَّمَنُ الْمَضَى
وَيَا زَمَنُ السَّقُوطِ إِذَا تَدَاعَتْ
بِكَ الْأَشْيَاءُ أَوْ سَقَطَ الطَّلَاءُ
فَقَدْ صَادَفْتَهَا جَوْفَاءَ حَتَّى
تَكَادَ تَطِيحُ لَوْلَا الْكِبْرِيَاءُ



عروق البر

تقولُ له وقد فرشتُ إليه
بساطًا خلف خيمتها قصيًا
إذا انحرفتُ به الأنسامُ حطَّتْ
عليه ساقها البضُّ الفتية
وكفًّا في أساورها بريقُ
وصوتُ يشبه الهمسَ الشجيا
إذا ما الصيفُ داهمنا خرجنا
نؤمُّ سواحلاً ونرودُ فية
فما زالت عروقُ البرِّ فينا
وما زال الهوى يطويه طية
نحاولُ أن نردَّ هواكَ عنا
فلا نقوى ولا يرتدُّ شيئاً
فقال لها وقد ملأتُ هواهُ
بعينيها، وما كان الخلية
أيا وردَ البراري سوف نأتي
إليك لننشقَ العطرَ الشَّدِيًّا
ويا وردَ البراري قد عشقنا
براريك التي فاضتْ حُلِيًّا
سنطلق من عنان الشوق حتى
نكاد نجسُّ عالمهُ الخفيًّا

الأشجار

بلا موعِدٍ قد جاعني منك هاتِفُ
تضجُ به الأسلاكُ فهي رواجِفُ
لقد جاعني والليل داجٍ كأنه
تلاشى وإلا فهو أسودٌ واقِف
ولست كهذي الريحُ عندي زوابِغُ
ولست كهذا الطيرُ عندي مشارِف
وما هي إلا أنعمُ منك لم تزلْ
لها أنهرٌ في سبختي وروادِف
تردُّ فمي عن بعض قولٍ يسوؤُكمُ
فأنتم لنا بعضُ الهوى وهو ناشِف
وما هي إلا أحرفٌ مثلما انجلتْ
رسوومٌ إذا غطَّت هواها الزواحِف
أعدتم لألواني بهاءَ جمالِها
ولولاكمُ ما الناسُ إلا زعانِف
كأنهمُ الأشجارُ حيث توقفتُ
عن السيرِ إلا ما تهزُّ العواصِف
عجبت لهذا الشوق كم يرتمي على
لظاهُ ويرتاح الهوى وهو لاهِف

المسيية (١)

سأنسى صبوتي وأنام ليلي
ومن قد جاء من بعدي وقبلني
فلست حبيبتي إن رمت حباً
ولست رفيقتي في أي شكل
وجدتك تجهلين الحب حتى
كأنك لا ترين جحيم ويلي
ولا قلقي عليك وأنت نشوى
موزعة بأمسية وليل
لقد سرقوا عقودك وهي ملكي
وقد نهبوا ثيابك وهي غزلي
منشرة على عطش السكرى
كساقية تصب بجوف صلل
أمانحة السكرى كل نهد
ومطلقة الخطى في كل سبل
سلوتك لا لأنك صرت نهباً
لغيري أو محرّضة لقتلي
وليس لأنني عانيت لكن
بلا جدوى ولا زحزحت حملي



ولكنني احترفتُ هوىً جديدًا
وشوقًا آخرًا وقطعتُ جبلي
خسئتِ فلسيتِ من قممي وقاعي
ولا جبلي ومنخفضي وسهلي



المسيّة (٢)

تُحَرِّكُ ساكناتك ساكناتي
وتستلقي سِمائك في سِماتي
كلانا يشتكى عطشاً تَمْطِي
لهاتك واستراح على لهاتي
وتنسكبين كالنهر المدّى
على عطش يفجر لاهباتي
يُعْكَرُ من مياهك وهي صفو
ويخبطُ فيك من كل الجهات
لقد دخلوك من شتى النواحي
على رغم وسدوا نأحياتي
لقد شاهدتُ في أمّ عيني
دمّاً حيّاً بأجسام موات
وأعراقاً زكيّات المجاري
تمخّض عن دماءٍ ساقطات
كنهر لم يجد نهرًا فأمسى
مكأنّا للوحوّل الرّاكدات



مناورات قبل اللقاء

يُبَاطِئُهَا عَنْ مَوْعِدٍ أَسْرَعَتْ لَهُ
لِتَبْلُغَ أَقْصَى وَجْدِهَا وَيُدَاهِنُ
تَكَادِ إِذَا اسْتَرَخْتُ عِيَاءَ مِنَ الْهَوَى
وَفَاضَتْ عَلَيْهَا الْغَامِضَاتُ الْكُوَامِنُ
وَبُدِّلَ مِنْهَا شَكْلُهَا فَتَغَيَّرَتْ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا تَفِيضُ الْمَفَاتِنُ
تَصِيرُ هَوَى نَهْرٍ إِذَا هِيَ لَمْ تَكُنْ
مَوَاسِمَ نَهْرٍ خَاضَهَا وَهُوَ آمِنُ
إِذَا اشْتَدَّ فِيهَا الْوَجْدُ رَنَّتْ أَسَاوِرُ
وَشَقَّتْ ثِيَابُ وَاسْتَجَاشَتْ بِوَاطِنِ
وَأَطْلَقَ مِنْ طَيَاتِهِ الْأَسْوَدُ الَّذِي
لَهُ فَوْقَهَا نَبْعٌ مِنَ الْعَطْرِ سَاخِنُ
يَفِيضُ عَلَيْهَا مِثْلَمَا امْتَدَّ زَخْرَفُ
وَيَنْزُرُ شِعَاعًا وَهُوَ أَسْوَدُ دَاكِنُ
وَحُفَّضَ فِيهَا الْوَجْدُ فَهِيَ حَمَامَةٌ
لَهَا رَفَرَفَاتٌ حَوْلَهُ وَتَطَامِنُ
صَمُوتٌ وَفِيهَا مِنْ غَرَامٍ مَلَا حِنُ
وَيَبْدِي حِرَاكًا شَخْصُهَا وَهُوَ سَاكِنُ





لقاء في بيوت الشعر

خيامُهُمْ على بعدٍ تلوحُ
مُنشُرةً كما ارتفعتُ سطوحُ
لهم في الليل أصواتٌ ونازٌ
كان دخانها مسكٌ يفوح
كان مفارش السُّمارِ أيكُ
على أطرافها طيرٌ ينوح
وغنّى «يا صبا نجدٍ» نديمٌ
ولم تُضغِ له إلا الجروح
وشوقٌ يرفص الأضلاعَ حتى
يكاد بها يطيحُ ولا يطيح
وقلنا أين خيمتها فقالوا
هناك وبيتها العالي الفصيح
تَجِفُّ به مصابيحُ وعشبُ
عليه يستريحُ فتستريح
ترأى أسودُّ الأرجاءِ جهماً
جوانبُه كما انحدرتُ سفوح
وما زالت بيوتُ الشعرِ تزهو
بأهلها كما تزهو الصُّروح





النهر والقلعة

جنازة طير أم حطام سياج
مَلامحهم أم لافتات زجاج
تسلّقت الأوحال هامة نجمة
وغصّت لهأة في دموع سراج
وما زال هذا النهر يرفس قلعة
تعوّق هواء موغلاً بفجاج



وقوف الاشجار

اثْنَانِ مَا تَعَبَا الْأَشْجَارُ وَالْقَمَرُ
مِنَ الْوُقُوفِ وَمَا أَضْنَاهُمَا السَّهَرُ
تُضْفِي الظَّلَالَ عَلَى رَمَلٍ يُحَرِّقُهَا
هَذَا وَذَاكَ مُضِيٍّ وَهُوَ مُنْصَهَرُ
وَتِلْكَ تَحْتَ هُمُومِ الرِّيحِ وَاقْفَةُ
خَضِرَاءُ تَنْفُضُ أَوْرَاقًا وَتَزْدَهَرُ
وَطَالَمَا احْتَطَبُوا مِنْ لَوْحِهَا حَطْبًا
لِنَارِهِمْ فَإِلَى فِي دَفْنِهِمْ أَثَرُ
وَذَاكَ فِي هَالَةٍ لَا الرِّيحُ تَهْفَتُهُ
وَلَا يَبْلُلُ مِنْ أَرْدَائِهِ الْمَطَرُ
تَزَلُّ أَقْدَامُهُ عَنْ مَوْقِعٍ وَقَفْتُ
فِيهِ وَتَصَفَّعُهُ الْأَبْوَابُ وَالسُّتُرُ

الشوق المتلفت

ولمَّا حَجَّبَ «المطلع» درُّ
تخطأه ولاح له «سنام»
تلفت شوقه خلفاً وضجت
أضالعُه وأوقفه غرام
إلى ذاتِ الضفائر أطلقتُها
كعادتها إذا احتدم الهيام
بأعضاءٍ كما انسرحت شظايا
مُنسَّقةً أو ارتفع الضرام
ولما لَوَّحتْ سعفاتُ نخلٍ
على بعدٍ كما حامَ الحَمام
وفاضت تربةً غَدَّتْ هَواءُ
قديمًا رفرفت فيه العظام
وما سكنت ولكن رَوَّضتها
«رباب» عندما جمحت «خُدام»
وما ضَرَّ الهوى أحداً ولكن
نُقيم به وليس له مقام

الدماء المختلفة

يظلُّ يزحفُ فيه الوحلُ واللُّثْقُ
وقد تطامنَ حتى كاد يختنقُ
تراكمت فيه أوجالٌ تجيءُ بها
أعراقُه ومكانٌ فيه ملتصق
يظلُّ خلفَ زواياه كما احتجرتْ
ممروضةٌ أغلقت عن بيتها الشُّق
تكاد تنبت أدغالٌ بلحيتهِ
ومن خياشيمه يُستخرج الورق
كأن أعراقه من هول ما اختلفت
بها الدماء على أعضائه طُرق
أعراقُ مَنْ حوَّلوا ذاك الفتوحَ إلى
نهبٍ وذاك الهدى رزقًا به ارتزقوا
شتى الجسومِ بجسمٍ كيف يجمعهُ
صُلْبٌ ويربطُ من أعراقه عرق
صيدٌ إذا جلسوا عُتِمَ إذا احترقوا
سودُ الفِعالِ وفي أحلامهم نَزَق

شروق

وأشرقَ منها مَعَضْدُ فَأَضَاءَنَا
ورفئتُ ثيابُ فاستجاشَ عبيْرُ
إذا هداَتْ من مشيها أسرعَتْ بها
شؤونُ الهوى تسري بها فتسير
لها دافِقاتُ النهر حين يهرَّةُ
نسيمٌ وعنفُ البحر حين يثور
كأن ابتساماتِ الهوى فوق وجهها
سطورٌ وإشراقُ العيونِ سطور

الصفير

عجباً للرمال تُنبِتُ زهرا
عجباً للصخور تنفثُ عطرا
عجباً للأجاج يمسي مساعاً
بعدها ذاب ملحه فتعرَّى
عجباً للتي أناخت زماناً
في زوايا البيوت خدًا وظهرا
نشّرت شوقها وفكّكت هواها
وأطاحت من حصنها فتفرّى
بينما أنت لا تزال مقيماً
في المكان القديم تُشبهه صفرا



الحديث من خلال الملاح

تَطَايَرْتُ مِنْ عَيُونِهَا الشُّعْلُ
وَأَعْرَبْتُ عَنْ سَكُونِهَا الْمَقْلُ
تَجَسَّدَ الْحَبُّ فِي مَلَامِحِهَا
وَأَشْرَقَتْ فِي شَفَاهَا الْقُبْلُ
يَنْحَرِفُ الشَّعْرُ عَنْ مَوَاضِعِهِ
كَأَنَّهُ يَسْتَحِثُّهُ الْغَزْلُ
كَأَنَّمَا عِقْدُهَا إِذَا احْتَرَكْتُ
أَلْوَانُهُ مِنْ دُمَائِهَا تَمِلُ
كَأَنَّمَا وَالْهَيْامُ يُقْعِدُهَا
وَقَدْ مَشَى فِي عُرُوقِهَا الْكَسْلُ
مَخَابِيءُ الْعَبِيرِ قَدْ فَتَحَتْ
أَوْ الْخَالِيَا أَطَاخَهَا الْعَسْلُ





الليل والثياب الزرق

أَكَاَنَّ اللَّيْلُ لَوْلَا أَنْتَ حَلُوُّ
يَفِيضُ مَشَاعِرًا وَيَسِيحُ نَجْوَى
وَقَدْ مَارَسْتُ قَبْلَكَ كُلَّ لَيْلٍ
فَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ أَبْهَى وَأَضْوَا
تَكَادُ ثِيَابُكَ الزَّرْقَاءُ تَشْدُو
وَلَمْ أَسْمَعْ بِثَوْبٍ صَارَ شَدْوَا
إِذَا انْزَقَلَتْ حَرَائِرُهَا تَرَاءَتْ
لَنَا صُورٌ مِنَ الْأَحْلَامِ نَشْوَى



كأنّي رأيتك

كأنّي رأيتُك لا أذكُرُ
بأيّ مكانٍ كما أشعُرُ
كأنّي تصفحتُ هذي الخدودَ
وهذي العيونَ التي تُسكرُ
وهذي الشفاهَ التي تغتلي
وهذا القوامُ الذي يسحرُ
وهذي الضفירותِ ذاتِ البريقِ
يشبُّ به سكبها الأشقرُ
كأنّ جمالكَ صوتٌ بعيدٌ
ونقشٌ قديمٌ بدأ يظهرُ
يكرِّكُ الشوقُ في خاطري
ويعرِّفُكُ الحبُّ مُذْ ينظرُ
فكيف اختلفتِ كما اختلفي
لقاءَ مَخاضاتِهِ أشهرُ
كأنّ الغرامَ بميعادهِ
يجيءُ فيأمرُ ما يأمرُ
كأنّ الفصولَ لها مثلُها
بأعماقنا والهوى يُثْمِرُ



يَظَلُّ يَلاصِقُ إِحْسَاسَنَا
وَيَكْبُرُ فِينَا كَمَا نَكْبُرُ
كَأَنِّي رَأَيْتُكَ لَا تُنْكِرِي
فَإِنَّ عَيُونَكَ لَا تُنْكِرُ





الديوان الخامس

ذاكرة الآفاق (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٨١م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ٣٤١ ص ٣٨٨.





قصائد عن بغداد القصيدة الأولى

من هذا النهر المتدفق كالأنهار
من هذي الأشجار
من هذي الأحجار
من أرض كانت وطناً للآفاق
وينابيع الاشراف
من أرض كانت تنبض في جسم الشرق
أنقل صوت النهر
وحديث التيار
من بغداد أحدثكم عن شجر يثمر شعراً
وعذارى ينزفن حبراً
وسماء لا يمكث فيها الليل طويلاً
وسواحل تُنبِت طيراً وحقولاً
سأحدثكم عن شوق الأعين..
لما يُصبح شوقُ الأعين شدةً وهدياً
سأحدثكم عن تاريخ
يتحرك ثانياً
يتبلور ثانياً
كسماءٍ تحمل أفقاً مجهولاً



سأحدثكم عن ساقية
تتجمع تحت الأرض لتصبح تياراً
وسيولاً وسيولاً
وكما تتجمع تحت الأرض مياه الأمطار
لتصيرَ عبيراً في الشجر الظمان
خرجتُ بغدادُ كدالية
من أعماق التاريخ الهاجع في رحم الأزمان
خرجتُ كي تجمعَ شملَ الطير..
الهاربِ من شتى القضبان
وتلَمَّ شظايا المصباح المكسور
تعيد حكاية غابات المرجان
من شاهد أرضاً كانت..
أول أرضٍ للإنسان
فهنا القرن الأول..
والقرن الما قبل الأول
وهنا الشجر الأول..
والشجر الما قبل الأول
وهنا الإنسان الأول
والإنسان الما قبل الأول
هذا ما قالته الألوان
ونقوشُ الأحجار
ومخاضات الصور الأولى.



القصيدة الثانية

كحريـرٍ أخضـرٍ كانت أوراقُ الدوحة
كوميضِ صدورِ عصافيرٍ
في موسمِ حبٍّ..
كانت أوراقُ الدوحة
كظهورِ نساءٍ..
كانت أغصانُ الدوحة
كانت تشرب من ساقيةٍ
يعشقها النهر..
وكانت توغل في أرضٍ..
لا تهرم فيها الأشجارُ
وتمد زخارف قامتها
في الأفق كما تمتد الأفكارُ
من شاهد أشجاراً ترسم بالظل..
ومن شاهد أغصاناً
فيها عاطفة الأيدي
فهنا تحت ظلال الدوحة
بجوار الايوان
في كل مساءٍ أسمع نبض الأغصان
وأترجم أصوات الطيرِ



وألوان الشطآنِ
أشرب ينبوعاً لا لون له تحت الإيوانِ
تحت الدوحةِ
بجوار النهرِ الدافقِ كالفرحة.



القصيدة الثالثة

ينهضُ صدرك يا بغدادُ
كبيادرٍ من لؤلؤٍ
وكقوسٍ من فيروزٍ
أزرق
أزرقُ
يدفق نهرك تاريخاً يتدفقُ
وكقاماتٍ وصائفٍ رومياتٍ
يحملن أباريق نبيزٍ
أشجارك ذات الظل الهابطِ
كالشوق الموهقُ
وكأني اقرأ شعراً أستقصي خبراً
في الصخر النازف ياقوتاً
في الشجر الواقف كالأعلامِ
أو القامات المنتصبه
في حركات البغداديات الملتهبة
في لهجة أبناء الكرخ
ونقوش أزاميل البنائينِ
وعمائهم ذات الطيات المنسكبة
في رائحة الأفران..



وفي الحلوى البغدادية
في نكهة عشقٍ
في الألوان الأثرية
في طاقك ذي الأحجار الفنية
تتسامى مثل نياشين
كالرايات البيضاء
تتقوس مثل ضلوع محنية
في أه مقاماتك ذات الأثاث الدينية
في صبغتك الإسلامية
وطموحاتك ذات النوبات العربية
وكأني ألمح في القبة الزرقاء
ومساجدها
وماذنها العباسية
تلك الخيم المنصوبة في الصحراء
وعمائم فرسان
وصحائف قرآن
وكأني أنشق تاريخاً
أسمع صوتاً
يخرج من أعماق الأشياء
بغداد خلاصات الشرق
وأميرته الشقراء



القصيدة الرابعة

سلامٌ على أزهارها حين تُزهَرُ
على نهرها النشوانِ والليلُ مقمرٌ
ومالِبدتُ تلك الضُّفَّافُ كأنها
مشارفٌ غيبٍ يُجتلي حين تظهر
ولم أرَ أرضًا قبلها عتقت بها
قرونٌ على أحجارها تتخمَّرُ
كأن النقوشَ العالقاتِ بصخرها
نقوشُ كؤوسٍ أو نبيذٍ مقطَّرُ
تجاوزته ندمانُ (هارون) فاستقوا
كرومًا ونخلًا أو تخطَّاهُ (جعفر)
تصيرُ الجسومُ الهامداتُ متاربِّيًا
ويمتد نقشٌ في صخورٍ ويكبر
ولما هبطنا ساحة الطَّاقِ رفرقتُ
علينا رسومٌ أو تحرك (قيصر)
وفاجأنا لونانٍ أسودٌ غاضبٌ
وأخبر فيه روعة الدم أحمر
وكانت غصونُ اللوز تعلو كأنها
هتافٌ ضلوعٍ أو أيادٍ تُؤشِّرُ



القصيدة الخامسة

في مقهى الساحلِ
في مقهى الساحلِ
ذي الأشجار التاريخيةِ
والأحجار الصفراء الأثريةِ
خرجتُ زرقَةً عينيها
ذات الأهداب السوداءِ
كطيور الواحات الصحراويةِ
كانت أشجارُ التوتِ
وأشجارُ الرمان وأشجارُ أخرى
تُبرق تحت الأضواءِ
كجِمالٍ تحت هواجسها
كخيامٍ تحت مسارجها
وكأنني أسمع طيرًا يخرج مني
يأيتها
ويقول لها شعرًا
ويناجيها
أه يا ذاتَ العينين الزرقاوين
حزني أثقلُ من صخر سواحلكم
ومسافاتي وقفت





لاَهْتَهُ عِنْدَ خَمَائِكُمْ
وَمَنَا هَلِكُمْ
كَانَتْ تَعْبِقُ رَائِحَةً تُشَبِّهُ رَائِحَةَ النَّهْرِ..
وَرَائِحَةَ الْأَرْضِ..
وَرَائِحَةَ الْأَشْجَارِ..
وَكَانَتْ تَزْخَرُ عَاطِفَةً تُشَبِّهُ عَاطِفَةَ النَّهْرِ
وَعَاطِفَةَ الْأَرْضِ
وَعَاطِفَةَ الْأَشْجَارِ الْخَضِرَاءِ
وَالطَّيْرِ الْخَارِجِ مِنْهُ يَقْرَأُهَا
يَقْرَأُ عَيْنِيهَا الزَّرْقَاوِينَ..
وَيَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ عَصُورِ الْعَشِقِ..
وَكُلَّ لَيَالِي الْعَشِقِ
وَكَانَ الطَّيْرُ الْخَارِجُ مِنْهُ..
يَشْهَقُ عَشَقًا
يَلْهَثُ عَشَقًا
تَحْتَ زَخَارِفِهَا الشَّقَرَاءِ
وَمَلَامِحِهَا الْأَشُورِيَّةِ
فِي مَقْهَى السَّاحِلِ..
فِي مَقْهَى السَّاحِلِ..
ذِي الْأَشْجَارِ الْتَارِيخِيَّةِ
كَانَ الثَّوْبُ الْأَزْرَقُ قِطْعَةً نَهْرٍ
كَانَتْ أَشْرَطَةُ الشَّعْرِ خَلَايَا فَيْرُوزٍ
كَانَ الْخَاتَمُ يَبْرِقُ فِي إِصْبَعِهَا





كهلال العيد..

وكان الوجه الشرقي العربي المتمدّن..

يُومضُ بين تهاويل الشعر المسرف..

في روعته الشرقية

والطير الخارجُ مني يسألها

وتجيبُ ملامحها

والوهجُ الخارجُ منها

والعشقُ الداخلُ فيها

كنسيم رنح جوريه

في مقهى الساحل

في مقهى الساحل

ذي الأشجار التاريخية





القصيدة السادسة

يتطلّع وجهك يأتينا
من خلف حدودِ الرملِ النازفِ..
والشجرِ الأصفرُ
يأتينا وجهك مرسوماً
في النخلِ ومنحوتاً
في الزمنِ الماضي والآتي
يأتينا في رقصِ البدوِ
وشوقِ الريفِ
يأتينا في المطرِ الحاملِ ألوانِ سفوحك..
ذاتِ الأشجارِ الورديةِ
والأحجارِ الأثريةِ
يأتينا وجهك يا بغدادُ حزيناً
وقوياً
وجميلاً يأتينا حيناً
ونجيء لکم
نوباتِ حروفٍ نسكنها
وطناً لا يهرمُ أو تسكن فينا
ونجيء لکم
عطشاً لا تكفيه الآبارُ
ولا ترويه حواصلُ سحبِ الصحراءِ.



النزيف الجديد

كأني امتشقتُ نزيفاً جديداً
سيغسل هذي الوحولَ التي شوهتني
ويمحو الرسومَ التي ضللتني
كأني نسيْتُ الذي قد قرأتُ
وكل الذي قد رأيتُ
هبطتُ الأعالي التي أوقفنتني
وحيداً أمام هجوم التماسيح والكاسراتِ
وكلّ طيورهم الجارحاتِ
لما تصوّت خلفي
لماذا تعالج نزفي
كأني تقوّستُ حتى النصقتُ
ومؤهتُ حتى انحرفتُ
كأني خلعت قشوري
ورميت كنوزي التي أثقلتني

الكلمات الأولى

كانت كلماتك تخترق الأبواب

وتجتاز الجدران

كانت كلماتك تحمل عنف الريح

وأهوال الطوفان

كانت لما كان الانسان

كانت لما كانت صور الأشياء

بلا زيف وبلا أدرا

كانت لكلماتك

تخرج من أحشاء الأرض

وتهبط من ذاكرة الآفاق

وكانت رفرفة العائد

من عمق الأكوان

ورحيلًا يقفو إبحارًا

يتمطى في شتى الشطآن

كانت كلماتك ينبوعًا

يتدفق من وهج الألوان

وحريقًا ما مرّ ببال النيران

كانت كلماتك

لما كان الشوق بلا أحزان

العائد مع الريح

أجيء لكم من الأوّل
من الأرض التي ينمو
بها الصّبير والحنظل
من الشمس التي تثقب في الأرض
تسوي صخرها جدول
أجيء لكم
بلا فأسٍ ولا منجل
بلى عندي هو فأسٍ
ونخوة منجلٍ أعزل
أجيء لكم
بلا سيفٍ ولا درع
ولا فرسٍ أمام قلاعكم يصهل
أجيء لكم من الأفق الذي قد كان
يُغازل رغبة الإنسان
أجيء لكم
جنائز أحرفٍ تصحو
يخالط شكلها الليمون والملح
فيا من ضوءٍ عينيها كما الغمرُ
كما الرمزُ
إلى الآن الهوى ينزو
إلى الآن الهوى يغزو



قراءات الأشياء المختفية

كان الشاعر يا سيدتي
يكتب ما تنشده الريح
يرسم ما ينقشه الظل
كان يراقب أسراب الطير العائد
من غربته
كان الشاعر بدء الكلمات
وصدى الأشياء المختفيه

☆☆☆☆☆

لما هبط الإنسان الساحات المكتظة
كان الشاعر يُنشدهم
ويقول لهم
ما قالت الريح
وجنارة عصفور تبرق في عينيه
وهواء الأرض مسامير
تثقب في رنتيه
حتى جاء القرن العشرون
وجاء الإنسان الآخر
فلماذا يا سيدتي لا
تتغير أشواق الشاعر





الكلمات الأولى

كانت أغنيةً غناها (داوود)

ومازالت أصداء الأغنية الأولى

تغررُ أحرفها في صدر الأرض

☆☆☆☆

هو ذا الشاعر يا سيدتي

يتسكعُ في أبواب المدن المغلوبة

والمنكوبة

ما عاد له ممدوح..

ما عاد له سيف..

ما عاد له درع

☆☆☆☆

أمسى يزحفُ بين العهدين

ينزف بين العهدين

صار الماء

وصار النار

وصار الماء بين

من يرفس خاصرة الشاعر

يلمسُ قلبين



دموع المهرجان

وَتَدْفُقُ فِي عَيْونِكَ أَنْهَرُ النُّشْوَةِ
وَيَهْتَزُّ الْهَوَى
يَكْتَنِظُ فِي شَفَتَيْكَ
فِي أَنْحَائِكَ الْحُلُوهِ
تَنْزُّ بِهِ أَصَابِعَكَ الَّتِي اسْتَرْخَتْ
وَأَعْضَاءَ لَكَ اسْتَلَقَتْ
كَنْهَرٍ لَمْ يَجِدْ مَسْرَى
كَدَالِيَةِ تَخَافُ الطَّيْرَ
حِينَ الطَّيْرُ تَحْتَ ظِلَالِهَا اسْتَذِرَى
وَتَنْحَرِفِينَ مَكْرَهُهُ
لِتَخْفِيَ وَجْهَكَ الْمَشْتَقَ
مِنْ أَعْمَاقِكَ الْآخَرَى
مِنْ الْعَشْرِينَ
تَصْرُخُ دُونَ مَا جَدَوَى
تَحَاوَلْ مِنْكَ لَوْ تَقْوَى
لِمَاذَا تَوْقِفِينَ النُّهْرَ عَنْ مَجْرَاهِ
لَا نَهْرٌ بِلَا مَجْرَى
كَأَنِّي أَقْرَأُ الْمَجْهُولَ فِي عَيْنَيْكَ
وَالدَّفءَ الْمَقِيمَ هُنَاكَ مُحْجُوزًا



وأجمع أدمع المرجان منذ يبكي
أسوي شوقه شعراً
ليحزنني حريق الورد
في صدر كما ارتفعت روابي الصيف
تُكسى روعةً خضرا
ويحزنني دم العصفور
ملصوقاً على الجدران
والأشجار مذُ تعرى
ويقلقني انطفاء اللون في شفة
كمنقارٍ
تكسر فوق أغصان مُكسرة
كلؤلؤة تغوص.. تعود ثانيةً لقاع البحر
ما وجدت لها صدرا



الحبُّ الأعزل

في عينيها حبُّ أعزلُ
في عينيها شوق يسألُ
في عينيها ريحٌ تبحثُ عن منطلقٍ
وتظلُّ تداعبُ شعراً أسودُ
أسود كالغضب المقلُّ
والشوقُ الراءع يكسوها
صوراً أجملُ
تتدفق من أنحاء المرمز
ذي اللون المرسلُ
وتروح تداعب فنجانَ القهوة
ترسم ذو اللون الشاهق
ذو المنزلق الواضح
رغوة نشوه



إلى ليبيا

ليبيا

ليبيا

مازالوا في القرن التاسع

وهواك يشق الأرض

ليبزغ كالقمر الطالع

في أجواء القرن العشرين

ليبيا

ليبيا

يا أمًّا ترفع نهديها

كي ترضع أيتام النكسة

ليبيا

ليبيا

ناديتك والملح الأسود

يملاً حلقي

يدفن حنجرتي

يُغلق أبوابي

ليبيا

ليبيا

من خلف البحر





ومن خلف الصحراء
ناديتك يا ليبيا
يا ذات الشَّعرِ الأسودِ
يا شرقًا يحمل ألوانَ الغرب
ويا غربًا يحمل ألوان الشرق
ليبيا
ليبيا
يا وطنًا لم أَلْسُهُ لم أُنْظُرْهُ لكني
أَتَحَسَّسُهُ
أَتَنْشَقُّهُ
في الورق العائد من تلك الأنحاء
من بنغازي
ومواسمها الخضراء
من أرض الشَّعرِ
ليبيا
ليبيا
وأكرر اسمُكِ يا ليبيا
حتى ترغو أحرفه في حلقي
حتى يغمرَ قاعي
يتسرَّبُ من أطرافي كالأصداءِ





أخطبوط

بشتى الوجوه
وشتى الميول
وشتى القلوب
وشتى الدماء
تعيشُ كأنك كلُّ انتماء
وكل انحراف وكل التواء
فأنت اختراقُ جميع الحدود
وأنت الرجوعُ لشتى الورا
وأنت الترابطُ
أنت التفكُّكُ
أنت التوغلُ
أنت (الخروجُ)
فأنت اختصارُ جميع النوايا
وأنت تناسخُ كل المزايا
وأنت اختصارُ جميع الخطوط
وأنت امتدادُ جميع الزوايا
وأنت كذاك امتدادُ الفضاء





لقاء بلا مكان

إنه لا يحب الوصول..
دعیه هنا تحت عینیکِ
تحت الهدوء السريع
هدوء انتشاءاتِ أعضائك المضمحلة
تحت اللهب العنيف
دعیه هنا تحت عینیکِ
فوق الوسائد ذات النقوش الشهية
فوق امتدادات شعر كما انخرط الظل
بين الرسوم التي تتدفق
من حُمره فوق خديکِ
ها أنتِ بين يديه وبين ارتعاشاته
أنتِ أحلى إذا كنت رسماً يثير انتباهاته
أنتِ أحلى إذا كنت مُنكَّأً
يستريح عليه لهاث انطلاقاته
أنتِ أحلى إذا كنتِ همساً
له نبضات تهز السكينة في ذاته
لا تكوني كؤوساً
فكل كؤوسٍ سيشربها
دون أن يرتوي





لا تكوني طريقاً
فكم قطع الشوق فيه المسافات
لكنه لم يصل
وهي لا تنتهي
لا تكوني ظلالاً
وكوني لهيباً لذيذاً
فكلُّ الظلالِ تغيبُ
سوى اللهب المتطاير من مقلتيك
ومن رعشات الأصابع
ذات النقوش الحديثة
والعطش المنحني



صراخ تحت الثلج

من تحت الثلج ينادي دفنكُ
يا ذات العينين الواسعتين..
من تحت الريح ينادي كهفكُ
يا ذات العينين الواسعتينُ
من تحت الشمس ينادي ظلكُ
يا ذات العينين الواسعتين
من تحت اللاشيء ينادي أشياءك
يا ذات العينين الواسعتين
نادى أمشاطك تَبْرُق كالأقواس
وتخرج من شعرك كالكَفِّ
ونادى عطرك
ينزف من أنفاسك
من ثوبٍ ليلي الأنوالِ
ريفيّ الأشكالِ
لا شيء سوى أن يجثو كالبدوي
أمام النار
أمام نقوش قميصك
ذي الأكمام المنسرحة
وتهاوت كالأجنحة المخلوعة
أسطحهم يا ذات العينين الواسعتينُ

لقاء عند النهر

وعند النهر قال لي كلاماً
أحال سكونها قلقاً عنيفاً
وعند النهر سواها ربيعاً
يرمم من بقاياها خريفاً
وعند النهر طارحها هواً
بحيث ضلوعه صارت نزيفاً
وعند النهر صار لها نديماً
تساقيه الهوى العرم المخيفاً
وعند النهر قابلها
وقبلها
وعند النهر خبأ في ملامحها
رسوماً من ملامحه
وشيئاً من جوانحه
وقال لها
سنقرأ سورة الألوان ثانيةً
وندخل في فصول العشق الثالثة
ورابعةً
نكرر ما نكرر من لقاءات الهوى
الساكن عند النهر ننشق من عطور النهر



وعند النهر حدّثها
عن العطش الذي أمسّ بلا ماءٍ
ومحذوفاً على الصخرة
يترجمُ عن لسان الريح
أو يسري بمسراها
وعند النهر يلقاها
إذا جاءت فصولُ الصيف
يا صيفَ الهوى النشوانَ هل جاءت
وما جاء
وهل جلست بلا أحد كما قالتُ
سوى شوق تمطّأها
فسوّأها
رسوماً ملء ذكراه
فهل مرّ بذكراها
سلامٌ يا سماءَ الصيف في الساحلِ
ذي الألوانِ والنشواتِ
والأعين ذات الصمّت



قبل الموعد

العطشُ المَطْلُ في الملامح السمرَاءِ
والصورُ التي لها مهَابُطُ
في الأعين السوداءِ
قد علَّمَتْهُ الشَّعْرَ والصَّلَاةَ والغِنَاءُ
يا ثَغْرَهَا الصَّغِيرَ يا عيونَهَا الفُضَاءُ
يا شَعْرَهَا الذي له تطاير الأَلْوَانِ
من مخاضة المساءِ
يا عزلة الدماءِ
متى؟
متى ينكشفُ الغطاءُ
عن هذه البيادر البيضاءِ

☆☆☆☆

ويجيء الليل بطيئاً
كحصانٍ أسود
وتجيء عطورك
يدخل صوتك من كل الأنحاءِ
صوتك النهر الباحث عن منبعه



لقاء في العيد

ما جاءه أحد سواها
كان منعزلاً ومحتدماً
وكانت كأسه العشرون جاهزة
لقد كانت مظاهرة من الألوان
كان العيد يخرج من صفائرها
من الثوب الفرنسي
الذي شهقت أعاليه
وكان العيد يضحك
في ملامحها المثيرة
في تصاميم الرداء





شعور تحت العاصفة

أشعرُ يا سيدتي
وأنا تحتَ هديل عقودك
تحت شعاعاتكُ
تحت هطول ضفائرك الشقراءِ
وملامحك البيضاءِ
تحت تدفق أنفاسكُ
ذات الرائحة المشتقة
من رائحة العنب الأسودِ
أشعر يا سيدتي
أني أملكُ كلَّ كنوزِ العالم
كلَّ نساء العالم
أشعرُ أني أتمخّضُ عن شعرِ
صوفي الإيحاء
أشعرُ أني ألسُ عمقَ الأشياءِ
أفهم ماذا خَلَفَ وميضَ الكرز الأحمرِ
كيف يكون العشق لذيذاً
ونبيذاً حتى الإغماءِ
أشعر يا سيدتي
وأنا أتناول من كفيك هداياك





أني أدخلُ عاصمتين
في عينين
في كفين
فيفاجئني عطر الورد
محفوظة قطعة كشمير
كتب الشعر
أول حرف من اسمك منقوشاً
باللؤلؤ مبخرة صفراء
يتظاهر فيها خرز الفيروز الأزرق
كيف أخبئُ أمطارك؟
كيف أفسّر هذا؟
كيف أرد جميلك يا سيدتي؟
كيف أقابلُ هذا الحبَّ الماطر حلوى؟
ولقاءً ينفضنا نفضاً
يا سيدتي
يا أجملَ امرأةٍ
تتحدث عن أشعار العشقِ
وليل العشقِ
ويا أجملَ امرأةٍ
تتهيا كي تمنح حباً
تشعل عينيها
كي تمنح هذا الشوق القابع مرتفعاً
تكتبُ شعراً





لولاك لما كان الشُّعر وكان الشُّعراءُ
ماذا الشعر؟ امرأة
تتكوم في شفيتها
كل كروم الأرض
وفي إشراق نعومتها مُدُنُ خضراءُ
أما عيناها
أما عيناها فهما
آخر أشواط طموحات العشق



سؤال

سألته:

لِمَ لا تخرُجُ من سيفك حيًّا؟
وامتشقت الجسدَ المنسلَّ من زلقةِ خصري
أيها النهرُ الحزينُ القاعُ
هل جرّبتَ بحري؟
لم لا تكتبَ عن لونِ الحريرِ الأسود؟
المنساب كالجدول في أحواضِ صدري؟
والذي استرسل منشورًا
على سرحةِ ظهري
مثلما يكسل جمرٌ. أيّ جمرٍ
لم لا تكتبَ عن لفتةِ أعضائي
إذا ناديتني.. نقرّت عمقي
والرطوبات بدت تسري بوجهي
ثم تسري
لِمَ لا تكتبُ عن عينين عن حوضين
مازالا بلا نزوة نهرٍ
أيها النهرُ الحزينُ القاعُ.. هل جرّبتَ بحري؟

الجواب

شيئاً فشيئاً تخرجين
من كونك امرأة إلى عطشٍ
تغطيه الحرائر والصياغات الحديثةُ
والدم المغلوبُ
يفلت من يدك زمام قلبك
تهبطين الأرض ذات السطحِ
تنسكين بين يديه
يكبح من جماحك
يُطلق العطش الذي استرخى على عينيك
كالعصفورتين طواهما برد المساءِ
شيئاً فشيئاً تكبرينُ
وتهزّ جسمك نشوة العشرينِ
تُطلق من وقوف النهر فيك
ومن لفائفك المعقدة القديمةُ
ها أنت تسترخين كالشجر المحمل بالفواكهِ
تفتحين خزائن التفاح
ها أنت اكتملتِ وصرت خطأً ينحني للأرضِ
بلوراً قديماً.. صرت رائحة الدماء الجاهليةِ
صرت عاطفة حديثة



يا روعة الكشمير رنحه اهتزاز العمق
كيف تساقطت تلك الحراشف
والجلودُ الزرق
فاضَ النهرُ حتى أغرق القرويَّ
كان يزيح عن مسراه أحجارَ الطريق
وعندما اجتمعت منابعه تدفَّق
أيها النهرُ الذي كانت غريزته تشمك
قبل أن تتغامزَ الألوانُ
قبل تمخضاتك
كان يعلم أنك استحدثت عشقًا
أو أتاكَ العشقُ
كان يريد أن يلقاك في الشوق المناسب
كنت أسرع منه
كان النهر فيك تجاوز الشيطان
كنت هوى يفتش عن هوى
كانت عيونك كالبحيرات البعيدة
كنت جاهزة كفاكهة الصباح
كخمرة الأعيادِ
ناعمة كالألوان المفارش
كنت خاتمة النساءِ

☆☆☆☆☆

ويظلُّ هذا الشوقُ يستوحي دماءك
يقرأ الشَّعرَ الذي ما قاله الشعراءِ





يكتبُ عن مصابيح الخفايا والدمِ المحجوز
كالعنبِ المعتق
يسمع فيك أصوات الغيومِ الحمر
تصعد من مخاضات العطاء
ويظلُّ هذا الشوق يستوحي دماءك السمر
وهي ترسم في النواحي السمر
في هذا الحراك الهادئ النشوان
يسمع فيك أصوات المزامير الحديثة
يلمس الصور القديمة
حين تلتفينَ لاهتةً
كما ارتفعت مناقيرُ العصافيرِ الصغيرة
ينشقُّ الألوان
وهي تخرجُ من جوانبك المضيئة
مثلما ارتفع الغناء
عيناكِ سيدة العيون وأنت سيدة النساءِ



العودة

أعود إليك ثانيةً
مع الحرف الذي قد كان يشجيكِ
مع الحرف الذي يهفو
إليكِ إلى ليلالكِ
لبسمتكِ العميقة
للهوى النشوان يهتف في عيونك
في معانيك
أعود إليك لا أني نسييتك
أو هجرتك بل أداريك
لأنك لا تطيقين الهوى العاصفَ
والشوق الذي ينمو
سريعاً في مطاويك
كأنك حين تهترزين من عشقٍ
تفشى فيك.. خبط في مجاريك
كأنك صرت ساقيةً
يرتجها نسيمُ الفجرِ.. إني هائمٌ فيك
أسوي شهقة الألوان في شفطيك أغنيةً
قصيدةً بل أسويك
زخارفٍ أحرفٍ فيها



رسوْمٌ من رسوْمك حين تنسكين لاهتَةً
يسرّحك الحنين العذب يُرخيك
يُمهّد للهوى الموغل في أقصى أقاصيك
أعود إليك يا شوقاً قديماً
أعود إليك لا أدري
لماذا عدتُ؟ كيف رجعتُ؟ لكنني
أحسُّ كأنما عيناكِ تهتف لي
تناديني
وصوتُ اللونِ
والصور التي تنبض في تفاح خديكِ
تناديني
وعنقودُ الحرير الرطب في شعرك - نشواناً -
يناديني
كأنك قد خلقتِ لكي أُحبكِ
أنتهي فيكِ.



حَدَّثِينَا

حدثينا عن مروجِ البرتقالِ
ومياهِ الساقياتِ الخضرِ
والظلِّ الذي تفرشه الأشجارُ
عن جوقِ الصبايا
وأغانيِ العشيقِ عندِ النبعِ
والنحلِ الذي يبني خلاياه
على صخرِ الجبالِ
والهوى الهابطُ فينا
حدثينا

عن مقاهيِ الساحلِ النشوانِ
والليلِ الذي يحرسه النجمُ
وأعناقُ النساءِ
تحت أفياءِ الدواليِ
يتبارينَ صدورًا وعيونا
حدثينا

عن مصابيحِ الكرومِ الخضرِ
عن لطفِ روايكِ
التي يرفعها العشبُ
كاثداءِ الصبايا



حدثينا عن مقاهي النهر
والليل الذي يمضي شهياً وسريعاً
بين ألوان ثياب السهرِ الراقصِ
والطير الذي يهزجُ حتى في الليالي
أه لو تدرين كم نحن نعاني
ما نعاني
نحن حملوا صخور القاع للسفح
وجوابوا الظهيرات الصّوالي





لهات الثوب الأزرق

كان الثوبُ الليلي الأزرق
ينزف من رِقّه
وعيونك توغلُ في الزرقةِ
والصوتُ الخارج من صمّتكِ أقوى
أقوى من كل الأشياءِ

☆☆☆☆

وتطايرتِ الشعلُ الصفراءُ
من أكؤسهم
ضجتُ أضواءُ الأكؤس في أعينهم
واهتزتُ أصواتُ الموسيقى
تُسرع من نشوات سكارى الليل الواقفِ
ليل الحانات المختفيةُ
واللونِ الأزرقِ يومئٍ
يخرجُ من داخله
يتنشرُ فوق المقعد أكوامًا من فيروز





مغامرة تحت الوهج

أحسُّ ما يجول في أبعادك الخضراء
أسمع ما تقولهُ عيونكِ الزرقاء
ألمس ما خبأه التوقُّدُ الشهي
في لفتتكِ العذراء
اقرأ ما لا تقدِرُ الحروفُ
بيانهُ في الشفّةِ الليليةِ الحمراء
أعرفُ يا حبيبتي
أعرفُ ما يدورُ في وقوفكِ الحزين
في الشرفةِ المضاءة
ولحظةِ الإماءة
أعرف حيث تفتحينَ
ستارةً وتسدينَ
ستارةً في حين
تُغلّقُ الأبوابَ
دونكِ والطريقُ
ونظرةِ البوابِ





تنبشني

تستنطق التفاتي المريب

للشرفة المطفاة التي وراء

جدرانها الطير الذي يبحث عن سماء

في هذه الناحية المطموسة الأنحاء

مخنوقة الأمام والوراء

محاذلة كأنها بحر بلا ميناء

ترسو به أشواقنا الحزينة

وهكذا يضرب يا صديقي الحصار

على الهوى وتخنق الأشعار

يقنط طير الحب في صدورنا.. يموت

وخلف هذي الجدر السوداء

تنمو طيور الحب في أجوائها الخضراء

وتولد الأشياء

جديدة عذراء

تستيقظ الأرض التي نامت هنا

منهوكة الأعضاء

منزوفة الأتداء

منهوبة مكشوفة بلا غطاء

يمارس الإنسان

ميوله التي نمت





وانتصرتُ

ومهدت

مهبط الأرضِ إلى مشارف السماء

ونحن في سقوفنا القديمة

نمارسُ الهزيمة

والليلَ والجريمة

نعاكسُ النزوعَ في نفوسنا اليتيمة

حبيبتي هنا الرحيلُ

يصعبُ والبقاء مستحيلُ





الديوان السادس

لبنان والنواحي الأخرى (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٨١م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز ١٩٨٦م: ص ٣٨٩ ص ٤٢٩.







عندما يتقوَّس الجبل

ويسأَلونكَ عن «مَارِي» فقلْ رَحَلْتُ
مع الصُّبَايَا وأَسْرَابِ الْفَرَاشَاتِ
لم تَبْقَ فِي حَارَةِ الْأَزْهَارِ سَاقِيَةٌ
وَلَا طَيُورٌ عَلَى تِلْكَ الشُّجَيْرَاتِ
ويسأَلونكَ عن حَانَ مَقَاعِدِهِ
أَخْشَابُ لَوِزٍ وَنُدْمَانِ الْعَشِيَّاتِ
فقلْ تَقْوُوضُ إِلَّا سَقْفَ دَالِيَةِ
يَرْتَادُهُ قَانِصٌ عِنْدَ الْخُرُورَاتِ
ويسأَلونكَ عن دَيْرٍ لِرَاهِبَةٍ
كَأَنَّ أَحْجَارَهُ بَعْضُ الرُّسُومَاتِ
بِهِ دِنَانٌ نَبِيذٌ كَانَ يَعْصِرُهَا
أَبٌّ لَهَا مِنْ دَوَالِيهِ الْعَرِيقَاتِ
فقلْ تَهْدَمُ ذَاكَ الدَّيْرُ وَانْتَهَكْتُ
دِنَانَهُ بَعْدَمَا كُنَّ الْمَصُونَاتِ
ويسأَلونكَ عن «بَيْرُوتَ» قلْ جَبَلٌ
مُقَوَّسٌ أَوْ فِئْتَانِي الْمَصِيبَاتِ
هَنَا نَوَافِذُ قَرْمِيدٍ مَهْدَمَةٌ
هُنَا حَطَامٌ مُحَاصِيلٌ وَسَلَاتِ





هنا النّواحي التي يبغونها سبباً
إلى التي دخلوها بالخَفَيَّاتِ
جاءوا حديدًا وكانوا قبله فِكْرًا
حَلَّتْ محلَّ العريقاتِ القديماتِ
كالجسمِ يخلعُ أثوابًا مُصَمَّمَةً
له ليلبسَ أزياءَ غريباتِ
والفِكْرُ كالنبتِ إن ولَّتْ مواسمُهُ
فإنَّه بعضُ عيدانِ يَبِيساتِ
وقد يحلُّ نبتٌ بعد يابسةٍ
فالأرضُ من مزجِ أحياءٍ وأمواتِ
كانوا هنا قبل أن يأتوا ولم ترهُمُ
عينٌ وما برحوا في كلِّ مأساةٍ
فهم على الأرضِ أشياءَ نمارسها
وفي النفوسِ جحيمٌ من حزازاتِ
كنّا نمارسُها فينا ونعشقُها
فكيف ننكِرُها في العالمِ الآتي
والشرُّ أقربُّ من شرٍّ وإن حملتُ
بعضُ الشرورِ مفاهيمًا بعيداتِ
وقد يَخْرُكُ ظفرٌ في مصافحةٍ
شوكُ الصَّحارى كَأَشْوَكَ الْجَنَيْناتِ
إذا تمعنْتَ فيما نحن فيه ترى
شرورنا في شرورِ أجنبيّاتِ



الدم المستعار

أَصَامِينَ أَنْتَ نَصْرًا حِينَ تَقْتَحِمُ
وهل يُماشِيكَ عَصْرٌ حِينَ تَنْسَجُمُ
وما انسجأُكَ فِي عَصْرِ يَجِيءُ كَمَا
لا تَبْتَغِي أَنْتَ بَلْ مَا يَبْتَغُونَ هُمُ
فَلا الْوَدَاعَةَ تُجِدِي الْوَادِعِينَ وَلَا
ذُو الشَّرِّ مِنْ هَفَوَاتِ الشَّرِّ مَعْتَصِمُ
وهلْ عَتَادُكَ هَذَا غَيْرُ مَا صَنَعُوا
وهلْ عَلَومُكَ هَذَا غَيْرُ مَا عَلِمُوا
وهلْ دِمَاؤُكَ هَذَا غَيْرُ مَا حَقَنُوا
وهلْ طَرِيقُكَ هَذَا غَيْرُ مَا رَسَمُوا
وهلْ هُمُ كُلُّ مَنْ تَخْشَى؟ وَأَحْسَبُهُمْ
أَقْلَ ظَلَمًا إِذَا قَيَسُوا بِمَنْ ظَلَمُوا
بِمَنْ تَضِجُ شَفَاءً مِنْ مَحَوَّلَتِهِمْ
وَفِي قِرَابِهِمُ الْأَنْهَارُ وَالْدِّيمُ
يُعَالِجُ الْجِسْمَ مِنْ دَاءٍ يَحُلُّ بِهِ
فَمَا الْعِلَاجُ لَجِسْمٍ لَيْسَ فِيهِ دَمُ
دَمٍ مُعَارٍ وَأَفْكَارٍ مَهْرَبَةٍ
كَأَنَّهُمْ أُمَّةٌ مَضْمُونُهَا أُمَمُ

رحيلُ الأرز

سنكتبُ عنك ما بقيتُ حروفُ
تقمّمُصها بنا هذا النّزيفُ
توارث خلفها صورٌ عليها
طيوفُ خُلفها زمنٌ يطوف
كأنّا نقرأ الآتي إذا ما
أُزيحت عنك أو عَنّا السُّجوف
لئن هربتُ طيورُك أو تناهى
ربيْعُك أو أناخ بك الخريف
فإنك بين أونيةٍ وأُخرى
تُشدّب أو تهدّم أو تُخيف
كأن الأرض تبحث عن فضاءٍ
أو إنّ الأرزَ أعياءُ الوقوف
يلوذُ خلاله ذئبٌ وتأوي
تماسيحٌ لشاطئها ألوف
فيا لبنان يا جبلاً حزيناً
على أحجاره جثمَ الكُسوف
ويا شجراً كما ارتفعتُ أيادٍ
مُشنّجةً أو انهارت أنوف
لئن سقطتُ جبالُك وهَي درْعُ
فَمِن أنقاضها طُمّت كهوف



العودة إلى الريح والصحراء

سرى بك الوجدُ أَمْ عَلَتْ بك الفِكرُ
أَمْ أَنْتَ محتشدُ الأعماقِ منفجرُ
وأيّ وجدٍ بجدرانٍ مغلقةٍ
سوى انتظارٍ.. وماذا أَنْتَ تنتظر
وأيّ فكرٍ إذا ما الشمسُ حَرَفَها
مدارُها وانزوى في أفقهِ القمر
تُبَدِّلُ الأرضُ أقوامًا بغيرهمُ
كما يُبَدِّلُ من أوطانهِ البشر
قالوا سنغلقُ أبوابًا إذا دخلوا
وإنهم دخلوا منهم وما شعروا
وصار نهرهمُ أوشالَ ساقيةٍ
لا يُستساغُ شرابًا ماؤها العَكر
عادوا إلى الريح والصحراء ثانيةً
كما يعودُ إلى ذرّاتهِ الحَجر
تَقَرَّحَتْ من مدى أشواطها قدمُ
وكاد يُقعدها الارهاقُ والضُجر
وملّ من سفرٍ شوقٌ يكابدهُ
كَأَنَّ أيامَهُ من هولِها سَفَرُ





من أَمْسٍ أَمْسٍ وما زال الهوى عطشاً
مجازفًا حيث لا نهرٌ ولا مطر
كأنما الريحُ تقتاد السَّحابَ إلى
أرضٍ وتَرجِمُ أخرى فَهِيَ تندثر





رماد الفوانيس الخضر

محاصرة «بيروت» كيف تراها
وكيف ترى أشجارها ورباها
ونافذة كانت على السّفح كلّما
دجى الليل شَعَّتْ نجمةٌ وسماها
إذا سكتت أطيّارُهُ عزفتْ به
سواقِي الهوى أو نسمةٌ وشذاها
ومقهى بواهِ هابطٍ تحت صخرةٍ
لها فجوةٌ لا تُهتدى بِسواها
فوانيسُها في كلِّ آنٍ مشعةٌ
وأوقائُها في ليلِها كُضْحاها
ملاذُ نَدامى تقتدي بوجودهم
وتلمح فيهم فكرةٌ ومداها
ومجلسُ «سلمى» في العشّيات عندما
تصبُّ «سليمى» كأسها وهواها
لديها دنانٌ من نبيذٍ وغرفةٌ
مِن الصخرِ قد سوّاهما أبواها
وساحةٌ بيتٍ طرّزتها مفارشُ
من الورد ينمو في شقوق حصاها





الأرض تجدد أثوابها

وقبلَ أن تخرجوا من كهفكم خَرَجْتُ
لَكُمْ رَوَائِحُ أَمْوَاطٍ بِأَحْيَاءِ
تَعَفَّنَتْ فِيكُمْ الْأَفْكَارُ وَانْحَرَفَتْ
شَخُوصُكُمْ فَهِيَ ظِلُّ النِّجْمِ فِي الْمَاءِ
هَـا أَنْتُمْ الصُّورُ الْأُولَى مَكْرَرَةً
وَمَا تَبَدَّلَ فِيكُمْ غَيْرُ أَزْيَاءِ
مُكْرَّرُونَ كَأَنْصَابٍ يُهْدَمُهَا
فَأَسْ وَيَجْمَعُهَا إِزْمِيلُ بَنَاءِ
يَصُوغُكُمْ مِثْلَمَا شَاءَتْ وَقَاحَتُهُ
مِثْلَ الْمَسَاحِيقِ فِي تَلْفِيقِ شَمِطَاءِ
كَأَنَّمَا الشَّرُّ مِيرَاثُ تَوَارَثُهُ
أَهْلُ الشَّرِّ لَأَحْفَادٍ وَأَبْنَاءِ
لئن خَرَجْتُمْ عَلَى أَطْوَارِ طِينَتِكُمْ
أَوْ انْحَرَفْتُمْ فَإِنَّ النَّارَ مِنْ مَاءِ
وَإِنَّهُ الزَّمَنُ الْآتِي يَجِدُّهُ
فَكُرٌّ يَجِيءُ بِأَشْيَاءٍ وَأَشْيَاءِ
مَا عَادَتِ الْأَرْضُ تَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكُمْ
بِهَا مَسَافَةٌ شَبِيرٌ دُونَ أَعْدَاءِ





وَالْأَرْضُ تَلْبَسُ أَثْوَابًا وَتَخْلَعُهَا
كَمَا تَبْدُلُ أَفْيَاءَ بِأَفْيَاءَ
كَأَنَّمَا هِيَ مِثْلُ النَّاسِ يَرْفَعُهَا
فِكْرٌ وَيَخْبُطُ فِيهَا خِبْطُ عَشَوَاءَ



عندما تتغير الاشياء

به من دواعي الهجر ما برّر الهجرا
وأكبر شأن الصبر فاستصغر الصبرا
وكان يعاني الصمت والجهر مرة
فلم تفهموا صمتاً ولم تسمعوا جهرا
إذا مال فيه الشوق مالت خدودكم
صدوداً وإن يهفو لكم زدت هجرا
وكنتم إذا ما الأرض شذ ربيعها
وصارت كباقي الضحل من خلتها نهرا
أويننا لظل أخضر من ظلالكم
فسيح ونلنا من مواسمكم يسرا
تغيّرت الأشياء فيكم فغيّرت
قلوباً تراءت في ملامحكم صخرا
سنرفضهم رفض الاظافر عندما
تطول وبئس الكف إن أصبحت ظفرا
إذا كانت الأشياء تأوي لبعضها
إذا اتفقت فالفكر ملتمس فكرا



هكذا خلقوا

البعضُ يأكل بعضًا.. هكذا خُلِقوا
ومطبقونَ على ضدِّ إذا اتفقوا
تهتَرُ أعطافُهم لينًا إذا حَضَرُوا
وواقفونَ على شرِّ إذا افترقوا
كأنما الريحُ في أقدامهم سكنت
أو أنهم فوق ما تَسْتَوِعِبُ الطُّرُق
لا ينتهونَ إلى شيءٍ إذا ابتدأوا
وإن أقاموا على حالٍ لهم زهقوا
مالوا إلى السِّلْمِ لم يدروا كم اختبأت
تحت السلام جروحٌ وأنطوت حُرُق
والحربُ نوعانٍ.. أفكارٌ مجنونةٌ
ساحاتُها الحبرُ والأقلامُ والورق
بلا دماءٍ.. وأخرى لا يمارسُها
إلا الذين إذا ما صمَّمُوا صدقوا
لا فيهِم حبٌّ أوطانٍ لينتفضوا
ولا بهم شوقٌ إنسانٍ لينطلقوا
قد أخرجوهم وفي أعراقهم سكنوا
وأدخلوهم بهم أو فيهم التصقوا



شَرُّ مِنَ الْعَالَمِ الْآنَ وَإِنْ قُبِلْتُ
به المقاييس ما قاسوا وما اعتنقوا
تموت أعمارهم في أفقها وعلى
قبورهم كادت الأفاق تختنق
فكم جنازة نجمٍ راح يُؤيِّدهُ
قومٌ إذا ما استضاءوا تحته احترقوا
ما زالت الصبغة الأولى بهم فهمُ
وحشٌ إذا احترقوا جنٌّ إذا نطقوا
عُمِّي إذا سلکوا غولٌ إذا امتلكوا
وصامدون وفي أفكارهم قلق
تباعدا الزمن الماضي فقرَّبَهُ
بأنه ما كت فيهم ومُتَّفَق





لبنان والزيتون والعنب

قد كنت أوسع من أرضٍ نضيقُ بها
والآن تحملك (السَّلاَتُ والعُلْبُ)
ذكَرَنِي لَيْلُ «مَارِي» حين تشعلهُ
عيونها الزرقُ وأقداحها الشُّهب
كأنما الشجرُ الرِّيانُ إن يبستُ
به الجذورُ وشابتُ أورقَ الخشب
يكاد يزهر حتى الحقد والغضبُ
على سفوحك والآلَمُ والسَّغْبُ
كانت روابيك أشجارًا يلوذُ بها
طيرٌ وترقُلُ في أفاقها السُّحب
ونافذاتٍ كأكمالٍ مفتحةٍ
يكاد (قرميدُها) من روعةٍ يثب
والآن أنت متاريسٌ معبأةٌ
بالموت يُلهبُ وديانًا فتلتهب
صارت خيامًا شجيراتُ الهوى وغدتُ
طيورها بعد ذاك الشَّدوِ تنتحب
وللطيورِ دموعٌ لا تسيلُ كما
للوردِ حزنٌ ودمعٌ كاد ينسكب



الأيام القديمة

حَدَّثِينَا يَا خُدُودَ الْبَرْتَقَالِ
عَنْ شَذَا الْأَرْضِ وَأَوْفِيَاءِ الدَّوَالِي
وَعَنِ اللَّيْلِ وَأَقْمَارِ الْهَوَى
وَالنَّهَارَاتِ الْفَسِيحَاتِ وَالظُّلَالِ
وَالسَّوَاكِي حِينَ تَبْدُو فِي الدَّجَى
مَشْرِقَاتٍ فِي بَسَاتِينِ الْجِبَالِ
حَجَرٌ يَنْزِفُ أَلْوَانًا فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ لَوْنًا فَأَلْوَاخُ خِيَالِ
وَسَفُوحٌ كَظُهُورٍ سَجَدَتْ
خَاشِعَاتٍ فِي مُحَارِيِبِ الْجَمَالِ
يَنْبُتُ الزَّهْرُ بِأَلْوَاخِ بَوَالِ
وَالضُّحَى يَغْفُو وَيَصْحُو فِي اللَّيَالِي
كَيْفَ حَالُ الْجَبَلِ الزَّاخِرِ فِي
شَبِّهِ سَوَاقِينِ خَلَايَا وَسَلَالِ
وَالشَّبَابِيكِ عَلَى تِلْكَ الرُّبَى
وَالْعَصَافِيرُ وَالْأَوَانُ التَّلَالِ
يَتَبَارَى الْوَرْدُ فِي أَشْكَالِهِ
وَتَخْطَى كَوْنَهُ فَهُوَ لَأَلِي



كادت الأفاقُ شوقًا تنحني
لسفوحٍ حملت شوقَ الأعالي
فأجابت: ما رأينا ما ترى
ربما كان بأيامٍ خِوال



وماء البحر للحوت

جاءت وفي ثوبها ألوان بيروت
في الصيف بين ظلال التين والتُّوتِ
جاءت مهاجرة الأحزان تاركةً
رحابَ بين من القرميد منحوتِ
وساحة الرقص في أطراف حارتها
والراقصين وأضواء الحوانيت
كأنها خرجت من موجة قذفت
بها الرياح بشيطان العفاريت
تطفو على وجهها الشرقي عاصمةً
منهوبةً وصراخ شبه مكبوت
كأنها حملت ألام قريتها
لما استبيحت وطابور التوابيت
لو تستطيع لسوّت من تشرُّدها
كل انحراف على كل الطواغيت
جاءت وحالاتها توحى بفلسفةٍ
قديمة وقضاءٍ شبه موقوت:
الأفق للبان والأرضون أجمعها
مُلِكُ الذئاب وماء البحر للحوت

أهَذَا أَنْتِ

أَهْكَذَا أَنْتِ لَا عَهْدٌ وَلَا زِمٌّ
إِذَا امْتَحَنْتِ وَلَا فِكْرٌ وَلَا قِيَمٌ
مُضِلٌّ مِثْلَمَا شَاءَتْ طَرَاوُتُهُ
إِذَا اسْتَقَامَ طَرِيقُ زَلَّتِ الْقَدَمُ
أَوْ اسْتَجَاشَ بِهِ فِكْرٌ أَكْبَلَهُ
ظَلْهُرٌ وَإِنْ شَاءَ قَوْلًا لَمْ يُطْعَهُ فَمِ
فِي جِسْمِهِ أُمٌّ شَتَى قَدِ اخْتَبَأَتْ
بَعْضُ تَمَوْتُ وَبَعْضُ هَدَّهَا الْهَرَمُ
شَرٌّ مِنَ الْفِكْرِ مِنْهَا وَملْتَصَقٌ
دَمٌّ يَخَالِطُ فَخَوَاهِ دَمٌّ وَدَمُ
وَمَا دَفَاعُكَ عَنْ أَرْضٍ نَهَبَتْ بِهَا
إِنْ سَأَلَهَا أَيُّ هَذَا الْمُتَخَمُّ النَّهْمُ
تَعَقَّنَ الطَّيْنُ فِيهَا وَهُوَ مِنْ عَبْقٍ
وَسُمِّمَ الْمَاءُ وَهُوَ الْبَارِدُ الشُّبْمُ
وَكَيْفَ تَدْفَعُ عَنْ شَرٍّ أَتَيْتِ بِهِ
وَكَيْفَ تَثْنَأُ عَمَّنْ فِيهِ مُتَّهَمُ
كَأَنَّ نَفْخَكَ جِدْرَانُ قَدْ انْتَفَخَتْ
وَقَدْ يَطِيحُ جِدَارٌ حِينَ يَحْتَدِمُ



إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ مِنْ عَيْشٍ زَخَارُفُهُ
فَإِنْ بَعْضُهُمْ يُرْضِيهِمْ الْآلَمُ
تَفَتَّقَتْ فِيهِ أَفْكَارٌ وَأُخْيَالَةٌ
لَمْ تَسْتَطِعْهَا لَذَائِذٌ وَلَا نِعَمُ
لَسَوْفَ تَعْلَمُ يَا هَذَا وَإِنْ رُفِعَتْ
مِنْكَ الشُّرُورُ بِأَنْ الشَّرَّ مُنْهَدِمٌ





المنتفخون

أَلَمْ تَرَهُمْ كَمَا انْهَارَتْ صَخُورٌ
وَكَانُوا مِثْلَمَا ارْتَفَعَتْ نَسُورٌ
أَلَمْ تَرَهُمْ كَمَا انْكَمَشَتْ سَمَاءٌ
تَفَرُّ بِلا هُدًى مِنْهَا الْبَدُورُ
لَقَدْ شَاهَدْتُهُمْ أَنْقَاضَ لَيْلٍ
يَحَاوِلُ أَنْ يَنْيِرَ وَلَا يُنِيرُ
تَرَمَّدَتِ النُّجُومُ بِهِ وَدَبَّتْ
عَقَارِبُهُ وَأَوْقَفَهُ مُصِيرُ
رَأَيْتَهُمْ كَمَا انْتَصَبَتْ أَفَاعٍ
إِلَى لَدَغٍ أَوْ انْقَضَتْ شُرُورُ
وَمَرْتَفَعِينَ مَا ارْتَفَعَتْ أَيَْادُ
إِلَى بَيْعٍ أَوْ انْخَفَضَتْ ظُهُورُ
وَقَدْ سَقَطُوا قُبَيْلَ سَقُوطِ أَرْضٍ
وَإِنَّ الْأَرْضَ مَا زَالَتْ تَدُورُ
وَقَدْ تَتَغَيَّرُ الْأَشْيَاءُ إِلَّا
قَوَاعِدَهَا وَكَيْفَ غَدًا تَصِيرُ
وَيَنْتَجِعُونَ مِنْ شَتَى السَّوَاكِي
وَتَظْمَأُ فِي هَوَاجِرِهَا الصَّقُورُ





كَأَن بِنَهْرِهِمْ عَطَشًا قَدِيمًا
سَيَشْرَبُهُمْ وَفِي دِمْهِمْ سَعِير
رَأَيْتُهُمْ بِشَطْطَانٍ وَلَكِنْ
يَكَادُ يَجْفُ مِنْ عَطَشٍ ضَمِير
فَلَا (سُعْدَى) يُصَانُ لَهَا عَفَافُ
وَلَا تَحْمِي صَوَاحِبَهَا الْقُصُور
رَأَيْتُ تَنَاقُضَ النُّزَعَاتِ فِيهِمْ
إِذَا اخْتَبَرُوا.. وَمَنْ أَيْنَ الْخَبِيرُ؟
رَأَيْتُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ تَطْفُو
كَمَا تَطْفُو عَلَى الْوَجْهِ الْبُثُور
رَأَيْتُ تَمَخُّضَ الْأَفْكَارِ لَكِنْ
بَلَا فِكْرٍ وَإِحْسَاسًا يَثُور
لَعَمْرُكَ لَيْسَ مَا صَنَعْتُ أَيَادٍ
وَلَكِنْ مِثْلَمَا صَنَعَ الشَّعُور
تَرَكْتُ الرَّمْلَ وَهُوَ فَرَّاشٌ وَرِدٍ
وَبَحْرًا لَا تَضَاهِيهِ الْبُحُور
تَرَكْتُ سَوَاحِلًا يَنْمُو هَوَاهَا
كَمَا تَنْمُو عَلَى الشَّجَرِ الزُّهُور
تَرَكْتُهُمْ لِأَسْكَنْ فِي أَنْاسٍ
كَأَنَّهُمْ الْكَهَوفُ أَوْ الْقُبُور
ظَوَاهِرُهُمْ تُنَاقِضُهَا الْخَفَايَا
وَأَكْبَرُهُمْ كَمَا انْتَفَخَ الصَّغِيرُ





وَأَعْظَمُهُمْ بِحَيْثُ تَبَاعُ أَرْضُ
وَتَهْرَبُ مِنْ مَنَابِتِهَا الْجُذُورُ
وَمَنْ قَدِمَ يُبَاعُ النَّاسُ حَتَّى
كَأَنَّهُمْ لَهَا السُّوقُ الْكَبِيرُ

وخففه إنه المثلث

بهذي الحروف وما تحمل
وهذي الرسوم وما تنقل
جحيمكم أيها الواقفون
كانهم شجر يذبل
فلا عجب أنكم غاضبون
ومنه بأفواهكم حنظل
ومنه بأكبادهم كالغليل
ومنه بأجسامكم دمل
وقد أذهب الهم عن قلبه
وخففه أنه المثلث
أيا بشرًا صيغ من ظلمة
كانكم الزمن الأول
ويا عالمًا لم يزل ماكنًا
ويسلكه آخر منقل
لأنتم سلال من حرقوا
وأنتم بقيات من بدلوا
وأنتم جميع عصور الظلام
سيحرقها الزمن المقبل
كانكم عطش ماكن
إذا رحل الجد لا يرحل

نزيف في كوكب

يسيحُ دُمُ العصفورِ في جوفِ عقربِ
وينزفُ نهدٌ فوقَ نابٍ ومخلبِ
دعيني أسامرُ من شُجوني كواكبًا
كأنِّي من أشجانِها نَزفُ كوكبِ
ألا إنني أنحاءُ صدرٍ تشعَّبتُ
نواحيه في أنحاءِ دربٍ مُشعبِ
فلا عجبٌ مني إذا صرتُ جُذوةً
تلهَّبُ أو مارسَتْ عنفَ التلهبِ
بكيْتُ على الأشجارِ لما رأيتها
تعاني همومَ البائسِ المتعذبِ
كساها ذبيحُ الطيرِ ريشًا فبدَّلتُ
ملامحَها من نثرهِ المتخضبِ
ونَحْتُ مع الأنهارِ لما توقَّفتُ
عن السيرِ أو ضاعتُ ببيداءٍ سَبَّسبِ
لقد بدَّلوا ما بدَّلوا من جلودِكم
كلوحِ سفينِ عالقاتٍ بطحلبِ
عروقُهُم مثلُ الصَّلالِ تفرَّعتُ
بأجسامهم ذاتِ الدَّمِ المتقلبِ



هواياتهم دفنُ النجوم وحشُرُها
بمنعزلٍ أو يخبطون بِغَيِّهَب
هواياتهم أن يسرقوا الأرض كُلَّها
وأن يحذفوا الإنسان في كُلِّ مذهب



العطش وأنهار الملح

فَرِحُوا أَنْ صَيَّرُوهُ عَطِشًا
لَمْ يَجِدْ مَاءً وَغَلُّوا السُّحْبَا
هُوَ ذَا يَنْزِفُ فِي خَلْوَتِهِ
مِثْلَمَا يَنْزِفُ صِلَ عَطِيبَا
وَاسْتَجَدَّتْ أَحْرَفُ لَاهِبَهَا
بِعَدَمَا كَانَتْ هَشِيمًا حَطِيبَا
وَيَلَاكُكُمْ مِنْهُ إِذَا مَا احْتَرَكْتُ
سَاكِنَاتٌ فِيهِ فَضَّتْ حُجْبَا
وَاسْتَدَارَتْ نَحْوَكُمْ أَضْلَعُهُ
مِثْلَ قِلَاتٍ وَاجِدَاتٍ سَبِيبَا
قَصَبٌ أَنْتُمْ يِلَاقِي ضَرَمًا
وَرِيَاءًا.. مَا أَذَلَّ الْقَصِيبَا
إِنْ يَكُنْ أَفْرَاحُكُمْ أَنْتُمْ
تَشْرِبُونَ الْمَاءَ صَفْوًا عَذِيبَا
وَلَكُمْ أَكْوُسُكُمْ فِي لَيْلِكُمْ
شَهْبٌ رَاحَ تَحْتَ الشُّهْبَا
وَالْجَسُومُ الْأَجْنَبِيَّاتُ الَّتِي
حَرَفَتْكُمْ فَأَنْقَابَتْكُمْ أَنْوَبَا



فَلَقَدْ عَاقَرَهَا قَبْلَ الْكُفِّ
وَرَأَى فِيهَا وَفِيكُمْ عَجَبَا
نَهَيْتُوَا جِنْسَهُمْ قَبْلَ الْكُفِّ
وَأَحَالُوْكُمْ لِنَارٍ لَّهَبَا



دم على السفوح

بَكَ الْقَدِيمُ يَلُوحُ
صَالِيْبُهُ وَالْمَسِيحُ
وَفِي رَوَابِيْكَ أَفْقُ
لَهُ مَدَاهُ الْفَسِيحُ
لَئِنْ تَهَاوَتْ حَطَامًا
نَوَافِذُ وَسْطُوحُ
وَبَلَّ الْوَرْدَ فِيهَا
دُمٌ وَضَجَّتْ سَفُوحُ
وَأَتَعَبَ النِّجْمَ لَيْلُ
بِهِ تَخْضِيءُ الْجُرُوحُ
فَالْأَرْضُ تَخْلَعُ عَنْهَا
ثِيَابَهَا وَتُزِيحُ
وَهَلْ تَبْقَى شَمُوحُ
وَهَلْ تَبْقَى طُمُوحُ
وَهَلْ تَبْقَى مَكَانُ
يَعِيشُهُ مُسْتَرِيحُ



قد كان ما كان

لم يبقَ إلا البقايا
منها وإلا الحكايا
قد كان ما كان.. وردُّ
وحانلة وتكايا
وشاعرٌ ريتل ظلي
عشقاً بإحدى الصبايا
عيونُها من شروقِ
وجسمُها من مرايا
سَقَتْ هَواهُ لِحُونِنا
وأنبتت فيه نايا



بيروت الشقراء المتلهبة

لأنّ ما برحت شقراء لا عجا
«بيروت» تحترق النيران واللهبا
كانت مهياة الوقتين مشرقة
شقراء نعصر من إشراقها الذهبا
كانت دهاليز عشاق وأروقة
تومي لختب يطبغى له سببا
كانت مرابض بحار إذا قذفت
به الرياح رآها ساحلا عجا
كانت وكان الهوى فيها فائقلها
صدر أناخ له ظهرا لمن ركبا
صدر إذا عانق العشاق خدشه
ظفر وطشّر نهديه لمن شربا
«بيروت» أنت «حزامنا» التي نهبوا
حليّتها وأباحوها لمن نهبا
من قال عن شقرة فيها: لقد ذهب
ولم تزل لهبا بل لم تزل غضبا
قد لقح الخدر الموروث في دمهم
وأشعل النار في ظلمائهم وخبا





أَكَادُ أَقْرَأُ فَيْكَ النَّارِ سِيدَتِي
وَاسْتَشْفُ بِهَا الْآتِي وَمَا احْتَجَبَا:
«بَيْرُوتُ» إِنَّ نَجَاهُمْ لَيْسَ يَكْشِفُهُ
نُورٌ وَلَا سُلْمٌ لِلْأَفْقِ قَدْ ذَهَبَا
سُوى لَهْيَبِكَ يَا نَارًا مَقْدَسَةً
شَقَرَاءَ تَصْنَعُ مِنْ أَعْضَائِهَا حَطْبَا



لبنان الملوّح

قالتْ هجرُنا التَّينَ والزيتونا
والزَّخراتِ بلابلاً وُغصونا
والدالياتِ النَّاشراتِ ظلالها
والحاضناتِ الوردِ والحسّونا
كانت روايينا تضحُّ خمائلاً
مأنوسةً ومشاتِلاً وعيونا
هبطتْ بها كلُّ الطيورِ وحلَّقَتْ
فيها قلوبُ العاشقين سنيّنا
لبنانُ قيسُ آخرُ في شرقِنا
ترك الهوى والعشقُ فيه جنونا
فكأنّه كفَّ تغوصُ بها أظْلا
فرُّها وجرحُ يزرع السّكينا
جبلٌ حزينٌ إن أفضَحَ صورةً
جبلٌ تراه مهْدماً وحزينا
كُسيَتْ به الأشجارُ ريشَ طيوره
فتكادُ تسمع للصخورِ أنينا
قالتْ ولو سكتتْ قرأتْ بوجهها
صوراً قرأتْ وراءها المكنونا



كانت هوىً يبكي وما أقسى الهوى
لَمَّا يَكُونُ مَشَرَّدًا مطعوناً
شاهدتُ «بيروتاً» تنوحُ بجسمِها
وسمعتُ في آهاتها «حمدونا»
مدنُ بامرأةٍ تنوحُ وعالمٌ
سكن الملامحَ فاستحالَ شجوناً





ذكرى عشيّات التلال

متى نلقاك يا عنب الدوالي
ونسْتَذري بهاتيك الظلالِ
ظلالٌ مثلما انسَجتُ جسومُ
تردّت بالحريِرِ وبالآلي
لئن كانت مهابط للنّدامي
فقد كانت مجالاً للجمال
متى ألقاك سيدتي.. كأي
لقيتُك أو كذلك قد بدا لي
فما زالت رسومك مائلاتٍ
وما زالت غصون البرتقال
تكاد تُحيل هاجرتي ظلالاً
وتدحو ظامئاتي بالزّلال
كأن الأمس يدحوني طيوراً
تُغرّد بي ويفسح من مجالي
كأن جبالك الخضراء كانت
تُعلّمني الوثوب إلى الأعالي
فيا عنب التلال وما توارى
بها بل يا عشيّات التلال
ويا زمن الهوى في بيت سلمى
كهودج عاشقٍ بل كالهلال





كأن الربوة الخضراء حُضِنُ
تَحْضُنُهُ بخضراءِ الغلال
كأن صخورَه ذهبٌ قديمٌ
وقد نحتتُه عاطفَةُ اللياليس
وقد يُصغي لهمسِ الصخرِ حُسُ
فَيَفْهَمُهُ.. وَيُسْمَعُ في الخيال





الديوان السابع

حذاء الهودج (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٨٢م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ٤٣١ ص ٤٧٨.





ضجيج الأعكان

تَضْجُجُ بِهَا الْحَلِيُّ كَمَا تَضْجُجُ
وَيَجْمَعُهَا انْسِجَامٌ وَهِيَ مَرْجُ
يُرْنَحُهَا الصَّبَا وَيَشْبُبُ فِيهَا
هَوَاهَا فَهِيَ فِي الْحَالِينِ وَهْجُ
إِذَا احْتَرَكْتَ تَحَرَّكَ ضَوْءٌ عَقْدِ
لَهُ فِي صَدْرِهَا مَوْجٌ وَمَوْجُ
وَتُفْصِحُ عَنْ هَوَاهَا مَقْلَاتِهَا
إِذَا التَّبَسَّتْ وَأَعْكَانُ تَرْجُ
بِهَا دَفْقٌ كَمَا انْهَارَتْ شَطُوطُ
لَهُ مَرْجُ إِذَا التَّفَقَّتْ وَغَنَجُ
وَإِنْ هَدَأَتْ فَقَدْ هَدَأَتْ طَيُورُ
وَأَغْفَتْ كَرْمَةً وَامْتَدَّ مَرْجُ
وَمَا هَدَأَتْ وَلَكِنْ أَثْقَلَتْهَا
دَوَاعِي شَوْقِهَا لِمَا تَوْجُ
وَلَمَّا أَقْبَلَتْ سَبَقَتْ خُطَاهَا
مَلَامَحُهَا تَعَجُّ بِمَا تَعَجُّ
وَعَطَّرُ مِنْ «فَرَنْسَا» عَرَبِيَّتُهُ
لَهُ مِنْ حَوْلِهَا دَفْقٌ وَهَزْجُ

الصراع المختفي

أحسُّ بأن شيئاً سوف يأتي
رهيباً لا تطيقُ له دفاعاً
سيخبطُ فيك من شتى النواحي
ويُسقطُ من أحابيلِ قناعا
ستنفُضُكَ الشواطئُ عن قريبٍ
كما نفضت صحارها الضُّبعا
وكانت مثلما تدري رمالا
أبت إلا الرياحَ لها شِراعا
كأنني ماسكٌ يوماً رهيباً
تكون خلاله نهباً مشاعا
لئن صيَّرتُ أعوامي رحىلا
بمجهولٍ وأيامي ضياعا
فَعن أمرٍ تمُدُّ لك الليالي
مَسافَتِهَا ونحياها صراعا
تُحرِّضُ كلَّ مسرودٍ علينا
وتفتعلُ العداوةَ والنِّزاعا
وتستعوي الذئاب على سماءٍ
تُعاليك انتساباً وارتفاعا
وكيف تريد من كفِّ دفاعا؛
تَشُلُّ بها الاصابِعَ والذِّراعا



وماذا ترتجي ممن تدأى
وماذا تبتغي ممن تدأى
وأصعبُ ما وجدنا أن تماشي
مُخالفك النّوازع والطّباعا
وقد حاربت في زمن قديمٍ
ونازلت الأفاعي والسّباعا
خسئت فلن تجفّ عروق أثلٍ
ولا جبّل بحرّ الشمسِ ماعا



الزيتون والحنظل

عندي من العلم الذي تجهلُ
أكثر هذا الناس لا يعقلُ
أجسامُهم من بشرٍ إنما
أكثرهم من شجرٍ يذبلُ
وربما يحملُ أضدادَهُ
من راحَ في أعبائه يحملُ
إن كانت الأرضُ لكم طينةً
فإنها الزيتونُ والحنظلُ
ثيابُها أوسعُ من جلدها
وظلُّها ينقلُ ما ينقلُ
يا عرشَها المصنوعَ من هودجٍ
مازلت في مجهولةٍ ترحلُ
ينمو بها السِّدرُ على حيَّةٍ
وريحُها الصِّرصرُ والشَّمألُ
ما رَوَّضَتْ أمطارُها رملَها
ولم يزلْ ضائعُها يسألُ
وأنزلت من قبلُ أفكارُنا
وهكذا نَصعدُ مَدُننزلُ

عودة النجمة

يمارسُ فيك أسبابَ الذهولِ
ويعجبُ من لقاءٍ مستحيلِ
فكيف أتيتِ؟ لا سببُ قريبُ
إليك ولا إليه من سبيلِ
وكان اليأسُ أقربُ من لقاءٍ
تلبَّثَ في مدى أمدٍ طويلِ
يحدِّقُ في عيونك ليس يدري
هما عيناك أم زخمُ الهديلِ
ويلمسُ ما تراءى منك لمسًا
بطيئًا في مدى شوقٍ عجولِ
إذا وقفتُ أصابعُه تمشَّى
بعينيك الهوى مشيَ الكسولِ
يُحرِّكُ كلَّ ساكنةٍ توارى
بها ما قد تراكم من ميولِ
وللصور المضيئة فيك دفقُ
تفيضُ به الرسومُ على الغليلِ
كأنك نجمةٌ رحلتُ وجاءت
كما تأتي النجومُ مع الأصيلِ

النقيض المتجمع

كُلُّ شَيْءٍ أَتَوَقَّعُ
وابْعَثِ الْأَفْعَى لِتَسْعَى
ثُمَّ حَرِضْ كُلَّ رَخْوٍ
فيه منك الجانب المم
وبه منك انحراف الر
وبه منك التي ضا
وبه منك انهيارُ
واقف أنت ومن حو
ها هُمُ جَاءُوا حديدًا
وأحاليوه كأعضاء
كُلُّ شَيْءٍ لَهُمُ انْقَا
فكان الأرض والناس
فكان الأرض والناس
لهم فيه امتدادا
وضلوعُ كضلوع النِّ
وهمُ فيكَ ولا تد
منك جَاءُوا وهمُ في
وتطبعَت كما الضَّفْ

منك فاصنعَ حيث تصنعُ
حيث تسعى وهَيَّ تلسع
أنت فيه تتسكَّع
نوع والفكر المضضع
رَأْيٍ والركن المزعزع
عت وقالت سوف ترجع
في وقوف يتقنَّع
لِكَ كَوْنٌ يتوسَّع
لَقَّـنوه كيف يركع
ء التي استرخت وأطوع
دَ كما انقباد المولَّع
سُ وهذا الكون المولَّع
وهذا الكوت أجمع
تُ وَعَيْنٌ تتطلَّع
نَاسٍ لكن ليس تخشع
ري ولا خِلتكَ تسمع
كَ وما هم منك أفضع
سدع بالوحل تطبَّع



وبهمَّ تُعْطِي الَّذِي تُعْطِي
فَكَأَنَّ النَّاسَ بِالنَّاسِ
وَكَأَنَّ الْعَالَمَ الْآ
طِي كَمَا شِئْتَ وَتَمْنَعُ
سِ جَسُورٌ تَتَلَفَّعُ
تِي نَقِيضٌ يَتَجَمَّعُ



الدود

ثوبٌ تَهْرَأُ مِنْ أَعْلَاهُ مَقْدُودُ
تَبْقَى تُرْتَقُ فِيهِ وَهُوَ مَسْرُودُ
لَقَدْ تَكشَّفْتُ فِيكَ الْأَمْرَ وَانْحَسَرْتُ
كَثَافَةُ فِيكَ وَانْهَارَتْ جَلَامِيدُ
لَقَدْ أَتَوُكَ فَبَعْضُ مَنْ تَزَجُّ بِهِ
مَجَاهِلُ الْأَرْضِ فِي عَيْنِيهِ تَهْدِيدُ
وَأَخْرُ مِنْكَ يَا جِذْرًا يَقُومُ لَهُ
سَاقَانِ يَسْطُو عَلَيْهِ مِنْهُمَا الدُّودُ

النهر المنحرف

تَحَرَّفَ فِيكَ النَّهْرُ لَمَّا تَحَرَّفْتُ
عَيُونُ لَهُ امْسَتْ سَمُومًا وَعَلَقَمَا
رَأَيْتُكَ لَمْ تَفْقَهُ كَلَامًا نَقُولُهُ
وَلَا يَسْتَطِيعُ الصَّمْتُ مَنْ كَانَ مُفْجِمًا
وَأَسْرَفْتُمْ فِي ظَلَمِنَا فَكَأَنَّمَا
تَرُونُ لَزَامًا ظَلَمَنَا وَمُحْتَمًا
أَلَمْ تَرْنِي جَاوِزْتُ حَدِّي كَأَنَّنِي
تَعُودْتُ رَغْمَ الرَّدْعِ أَنْ أَتَقَحَّمَا

صحوة الرمل

أَغْلَقُوا دُونَكَ الدُّرُوبَ وَسُدُّوا
كُلَّ بَابٍ وَفِيكَ يَمْتَدُّ بُعْدُ
يَا كُنُوزَ الرِّمَالِ بَلْ يَا سَحَابًا
يَسْكُنُ الْأَرْضَ يَا مَدَى لَا يُحْدُ
أَمْطَرْتَ أَرْضَكَ الْقَدِيمَةَ نَارًا
وَعَجِيبٌ أَنْ يَطْفِئَ الْوَقْدَ وَقَدْ
وَعَجِيبٌ تَجَاوَزَ الْحَجْرُ السَّابِغَ
كُنْ مَعْنَاهُ مِثْلَ مَنْ يَسْتَجِدُّ
خَلَعَتْ شَكْلَهَا الْقَدِيمَ صَحَارَ
أَكْ الْقُدَامَى وَبَدَّلَ اللَّوْنَ جِلْدُ
إِنَّهَا صَحْوَةُ الرِّمَالِ وَفِي الْآ
فَاقِ صَحُولِ الْعَالَمِ يَسْتَعِدُّ
لِقُحَّتِهَا عِظَامٌ مِنْ دُفْنُوا فِيهِ
هَذَا فَعَادُوا كَمَا تَدْفِقُ خُلْدُ
فَعَلَى كُلِّ رِبْوَةٍ فِيكَ صَدْرُ
وَعَلَى كُلِّ صَخْرَةٍ فِيكَ نَهْدُ
بَيْنَمَا تَهْجُرُ الطَّيُورُ بِسَاتِيهِ
نَا وَمَاءٌ وَيُنْكَرُ الْغَصْنَ وَرْدُ

عصور العشق

سَلَوْهَا هَلْ تُعَانِي مَا تُعَانِي
هَوًى يَنْهَى الْعَذُولَ إِذَا نَهَانِي
وَهَلْ نَسَيْتُ لِيَالِي الصَّيْفَ لَمَّا
دَعَاها وَجُدُهَا أَوْ قَدْ دَعَانِي
يُمَاشِيهَا الْهَوَى مِنْ حَيْثُ سَارَتْ
وَأِنْ خَالَفْتُهَا يَوْمًا عَصَانِي
وَقَالَتْ بَعْدَمَا نُشِيرَتْ عَلَيْهَا
ضَفَائِرُ كَالْحَرِيرِ الْأَرْجَوَانِي
أَحَقًّا سَوْفَ تَلْقَانَا «بِمَصْرِ»
بِهَذَا الصَّيْفِ قُلْتُ بِكُلِّ أَنْ
سَنَقْرَأُ فَيْكَ مِنْ كِتَابِ التَّصَابِي
هَنَّاكَ وَنَنْتَقِي صُورَ الْمَعَانِي
هَنَّاكَ بِحَيْثُ تَنْخَفِضُ الشَّوْاطِي
رَقِيقَاتٍ وَتَرْفَعُ الْمَبَانِي
بَقَايَا مِنْ عَصُورِ الْعَشْقِ لَمَّا
تَزُلْ نَحْنُ عَلَيْهَا عَاشِقَانِ
لَنْ رَسَمُوا هَوَاهُمْ فَوْقَ صَخْرِ
فَإِنِّي قَدْ رَسَمْتُكَ فِي الزَّمَانِ

الريح والدفوف

قمرُ الهوى مازالَ في أجوائِهِ
يختالُ بين بهائِها وبهائِهِ
فُتِحتْ نوافذُهُ لنا وتَلالأتْ
فكأنَّها تَنسابُ من لآلئِهِ
مثلُ الإِطارِ تحفُّهُ ويحفُّها
بجمالها ويشبِّهها بضيائِهِ
ندنو ويعلو ليتَه يدنونا
كيف الوصولُ إلى علوِّ سماءِهِ
تتجسَّدُ الآياتُ في إشراقِهِ
والحُسْنُ كُلُّ الحُسْنِ ملءُ دماءِهِ
وعجبتُ من ثوبٍ عليه تماسكتُ
أجزاؤُهُ لو كان من أجزاءهِ
يُبدي جِراكَ هواهُ حتى خِلتُهُ
عضواً ولكن ليس من أعضائِهِ
يا أيها القمرُ الذي تسمو به
شُرُفاتُ بيتٍ مسرفٍ ببنائِهِ
لم يكفِهِ سورٌ كأن حجارَهُ
أصدافُ قرشٍ جاثمٍ بطلائِهِ



فَتَشَابَكَتْ أَشْجَارُهُ وَكَأَنَّهَا
أَشْبَاحُ جِنٍّ هَائِجٍ بِفَضَائِهِ
وَإِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ بِغُصُونِهَا
خِلَّتِ الدَّفُوفَ تَرْنُ فِي أَرْجَائِهِ



الجدور

لَكَ الْأَمْرُ لَا أَمْرٌ لَدَيَّ وَلَا عَذْرُ
وَلَسْتُ الَّذِي مِنْ عِنْدِهِ يَخْرُجُ الْأَمْرُ
مَقِيمٌ عَلَى أَحْوَالِكَ الْغَبِيرِ لَا أَرَى
مَقَالًا لَسْمَعٍ أَوْ يَدًا خَلْفَهَا ظَهْرُ
وَهَا هُمْ أَتَوْا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ كَانَهُمْ
قَطِيعُ ذُنَابٍ فِي مَلَامِحِهَا غَدْرُ
تَفَرَّئِي عَلَى أَظْفَارِهِمْ نَهْدُ خَوْلَةٍ
وَمَاتَ قَتِيلًا فِي حَبَائِلِهِمْ عَمْرُ
وَقَدْ دَخَلُوا (الْجَوْلَانَ) وَهُوَ مُحَصَّنٌ
وَضَجَّتْ عَذَابًا وَالتَّوَتَ مِنْهُمْ (مَصْرُ)
وَهَا أَنْتَ لَا السِّيفَ الَّذِي كَانَ مُسَلِّطًا
عَلَيْهِمْ سِوَى أَلْوَانِ رَايَاتِكُمْ حَمْرُ
وَكَانَتْ تَمِيلُ الْأَرْضُ تَحْتَ اخْتِدَامِكُمْ
وَهَا أَنْتُمْ كَالصَّفْرِ أَوْ دَهْرِنَا صَفْرُ
تَضَائِلَ حَتَّى لَمْ يَعْذُ فِيهِ وَاضِحُ
وَأُغْلِقَ حَتَّى لَا بَقَاءَ وَلَا فَرُّ
وَصَارَ سِوَاءَ مَنْ تَمَطَّاهُ لَاهِبُ
مِنْ الشَّمْسِ فِيهِ مِنْ مَلَامِحِهَا سِرُّ



يكاد سموُّ الصيفِ يسكنُ جلدَهُ
ويهربُ منه وجهُهُ الغاضِبُ المرُّ
تَرَقَّى مَنَارَاتِ الْحِجَازِ وَخَدَّشَتْ
نُقُوشًا عَلَى الْجِدْرَانِ أَظْفَارُهُ السُّمَرِ
وَفَرَّ حَمَامٌ عَنْ رِوَاشِنَ مَكَّةِ
وَجَفَّتْ عَلَى الزَّيْتُونِ أَوْرَاقُهُ الْخَضَرِ
وَمُنْحَرَفًا لَا عَنْ يَقِينٍ وَإِنَّمَا
تَفَرُّ طَيُورُ الْحَقْلِ أَوْ يَمَكُرُ النَّسْرُ
وَمُنْهَزِمًا لَا وَجْهَهُ وَجْهَ ثَائِرٍ
فِيخْشَى وَلَا نَفْعَ لَدَيْهِ وَلَا ضَرْ
يَمِيلُ مَعَ الْأَيَّامِ حَيْثُ تَرَهَّلَتْ
زَخَارِفُهَا وَاهْتَزَّتْ مِنْ رُقَّةِ صَدْرِ
أَلَانَتْ لَيُونَاتُ الْأَرَائِكِ جِسْمَهُ
وَزَحَزَحَهُ عَنْهُ وَعَنْ أَرْضِهِ الْعَصْرِ
إِذَا الْفَكْرُ لَمْ يَأْخُذْ طَرِيقًا لِحَلْمِهِ
فَأَجْمَلُ مِنْهُ الصَّبْرُ لَوْ أَمَكْنَ الصَّبْرُ
تَضْيُءُ الْأُمُورَ الْمَشْكَلَاتُ بِسَاحِهِ
عَيَانًا كَمَا يَنْشَقُّ أَوْ يَسْقُطُ الْقِشْرُ
لَنْ سَحَقُوا وَرَدَّ الْحَقُولُ فَإِنَّهُ
سَيَثَارُ عَطَرٌ رُبَّمَا بَثَّارُ الْعَطَرِ
لَنْ أَدْخَلُوا مَا أَدْخَلُوا مِنْ حَدِيدِهِمْ
فَفِيهِ لَكُمْ رَمْلٌ وَفِيهِ لَكُمْ صَخْرُ





وعشبُ فلاةٍ رُوِّضَتْ جوعَ ناقةٍ
وريشُ صقورٍ لا يزال لها وكر
وقد قال لي طيرُ العصور بآنكم
عروقُ لكم في كلِّ يابسةٍ جذر
لئن فرشَ الاثلُ الظلالَ بقفرةٍ
فأنتم على هاماتٍ سالكها ستر



رفوف القرنفل

ولمّا تلاقَتْ أعْيُنٌ وتعلَّقَتْ
أيَادٍ تبتُّ الوجودَ في كلِّ مفصلٍ
تراءى الهوى في وجهها وتسَلَّلَتْ
مكامنُ صدرٍ في شفاهِ وأنْمَلْ
وفاح لها عطرٌ كأن جيوِبَها
مشاتلُ وردٍ أو رفوفُ قرنفل
وكان بها صحوٌ التي قد توقعت
مخاوفَ ثنني سكرة المتعزّل
تقول غداً في كلِّ يومٍ وشوقها
تَكَامِلُ منذ الأَمْسِ لم يتبدّل
تَلَبَّثَ فيها مثلما قد تَلَبَّثَتْ
سواقٍ يُناغي شوقها شوقَ جدول
وقالت إذا جالَسْتُنَا أو لمحتنا
فلا تُكثِرِ التَّحديقَ كالمبتل
وقالت إذا استعصى علينا لقائنا
وإن كنتَ ذا شوقٍ فلا تتعجّل

رسوم المرمر

تتلاقَّت الألوانُ فيكِ جميعُها
فكأن شوقك في جميعك ينظرُ
وأكادُ أسمعُ ما تقولُ أصابعُ
ونقوشُها وكأن شغرك يشعر
ما باله لا يستقرُّ كأنه
يهفو وهل يهفو الحريزُ الأشقر
لغةُ الهوى صورٌ وأجملُها التي
ما تستجيشُ بها العيونُ وتزخر
يتجاوزُ الإحساسُ فيكِ حدوده
ويضيءُ فيكِ الفكرُ حين أفكرُ
عينانِ زرقاوانِ شَبَّهَهما الهوى
وفمٌ كما التَّهَبَ العقيقُ الأحمر
وملامحٌ بلامحٍ مخبوءةٌ
فكأنها من روعةٍ تتكرَّرُ
تُبدي زهولاً وهَيَ واعيةُ الهوى
ويذيبُها إحساسُها المتفجَّرُ
حُشِيَتْ مفارشُها بنكهةٍ جسمِها
وعجبتُ كيف يفوحُ مسكاً مرمر

عن بلغاريا

كرهتُ انقيادي نحوها وتبليدي
وحالاً على حالين غاوي ومقتدٍ
نُماشي الهوى في كلِّ دربٍ ولم يزلْ
ينزجُ بنا لويتهدي حين نهتدي
إليكِ سلكنا الريحَ حتى حَسِبْتُها
تُماشي همومَ الهائم المتفقدِ
ولمّا هبطناها سمعتُ بلائاً
تغنّي وماءً دَفْقُهُ كالغردِ
له زخمٌ في كلِّ صدرٍ تفتّحتُ
مغاليقُهُ عن عالمٍ مُتجددِ
أحسُّ مخاضاً آخرًا وملامحاً
من الأمس في يومٍ له صورةُ الغدِ
وصمتًا إذا استنطقتُهُ نَطَقَتْ لَهُ
طموحاتُ إنسانٍ عريقِ التَّمردِ
كأن وميضَ الكَرزِ تحت ظلالهِ
عيونُ طيورٍ في شبابيك مَعْبَدِ
كأن مقاهي ذلك السفحِ في الضحى
ملاعبُ جنٍّ في خيالٍ مُجَسَّدِ
وضوحُ بأشياءٍ تخاطبُ حُسناً
فَنفهمُها في لطفِها المتوقِّدِ



رفيف

إذا مالت يميلُ بها شعاعُ
كداليةٍ يرنحُها النسيمُ
دحت أنحاءها النشواتُ حتى
كان عروقها عطشٌ قديم
إذا انصرف الهوى عنها استقادتُ
نوازعه وسمره وجُوم
يضجُ بها الغموضُ إذا استدارتُ
عيونٌ حولها أبداً تحوم
إذا جلسَتْ يُجالسُها حريزُ
له عبقُّ إذا قامتُ يقوم
تغيَّب فتترك الرؤيا وضوحاً
وتأتي مثلاً اكتملتُ رسوم
مُرَبَّبةً بأريافِ الدوالي
لهم طربُّ إذا نضجتُ كروم
كانَ دماءها تطفو عليها
ويدحو جسمها الالهَبُ العظيم



ياسمين

ما تولّى به الهوى مُذْ تولّى
رونقٌ من شبابهِ واضمحلا
يعتق الكرم كي يكون نبیذاً
كان حلواً فصار أحلى وأحلى
يهرمُ الجسمُ عندما تهرمُ الرو
حُ ويُمسي الشبابُ همّاً وثقلاً
مثلَ حقلٍ يجيشُ بالشجرِ الظا
ميٍّ حتى استحال قشّاً ونملا
ولقد تُزهر الرمالُ وتبني
فوقها الوردُ ياسميناً وفُلا
ما تولّى به الهوى فتعالی
تَجِدِي الأربعينَ أكثرَ ميلا
للـهوى والجمالِ والغزلِ الرّا
سيمِ فوق الوجوهِ للحبِّ ظلا
إنه يرفضُ الحياةَ بلا حبٍّ
بِ ولا أكـوُسٍ بها يتسلى
ونديمٍ إذا دعاهُ يلبي
بصنوفِ المدامِ طعمًا وشكلا



وحبيبٍ كأنما البَسْتُه
روعة الحبِّ رونقًا فتجلى
إنه يرفض الحياة بلا حبٍ
بِومِـا زال رافضًا مستقلا
يتحدى رعونة الحجرِ الشا
مخِ والليل والجفافِ الملا
إنه لا يزالُ يستبقُ الوقـ
تَ لوعِدِ العيون سودًا وشهلا



عيون

موانئُ في عينيكِ ترسو مراكبي
عليها وأفقُ زاخرٌ بالكواكبِ
إذا أومأتْ أهدابُها وتماوجتْ
سواحلُ مرجانٍ فسيحِ الجوانبِ
ولاحت طيورُ العشق فوق ضفافِها
لها رفرفاتٌ في رموشٍ وحاجبِ
هنالك يبدو آخرُ الشوطِ بعدما
تراءى الهوى في لاهيٍّ منكِ واثبِ
وثغره له حالأته حين تغتلي
لألى صدرٍ أو حريزٍ ذوائبِ
تناسقَ فيها الحسنُ وانسجمتْ به
وفأضَ عليها مثلَ فيضِ المواهبِ
تضيءُ العيونُ السودُ رغمَ سوادِها
إذا زخرتْ بالخافياتِ اللّواهبِ

الحليب والخلخال

وتفتعلُ الكأبةَ وهي نشوى
لها في كل ساكنةٍ وثوبُ
كان بوجهها وجهًا خفيًا
توارى خالفه شوقٌ رهيب
تُحاصرُها العيونُ إذا استدارتُ
فَتَهْدَأُ مثلما انكمشَ اللّهب
سوى وجهٍ يضيءُ الوجدُ فيه
على حركاته وقَفَ القَطوب
وثوبٌ تهتفُ الأزارُ فيه
شفيفٌ مثلما انسكبَ الغروب
وخلخالٌ يغوصُ بخوءٍ ساقٍ
له دَفْقٌ كما يرغو الحليب
ويسمعُ في تنقلها كلامًا
غريبًا خالفه عطشٌ غريب
ولمّا لم تجدُ سببًا إليه
أشارتُ أن موعدنا قريب
تترجمُ شوقها الأشياءَ حتى
تكاد تنوبُ عنها لو تنوب

سيناء والنيل

هَمُّ الْعَطَشِ الْبَرِّي وَالْحَنْظَلُ الْمَرُّ
فَمَا فِيهِمْ زَيْدٌ وَلَا فِيهِمْ عَمْرُو
قَدْ اخْتَلَفُوا حَتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ
يُنَاكِرُهَا عَرَقٌ وَيَرْفُضُهَا ظَهْرُ
لَقَدْ كَبُرَتْ أَشْيَاؤُهُمْ فَتَضَاعَتْ
حُجُومٌ دَحَاها الْحَقْدُ وَالْقَتْلُ وَالشَّرُّ
فَمَا عَطِشَتْ سِينَاءُ مِنْ بُخْلِ نِيلِهَا
وَلَكِنْهَا رَمْلٌ وَأَكْثَرُهَا صَخْرُ
لَنْ نَهْبُوا (الْجَوْلَانِ) بِالْأَمْسِ فَالْهُوَى
يُقَارِبُ مِصْرًا.. رُبَّمَا عَشِيقَتُ مِصْرَ
لَنْ شَحِبَتْ أَنْحَاؤُهَا فَهِيَ لَمْ تَزَلْ
تَمَارِسُ فِكْرًا، رُبَّمَا يَتَعَبُ الْفِكْرَ
أَحْسُ حَرَاكًا تَحْتَ مَاءٍ وَقِبَالَهَا
تَنْبِأَتِ (الزَّرْقَاءُ) أَنْ زَحَفَ السَّدْرُ
إِذَا غَضِبَتْ أَرْضٌ عَلَيْهِمْ فَزَحَزَحَتْ
مَوَاقِعَهُمْ فِيهَا فَقَدْ يَغْضِبُ الْبَحْرُ

النقوش

بُلِينَا بِمَنْ لَا وَجْهَهُ فِيهِ وَاضِحٌ
وَلَا فِيهِ أَبْعَادٌ وَلَا هُوَ يَشْعُرُ
هُوَ الضَّحْلُ لَوْلَا ثَوْبُهُ وَانْتِمَاؤُهُ
وَلَوْلَا نَقُوشُ خَلْفِهَا يَتَسَتَّرُ
تَظَلُّ إِذَا اسْتَنْطَقْتُهُ وَهُوَ صَامِتٌ
يُلَفِّقُ مِنْ حَالَاتِهِ وَهِيَ تُخْبِرُ
خَلِيطُ أَنْاسٍ يِقْتَفِي خَطَوَاتِهِمْ
إِذَا عَثَرُوا الْفَيْتَةَ يَتَعَثَّرُ
وَقَدْ أَغْلَقُوا أَبْوَابَهُمْ فَتَسَاقَطَتْ
سُقُوفٌ عَلَى هَامَاتِهِمْ تَتْبَعُثَرُ
وَصَارَتْ فَتُوحَاتُ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا
مَكَاسِبَ لِلْقَوْمِ الْأَلَى قَدْ تَأَخَّرُوا
وَصَارَ الْجَوَادُ الْفَحْلُ صَنْعَةً رَائِضٍ
فَإِنْ لَمْ يُرَوِّضْ صَعْبُهُ فَهُوَ مُنْكَرٌ



سقوط النسر

أمارسُ فيكَ الصَّبْرَ لو ينفَعُ الصَّبْرُ
وَأَتَّبِعُ سَهْلَ الأَمْرِ لو يسهلِ الأَمْرُ
لَعَمْرُكَ إِنِ الدَّاخِلِينَ تَدَاخَلُوا
بِمَنْ خَرَجُوا وَالشَّرَّ وَجْهَهُ الشَّرُّ
لَقَدْ خَرَجُوا حَتَّى كَانُوا قُلُوبَهُمْ
قُلُوبٌ سِوَاهُمْ أَوْ تَقَمَّصُوهُمْ كَفَرُ
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ رَأْيَكَ صَائِبٌ
سَكَتُ وَلَكِنْ لَا صَوَابٌ وَلَا فِكْرُ
وَأُخْشَى وَقُوعَ النَّسْرِ فِي شَرْكَ حَابِلٍ
وَأَفْظَعُ شَيْءٍ حَابِلٌ صَيْدُهُ النَّسْرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الأَرْضَ أَلْقَتْ ثِيَابَهَا
فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا بَعْدَمَا انْقَلَبَتْ سِرُّ
مَوَاطِنُ أَفْكَارٍ تَجُوبُ كَأَنَّهَا
إِذَا ارْتَفَعَتْ وَكُورٌ وَإِنْ هَبَطَتْ قَبْرِ
(أَرَى كُلَّنَا يَبْغِي الحَيَاةَ لِنَفْسِهِ)
وَقَدْ تَخَدَّشُ العَيْنِينَ أَنْمُلُهَا العِشْرُ



لقاء في مصر

أَكَاَنَّ لَزَامًا أَنْ تَعِيشَ مَعَذِبَا
تُفَارِقُ «سَلْمَى» أَوْ تَوَدَّعُ «زَيْنَبَا»
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ فِي شَوْقٍ هَائِمٍ
تُهَابِطُ قَاعًا أَوْ تَعَانِقُ كَوَكْبَا
كَأَنَّكَ مِنْ شَكْلِ غَرِيبٍ أَعَارَهُ
شَحُوبٌ غُرُوبٍ لَوْنُهُ فَتَشْحَبَا
تَرَكْتَ وَرَاءَ الرَّمْلِ شَوْقَكَ زَاخِفًا
وَحَلَّفْتَ خَلْفَ الْبَحْرِ قَلْبَكَ مُتَعَبَا
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْعَيُونِ وَنَظَرُهُ
يَكَادُ بِالْإِشْرَاقِ أَنْ يَتَلَهَّبَا
تَوَلَّيْتُ قَوْلِي خَلْفَهَا الْوَجْدُ صَاخِبًا
وَمَا زَالَ فِيهَا الْوَجْدُ وَالشَّوْقُ أَصْخَبَا
وَتَخَفَقُ فِي أَضْلَاعِهِ خَافَقَاتُهَا
وَيَسْمَعُ فِيهَا صَوْتَهَا الْمُتَحَجِّبَا
لَقَدْ دَدَ كَانَ فِي أَثْوَابِهَا بَعْضُ حَمْرَةٍ
وَكَانَ لَهَا عَقْدٌ وَكَانَ مُذْهَبَا
وَكَانَ لَهَا عُنُقٌ طَوِيلٌ وَخَاتَمٌ
وَكَانَ لَهَا مَا كَانَ أَحْلَى وَأَعَذْبَا



أَعَادَتْ لَهُ أَنْهَارُهُ وَكَرُومُهُ
وَكَانَ كَطِيرِ الرَّمْلِ رِيْشًا وَمِخْلَبًا
وَقَالَتْ لَهُ: فِي «مِصْرَ» نَلْقَاكَ صَائِفًا
فَنَقَالَ عَسَى نَلْقَى الْهَوَى غَرَبًا



ضياء الحرير

- ١ -

ماذا يقول الوميضُ يا قمرُ
والأسودانِ العيونُ والشُّعرُ
والأبيضانِ اللذانِ ومضهما
كأنه من حرائرِ شرر
ماذا يقول الغرامُ في دمهـا
كأنما السمعُ في الهوى نَظر
تَلبَّد الوجدُ في ملامحها
وفي فنون الحراكِ ينتشر
في مشيها وانسكابِ جلستها
كأنه في جميعها صور
ينطلق الغمزُ من جوانبها
وتستقي من سكونها الفكر

- ٢ -

نَحُوا كؤوسكمُ عنه فقد ثَمَلا
منها رُؤى وعيونًا تنزف الشعلا

- ٣٨٩ -





يَكَادُ يَتَرَكُهَا الْإِشْعَاعُ زَنْبِقَةً
لَوْلَا الثِّيَابُ الَّتِي فِي عَطْرِهَا اغْتَسَلَا
يَمْتَدُّ بِالنَّهْرِ بُعْدٌ عَنْ مَنَابِعِهِ
إِذَا تَمَادَى بِهَا دَفَاقُهَا وَعَلَا



البوابات

مَررنا على السور القديم كأنه
بقيّة نقشٍ في بقيّة معضدٍ
تولّى وأبقى هيبةً في حجاره
وأبوابه ذات الطريق المعبد
وكانت لها أقفالها فتفتحت
على روعةٍ في شكلها المتجدد
كأن الهوى فيها تجاوز حده
فصارت بها الأحجار لوحات معبد
تداخلها شوقٌ فبدّل شكلها
وزحزحها عن موقف المتردد
ألا من رأى بحارة قذفت بهم
رياح على أطراف جرفٍ مُعربد؟
كأن الرياح الهوج عاشقة لهم
تلاحقهم كالواله المتفقد
إذا أفلتوا منها على البحر حومت
وضجّت على بحرٍ من الرمل مُزبد
كأن بقايا سورهم وقلاعهم
نجومٌ على أضوائها الفكر يهتدي
هي الأرض ما زالت صراعاً ولم تزل
مواسمها للفتاك المتجرّد



الليل وغصون الدر

على أبوابهم وقف الغرام
وقام الحُسنُ حيث هم أقاموا
لهم شرفاتُ أبنيةٍ تعالتُ
كأن مفارقَ الحجرِ ابتسام
إذا فُتحتْ فقد فُتحتْ صدورُ
وإيماءٍ إذا خيفَ الكلام
تحفُّ بهم ظلالُ وارفاتُ
يكاد بهنَّ يخضرُّ الرخام
كأن غصونَ ذاك السِّدرِ لمّا
تفرّش مثلاًما ارتفعتْ خيام
وقد فاض الضياءُ عليه ليلاً
فأنقَه كما اغتسلَ الحَمام
أيادٍ قد تمطّى العشقُ فيها
ورفرفَ في أصابعِها السلام





الرجوع إلى الكهف

على قَدْرِ الهوى كانت خُطَاكَ
فَأَعْجَلَهَا.. فما أَقْسَى هواكَ
رجعت لكهفِها من حيث يأوي
إليه الطيرُ لكن ما أواكَ
وَحَلَّفتَ التي توهبه حبًّا
عظيمًا ليس توهبُه سِواكَ
كأن دماءها عطشٌ تروى
وروى جسمها وسقى دماكَ
إذا انكشفتُ تكشَّفَ عن هواها
شعورٌ لا تطيقُ له امتساكَ
عيونٌ مثلما انفتحتُ سماءً
كأن رموشها حملتُ ملاكَ
برائعةٍ التدفَّقِ وهي نشوى
بصمتٍ كدتُ تحسبه حراكا
وقالت حين أعجله رحيلاً
وكان يودُّ لو يبقَى هناك
ألا استرجعت رأيك؟ ليس سهلاً
رحيلُك وفوقَ قال لها كذاكَ



قراءات في الغيب

أَقْلُ مِنَ اللَّاشِيءِ أَنْتَ وَأَصْغَرُ
حَوَاكَ حَرِيرٌ أَمْ تَمَطُّكَ جَوْهَرُ
لَقَدْ سَحَبُوا مِنْ تَحْتِكَ الْأَرْضَ بَعْدَمَا
دَحَوَكَ سَمُومًا .. أَنْتَ سَمٌّ مُصَوَّرُ
وَجَاؤُوكُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَشْعُرُوا بِهِمْ
وَمَا خِلْتَكُمْ مِمَّنْ يَحْسُ وَيَشْعُرُ
كَأَنَّهُمْ احْتَلُّوا عُرُوقَ جَدُودِكُمْ
فَجَاؤُوا لَنَا مِنْكُمْ فَعَاثُوا وَدَمَّروا
يُعَادُ لِنَهْجِ الدَّرْبِ فِكْرُ مُحَرَّفِ
فَكَيْفَ رَجُوعُ الدَّمِ حِينَ يَزُورُ
فَلَيْسَ دَمًّا هَذَا الَّذِي فِيكَ إِنَّمَا
صَنُوفُ دِمَاءٍ فِي صَمِيمِكَ تَزْخُرُ
أَخَالَ بِكَ الْأَعْضَاءَ تَرْفُضُ بَعْضُهَا
كَأَنَّكَ صَفَرٌ أَوْ ضِيَاغٌ مَكْرَرُ
وَكَانُوا أَنْسَاءً فِي كَهُوفٍ تَهْدُمْتُ
فَكَيْفَ كَهُوفٌ فِي أَنْسَاءٍ تُفْسِّرُ
كَأَنِّي أَجَسُّ الْغَيْبِ وَهُوَ مُحَجَّبُ
وَالْمَحْ كُنْهَ الْأَمْرِ وَهُوَ مُسْتَرُ
إِذَا انْدَثَرَتْ بَعْضُ الدِمَاءِ فَإِنَّكُمْ
بَقَايَا دِمَاءٍ خِلْتُهَا سَوْفَ تُدْثَرُ



طراوة أجسامٍ لكم قد تَلَقَّحْتُ
بأخرى وصُلْبُ قُوسٍ فيه أظهر
فما فيك من عدنانٍ شيءٍ ورهطه
ولا فيك من كسرى ولا فيك قيصر
وما أنتم إلا بقايا سلاله
تمارس قتلًا أو تخون وتغدر
تفشت بهذا الشرق فهو عواصم
مهدمة أو ناحيات تُدمر
بأظفاركم أثار كل جريمة
قديمة عهدٍ أو حديثًا تدبر
عجبت لهذا الرمل كيف تدفقت
ينابيعه وهو الهيب المسعر
وتحلو مياه البحر والبحر مالح
كأن سماء الله في الملح تمطر
بحيث تجف الأرض تحت جداول
وتنشف فيها ساقيات وأنهر
كأن سلالاتٍ إليك تخالطت
بذراتها.. بنس الخليط المعفر
تعوق نماء الأرض في كل موسم
وتسري بما النبع فهو مُعَكَّر
كأن دماء في الأرض ثار عليكم
فَزَجَّتْ بكم والأرض كالناس تنار





وها أنتم نهبٌ كما نهبتُ لكم
أراضٍ بها الأشجارُ وردٌ وعنبر
وكنتم وما زلتُم عليها غشاوةً
فزالتُ وزلتُم مثلما انهارَ «خيبر»
يعادُ زمانُ الأمسِ فيكم وتنتهي
ملاحُ أيامٍ بدتُ تتغيّر
تمعنْ قليلاً هل ترى منكم سوى
وضوحٍ انحرافٍ أو دمٍ يتنكر؟





الديوان الثامن

خلايل الفيروز (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٨٤م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ٤٧٩ ص ٥٤٠.







من خلا خيل الفيروز

لم يزل شوقُها القديم عنيفا
وهو ما زال هائماً ملهوها
كيف لا يلتقي الهوى بهواءُ
ولقد جاء واضحاً مكشوها
رجعت روعة الليالي القدامى
في شفاه تكاد تمسي نزيها
وعيون تكاد تُبرق عشقاً
رف في جسمها الرقيق رفيها
نهبت كرمه وعادت دنائاً
أترعت بالهوى وشفت شفيها

☆☆☆☆

من شأنها تكبت ما تكبت
فينطق الوجْد ولا يسكت
في صُور مضمونها أعين
كأنها ترسم أو تنحت
وقد تعرّى شكلها واكتسى
كأنها من بعضِها تفلت
عاداتها التلميح في شعرها
يا شعرها الثرثار هل تضمّت

☆☆☆☆





عيناك لي في غُربتي وطنٌ
وهواك يسكنني ولي سكنٌ
وأكاد حين أراك تُشعلني النُّ
نَظراتُ رنق صحوها الوسن
وحديثُ صمتك حين يهتف لي
ويقول لي فجوارحي أذن
ولنا حوارٌ في ملامحنا
وبصمتنا، وسكوننا علن
ما دمت لي فالنجمُ أشرعتي
والأرض كلُّ الأرض لي سفن
كُتبُ الهوى في مقلتيك وفي
حركاتِ جسمك يهدأ الزمن
وكانَّ عطرَكَ من عذوبته
من سوسنٍ لكنه بدن
بدنٌ تجاوز كونه جسداً
من فتنةٍ فجميعه فتَن

☆☆☆☆

مُتَّقِدٌ وجُدُّها ومتَّحِلٌ
كأنه في جميعها غَزَلٌ
في صمتها الهامس الذي حملت
أعماقه الوجنتان والمقل
في مشيها الناعس الوئيد إذا
تَنَقَّلَ العطرُ حيث تنتقل





فِي شَعْرَهَا الْوَامِضِ الْكَثِيفِ وَفِي
سُدُولِهِ السَّمَحِ حِينَ يَنْسَدِلُ
كَأَنَّهُ فِي شَفَاهِهَا قَبَسٌ
تَطَايَرَتْ مِنْ شَعَاعِهِ الْقُبُلُ
كَأَنَّهُمَا وَالْحَنِينُ يُعْجِلُهَا
مَذْهُولَةٌ أَوْ أَضَاءُهَا الْخُجُلُ
يُبَدِّلُ الْوَجْدُ مِنْ مَلَامِحِهَا
كَأَنَّمَا فِي صَمِيمِهَا بَدَلُ
يَخْرُجُ مِنْ عَمِقِهَا إِذَا اخْتَدَمَتْ
فَتَسْقُطُ الْحَاجِزَاتُ وَالسُّدُلُ



سَكَنَ الْهَوَى بِسُكُونِهَا وَتَجَسَّمَا
بِحَرَكَاهَا فَتَضَرَّمَتْ وَتَضَرَّمَا
وَتَلَفَّتَتْ فَاَنْسَابَ فِي لَفَاتِهَا
مَتَلَفَّفَتَا فَتَكَلَّمَتْ وَتَكَلَّمَا
تَتَجَسَّدُ الْأَعْمَاقُ فَوْقَ ظَوَاهِرِ
فِيهَا فَتَخَسَّبُهَا وَجُودًا مُبْهِمًا
تَبْدُو سَكُونًا صَامِتًا وَوَرَاؤَهُ
عَشْقٌ نَهَى الْأَعْمَاقُ أَنْ تَتَكَلَّمَا
تَهْتَزُّ قَبْلَ لِقَائِهَا فَكَأَنَّمَا
أَمْسَتْ مِنَ الْإِشْرَاقِ جِسْمًا مُلْهِمًا





هي ذي تدقُّ البابَ دقًّا
وتبثُّ في الألواحِ دفقا
يهتزُّ تحت سكونها
ما يجعلُ السَّكناتِ نُطقا
يا حلوها جسداً دحا
هـ العشقُ إشراقاً ورزقا
تنحازُ للنظر الخفيِّ
ـي فاستشف بها الأدقا
وتصيرُ تدفقاً أو تحيـ
ل ثيابها دفقا وخفقا
تتجاوزُ الإحساسَ رو
عتها فيرقى وفي ترقى
ويُصيّبُهُ مثلُ الدَّهو
ل إذا بَدَتْ ويفيضُ عشقا

☆☆☆☆

يا طعمها المصنوع من
جسدٍ يضيءُ ويعزفُ
قالوا غصونُ البانِ قلـ
تُ بجسمها تتعطفُ
وكأنَّها عُجنت بما
ءِ الوردِ بل هي الـطف
وكأنَّها بسكونها
وحرّاكها تتطَّرفُ
يتهدَّل الياقوتُ فو
قي والعقيقُ المترف





وأعووم في حركاتها
وعلى السُّكونِ أرفرف

☆☆☆☆

تنامين كلَّ الليل والبدرُ يسهرُ
مطلًّا على أشباحهم حين تظهر
لقد مارسوا ما مارسوا من ضياعهم
وخالطهم من غيرهم فتغيروا
إذا ما مضى منهم رعيْلٌ تكررَتْ
شروؤُ له.. والشرُّ قد يتكرَّر
ويأخذُ حالاتٍ واقْبَحُها التي
فريستُها طيرٌ ووردٌ وأنهر
وأرضٌ من الزيتون فيها خمائلُ
وأخرى بها نخلٌ ونحلٌ وسُكَّر
ودارٌ لليلي فوق دجلةٍ لم يزلُ
يفتّشُ عنها عاشقٌ يتذكَّر
إلى الآن لم يبرح لها في خياله
ثياب لها حمراً وصفراً وأشقر
تدلى على أكتافها مُتَوَقِّداً
ولكنه مِسْكٌ ووردٌ وعنبر
يراها بأخرى غيرها فيحبُّها
وتهمسُّ في الجوريِّ أو هي تنظر

☆☆☆☆

تطلُّ عليه من شتى الجهاتِ
ويذكرُ بعضَ هاتيك الحياةِ





وبستاناً على جُرفٍ تَرامَى
على أنحاءِ أرضٍ من قُراتِ
وناعوراً تواري بين نخلٍ
وأشجارٍ شهياتِ النَّباتِ
وما أدنى هديل من كلامٍ
وما أدنى رسوم من لغاتِ
تكاد طيورُها في الليل تشدو
إذا سمعت أغاني السَّاقياتِ
وسمَّاراً كأنهم بدورُ
تَساقى في مجالسٍ عامراتِ
حديثُهم مواويلٌ وشِعْرُ
كأن صدورهم صُحفُ الرِّوَاةِ
وزادهم شرائخُ من حُبَّاري
وغزلانٍ على أيدي الطُّهاةِ
إذا سكنوا مكاناً أنقوهُ
وصار محط أنظار الرُّعاةِ
لهم علمٌ بأشجارِ الصَّحاري
وموسمها وأعشابُ الفلاةِ

☆☆☆☆

وكنْتُ إذا حاولتُ منها التفاتةً
تحايلتُ أو كلَّمتُ جارتها عمدا
أحرَّفُ من طبعي نزولاً لطبعِها
وأقتادها بالهزلٍ إن حاولتُ جدًّا





ولولا الهوى ما خَفَضْتُ من علوّها
فجاءت لنا طوعاً وما أنجزت وعدا
ولولا ما حنَّت ضلوعُ لذكرها
ولا رفرفت شوقاً ولا أثقلت وجدا
وتهدأ لكنّ الهوى في حراكه
يجولُ بها وقدّأ ويملأها وقدّأ
يقوم مقامَ الهمسِ عند سكوتها
ويُصْبِحُ رداً عندما لم تجد رداً
له صورٌ في وجهها فكأنما
نوازعها في وجهها حُشِدَتْ حَشْدًا
وتَفَسَّخُ من إشراقها فكأنني
أهيمُ بها روحاً وأُسْكِنها جلدًا
فيا حبّذا تلك الإشاراتُ عندما
تداعبُ شَعْرًا أو تهزُّ لها عِقدًا
إذا مَشَطَّتْ شَعْرًا لها انتشرتْ له
روائِحُ وردٍ، ربما مَشَطَّتْ وردًا

☆☆☆☆

يضيءُ بها الإشراقُ من حيثُ تنظرُ
ويبدو جلياً شوقُهُ المتنكّرُ
إذا جلستُ قام الهوى في عيونها
ويخطرُ في أعطافها حين تخطر
حراكُ لها ينزو فتنزو دوافعُ
وتدْفُقُ ألوانٌ وينسابُ سُكْرُ





بها زخْمٌ لا تستطيعُ اعتراضَهُ
تَجيشُ بها أقطارها حين يزخر
عليها ظلالٌ من شعاعاتِ قاعها
كما شَعَّ فوق النهرِ قاعُ مُنَوَّرٍ
إذا سكنتُ صارتُ إطارًا لفتنةٍ
يلوحُ عليها السَّاكنُ المتفجِّرُ
وأحلى حديثٍ في الهوى صمتُ السنِّ
لِتَنطِقَ احداقُ ووجهُ مُعَبَّرٍ
بحيثُ العيونُ السودُ بُدِّلَ لونها
ورفرفَ هدبٌ أو ترنَّحَ مِحْجَرُ
وفاضتُ أواني الوردِ حين تناثرتُ
صفائرها وأنهارَ شمعُ ومَرمرِ



أمسٍ دخلتُ حدائقَ الوردِ
ونشقتُ كلَّ توابلِ الهندِ
ودخلتُ كلَّ الأرضِ في جسدِ
وعجبتُ كيف دخلتُها وحدي
كانت مهياةً لَأَسْكُنَها
وكأنني بجنائنِ الخلدِ
وسمعتُ دفقَ الماءِ في شجرِ
أخشأبُه بمقاعدٍ مُلدِ
أمسٍ سمعتُ الطيرَ يعزفُ لي
ويقول لي وأقول ما عندي





هي ذي تجيء كأنها خرجت
من لؤلؤ أو جوهري فرد
هي ذي تجيء كأنها اتقدت
لتزيد من لهبي ومن وقدي
هي ذي تجيء وكدت أنكرها
لولا بوارق ذلك القد
وشعاع ضحكاتها اذا اقتربت
وكمن تقول: أتيت في الوعد
ونقوش ثوب خلتها خرجت
منها كنصف السيف في الغمد
ومواسم التفاح والعنب الر
ريان والأزهار والقند
جاءت إذن.. وكأنني معها
قبل اللقاء وكنت ذا وجد
أخفي بوادره وأحسبني
أنني إذا أخفيته أبدي
ماذا أقول لزرقه شهقت
بعيونها؟ لأبداً من رد
وكأنها سمعت توغها
ودبيبها المنساب في جلدي

☆☆☆☆

قد كان في بيتها توت ورمان
ودالياً وتفاح وريحان





ونافذاتُ كأن الطيرَ يعشُقُها
ففي شبابيكها بيضٌ وأوكان
وكانَ في بيتِها ركنٌ مفارشُهُ
صخرٌ قديمٌ وأعشابٌ وأغصان
كأنه والضحي النسوانُ يملأهُ
وللظلالِ مسافاتٌ وألوان
وللعصافيرِ أسرابٌ يؤلفُها
مأوى وينشرُها شكلٌ وألحان
زخارفٌ من رسوماتٍ وأخيلةٍ
يعيشها اثنانِ إحساسٌ ووجدان
بهِ دنانٌ نبِيذٌ من تقادِمِها
كأنها في حواشي الركنِ أوثنان
وكان في قلبها عشقٌ يجول بها
كأنما كلُّ عضوٍ منه نشوان
بيضاء تسكُبُ أعضاءٌ منسَقَّةٌ
يكاد يشربُها في الوهم عطشان



أشرقَ الوجدُ في الخدودِ الرِّقَاقِ
والعيونِ الشهيةِ الإِشراقِ
أشرقَ الوجدُ في الخدودِ وغنى
غزلٌ يستحثُّنا للتلاقِ
أشرقَ الوجدُ في الخدودِ وللأغـ
ضاءِ سَكْبٌ كالجدولِ الرِّقراقِ





يا غصون التفاح حرّككِ الوجْ
— دُفِمالَتْ غصونُهُ للعِناق
يا غصون التفاح أثقلكِ الشو
قُ ففاض التّفاحُ حلوَ المذاق
إنّهُ موسمُ الحصارِ وللعشْ
رَيْنَ شوقٍ يا موسمَ الأشواق
صدرُها بيدُرُ.. وأعينها نا
رُ وفي شَعْرِها انسيابُ السّواقِ
وهي شقراءُ في مضامينها الشّع
رُ وفيها طلاقَةُ الآفاق
من بناتِ القصور والنّعَم الكسـ
لى ومِن قَمّةِ الجمالِ الرّاقِ

☆☆☆☆

تطايَر من أسافلِها بريقُ
وفاض على ضفائِرها شروقُ
فلَمْ يدرِ الهوى من حيثُ تبدو
أَيَعْقُلُ أمْ يَطيشُ به الفسوق
إذا استقصى ملامحَها تراءتُ
مَلامِحُ غيرِها ودُمّ عريق
لها ألوانُ امرأةٍ ولكن
تَقَمّصها لهيبٌ أو حريق
تَداخلها نُعاسٌ وهي صحوُ
ورنّحها شعورٌ لا يفوق





يُشَابَهُ شَعْرُهَا ثَوْبًا عَلَيْهَا
حَرِيرِيًّا تُطَرِّزُهُ الشَّقَوقُ
يُنَافِرُ بَعْضُهُ بَعْضًا إِذَا مَا
تَوَافَقَتِ الْمَلَامِحُ وَالْعُرُوقُ
لَهُ فَتَحَاتُّهُ وَلَهُ شَذَاهُ
كَذَاكَ لَهُ تَدْفُقُّهُ الرِّقَاقُ
إِذَا انْسَرَحَتْ ضِفَائِرُهَا عَلَيْهِ
تَدْفُقُ مِنْ أَعَالِيهَا الْعَقِيقُ
كَأَنَّ النَّيْلَ فِي دِمِهَا يَغْنِي
وَتَحْتَ سَكُونِهَا عَطَشٌ عَمِيقُ
ظِلَالُ النَّقَا هَلْ أَتْلَفْتُكَ الْمَتَالِفُ
وَهَلْ خَطَفَ الْجُورِيُّ فِي الْجُرْفِ خَاطِفُ
وَهَلْ بَدَّلَتْ أَوْطَانَهَا جَذْوَةُ الْهَوَى
وَهَلْ نَامَ سُمَّارٌ بِهَا وَعَوَازِفُ
سَنَمْنَا رَحِيلاً لَا يَوُوبُ وَرَبَمَا
يَسَافِرُ شَوْقٌ وَهُوَ حَيْرَانٌ وَاقِفُ
وَلَمْ أَدْرِ مَا مَعْنَى انْصِيَاعٍ لِأَرْعَنِ
عَسَوْفٍ تَحَاشَتَهُ النُّفُوسُ اللَّطَائِفُ
وَلَمْ أَدْرِ مَا هَذَا الَّذِي لَا تَجِرُهُ
حِبَالٌ وَلَا يَقْتَادُهُ الْمُتَعَاطِفُ
يَوَدُّ لَوْ أَنَّ الْجِلْدَ فِيهِ حَرَّاشِفُ
لِيَبْطِشَ وَالْكَفَيْنِ مِنْهُ مَغَارِفُ
ظِلَالُ النَّقَا لَا تَعْجِبِي مَنْ وَجُودَهُمْ
بِكُلِّ مَكَانٍ وَاحْتَوَتْهُمْ مَتَاحِفُ





هي الأرضُ تمتدُّ انصياغاً لرغوةٍ
يفيخُ بها بحرٌ ويمخضُ عاصف
مخاضَ التي ما أرضعتُ من حليبها
سوى خابطٍ في ليلها وهو راشف
إذا أومأتُ شيطانُ نهرٍ تلبَّدتُ
عليها تماسيحٌ ودبَّبتُ زواحف
ظلالَ النِّقا ما كنتُ أدري بأنني
سألَقاكِ أو في ساعةٍ نتعارف
ولم أدِرْ أنَّ العطرَ مثلي مهاجرٌ
ولم أدِرْ أن الورْدَ مثلي مُجازف



لا تلمُهْ إنه يختنقُ
كلُّ شيءٍ وله مُنطَلَقُ
تمكثُ الاشياءُ في داخلِها
ولها مخرجُها المتَّفَق
يربط الكونَ نظامٌ وكذا
في نفوس الملهمين النُّسق
ودواعيها التي تأتي كما
يتجلَّى في الغروبِ الشَّفَق
إنه يسكنُ في فعلتهِ
مثلما يحملُ نجمًا أفق
ويُروِّي عطشًا من عطشٍ
وله من حاجزاتٍ طُرُق





ومطلٌ فوقهم ترفعه
قممٌ أن حاولوها أخفقوا
لا تلمه إنه لمّا يزل
يسكن النار ولا يحترق

☆☆☆☆

لكي يكون الصبأ حلواً ومكتملاً
لابد أن تفهمي يا حلوتي الغزلا
لابد أن تفهمي معني تلتفتينا
وفي التلفت تلويح لمن غفلا
ماذا عليك إذا حامت مواسمنا
على ربيعك عشقاً لم يجد بدلا
أفدي رواق الهوى من حيث تسلكه
خلاخل الشد وهاجاً ومفتعلا
وحيث نقرأ ميعاداً على شفة
وأعين ترسم الاقمار والظلالا
وقد يقوم حوار بين صامته
وصامت يتهجى الصمت والعلا
أفدي استراحاتها من حيث تحضنها
أرائك الورد أفدي الثغر والمقلا
وقد تزحزح ثوب عن مواضعه
بلا اكتراث وفكث شعرها الثملا
وللغرام حديث طالما نطقت
به الخدود التي قد عبت شعلا





تكاد تخرجُ من شَتَّى حواجزِها
كأنها من خلايا تدفُقُ العسلا
يظلُّ سكونُها غرلاً شهياً
يفيضُ على جوانبِها شَجِيّاً
فلم أسمعُ بجسم صار صوتاً
كأنَّ بجسمها صوتاً خَفِيّاً
كأنَّ سكونها يُضفي عليها
ثياباً تُنتَخي شيئاً فشيئاً
إذا التَبَسَ الهوى فيها أضاءتُ
حراكاً يرسمُ الشُّوقَ القصياً



إن كان يعنيكَ إنني ليس يعنيني
وما انتميتُ لشيءٍ غيرَ تكويني
الأربعونَ التي مرَّتْ على مضضٍ
لا استسيغُ لها شكلاً بخمسيني
فَايَضْتُها بهبوبٍ لا يطاوعني
إذا عمدتُ إلى شيءٍ من اللّين
وكنتُ أحوجُّ من أثلٍ إلى مطرٍ
أصدُّ عنه واستسقي براكيني
وما عميتُ ولكن ربما انحرفتُ
هذي الطريق التي قد خلتُ تهديني
قرأتُ ومُضَّ كتاباتٍ يجيء بها
أتِ قريبٌ كأنني شبهٌ مسكون





كأئما الأرضُ نحو الأرضِ زاحفةً
أو أنها خرجتْ من كفِّ تَنَيْنٍ
شَبَعْتُ من لدغِ ثعبانٍ يُحاصرني
حتى انتميتُ لأخلاقِ الثعابين
والناسُ توغلُ في شتى نقائِضِها
واستُهلِكْتُ حالةَ التَّرويضِ والهنونِ



أرى خرزَ القِلادةِ صارَ شدوا
وفيروزَ المعاضِدِ صارَ شجوا
إذا اختَرَكْتَ تدفَّقَ نهرٌ مسكٍ
وغنَّى لؤلؤٌ فيها وضوا
كأنَّ حُلِيِّها انسكبتْ عليها
تُشابهَ جسمَها عضواً فعضوا
صَمُوتٌ والبَواعثُ ذاتُ صوتٍ
كأنَّ غرامَها في الصَّمتِ أقوى
تصيرُ عيونُها صحفاً إذا ما
تلوَّى في رموشٍ ما تلوَّى
وما هذي العيونُ سوى ضلوعٍ
يفيضُ بها الهوى فتصيرُ نجوى
فَيا شوقَ العيونِ إذا تجلَّى
ويا وردَ الخدودِ إذا تروَّى





ويا أغصانَ بانٍ من عظامٍ
يميل بها الهوى فتميلُ نشوى

☆☆☆☆

رأها ضحوةً ورأى هواها
وبثَّ لها الهوى حتى شجاها
رأها ضحوةً فكان ليلاً
يفاجئُ بها لما رأها
بسوداءِ الملامح قد تعرّى
بها شكلُ الهوى حتى نضاها
كان سوادها أمسى بياضاً
أطاح بكل لونٍ ما خلاها
تُزخرفُها نجومٌ من عقودٍ
تشبُّ بها وثوبٌ ما كساها
تَقاصرَ عن أسافلها وشدَّتْ
مواقِعُه وغطَّاهُ صباها
تكاد تمورُ من عشقٍ إذا ما
أتته فاحتوتُه واحتواها

☆☆☆☆

والقت على الأعشابِ ثوباً كأنه
من العُشبِ إلا أنه ليس يذبلُ
وزقزقَ عصفورٌ جريءٌ فتمتمتْ
ألا يستحي العصفورُ منا ويخجلُ





كَأَن بِهَا رَغَوًا مِّنَ الْقَطَنِ أَوْ غَفَتْ
مِفَاصِلُهَا أَوْ لَمْ يَعِدْ ثُمَّ مِفَصِل
لَهَا زَخْمٌ فِي جَسْمِهَا يَسْتَحِثُّهَا
وَتَهْدَأُ حَتَّى خِلَتْهَا تَتَبَيَّلُ
إِذَا اجْتَمَعَتْ تَحْتَ اللَّهِيْبِ تَطَامَنَتْ
وَتَنْتَفِضُ الْإِلَـوَانُ فِيهَا فَتُذْهِلُ
رَعَى اللّٰهَ مَقْهَى فِي الضَّفَافِ كَأَنَّهُ
مَعَ اللَّيْلِ تَأْوِي الشَّمْسُ فِيهِ وَتَنْزِلُ
تَفْرُشُ عِنْدَ الْجُرْفِ كَالْحَوْتِ هَيْبَةً
وَبَاطِنُهُ وَرْدٌ وَطَيْرٌ وَمُخْمَلٌ
تَكَادُ بِهِ الْجِدْرَانُ تَرْفُلُ رِقَّةً
وَلَمْ أَرْ جِدْرَانًا كَهَاتِيكَ تَرْفُلُ
عَجِبْتُ لِهَذَا الْكُونِ كَيْفَ تَنَاسَقَتْ
نَقَائِضُهُ وَامْتَدَّ وَهُوَ مُكْبَّلٌ

☆☆☆☆

تَمَرُّ عَلَيْنَا وَلَا تَسْأَلُ
وَتَغْفُلُ عَنَّا وَلَا نَغْفُلُ
يَسَايِرُكَ الْقَلْبُ حَيْثُ اتَّجَهْتَ
وَتَرْحَلُ وَالْحَبُّ لَا يَرْحَلُ
أَيَا قَمَرَ الْحُسَنِ إِنَّا نَرَاكَ
بَعِيدَ الْمَنَالِ لِمَنِ يَأْمَلُ





وننزل طوعاً لما تبتغي
وأنت تضيء ولا تنزل
نعد الليالي وأيامها
ويكمل شهر كما تكمل
وأنت خيال بإفاقه
يجسده حسنك المرسل
عجبت لكونك من طينة
تشع فتشعل ما تشعل
كأنك ورد ولكنّه
تمرّ الشهور ولا يذبل
كان اختلافات أشكالنا
لها عامل خلفها يعمل

☆☆☆☆

يُنَادِيهَا بِأَصْوَاتِ الْعَقِيقِ
«بِمَسْبَحَةٍ» لَهَا صَوْتُ الشَّهِيْقِ
بِهَا خَرَزٌ يَمِيلُ إِلَى احْمَرَارِ
وَأَخْرَفِيهِ مِنْ قَطْعِ الْبُرُوقِ
أَنْيَقُ مِثْلَ أَعْضَاءٍ تَلَخَّطَتْ
هُوًى فِي ذَلِكَ الْجَسَدِ الْأَنْيَقِ
إِذَا عَزَفَتْ أَصَابِعُهُ عَلَيْهَا
تَجَاوَزَتْ الْوَقَارَ إِلَى الْفَسُوقِ





يتابعُها حراك هوى عيونٍ
لها سودٌ تميل إلى الشروق
كأنَّ خيوطها ربطت هواها
ففيها من تغلغلها العميق
فيا خرز العقيق لقد سمعنا
صداك يرنُّ في جسدِ العقيق
وقد تتقارب الاضدادُ حتى
كأن الماء من بعض الحريق

☆☆☆☆

تراءت لنا كالوردِ لو يملكُ الوردُ
عيونًا لها من روعةٍ صور تشدو
تراءت لنا في مجلسٍ كلُّ من بهِ
معاقرُ كأسٍ أو مشوقٌ له وعدُ
مصايحُ عرسٍ فوقه قد توقَّدتْ
تُضيءُ خدودًا أو عيونًا لها وقدُ
تشعُّ عقودٌ في أكفٍّ كأنها
إذا صفَّقتْ يهتزُّ من نشوةٍ عقد
تراءت لنا حتى إذا ما توضَّحتْ
ولاح لها ثغرٌ وشعٌّ لها خدُ
عرفنا الهوى فيها ومن مارس الهوى
خبير به.. والوجدُ يعرفه الوجد
وما لبثت إلا قليلاً فأومأتُ
على حذرٍ والشوقُ في وجهها يبدو





وقامت وما كادت ولكن شوقها
يقوم بها.. تشتد من حيث يشتد
لها معضد في ساعدٍ وقلادة
يكاد حُبابُ الدرّ في سلكها يعدو
يظلُّ سكونُها همسًا خفيًا
تفيضُ خلاله عطشًا شهيا
ويبقى صوئها الأقصى حراكا
قصيا يرسم الشوق القصيا
تميلُ بها الصبابة فهي نشوى
وتسقيننا ملامحها الحميا
إذا ارتسم الهوى فيها وفاضت
شطوط عيونها نورًا نقيًا
وأفرغت الملامح ما توارى
بها وبدا الهوى فيها جليًا
تصير ككرمةٍ فاضت عصيرًا
وكانت قبلها لونا وفيًا
وقالت سوف تلقانا مساءً
كما تلقى الهوى فينا فتيا
فهلّا قد وجدت لنا مكانًا
بعيدًا عن عيونهم قصيا
أدير إذا رأيتك عنك وجهي
لأحجب عنك ما في مقلتيًا

☆☆☆☆





قالت: سألّك في أقصى تلهفها
غداً.. وكلُّ مرامي أن يجيء غدٌ
في ثغرها يتمطّي ثغرها وعلى
عيونها زخمُ الأعماق يرتعد
كأنها أخذت من طبع مائدةٍ
وكُرْمةٍ.. فلها من روعةٍ عدد
كأنها وأنا والليلُ يشملُّنا
بلا مكانٍ مواعيدٌ ولا أحد
نجل تحت مصابيحٍ نُحاذِرُها
ونعتلي طرقاً أنحاؤها نكد
أشتاقُها فإذا لاحت بواردها
أبعدت من ولهي لو كان يبتعد
سمراء لا تُبرزني ثغراً معطرةً
أنحاؤه ولساناً كاد يتّقد
إن كان ثغرك ذا لون فقد حفلت
بكِ التلاوين من أشكالها جسد
مُسرحٍ مثلما شاءت ضفائره
مُجمّع كسلالِ الورد مُحتشد
يا غربة العطشِ النّشوانِ ما برحت
أشواقنا موغلاتٍ والهوى مدد
كأنني داخلٌ في غرفةٍ سنحت
ليّ المقاعد فيها حيث أقتعد

☆☆☆☆





يطولُ التِّفَاطِي نَحْوَهَا وَتَوَقُّفِي
وَأَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي لَهَا وَتَلْهَفِي
إِذَا هَدَأَتْ ضَجَّتْ مَلَامِحُ وَجْهِهَا
ضَجِيجُ خَطوطٍ فِي تَلَاوِينِ زَخْرِفِ
بِهَا عَطَشٌ لَا يَرْتَوِي وَلَطَامَا
تَرَوِي الْهَوَى مِنْ سَكْبِهَا الْمَتَكْشَفِ
تَجَاوَزَ فِيهَا الْحُسْنَ حَدًّا أَحَالَهَا
خِلَاصَةً بَحْرِ أَوْ قَنَاعَةً مُسْرِفِ
إِذَا انْطَلَقَتْ فِي شَوْقِهَا وَقَفَ الْهَوَى
عَلَيْهَا وَقُوفَ الْهَائِمِ الْمُتَصَوِّفِ
تُضَاعَفُ مِنْ إِشْرَاقِهَا خَبْرَةٌ لَهَا
بِعَطْرِ مَثِيرٍ أَوْ قَمِيصٍ مُفَوِّفِ
ظَوَاهِرُهَا إِنْ سَيَّئَتْ قَدْ تَثَقَّفَتْ
وَبَاطِنُهَا وَحْشِيَّةٌ لَمْ تُثَقَّفِ
تَهْزُ سَكُونُ الشَّوْقِ عِنْدَ اهْتِزَازِهَا
وَتَوَقُّفِهِ فِي حَالَةِ الْمُتَطَرِّفِ

☆☆☆☆

دَوَاعِي الْهَوَى فِي مَقْلَتِهَا لَهَا وَثْبُ
وَفِي مَحْتَوَاهَا الشَّوْقُ أَوْ أَنَّهُ الْحُبُّ
لَهَا حَرَكَاتٌ مِثْلُ إِيْمَاءٍ زَنْبِقِ
وَفِيهَا سَكُونٌ مِثْلَمَا هَدَأَ اللَّعْبِ
بِهَا مَرَحٌ بَادٍ وَأَخْرَ مُخْتَفٍ
وَفِيهَا شِعَاعٌ لَا يَذُوبُ وَلَا يَخْبُو





تحاول كتمان الهوى واحتباسه
وينشرها من عمقها الغزل العذب
وللغزل الملعون شبه تطلع
بأعطافها والماء في عودها عذب
إذا حدثت أو مت ببعض حديثها
كلاماً له مغزى تكشفه صعب
تمطى بها وقد الصبا فتوقدت
وغنى حريق في ذوائبها رطب
تدير كؤوساً من عيون كأنها
خلاصة جمر أو دخان هو الهدب
ورب عيون محتواها سماوة
ورب شفاه في مضامينها شرب
سلام عليها هل سيجمعنا درب
وهل تحتويها الكف إن رفرق القلب
لقد كان فيها ما يحب مدله
وقد كان فيها ما يتوق له الصب
سلام على ألوانها الزرق إنها
خلاصة لون البحر أو دقة السكب
تفشى على سيمائها الوجد مثلاً
تنشر ورد أو تمطى بها لهب
سلام على ليل أضاء به الهوى
عيوناً على أهدابها أفق رحب
وأقصى الهوى أن ينتهي بإشارة
طواها زحام مثلاً هفتت شهب





تولّى بها من ليس يفهم طعمها
وكيف يكون القرب لو يسمح القرب

☆☆☆☆

وكانت إذا ما أبصرته توسّعت
عيونٌ وأومت بالبنان المذهب
وهبّ لها عطرٌ إذا اقتربت، له
شهيقةٌ كهمس الواله المتقرب
وكانت إذا ما قال شعراً تنبّهت
لإلهبه في شعره المتلهّب
تُباعد من أنحائها وتضمّها
إليها وترخي من جُمانٍ مُطيّب
تمارس من حالاتٍ وجِدٍ تدربّت
عليه فلم يفهمه غيرُ المدرب
وغير الذي عانى الهوى أن للهوى
تجاربٌ لا ينتاشها كالمجرب
لقد بلغت حدّاً من العشيق أنها
تمارسه جهراً ولم تنهيب

☆☆☆☆

ماذا يقول لعينيها إذا شهقت
وللشفاه التي قد عُيِّنت ضرمًا
ماذا يقول لها والوجدُ يخنقها
وقد توغّل في أعطافها ونما
تحاول الصّمت ما استطاعت وتُنطقها
ملامحُ صرّ صوتًا ما وجدن فما

☆☆☆☆





لم يبقَ في تلك الغصون بلبلُ
لم يبقَ في تلك الضفافِ خمائلُ
ولربما وهبتك قبل جفافِها
وسقتك فيها أنهرٌ وجداول
يا دارَ ليلي في الضفافِ وغرفةُ
كسقيفةِ الريحانِ وهي «شناشل»
شعبتُ بها أخشابُها فكأنها
بيضُ يواشكُ أو حمامِ راحل
كانت تضيء على الطريق ولم تكن
مأوى لنا بل للجمال منازل
أيامَ كنت تُحبُّها ولو أنَّها
عرفتُك ما رفضتُك حين تُحاولُ
عرفتُ مسالكك التي لا تنتهي
أشواطُها ولكلِّ بحرٍ ساحل
أواه يا زمنَ الهوى ولو أنه
زمنٌ يجفُّ وعالمٌ يتضاءل
أيامَ كانت جنةً مقفولةً
أبوابُها.. أو ليس منها طائل
لكنها ممَّن يعانيه الهوى
عينٌ بها عشقٌ وقلبٌ ذاهل
تنقادُ للرغباتِ حين تقودُها
سهواً ويمسكُها الجمالُ العاقل
لم أدِر كيف ذكرتها ولعلَّها
مثلي لها ذكرى وحبٌّ فاشل





ولنا علومٌ في الهوى وأشفَّها
عشقٌ على اللاشيءِ وهو موصل
ولقد عشقنا غيرَها لكنها
عشقٌ قديمٌ عهدُهُ وتكاسل
تعتاد منطرحًا على حالاته
يغلي وفيه مسافةٌ ومَجاهل
والعمرُ يسألُ آخرٌ عن أوَّل
فيه وأيَّامُ الشَّبَابِ قلائل
والأرضُ مازالتُ زخارفُ سندسٍ
تنمو وينمو شكلُها المتكامل
والأرضُ إنسانٌ يقيمُ وآخرُ
في كلِّ أُنْثَىٍ مقيمٌ راحل
وكأنه مما يعاني رغبةً
لا تنتهي وتقمصته زلازل
أسفي على الجنَّاتِ وهَيَّ ذوابلُ
أسفي على الحاراتِ وهَيَّ ثواكل
أسفي على التَّفاحِ في أغصانه
مثلُ الخواصرِ أو دحته حواصل
يتنَّابُ العصفورُ تحت ظلالِها
ويسيحُ فيها النحلُ وهو قوافل
وكوؤوسُ سُمَّارٍ كأنهم على
عطشٍ فتشربُ ليلاً وتغازل
أسفي على تلك التي أقنعتها
أبهى الحليِّ قلائدُ وخلائل





فَتَحَتْ صَنَادِيقَ الْهَوَى فَأَسَاوَرُ
وَحُصَوَاتٍ وَحَرَائِرُ وَمَكَاحِلُ
وَحَزَائِنُ لِلْعَشَقِ فِي حَرَكَاتِهَا
وَبِهَا جَمَالٌ حِينَ تَنْظُرُ هَائِلُ
لَمْ أَدْرِ عَنْهَا غَيْرَ أَنَّ حَقُولَهَا
جَفَّتْ وَسَاحَاتُ الْبُيُوتِ عَوَاطِلُ
وَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ الْحَوَانِيتُ الَّتِي
كَانَتْ لَهَا عِبْرَ الطَّرِيقِ مَدَاحِلُ
وَكَأَنَّ هَذِي الْأَرْضُ رَغَمَ رِصَانَةٍ
وَحِصَانَةٍ تَهْتَزُّ أَوْ هِيَ حَامِلُ
وَالْأَرْضُ كَالْأُنْثَى يَهْزُ مَخَاضُهَا
أَحْشَاءَهَا وَلَهَا مَخَاضٌ بَاطِلُ
وَلَقَدْ سَهَرْتُ اللَّيْلَ وَهُوَ عَوَاصِفُ
شَتَى عَلَيْهِ مِنَ الرَّمَالِ جَدَائِلُ
تَبْخِضُ تَحْتَ ظِلَامِهِ فَكَأَنَّهَا
شَيْبٌ يَسِيحُ بِوَجْهِهِ وَدَمَامِلُ
بِمَدَائِنِ حَارَاتِهَا مَهْجُورَةٌ
وَبُيُوتُهَا بِالْمُؤَنَسَاتِ أَوَاهِلُ
كَمْ ثَرَثَتْ تِلْكَ الْمَرَاشُ فَخَاطَبَتْ
وَمِنَ الْعَبِيرِ وَسَائِلُ وَرَسَائِلُ
كَانَتْ عَلَى عِلْمٍ بِنَا فَحَدِيثُنَا
صَمْتُ لَنَا فِيهِ حَوَارٌ شَامِلُ
يَا ثَوْبَهَا الْمَزْرُوعُ فِي أَعْضَائِهَا
يَا رُوعَةً فِي رُوعَةٍ تَتَدَاخِلُ





وكأنها عينٌ وراء نقوشه
ترنو لنا أو فيه وهُمٌّ مائل
حاولتُ لُقيها هناك وربما
حالت على صفو فكيف حوائل

☆☆☆☆

لا تَلْمَسِي لَهَبِي لا تَقْرَبِي جِمْمي
إن كنتِ عاجزةً أن تُطفئي ضَرْمي
إن كنتِ عاجزةً أن تُنعشي عطشي
أو كنتِ عاجزةً أن تُشبعي نَهْمي
في كلِّ يومٍ أرى الألوآنَ زاهيةً
تحفُّ جسمك من رأسٍ إلى قدم
في كلِّ يومٍ أشمُّ العطرَ منسكبًا
من لونك البضُّ أو من شَعرك العَتم
في كلِّ يومٍ أراني منكِ صاريةً
بلا شرعٍ وصقراً قاحلَ القمم
أنا سفينتُ عشَّاقٍ مهَيَّاةً
على ضفافك لم تهدأ ولم تنم
هل تُقلعينَ معي؟ هل أنتِ قادرةٌ
على بحاري على تيارها العَرم
على رياحي التي للآن ما برحتُ
تُسائل الليلَ والافاقَ عن حُلُم
أفرُّ منكِ ولكني أعودُ كما
يعودُ للوكرِ طيرٌ أو دم لدم





لا استطيعُ مفرّاً منك يا قدرِي
ويا غرامي ويا حبيّ ويا صنمي
ويا قوافلَ ألوانٍ تُفاجئني
ويا ظهيرةَ عشقٍ يا ضحى نغم
يكادُ يلصقني الإحساسُ في صورٍ
على زخارفِ شعرٍ أو رتوشٍ فم
أعيشُها ملءَ حسي ملءَ ذاكرتي
وكنْتُ أرفضُ إحساسي من السّأم

☆☆☆☆

فَدَتِكَ اللياليِ الحمرُ والخضرُ والزرقُ
وللكأسِ أنهارُ شحيحٍ بها الدَّفْقُ
فَدَتْ ليلةٌ كانت خلاصةَ ليلةٍ
أعالجُ فيها الشوقَ لويهدأ الشُّوقُ
تَشَفُّ خدودُ عن وميضٍ وتغتلي
عيونُ لها في عمقِها مُوغلٌ عمقُ
وشعَّتْ على أعضائها خافياتُها
كفجرٍ تعرّى أو كما انفتَحَ الأفقُ
تراختُ بها أردافُها فكأنها
حنايا حَمَامٍ راحَ يَرعشُهُ الرِّقُ
إذا ما انتشتُ صارت عصارَةَ نشوةٍ
وتصدّقُ في حالاتِها والهوى صدقُ
كأن هواها والكؤوسُ تَشَبُّهُ
ويأخذُ منها الهمسُ واللفظُ والرفقُ





تمطى بها في طولها ثم رفرفت
متون لها همس وصدّر له خفق
تراكم فيها بعضها فوق بعضها
وسرّح من أنحائها شوقها الطلق
يجول بها حتى إذا التّمعت له
شعاعاتها الأخرى تمادى به العشق



كأنك لم تفهم شعوري وموقفي
وماذا بهذا الصّمت والحزن يختفي
كأنك لم تقرأ كتابات أعين
ولا لمست كفاك أضلاع مُدْنِف
أحاول كبحاً من جماح كآته
جماح لجوٍ واقفٍ عند مخلف
نساير ما فينا من العشق لا نرى
مَفرّاً لنا منه ولم يتلطف
وقلت التمس عنها طريقاً ولم أجد
طريقاً وما لي حيلة المتزلّق
ألم ترها لا تفهم القول عندما
نقول ولم تعطف على المتعطف
ونقرع أبواباً قبيل دخولنا
إلى بيتها النشوان من كل زخرف
وعطراً إذا اشتدّ شقته فكانني
ترشفتة في نشقة المترشف





ويا ليتَ أشياءَ حوَّتْها رقيقةٌ
تُروِّضُ ما في قلبِها من تَصَلُّفٍ
تشدُّ شذوذًا عن تناسقِ حالةٍ
تعيش بها في حالة المتعجرف
إذا ما رأت فينا حنينَ كآبةٍ
تصدُّ بوجهٍ مُتَرَفٍ ومُشَنَّفٍ
سلامٌ عليها ربما انتبهت لنا
ولكنها في نشوةِ المتعسِّف
وليس الذي عانى الهوى عن طبيعةٍ
كذلك الذي عانى الهوى عن تَكَلُّفٍ



يلوئنا في العشقِ من يجهلُ
يا ليتَه يحملُ ما نحملُ
وليتَه عانى الحريقَ الذي
ترسمُه العيونُ والأناملُ
يا ليلةَ «المرقاب» إنَّ الهوى
ما زال في أوطانه ينزلُ
ما برحَ العشقُ هنا عامرًا
ولم يزلْ عالمُه الأوَّلُ
هنا مكانَ البئرِ مُذْ أرسلتُ
دلاءَها، وثوبُها المَحْمَلُ
هنا السطوحُ لم تزلْ كلُّها
نوافذُ تُفتَحُ أو تُقفَلُ





تطوّر العشقُ هنا وابتنَى
له بيوتًا مثلما نفعل
والحبُّ كالإنسانِ يأوي إذا
شاء وقد يقيمُ أو يرحل
لن تقفل الدنيا وإن حاصروا
أفاقها والنجمُ لا يذبل
يا حارةً في حارةٍ أُدرجتُ
كأنها في حُلٍّ ترقُلُ
لو يعقلُ المنزلُ ما تحته
لكنه هيهات لا يعقل



حاولُ أن تقولَ ولا تقولُ
سوى ما يرسم العطشُ الخجولُ
يفيخُ على ملامحها فتدنو
مشارفها ويتّضحُ السبيل
كان بجسمها شيئاً مُشعّاً
وإلا فهي من قبسٍ بديل
يؤنّقها الهوى وتظلُّ نشوى
مُهيّأةً كما نضجتُ حقول
تكاد تزغردُ الحركاتُ فيها
ويحشوها إذا سكتتُ هديل
ليس من عادةِ الحبِّ الرجوعُ
عن هـواهٍ فإنه مدفوعُ





فاغذريه إذا أتاكَ وأبدي
شوقه فاحتباس شوقٍ فظيغ
حجبوا مقلتيك عنه فشعت
برؤى مقلتيك منه الخُلو
خَفَضَ الحبُّ صوتَه فهو همسٌ
وقنوطٌ وصبوَّةٌ وولوع
وهو نشوان في مفاتنك الأخـ
رى يريد الوصولَ لو يستطيع
فجَرَّتْهُ ابتسامَةٌ منك شبَّتْ
في سخاءٍ كما تشبُّ الشموع
عندما كنتِ تجلسين بصمتٍ
وحراكُ الهوى عليك سريع
فوق ما يستطيع قلبٌ غرامٍ
فوق ما يستطيع جسمٌ خشوع
مَهَّدَ الوجدُ جانبك وأبدتِ
أعينُ صبوَّةً لها اسبوعُ
في يديه شذا يديك ومازا
لَ يجاريك دائماً ويطيع



في صوتها هاجسٌ وفي فمها
زخارفٌ والجمالُ في دمها
كأنها والهيامُ يُقعدُها
مشدودةٌ في هوى تخرمُها





كَأَنَّمَا شَعْرُهَا بِهِ فَرَحٌ
أَوْ أَنَّهُ مِنْ شِعَاعِ مَبْسَمِهَا
مِنْ شُورَةِ الْجَانِبِينَ قَائِمَةٌ
يَا رَوْعَةَ الْحُسْنِ فِي مَقُومِهَا
تَهْتَرُ فِي زَخِيمِ قَلَائِدِهَا
تُلَاصِقُ الصِّدْرَ دُونَ مَحْزَمِهَا
يَسْمَعُ فِي صَمْتِهَا غَوَامِضُهَا
وَيُلَمَسُ الْعَمِيقُ فِي تَكَلُّمِهَا
كَمْ خَبَّطَتْ فِي ثِيَابِهَا يَدَهُ
وَشَدَّدَتْ مِنْ خُنَاقِ مَحْزَمِهَا
يَسْأَلُهَا وَصَالَهَا وَتَسْأَلُهُ
وَيَسْبِقُ الْوَعْدَ قَبْلَ مَقْدَمِهَا
مَوْلَاهُ فِي بَهَاءِ طَلْعَتِهَا
مَعْلُوقٌ فِي ثَمَارِ مَوْسَمِهَا

☆☆☆☆

أَزَاحَتْ عَنْ مُحَاسِنِهَا الْقَنَاعَا
فَصَارَتْ بَعْدَمَا أَلْتَبَسَتْ شُعَاعَا
تَخْطِي وَجْدَهَا مَا قَدْ تَرَاءَى
وَصَيَّرَهَا اِنْسِكَابًا وَأُنْصِيَاعَا
لَقَدْ حَمَلْتُ سَنِينَ الْعَشْقِ فِيهَا
كَمَا حَمَلَ الْهَوَى فِيهَا الصَّرَاعَا
يَفْكُ لِفَائِقًا مِنْ لَيْلِ شَعْرٍ
وَيَدْخُلُ كَهْفَهَا قَاعًا فَقَاعَا





كَأَنَّ الْأَمْسَ صَيَّرَهَا نَبِيذًا
تَعْتَقُ فِي مَفَاصِلِهَا وَمَاعَا
فَلَمْ يَذُرْ أَيْنَشَقُّ نَفْحَ مَسِكٍ
تَنْشُرُ فِي جَوَانِبِهَا وَشَاعَا
أَمِ الْعَطَشُ الْقَدِيمُ لَهُ نَشُورٌ
إِذَا احْتَدَمْتُ وَقَدْ مَدَّتْ ذِرَاعَا
كَأَنَّ دِمَالَجَ الْفَيَروُزِ فِيهِ
تَشَابَهَهَا شُرُوقًا وَالْتِيَاعَا
وَقَدْ قَالَتْ وَدَاعًا حِينَ وَلَّيْتُ
عَلَى عَجَلٍ وَمَا قَالَتْ وَدَاعَا
سِوَى شُعْلٍ تَزْجُ بِهَا الْخَفَايَا
بَعَيْنِيهَا فَتَتَسَعَّ اتِّسَاعَا

☆☆☆☆

سَلَامٌ عَلَى أَلْوَانِهَا حِينَ تَشْرِقُ
تَكَادُ عَلَى أَعْضَائِهَا الْبَيْضُ تَنْطُقُ
سَلَامٌ عَلَى صَمْتٍ تَرَكَمَ تَحْتَهُ
حَدِيثٌ لَهُ عَمَقٌ لِمَنْ يَتَعَمَّقُ
سَلَامٌ عَلَيْهَا كُلَّهَا حِينَ أَقْبَلْتُ
كَنْجَمَةٍ صَيَفٍ ضَوْوُهَا يَتَرَقَّرِقُ
يَغْنِي بِهَا مَسِكٌ وَيَهْتَفُ فَوْقَهَا
قَمِيصٌ لَهُ إِطْرَاقُهَا حِينَ تُطْرَقُ
يَلَاصِقُهَا حَتَّى إِذَا اعْتَرَضَتْ لَهُ
أَسَافِلُهَا الْأُولَى احْتَوَاهُ التَّأَلُّقُ





كأن الحليّ الوامضاتِ بصدْرِها
وفي معصمِها مثلُها تتعشّق
فهنّ رقيقاتُ الملاحِ حلوةٌ
وهنّ رشيقاتُ وفيهنّ رونق
كأنّ العيونَ الزرقَ أحواضُ نشوةٍ
وأهدابها الشقراءَ طيرٌ محلّق
ولما ترامتْ فوق مقعدها ارتَمَى
بأحضانِها عقدٌ وشعرٌ منمّق
له زخمٌ من حولِها فكأنه
مخاضاتُ عشقٍ فوقها تتدفّق

☆☆☆☆

كانت وإيَّاهُ كما انسَجَمَا
لوانٍ وأنسكبتْ به سَكَبَا
ويزيدُها حبًّا توهّجُه
ولهيّبُه فتزيدُه حبًّا

☆☆☆☆

جاءت تهاديَ بالحريرِ الأسودِ
سمراءُ ترفلُ بالشَّذَا والعسجدِ
صبغتْ عباءَها الحليّ وأومضتْ
من تحتها فكأنها لم ترتدِ
جاءت عبيزَ حرائرٍ وطفائِرِ
وشعاعَ ألوانٍ ورنةَ مُعضدِ





ورسوم حناء تضيء نقوشه
أطرافها بسواده المتلبّد
وقلادة كالعشّ زقزق تحتها
طيران شعث في الأديم الأملد
جاءت وليل الشرق في أحداقها
وشموسه في جسمها المتوقّد
كانت خلاصة عالم قد جدّت
أشكاله في شوقها المتجدّد
خرجت ملامحه بها فكأنها
رجع الصدى أو لفظة المتفقّد
كانت سطوراً من كتاب لم تنل
صفحاته، أو جذوة لم تخمد
كانت كخيمة عاشق منصوبة
تحت الرياح وصورة من معبد





المحتوى

المجلد الأول

- تصدير، أ. عبدالعزيز سعود البابطين ٣
- مقدمة، د. عبدالله أحمد المهنا ٧

الديوان الأول

النور من الداخل

- مذكرات بحار: المذكرة الأولى ١٣
- المذكرة الثانية ١٧
- المذكرة الثالثة ٢١
- المذكرة الرابعة ٢٤
- المذكرة الخامسة ٢٧
- المذكرة السادسة ٣٠
- المذكرة السابعة ٣٣
- المذكرة الثامنة ٣٦
- المذكرة التاسعة ٤٠





- ٤٣ المذكرة العاشرة -
- ٤٥ المذكرة الحادية عشرة (اللؤلؤة) -
- ٤٨ المذكرة الثانية عشرة -
- ٥٠ المذكرة الثالثة عشرة -
- ٥٤ المذكرة الرابعة عشرة -
- ٥٧ المذكرة الخامسة عشرة -
- ٥٩ المذكرة السادسة عشرة -
- ٦٢ المذكرة السابعة عشرة -
- ٦٥ المذكرة الثامنة عشرة -
- ٦٧ المذكرة التاسعة عشرة -
- ٧٠ المذكرة العشرون (العودة إلى الأرض) -
- ٧٥ من بلاد الهولو -
- ٨٢ العامرية -
- ٨٤ الفجر ومدينة البحار -
- ٨٧ أربع أغنيات لجارية القصر -
- ٨٩ الذي احترق ولم يميت -
- ٩١ أغنيتان (للحروف المحترقة) -





- ٩٤ - المسافر مع الأغنيات (إلى فهد العسكر)
- ٩٨ - يا نار عينيك
- ٩٩ - المتتبي
- ١٠١ - عذارى النيل
- ١٠٣ - ما لم يقله المعري
- ١٠٦ - موت الشاعر
- ١٠٨ - التنور الكبير
- ١١٠ - لكم كرمكم
- ١١٢ - حملتك دهرًا
- ١١٤ - الليل والكلمات

الديوان الثاني الطين والشمس

- ١١٩ - نداء
- ١٢٠ - هي جذوة
- ١٢١ - قصة التاريخ
- ١٢٣ - خليجية
- ١٢٤ - عيناك





- ١٢٥ يا بيتها -
- ١٢٦ كفاني طموحًا -
- ١٢٨ شهران -
- ١٢٩ شرقية -
- ١٣٢ (٥) أبيات لها -
- ١٣٣ وحشية -
- ١٣٥ الخيال الراعب -
- ١٣٧ نواسية -
- ١٣٩ ابنة السندباد .. صمود -
- ١٤٠ لن ينطفئ الضوء -
- ١٤١ القيثارة -
- ١٤٢ في البحرين -
- ١٤٤ إلى لبنان -
- ١٤٥ في بيتها -
- ١٤٨ وقفة على السور -





الديوان الثالث رسوم للنغم المفكر

- ١٥٣ النغم الأول -
- ١٥٣ النغم الثاني -
- ١٥٤ النغم الثالث -
- ١٥٤ النغم الرابع -
- ١٥٤ النغم الخامس -
- ١٥٥ النغم السادس -
- ١٥٥ النغم السابع -
- ١٥٦ النغم الثامن -
- ١٥٦ النغم التاسع -
- ١٥٦ النغم العاشر -
- ١٥٧ النغم الحادي عشر -
- ١٥٧ النغم الثاني عشر -
- ١٥٨ النغم الثالث عشر -
- ١٥٨ النغم الرابع عشر -





- ١٥٩ النغم الخامس عشر -
- ١٥٩ النغم السادس عشر -
- ١٦٠ النغم السابع عشر -
- ١٦٠ النغم الثامن عشر -
- ١٦١ النغم التاسع عشر -
- ١٦١ النغم العشرون -
- ١٦١ النغم الحادي والعشرون -
- ١٦٢ النغم الثاني والعشرون -
- ١٦٢ النغم الثالث والعشرون -
- ١٦٣ النغم الرابع والعشرون -
- ١٦٥ النغم الخامس والعشرون -
- ١٦٥ النغم السادس والعشرون -
- ١٦٦ النغم السابع والعشرون -
- ١٦٦ النغم الثامن والعشرون -
- ١٦٧ النغم التاسع والعشرون -
- ١٦٧ النغم الثلاثون -





- ١٦٧ النغم الحادي والثلاثون -
- ١٦٨ النغم الثاني والثلاثون -
- ١٦٩ النغم الثالث والثلاثون -
- ١٧٠ النغم الرابع والثلاثون -
- ١٧١ النغم الخامس والثلاثون -
- ١٧٢ النغم السادس والثلاثون -
- ١٧٤ النغم السابع والثلاثون -
- ١٧٥ النغم الثامن والثلاثون -
- ١٧٧ النغم التاسع والثلاثون -
- ١٧٨ النغم الأربعون -
- ١٧٩ النغم الحادي والأربعون -
- ١٨٠ النغم الثاني والأربعون -
- ١٨١ النغم الثالث والأربعون -
- ١٨١ النغم الرابع والأربعون -
- ١٨٢ النغم الخامس والأربعون -
- ١٨٣ النغم السادس والأربعون -





- ١٨٣ النغم السابع والأربعون -
- ١٨٤ النغم الثامن والأربعون -
- ١٨٥ النغم التاسع والأربعون -
- ١٨٦ النغم الخمسون -
- ١٨٦ النغم الحادي والخمسون -
- ١٨٧ النغم الثاني والخمسون -
- ١٨٨ النغم الثالث والخمسون -
- ١٨٨ النغم الرابع والخمسون -
- ١٨٩ النغم الخامس والخمسون -
- ١٩٠ النغم السادس والخمسون -
- ١٩١ النغم السابع والخمسون -
- ١٩٢ النغم الثامن والخمسون -
- ١٩٣ النغم التاسع والخمسون -
- ١٩٣ النغم الستون -
- ١٩٥ النغم الحادي والستون -
- ١٩٨ النغم الثاني والستون -





- ١٩٨ النغم الثالث والستون -
- ١٩٩ النغم الرابع والستون -
- ١٩٩ النغم الخامس والستون -
- ٢٠٠ النغم السادس والستون -
- ٢٠١ النغم السابع والستون -
- ٢٠٢ النغم الثامن والستون -
- ٢٠٣ النغم التاسع والستون -
- ٢٠٤ النغم السبعون -
- ٢٠٤ النغم الحادس والسبعون -
- ٢٠٤ النغم الثاني والسبعون -
- ٢٠٥ النغم الثالث والسبعون -
- ٢٠٧ النغم الرابع والسبعون -
- ٢٠٨ النغم الخامس والسبعون -
- ٢٠٩ النغم السادس والسبعون -
- ٢١٠ النغم السابع والسبعون -
- ٢١٣ النغم الثامن والسبعون -



الديوان الرابع بقايا الألواح

- ٢١٧ الإهداء -
- ٢١٨ وتمزق الإكليل يا لبنان -
- ٢٢١ الآخرون -
- ٢٢٢ قدر -
- ٢٢٢ شمس -
- ٢٢٣ جروح في فم القمر -
- ٢٢٣ القنديل القديم -
- ٢٢٤ عن بغداد -
- ٢٢٥ قلبان -
- ٢٢٧ النفق المختفي -
- ٢٢٨ الجدران المنتفخة -
- ٢٣٠ المروج العائمة في الدم -
- ٢٣١ أبواب السرايب -
- ٢٣٢ شعر -



- ٢٣٢ مغامرة -
- ٢٣٢ الأنهار والطين -
- ٢٣٣ المزامير -
- ٢٣٤ النواحي الأخرى -
- ٢٣٥ عندما تتغير الثياب -
- ٢٣٥ الخشب الوردي -
- ٢٣٦ المتمرّد -
- ٢٣٦ الاهتداء باللمس -
- ٢٣٧ عندما يتهيا الصمت -
- ٢٣٧ الرغو والوقود -
- ٢٣٨ عندما يكتبّ النهر -
- ٢٣٨ الحانة القديمة -
- ٢٣٨ الشجر الحزين -
- ٢٣٩ الدوافع -
- ٢٣٩ التوهج -
- ٢٤١ الليل والفسق -





- ٢٤٣ آه عليك يا لبنان -
- ٢٤٤ الحارة القديمة -
- ٢٤٥ الحديث بالأصابع -
- ٢٤٦ لقاء في خيمة -
- ٢٤٧ غزل -
- ٢٤٨ المفارش الملونة -
- ٢٤٩ لبنان والأشباح -
- ٢٥٠ الأرض والشذى -
- ٢٥١ الملح والجمر -
- ٢٥٣ أيها القمر -
- ٢٥٤ العطش النشوان -
- ٢٥٥ الدم القديم -
- ٢٥٥ خطوات النهر -
- ٢٥٦ المحار -
- ٢٥٦ النيل والصندوق -
- ٢٥٧ المهابط الخضراء -





- ٢٥٨ دعوة -
- ٢٥٩ زمن السقوط -
- ٢٦١ عروق البر -
- ٢٦٢ الأشجار -
- ٢٦٣ المسبية (١) -
- ٢٦٥ المسبية (٢) -
- ٢٦٦ مناورات قبل اللقاء -
- ٢٦٧ لقاء في بيوت الشعر -
- ٢٦٨ النهر والقلعة -
- ٢٦٩ وقوف الاشجار -
- ٢٧٠ الشوق المتلف -
- ٢٧١ الدماء المختلفة -
- ٢٧٢ شروق -
- ٢٧٢ الصفر -
- ٢٧٣ الحديث من خلال الملاح -
- ٢٧٤ الليل والشباب الزرق -
- ٢٧٥ كأني رأيته -



الديوان الخامس

ذاكرة الآفاق

- ٢٧٩ - قصائد عن بغداد: القصيدة الأولى
- ٢٨١ - القصيدة الثانية
- ٢٨٣ - القصيدة الثالثة
- ٢٨٥ - القصيدة الرابعة
- ٢٨٦ - القصيدة الخامسة
- ٢٨٩ - القصيدة السادسة
- ٢٩٠ - النزيف الجديد
- ٢٩١ - الكلمات الأولى
- ٢٩٢ - العائد مع الريح
- ٢٩٣ - قراءات الأشياء المخفية
- ٢٩٥ - دموع المهرجان
- ٢٩٧ - الحب الأعزل
- ٢٩٨ - إلى ليبيا
- ٣٠٠ - أخطبوط



- ٣٠١ لقاء بلا مكان -
- ٣٠٣ صراخ تحت الثلج -
- ٣٠٤ لقاء عند النهر -
- ٣٠٦ قبل الموعد -
- ٣٠٧ لقاء في العيد -
- ٣٠٨ شعور تحت العاصفة -
- ٣١١ سؤال -
- ٣١٢ الجواب -
- ٣١٥ العودة -
- ٣١٧ حدّثنا -
- ٣١٩ لهاث الثوب الأزرق -
- ٣٢٠ مغامرة تحت الوهج -

الديوان السادس

لبنان والنواحي الأخرى

- ٣٢٥ عندما يتقوس الجبل -
- ٣٢٧ الدم المستعار -





- ٣٢٨ رحيل الأرز -
- ٣٢٩ العودة إلى الريح والصحراء -
- ٣٣١ رماد الفوانيس الخضر -
- ٣٣٢ الأرض تجدد أثوابها -
- ٣٣٤ عندما تتغير الأشياء -
- ٣٣٥ هكذا خلقوا -
- ٣٣٧ لبنان والزيتون والعنب -
- ٣٣٨ الأيام القديمة -
- ٣٤٠ وماء البحر للحوت -
- ٣٤١ أهذا أنت -
- ٣٤٣ المنتفخون -
- ٣٤٦ وخففه إنه المثلث -
- ٣٤٧ نزيه في كوكب -
- ٣٤٩ العطش وأنهار الملح -
- ٣٥١ دم على السفوح -
- ٣٥٢ قد كان ما كان -
- ٣٥٣ بيروت الشقراء الملهبة -
- ٣٥٥ لبنان الملوّح -
- ٣٥٧ ذكرى عشيّات التلال -



الديوان السابع

حداء الهودج

- ٣٦١ ضجيج الأعكان -
- ٣٦٢ الصراع المختفي -
- ٣٦٤ الزيتون والحنظل -
- ٣٦٥ عودة النجمة -
- ٣٦٦ النقيض المتجمع -
- ٣٦٨ الدود -
- ٣٦٨ النهر المنحرف -
- ٣٦٩ صحوة الرمل -
- ٣٧٠ عصور العشق -
- ٣٧١ الريح والدفوف -
- ٣٧٣ الجذور -
- ٣٧٦ رفوف القرنفل -
- ٣٧٧ رسوم المرمر -
- ٣٧٨ عن بلغاريا -
- ٣٧٩ رفيف -
- ٣٨٠ ياسمين -



- ٣٨٢ عيون -
- ٣٨٣ الحليب والخلخال -
- ٣٨٤ سيناء والنيل -
- ٣٨٥ النقوش -
- ٣٨٦ سقوط النسر -
- ٣٨٧ لقاء في مصر -
- ٣٨٩ ضياء الحرير -
- ٣٩١ البوابات -
- ٣٩٢ الليل وغصون الدر -
- ٣٩٣ الرجوع إلى الكهف -
- ٣٩٤ قراءات في الغيب -

الديوان الثامن

خلاخيل الفيروز

- (٣٩٧ - ٤٣٦) من خلاخيل الفيروز -









مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

محمد الفايز

الأعمال الشعرية الكاملة

المجلد الثاني

أشرف عليه وراجعاه وقدم له

د. عبدالله أحمد المهنا

الكويت

2014



التدقيق الطباعي

محمود إبراهيم البجالي

الصف والتفيد

أحمد متولي

أحمد جاسم علاء محمود

الإخراج وتصميم الغلاف

محمد العلي

صدر هذا الديوان بمناسبة مهرجان ربيع الشعر (الموسم السابع)
لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
مارس ٢٠١٤م



حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: +٩٦٥ ٢٢٤٣٠٥١٤

فاكس: +٩٦٥ ٢٢٤٥٥٠٣٩

E-mail: kw@albabtainprize.org





الديوان التاسع

تسقط الحرب (*)

نشرت هذه القصائد في جريدة الأنباء الكويتية
في سنة ١٩٨٢ حتى سنة ١٩٨٧

(*) هذا الديوان نشره المركز العربي للإعلام بالكويت عام ١٩٨٩م.







القَمِيصُ وَدَمُ الْكَذِبِ

من الصعب أن تفهميني
فلا تسأليني
فليس لديّ جوابٌ يريحك
ليس لديّ حديثٌ يسرّك
إن غثاءَ السيولِ
أشدّ عتوّاً من السيلِ والقابعين وراء الطلولِ

☆☆☆☆

من الصعب أن تقرّأي ما قرأتُ
وأن تلمسي ما لمسْتُ
كأنّي أرى الأرضَ زاحفةً أو تميدُ
يُزلزلها الليلُ والسيلُ والواقعُ المستحيلُ

☆☆☆☆

من الصعب أن تفهمي ما أقول
وماذا بفكري يجول
لذاك نظل غريبين
نبقى بعيدين
بيني وبينك درب بعيد
ووقت طويلُ
على الرغم منا وقعنا
بأحبوبة العصرِ حتى خضعنا



نعاني انعطافاتِه حيث كُنَّا
ونخرج من محتوانا
كأنا لبسنا زمان سوانا

☆☆☆☆

تعالِي أُرِيكَ جوانبهم..
وانتفاخاتهم والذي يُضمرونا
هم اثنان. بعض يصل
لينتهب الأرض والبعض هم ثقيل
ويتضح الأمر. ينكشف السر..
إن دماء القميص ملفقة الكيد
والذئب منها براء
وإن الجناة هم الإخوة الأتقياء

☆☆☆☆

على الأرض مرمية يا سطوح
على النار محذوفة يا سفوح
ويا جبل الزهر والنحل قوسك الحزن..
لا عسلًا في الخوابي
ولا سامرًا في الروابي
فأين اتجاه اغترابي

☆☆☆☆

لقد فاجأوا الطير والورد
حتى المظلات ذات التطاريز
حتى النوافذ ذات العصافير
حتى الطريق المؤدي إلى الشام
حتى الحوانيت ذات القوارير والتبغ



3/8/14 4:02 PM



وأين السجاجيد ذات النقوش الشهية
أين حريز التكايا
وقادمة من حقول الفواكه والنحل
حافلة بالهدايا
على الأرض مرمية يا نقوش الثريات
يا مهرجان المرايا

☆☆☆☆

ويا بيتها في سفوح الجبال
على الأرض مرمية يا عروش الجمال
ومسببة يا ضفاف القرنفل والبرتقال

☆☆☆☆

لقد ركبوا البحر والناس طراً
لقد ركبوا الأرض والأفق
جاؤوا مع الريح والماء
جاؤوا بشتى السياسات
جاؤوا بشتى الديانات
جاؤوا بشتى الحبايل
وشتى الوسائل
على الأرض مذبوحة يا بلابل

☆☆☆☆

وها هم يُغيرون
ليسوا أناساً
وليسوا وحوشاً
ولكنهم واقع مستحيل
لقد زحفوا مثلما يزحف السيل والنمل



وانتشروا مثلما قد تصابت وعولُ

☆☆☆☆

وكلُّ السياسات كانت تُؤدي
إلى الأرض ذات النبوءات والشّعيرِ
جاؤوا ذئاباً على هيئة المال والجنسِ
جاؤوا قوافل تتلوا قوافلُ
وقد سكنوا بعضنا في جميع المراحلُ

☆☆☆☆

ومدّوا من الأفق أعانقهمُ
يستشفون «بيروت» و«الشام»
والأرض ذات الجبال القديمةِ
واستفروا جندهم
والسياسات ذات التعاريجِ
كي يشعلوها حروباً
وقد حشدوا في الحدود التي
فقسوها الحديد الرّهيبا

☆☆☆☆

ومن قبل أن يعلنوا الحربَ كنتم حروباً
على بعضكم ثم صرتم شعرباً
وكانوا يسيرون سيرَ النعاس ببلدانكم
أو يدبّون فيكم ديباً

☆☆☆☆

لقد وجدوا أرضكم تُنبت النار فاستوقدوها
وما استضاء بها أشعلوها بكمُ
أو بكمُ جدّوها

☆☆☆☆



وما كانت الحربُ سرًّا علينا
قرأنا ملامحها في العيون التي طاردتنا
وتحت الوجوه التي فاجأتنا
وكنا نواجهها
في الذين استطاعوا الوصولَ بشتى الوجوه
وإغلاقَ كلِّ الوجوه علينا
كذلك كنا نواجهها في الذين استكانوا إليهم
ورتحهم مكرهم
بئس مكرُّ الذين استحالوا خرائطَ شتى
فهل كانت الحربُ سرًّا علينا
لقد كانت الحربُ سرًّا عليهم
فقد حاصروهم بأسيجةٍ لم يروها
وأسيجةٍ صنفت حزننا



وبدلت الحرب أزياءها أو تمادت فصارت حروبا
وواقعة قال لي واقع الحال
قال اهتراء الموازين
قال الدخان على الأفق
قال الهواء المبطن
قالت جميع الوكالات
قال الحديد الذي درّبوه
وقال التناقض بين الوجوه وبين الخفايا
وقال التباعد بين الكلام وبين النوايا
وقال التقارب بين الدناءات.. قالوا جميعًا
عن الحرب: أن سوف تأتي



ومازلت نشوانةً حيثُ كنتِ

☆☆☆☆

تقولين فاجأنا الطيرُ

والحوثُ والذئبُ

قولي مكثنا بعزلتنا

وانتشار النقااض فينا

ونوباتنا والضياع الذي يعترينا

ولن تنتهي الحربُ.. جدّدت الحربُ أنيابها

وأثوابها

وساحاتها.. والسلامُ الذي يدعون هو الحربُ

وحشٌ من الحرب.. شكلٌ من الحرب

إن السلام الذي يزعمون مراوحةٌ

واختراعٌ سلاحٍ جديد

كأني أصيخ فأسمع طيرًا

يُلقنني سورةَ الحرب

هم جددوا آلة الحرب.. ما جددوا الحربَ

ليس غريبًا عليك الجراحاتُ

ليس غريبًا عليك المناحات

فابكي كثيرًا

ونوحٍ نواحا مريّرًا

وهم علموك التسكّع في نشوة الحزن

أعطوك حريةَ الدمع واحتجزوا الأفقَ

والأرض.. أين اتجاهك

صارت شعائركم في اللّحى وانتحال الشعارات

صارت شعائركم أن يكونوا جسورا

☆☆☆☆



وما جاءت الحربُ
جاء الذين انتميت لأزيائهم
وأشيائهم
وكننت أفقتِ أخيراً
رأيت أساطيلهم في المحيطاتِ والأفقِ
جددت الأرضُ بنيانها
وإنسانها
واستحالت نشورا
وفتحةً كبيراً

☆☆☆☆

ومرّت سنينٌ عجافٌ.. ومرّوا
على أول الزحف للأرض
حيث الينابيع سودٌ وخضرٌ
وحيث الجنان الفسيحاتُ
حيث الكنوزُ القديمةُ
حيث الزمان المدثر
تستيقظ الأرض.. تأتي
على طُرق الماء تأتي
على طُرق النار تأتي
فأين المفر؟

☆☆☆☆

وما سكنوا القدسَ في أول الأمرِ
بل سكنوا الناسَ حتى استقرّوا
ولبنانَ لم يرجموه
ولكنهم عبّأوه





بشتى السياسات والغدر ثم استقرُّوا

☆☆☆☆

أطلوا على عورةِ الجبلِ المنحني

أطلوا على غسقِ الناسِ

حيث الشعاراتُ منحولةٌ

وحيث الطموحاتُ مغلولَةٌ

وحيث البطولاتُ غدرٌ

☆☆☆☆

ومن ذا يعيدُ الصوابَ إلى الأرضِ

من ذا يعيد توازنها

إنها أوشكت أن تميدا

وللأرضِ أحلامُها

وللأرضِ ميعادُها

ونوباتُها حيثُ تغتاها

ومن بحر (يافا)

تمد البواخرُ أعناقَها الشاخصاتِ

لكل الجهاتِ

وتستعرُ الحربُ تمتد حتى

تصيرُ شعارَ الحداثةِ

أو أنها دابةُ الأرضِ

خارجةً من مخاضِ العفوناتِ

أو جاءنا العالمُ المستعارُ

وما كنت أدري بأن التماسيح في الماء

مثل التماسيح في الأرض.. هذي صغار

وهذي كبار





من «القدس» يبتدئ الإنبهار
من القدس مرّ علينا النهار
رأينا انطلاقَ الزواحف من بشرٍ والفرارَ الرّهيّبا
وخارطةً عبّأوها حدودا
فمن ذا يغربل هذا الخليط المريب
ألم تنظري كيف صاروا علينا شهودا
وقد حاصروا الحربَ حتى استحالت حروبا

☆☆☆☆

وتبقى الحقيقةً مطموسةً
ومهترئةً
كظلّ الكواكب في الماءِ
غادرت الأرضُ ميناءها
وبدلت الأرضُ أسماءها





الأشباح وأنوثة الأرض

شاهدتُ في الأحلامُ

مدينةً شطآنها سلامُ

وأرضها حدائقُ

وأفقُّها حمامُ

ينبتُ في مياهها اللؤلؤُ والمرجانُ

والمسكُ في ترابها

والظلُّ والريحانُ

كانت على البحر الذي يرسو على ضفافه الزمانُ

فمن هنا متاحفُ كأنها عصارةُ الأيامُ

أحجارُها الأعضاء في الأجسامُ

وأرضُها موائدُ

يغرف من صحنونها الأناامُ

ومن هنا العيون والأنهارُ

تنبع من عاطفة الصخر

ومن منابعِ كأنها الأرحامُ

وفجأةً باغتتها الإعصار

وزلزلت من تحتها الأرض التي

قد بدأت تنهار

كأنها سقيفةٌ من قصبٍ

تشبُّ فيها النارُ





وَحُوصِرَتْ شَطَانُهَا بِالْغَضَبِ
وُطِّقَتْ أَرْجَاؤُهَا بِاللَّهَبِ
وَحَاقَ فِيهَا الْخَسْفُ..
وَالْتَقَتْ عَلَى حِزْوَمِهَا الْأَخْطَارُ
وَهَاجَرَ الْحَمَامُ مِنْ حَقُولِهَا
وَالْعَطْرُ وَالْعَصْفُورُ
مَنْ يُوَقِفُ الْحَرْبَ الَّتِي تَدُورُ
مَنْ يَطْرُدُ الشَّرَّورُ
عَنْ جَنَّةٍ فَاجَأَهَا الْعَالَمُ فِي حَدِيدِهِ الْمَسْحُورُ
مَنْ يُطْفِئُ الْحَرِيقُ
فِي هَذِهِ الْجَنَانِ ذَاتِ الشَّجَرِ الْعَرِيقُ
مَنْ يَطْرُدُ الذَّنَابَ عَنْ نَاعُورَةِ الرَّيْفِ
وَعَنْ سَاقِيَةِ الطَّيُورُ

☆☆☆☆☆

هَمْ حَاصِرُوا الْإِنْسَانَ كَيْ يَثُورُ
وَأَخْرَجُوا الْفِتْنَةَ مِنْ زَمَانِهَا الْمَطْمُورُ
وَلَيْلِهَا الْمَلْعُونِ وَالْمَرْجُومِ وَالْمَدْحُورُ
وَاسْتَبَدَلُوا سِلَاحَهَا الْمَكْسُورُ
وَضَفَرَهَا الْمَنْخُورُ
مَنْ تَكَلَّمَ الْبُلْدَانُ ذَاتِ الْقَمَرِ الْمَدْحُورُ
وَالْبَشَرِ الْمَقْهُورِ وَالْمَغْرُورُ
بُلْدَانِ بَيْعِ الْفِكْرِ وَالْجَنْسِ وَقَوْلِ الزَّوْرُ



هناك في عواصم البلّور

☆☆☆☆

هم ملأوا الأرض بما يجيش في القبور

واستنبطوا الأحقاد في الصدور

واخترعوا خرائط الحديد

واختاروا لهم جسور

في المدن الأخرى التي تنمو على القشور

وبعدها تسقط في حبال العصر الذي

تجاوز المنظور

واختبأت أشباحه

في هذه الدمى التي تدور

☆☆☆☆

لو يملك العصفور

مخالب الصقر الذي تخافه الطيور

لكف عن غنائه ولطفه

وعاش في شراسة الطيور

☆☆☆☆

هأنذا اكتشف الينبوع

كأنني الملح إنساناً من النحاس

أو مدائن تموع

فاجأها الأعصار من جوانب الأرض التي

تخرج من حالاتها الأولى

ومن زمانها المخدوع

☆☆☆☆

لا بد من غربة الإنسان والأشياء من

جوانب الإشراق والسطوع

لكنهم تقاسموا الأرضَ

وهزُّوا ليلها المخلوعَ

سطوا على بكاره الذراتِ...

أو تجاوزوا الضحك على الأذقان

وهكذا يبتدئ السقوط والخسرانُ

وتنشأ الحربُ التي تعددت أشكالها

واختلفت أهوالها

فبعضُها صامتةٌ

هادئةٌ سائبةٌ

وبعضُها ناطقةٌ

منذرةٌ غاضبةٌ

وتلكمُ الأخرى التي

تهدِّ ما بناه هذا الدهر في أسبوع

وربما في عطلة الأسبوع

حين يقوم الموتُ من مكانه المرفوعُ

وحصنه المنوع

مقتحمًا أنوثة الأرض

وهذا العالم المصنوعُ

من رغبةِ المال الذي يمتلك الأذهانُ

☆☆☆☆

لا بد من غربة الإنسان من رواسب الإنسان



لا بد من غربة العالم ذي الطوفان والطوفان

☆☆☆☆

تورطوا بالهوس الحربي وانحازوا مع المغول
قد وافقت أحلامهم شراة العصر الذي...
استقال عن حروبه للهوس الفكري...
وانضم إلى حرب الأساطيل
ومن قد سلّحوا الشر الذي تكسرت..
أنيا به الأولى. وقد جاؤوا بفكين من الدلفين..
أو من خطبة يقولها (البهلول)

☆☆☆☆

لو أن من قد ملكوا سفائن الذرة
والأخرى التي تجول
في الأفق كالطير انحرافي الذي
يخرج من عناصر الأرض
ومن مخاضة العقول
لو أن من قد ملكوا زمام هذا العالم المغلول
قد وضعوا الحلول
لهذه الحروب ذات الغول
لحققوا شيئاً. وما هُدمت الأرض
ولا اختل بها الميزان
وقوّضت منازل الفكر الذي
يكتب عن صيرورة الأرض
وعن مسيرة الأكوان
لم يدخلوا الحرب كما يدخلها الفرسان
أو مثلما يثار إنسان إلى إنسان





لكنها من لعبة الشيطان

وإنه أوحى لهم

بأنهم

سيملكون الشرق بالزور وبالبهتان

ومدهم

بكل ما تحتاجه الحروب من نيران

وسائر الطبول

جاءوا على النهج الذي تخطه السيول

في دربها المرسوم والمعمول

جاءوا مع الغدر الذي ينتحل الأسباب

أو ينساب في تسرب الأشياء

من عالمها المنقول

☆☆☆☆

بعضهم يمارس الوعيد والقول الذي يقول

وبعضهم كالعفن المحمول

يسكن في النفوس والجلود والأذهان

وهكذا تجتمع المحاور الأخرى التي

تدور في الكتمان

وبعدها تصب في الحروب والعدوان

وهاهم نوازع شتى بها نوازع تجول

تحلم في ملك سليمان وفي عباءة الرسول

وبعضهم يحلم أن يدحرج الجبال أو يطشّر البحار

أو يجمع في قبضته الفصول

وسيفه من خشب

وجيشه أرانب معارة الذبول



أو جثت تأكلها الطيور في الوديان

☆☆☆☆

كأننا في زمن غير الذي قد كان
قد خلعت ثيابها الأرض وألقت حملها الأزمان
وهاجرت شواطئ عن مائها وهاجر المكان
أواه لو يحتكم الناس إلى سلطان
لو يوضع الميزان
إذن لما بُعثت الأرض
ولا استولت على بحارها الحيتان

☆☆☆☆

هم هؤلاء

تعلموا قراءة الأشياء
ومنطق الطير وما يجول في الخفاء
واكتشفوا الأرحام. فكُّوا طلسم الهواء
وارتطموا بكم. رأوا أمثالهم فيكم. رأوا
قربة الدماء للدماء

☆☆☆☆

ها هم على حقول لبنان وقد تجاوزوا القدس..
وخلوا خلفهم سيناء
ويمموا متاحف الجبال في البقاع
والحجارة الخضراء
واستشفروا عمّان والصحراء
والتُّحف التي بدت تخرج من عزلتها
ولم تجد شيئاً سوى أسلحة معارة
والمدن المرجومة العزلاء



والزمن الواقف كالحجارة الصماء
وهجرة النمل الذي حاصرها
يحفر في عظامها الصفراء

☆☆☆☆

يُربِّبُ النحلُ على شراسة اللدغِ
كما تُروِّضُ الوحوشُ والكواسرُ البلهاء
وتُحرثُ المفازةُ الجرداءُ
والبعضُ ما زال على أحقادهِ الأولى
وقد تجددت من حوله الأشياءُ

☆☆☆☆

سمعته يبكي على لبنان
وذلك العشق الذي فاض على الوديان
وشاع في كل نواحي الأرض والبلدان:
هل سقطت جميعها نوافذُ الرياحِ
هل هُدمتُ قصورها
هل هاجرت طيورُها
هل هفتت نجومُها
وانخسفت بدورها
وأين تلك أهلُها
وأين تلك دورُها
خاوية حقولُها
نائحة طولُها
كأنها الضياعُ في الميزان
دمٌ على أرائك النَّدمان
دمٌ على الرمال والشطآن





دُمُّ على الأفنان
دُمُّ على ناعورة البستان
دم على العصفور والأوكان
دُمُّ على ساقية تنوح
تبكي على حمامة مغصوبة
أو قمرٍ مذبوخ





الفتنة والأسلحة المعارة

كنتُ أدري أنهم حولك ثعبانٌ وغولٌ
جرفتُهم مدنُ الخسف التي انهارت وزجتهم سيولُ
كنتُ أدري أنهم شتى وأعواني قليلُ
ليس عندي ما أقولُ
غير أنني أقرأ البرق الذي يعزفُ
أو يرسم من حيث يجولُ
لم يكونوا غير أعشابٍ تزولُ
حملتها الريحُ من شتى بقاع الأرضِ
واستندرى بها البعضُ
كما تكتظ في الجرف الوحولُ

☆☆☆☆

ولقد شاء لنا الحظ بأن نرضع أفعى
تأكل الناس إذا جاعت
وثعباناً نعولُ
والطبولُ
كلها تقرع والناس على الناس تصولُ
ولقد جاءوا مع التيار والحمى
وجاءوا بالذي لا يفهم الناس كما انهارت طلولُ

☆☆☆☆





ولماذا شرّدوا سلمي؟

وإن عادت ففي حارتها الحربُ التي ليست تزولُ

ولقد كانت قبيلَ الحربِ في حربٍ

ولكن لم تكنُ حرباً كهذي الحربِ

أو جُنْدًا كهذا الجندِ

أو رجماً كهذا الرجمِ

بل حرباً بلا صوتٍ

وللقاتل ينحاز القتيلُ

☆☆☆☆

هاجرتُ سلمي مع النحل الذي هاجرَ

أو ضجّت فسارتُ

هاجرتُ سلمي مع الطير وطارت

فلقد غاروا عليها

مثلما الذئبان غارتُ

حاصرتها العاصفة

في الليالي الواقعة

ودخلنا أولَ الشَّعرِ وفي أبحره الأخرى

سليمي علمتنا الشعر سوّته مضيئاً وجديدا

خلعت أثوابه الأولى التي رثت

وأعطته وشاحين من البرقِ

وسوّته صراعاً وهديلاً

☆☆☆☆

أه يا وادي الراحينُ





ويا سفح السفرجلُ
صارت الدنيا ميادين قتالٍ تنتقلُ
وحروباً تتوغل



ولماذا تكذبونُ
زمنُ التفاح لم يرجع وظلُّ الزيزفونُ
خلعت خضرَتها الأرضُ التي تنبت طيراً وغصونُ
والمواويلَ التي تسهر في الليل والوانَ العيون
والصبايا حين يرقصن على إيقاع عشق لن يكونُ
وسلالَ العنب الناضجِ لما يعصرون
كان لبنانُ كطفلٍ أزرقَ العينين ينمو
تحت أفياءٍ حريِرٍ ولحونُ
كان يُسقى لبنَ الأرض التي باركها الله
وسواها رسوماً وفنون



كان لبنانُ بلا سورٍ وفيه ألفُ بابٍ
كان كنزاً من كنوز الشرق
في الأرض التي تزهو عصافيرُ وورودُ وشراب



كان لبنانُ نبیذاً وقمرُ
وتراباً كسجاجيد من المخمل
تأوي عندها الأرض
وتستلقي كأنثى ترتدي معطفها الأزرق





والأخضر. والعطر الذي يخرج من قلب الحجر

☆☆☆☆

من رأى «عاليه» في الليل
وأضواء الحوانيت التي تسهرُ
والعشق الذي يأتي من الريف شهياً وسريعاً
ومن الأرض جميعاً
«وبحمدون» مع العصر وقد فاض شموغاً
من رأى فاكهة الفجر «بسوق الغرب»
والدنيا التي تبقى ربيعا
وبيوتاً تصنع الأعياد والحلوى
وحارات من القرميد والزعتر
والليل الذي يدخل في الفجر رقيقاً وبديعا

☆☆☆☆

اسمحوا لي أيها السادة أن أذكر لبنانَ
وما سوف يكون
كان ما كان. وجاءت هذه الحربُ وأيامُ الجنون
والأساطيل التي يأتي بها البحرُ
وما تقذفه الأرضُ على ساحله الوردي
والدنيا التي اهتزت فألقت
من غشاواتِ قرونٍ وقرون

☆☆☆☆

قروياً كان لبنان
وريفياً على فطرته الأولى وبحاراً قديما



فاجأته مدن العالم سوّته رمادًا وهشيما

☆☆☆☆

زحفوا من جانب الأرض التي اهتزت

وجاءوا في زيوت البحر

والبعض توارى كسموم في الطعام

خدعوه بالتقارير التي تكذب

والفسق الوظيفي. وبالنمل الذي صار حمامًا

ونساءً تتقن الجنس وتدريب العصابات..

التي تدخل في شتى العصابات

وفي شتى اتجاهات الظلام

هم أحاطوه بغش الأرض

والفتوى التي تخرج من حقد الإمام

☆☆☆☆

ها هم الآن على الأنهار

والبحر الذي يخرج من زُرقتة الأولى

لكي يدخل في الأسود والأحمر

أو يسري ولا يسري به الماء

وتأتية طيور الأرض والذئب وأسراب النعام

☆☆☆☆

واستمرت هذه الحرب وقد سلّحها الفكر السياسي

وأشباه الرجال وأبناء الحرام

ذاب من تحتهم الصخر وما ذابوا

كأن الحرب قد أمست قمارًا دوليًا



والذي يحترف الفتنة والشر سيعطي

سبباً للبطش كي يبقى قوياً

☆☆☆☆

كلُّ شيء ينتمي للحرب في هذا الزمان

فالإشارات التي تنبض في الأفق

وهذي السفن الذرية الأطوار

والفكر السياسي المهان

والشعارات التي تهذي وعنقاء السلام

حالة تنذر عن حرب ستأتي

ونزاعات كراسٍ ورهان





المصابيح وجسد النعناع

من الصعب أن يعشقَ الناسُ في زمن الحربِ
لكنني قد تجاوزتُ هذه الحروباً
وهذا الزمانَ الكئيباً
وهذا التسكّع في الموتِ.. إني امتشقتُك جسماً مضيئاً
وخصراً عجبياً
وإني ألوذُ بزرقة عينيكِ
حين يصير المكانُ حزيناً مريباً
وإني قرأتكِ
ترجمتُ عينيكِ لما تفيضانِ عشقا
كأنك صرتِ هديلاً وبرقا
وأصبحتِ جاهزةً للقاء
سلام لعينيكِ ذات الضياء
وما تختبي في ملامحكِ البيضِ ذاتِ التوهجِ والكبرياءِ
تعالِي فإنني تصبرتُ كي تصبحي هكذا مثلَ ظني
ومثلِ اشتهائي
وكنْتُ توقعتُ خاتمةَ البرقِ
قبل التماعاتِ عينيكِ كالصحفِ الزُّرقِ
في جانبٍ من سماءٍ
وكنْتُ تصورتُ كيف تجيئين لي هكذا
كحورية البحرِ خارجةً من جيوبِ المساءِ
وأُنشئُ محارةً تسع الأرضَ كي تدخلِها





لنسكنَ فيها
كلُّ لؤلؤةٍ أحتويها
كأنك مشتتةٌ من بهاء السواحل في الصيف
أو من حقول الفواكه والطير أو من ليالي الأغاني
كأن بصوتك صوتُ العصافير في الماء
أو أنه طائف قد أتاني
كأنك أشهى حزين أعاني
ويبقى حديثك أشهى حديث
وتبقى معانيك أحلى المعاني
لماذا تجيئين ما بين أني وأن
نُعاسًا يُحلق في يقظتي
ويطلقني من حدود المكان
كأنني أعيشك كلَّ الثواني
ولم أدر ما حالتي مذ أراك
ولكنني ساكنٌ في حماك
فسبحان من قد هداني
إليك وسبحان من قد هداك
ومكّنتني أن أعاني هواك
كأنني اهتديتُ لترجمة الحلم أو سالكتُ في مداك
كأنني اتكأتُ على جانب الأفق أستشرفُ الأرضَ
هذا مكانك حيثُ مكاني
وهذي مصابيحُ عينيك ذاتِ التوهج والعنفوان
أفسرُ فيك اتجاهي إلى الغيب
أسري على رُقة النجم في مقلتي
تطيران بي أو هما نجمتان
وثوبك جوق حمامٍ يفاجئه الرعدُ





أو من نثارة ورد
فحينَ تكونين عندي
أحسُّ كأنني تجاوزتُ حدِّي
وأنني انتميتُ لعشقتك
أنني انتميت لعصفورة الرعد وهي تنقر جلدي



ويمتزجُ العشقُ والشَّعرُ في مقلتينِ
يقولان كن عاشقًا مرتينِ



وتوضأتُ بأقداحٍ من البلورِ
أو من نشوة الأزرقِ مذ يرغو
وتحت الشفق الممتد أهدابًا أوينا
فالتقينا

لم تكن برقًا ولكنُ
ضوءٌ خديها من البرقِ وعيناها مدائنُ
وخزائنُ
لم تكن عطراً وتفاخَ جنائنُ
أو تهاويل مفاتنُ
لم تكن عشقًا ولكنُ

من حضورٍ ساكنٍ في وَسْني
إنها فاتحةُ العشق الذي أدخلني
غرفةً من جسد يسكنني
وبساتين من التبغ الذي أشعلني
وهي ما كانت من الوردِ
ولا ما يُشبه الضوءَ إذا اهترَّ على الماء





ولا جوقَ خلاخيلٍ وأعناقٍ حمائمٍ
ذهبت صورتُها الأولى وصارت صُورًا أخرى
وعيناها بداياتُ سلالِمٍ
يدفُقُ المسكُ إذا اشتدَّت
وتنقاد كطاووس مسالمٍ



لم تكن زرقَةُ هذا البحرِ من عينيكِ
بل زرقَةُ عينيكِ من البحرِ ومالي عنك بُرٌّ
كل شيءٍ واضحٌ فيك ولكنكِ سرٌّ
أتهجأك رسوما
ثم أتلوك نجوما



ولماذا يستحيل الشاي مسكًا ونبذا
وله عزفٌ إذا جاء
وقد صرَّت كمن تسكُنكِ الأرضُ
أو استوعبتِ عطر الأرض
أو صرَّت شرابًا وحريرا
طالما راقبتُ عينيكِ إذا جئتِ
وراقبتكِ خصرًا مثل فتح الكف
أو صرَّت نعاسًا وفتورا
إنني أنقل عن عينيك صوتًا
وكذا أسمع في مشيك هزَّ الشجرِ المثمرِ
ما أدناكِ من رسمٍ ومن صوتٍ
وعيناكِ ثرياتٌ دهاليزٍ
لماذا تجعلني الصمتَ إحساسًا مُثيرا





وكأني أمتطي النجمة نشواناً
وأجتاز بعينيك البحورا

☆☆☆☆

لم تكن فُلاً. ولا زورق نعناعٍ على الماء
وما كانت فتوحات من المخمل
بل كانت تُعد الشاي والثوب الخرافي القصيرا

☆☆☆☆

دلني البرق على النبع وقد كان خفياً
وهبوط القمر الخارج من وجهك
والهابط في أنحائك البيضاء
والماكث لا ينقص أو يكبر شيئاً
وتظلين غموضاً ووضوحاً
وأنا بينهما أنتظر الوقت الذي يدنو
ويرتد عصياً
وتظلين ثياباً تتبارى وحُلَيّا

☆☆☆☆

كأنها تدفق من ينبوع
يسكنها الحسن كما تسكن في الضلوع
عيونها صحائفُ العشق وفي قوامها السطوع
ويلي من عشق ومن ولوع
قد هيأت أصباغها وعطرها
وليلها وشعرها
وانتظرت كأنها سفينة تهتم بالقلوع

☆☆☆☆

يقولون «هنداً» أم بلاداً إلى «هند»





عَشِقْتَ فَقَلْتَ العِطْرُ مِنْ شَهْوَةِ الْوَرْدِ
وَتَوَبَّ لَهَا فِيهِ حَرَكَ أَصَابِعِ
أَظَافِرِهَا الرِّيحَانُ يَنْمُو عَلَى جِلْدِ

☆☆☆☆

أَكَلْتُ لَهَا حُلُوى بِلَوْنِ وَسْكَرِ
وَعَطَّرْتُ ثَوْبِي مِنْ قَمِيصِ مِعْطَرِ
عَلَيْهِ نَقُوشٌ تَنْتَمِي لِنَوَازِعِ
وَفِيهِ خُطُوطٌ مِنْ حَرِيرِ مُفَكَّرِ

☆☆☆☆

وَفِي بَيْتِهَا أَفْوَافُ حَوْضٍ مَمْرَدٍ
وَلَوْنُ زَجَاجٍ مِنْ بَرِيقِ مُغَرَّدٍ
وَمَنْعَطُ صَخْرِيَّةٍ حَجَرَاتِهِ
لَهَا طَرَقٌ مَجْهُولَةٌ لَمْ تُعْبَدِ

☆☆☆☆

وَأَذْكَرُ أَشْيَاءَ لَهَا ثَمَّ أَذْكَرُ
طَرَوْقًا لَهَا فِي اللَّيْلِ وَالْبَدْرِ مُقْمَرُ
وَحَالَةٌ عَشَقٍ عِنْدَهَا لَا يُحْسَبُهَا
سِوَى سَامِعِ أَفْكَارِهَا حِينَ تَنْظُرُ

☆☆☆☆

جَاءَتْ يَعْْبِقُ فِيهَا الصَّنْدَلُ
وَعَبِيرُ الْمِسْكِ لَقَدْ جَاءَتْ أَجْمَلُ
يَسْتَعْرِ الْوَجْدُ بِخَدَّيْهَا
كَمَوَاقِدِ أَمْطَارِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ
جَاءَتْ فَمَقَاعِدُنَا عَطْرُ
وَأَوَانِينَا أَكْثَرُ





يا هيلَ الشاي ويا عطرَ الزعترُ
يا ثوبَ الليل. أيا ثوبَ الليل الأخضرُ
جاءت تنزف عشقاً قد ظرّمها
وحرير يدحو أعظمها
ونُعاس حمام رنحها
ورشاقه عصفور رسمت فمها

☆☆☆☆

يا دعوة الشوق إلى الشوق إذا
تغامزت نوازع واتفق الاثنان
هل تذكرين نخلة (البرحي) ذات السعفِ النشوان
والرطبِ المصفّر كالمرجان
يُطل من أليافها البلبل والأوكان
مثل بيوت الشعر بين الليل والألوان
وكنّت في قميصك المشتق من شهيتي
للأكل والنوم على أرائك الكتان
وأقرأ الغمز واستهدي بضوء الزُخرف النعسان

☆☆☆☆

أذكري ليلة المصابيح لما
رقّص القصرَ ضوءها المتهادي
ومكاناً بجانب الشجر الشا
حب لا يهتدي لثواه هادٍ
تتجافى دروبه نافراتٍ
كنفور العروق في الأجسادِ
وكان الرمالَ سقفَ تهاوى
تحت أقدامنا لهوة وادٍ





لم يزل واهج الظهيرة فيه
ودجى الليل موغل في السواد
انكري ليلة الصراع مع الليـ
ل جميعاً وكنت كل عتادي
كنت ظمأى وكنت أشرب من عيـ
خيك. كيف ارتواء صار بصاد؟
ملاً الشوق مقلتيك وفي خد
يك ضوء كالكواكب الوقاد
بعثوا يقتفون خطوهـ
كي يثيروا الشكوك في الحساد
نتحاشى أصواتهم وهي جوق
من غناء أو عازف أو مناد
وكان السمار في ساحة القـ
ر مقيمون في جنائن عاد

☆☆☆☆

أيا عطشاً يحاورني ويغريني
ويا وقت التفافي في زخارفك التي تبقى تناغيني
وتهديني
تعالى كي أضيفك أضلعاً أخرى
وشرياناً تغذيه شراييني
كأنك تسكنين الفكر في جسد من النعناع
يُنعشني
يُحاورني





ويوحى لي كتابات غريباتِ العناوين
كأنا نهتدي بغرائز الأزهار والنحل



ماذا يقول قميصك الوردي. خلتُ فراشةً نسجتُ أعاليه. وعصفورًا خرافيًا يمهّدُ
من أسافله التي ركبت جنوني. ثم اكتشف الغريزة. أهبط النهر الذي حجزوه. أو
مروا عليه ولم يقولوا عنه شيئاً. من هنا يمتدّ خط الأرض نحو السرّ. من عينيك
تبتدئ القصائد والهواجس. لستِ امرأةً ولا لهباً يُساقيني الغرام.





ويبقى القمر مُعزلاً

وتظلُّ محتدماً ومقتحماً
وتبقى سيدَ الرؤيا التي لم تكتملُ
ومخاضَ أغنيةٍ
دبيبَ الرمز
أحجيةَ البريقِ
وتلتفتَ الجبل الذي يسري إلى الوادي العميق
ونبوءةَ الأحران أنتَ
صهيلُ قافيةٍ
وأنت نوازف اللغة التي شقَّت لفائفها
وعادت للشروق

☆☆☆☆

هم حاصروا الإنسانَ قبلَ الأرضِ
حتى جاءها الغزو الذي لا يعلمون
فهمُّ بما مكروا على أعقابهم يتقهقرون
قامت قيامتهم وها هم يُحشرون

☆☆☆☆

والأرضُ ما عادت كما كانت
وبُدلت السماء. وزُلزل المتغطرسون
أولا ترون الأرض غير الأرض
أين حدودها الأولى





وأين جبالها الأولى
وأين سماؤها الأولى
كأن الروح تخرج من حجارتها وطينتها
وتسكن في الحديد
نفخوا به سُوءه من بشر جديد
جعلوه طيرًا يسكنُ الأجواء
أو حوتًا ببطن الماء
أو قمرًا يراقبهم
وصاروخًا على هاماتهم ينقضُ من ركنٍ بعيد

☆☆☆☆

إني أحسُّ كأن شيئًا سوف يأتي
يمكثُ الإحساس أوسعَ من مدى التفكير
حين تُبدل الأشياءُ
حين تصير أكبر من توقعها
وأوسع من تصوُّرها
وحين تجيء جاهزةً وغامضةً
وقاسية ككابوس عنيد

☆☆☆☆

حربانِ دائرتانِ. ظاهرةٌ وخافيةٌ. مسلحةٌ
وموعزةٌ. فأيهما تواجه
إنه زمن الحروب بكلِّ أنواعِ الدمارِ
وبكلِّ أنواعِ الشياطين التي تُطلى
وتُدهن بالمساحين القديمة والحديثة
بالسياسات التي صارت مخاضَ الفكر



صارت محور الأشياء والأحداث والصنم المعاز

☆☆☆☆

حربان دائرتان طاحتان
وأصخة مسلحة
وخافية ملبدة
تعم بكل ميناء
وتدخل كل عاصمة وبينهما حوار

☆☆☆☆

تتطور الأشياء والإنسان يسقط
أو تجاوز كونه وحشاً
ويخرج من ملامحه ليدخل في أظافره
وكل حوله حرب تُدار

☆☆☆☆

بجوارنا حربٌ وفحوانا النقائض والحروب
بجوارنا شجر بلا طير
وشطآن مهدمة كما شُقت جيوب
وبلابل مخلوعة الأعناق
امرأة بثدي واحد
ومنازل مخلوعة الأبواب
في جدرانها الدم والثقوب
وعويل عاشقة كأن بصوتها صفصافة تبكي
وساقية تلوب

☆☆☆☆

ماذا تقول خمائل الليمون في (يافا)



وشطآنُ القرنفل
ماذا تقول حدائقُ التفاحِ في لبنان
والجبلُ المهشمُ
وسواحلُ المتوسطِ الممتد في الدنيا
وميناءُ «بيروت» معطل
ورمال «سيناء» التي رجعت وما كادت
وأرضُ تُنبِت الأزهار في «الجولان»
والأحجار ذات النقش والشجر المدلل
ماذا تقول شواطئُ الأسماك في (الأهواز)
والنخل الذي يمتد مثل سلالِم
من فوقها ظل ومائدة تنزل
والأرض كالإنسان ترحل
من يوقف الأنهار قبل رحيلها
من يطلق العطش المكبّل؟

☆☆☆☆☆

إن الأشياءُ
تتجدّد كالإنسانُ
وتموت وتحيا كالإنسان
ولقد علمنا غربةَ الألوانِ
والسيرَ على الأسنانِ

☆☆☆☆☆

كلُّ الألوانِ إذا ذبلت تُصبح صفراءُ
كل الأشياءِ لها
حركات تنبض أو تزحف فيها

☆☆☆☆☆





لغةً في الألوانِ
لغةً في الحركاتِ
وكأنني أسمعُ أشياءَ تزحفُ
تنمو
تحتلُّ الأشياءُ الأخرى
ولغاتٍ أخرى أرسمها
وأعاقرها

☆☆☆☆

ليس العالم ما ننظره
ليس العالم ما نلمسه

☆☆☆☆

كلُّ الأشياءِ تجيء كما شاؤوا
فالحربُ كما شاؤوا
والسلمُ كما شاؤوا
والتاريخُ دماءُ
لا يسح الجسمُ سوى دمه

☆☆☆☆

تعتزلُ العالمَ أو تدخلُ معركةً فاشلةً
تعتزلُ العالمَ أو تلبسُ السنةَ
ووجودها شتى
تعتزلُ العالمَ أو تتقمصُ أشباحاً
تعتزلُ العالمَ أو تعزلُ نفسك عن نفسك
عن حسِّكَ
عن جلدِكَ



عن أَرْضِكَ حَتَّى تَتَبَدَّلُ
تَعْتَزِلُ الْعَالَمَ أَوْ تَرْحَلُ

☆☆☆☆

فَاخْتَرِ حَالاً مِنْ حَالِينَ
أَنْ يَأْكَلَكَ التَّمْسَاخُ أَوْ الذَّنَبُ
أَوْ أَنْ تَحْيَا فِي الْمَابِئِ

☆☆☆☆

أَنْهَارُ بَاغْتِهَا النَّمْلُ
وَنَجُومٌ يَرِشْقُهَا الْوَحْلُ
وَيُظَلُّ يُسَائِلُ عَنْ زَرْقَتِهِ الْبَحْرُ
وَتَبْحَثُ عَنْ خَضْرَتِهَا الشَّطَانُ
فَمَتَى يَعْقِلُ هَذَا الْحَقْدُ الْوَثْنِي
وَتُطْفَأُ تِلْكَ النِّيرَانُ

☆☆☆☆

يَتَمَوَّلُ مِنْ جِثِّ الْقَتْلَى الطَّيْرُ
وَتَمِيدُ مِنَ الْمَوْتِ الْأَرْضُ
وَيَضْجُ الْإِنْسَانُ

☆☆☆☆

تَتَجَمَّعُ أَسْلِحَةُ الدُّنْيَا
وَيَخْرَأُهَا
وَيُوسَأِلُهَا
فِي الْأَرْضِ كَمَا يَجْمَعُ
مِنْ ذَرِيَّتِهِ الشَّيْطَانُ
فِي زَمَنِ غَادِرِ حَالَتِهِ الْأُولَى



وتجاوزَ أقيبةَ الظلماتِ الإنسانُ
وتُجدد من هيبتها الأوثانُ

☆☆☆☆

جثثٌ تحت جذوعِ النخلِ
وتحت رمادِ الأشجارِ
جثثٌ ينهش أعينها الطيرُ
ويسكنها النملُ
جثثٌ فوق مياه الأنهارِ
جثثٌ تحت الأنقاضِ
وبين حطامِ الصخر المتناثر كالأشلاءِ
جثثٌ وأكاليلٌ تحت الأحجارِ
وكأن العالمَ خارطة واحدة في كف الأعصارِ

☆☆☆☆

لا غالب الا المالُ
وإلا القوة في هذا الزمن الغدار

☆☆☆☆

أفي كل يومٍ وعيدُ
إليكم وقصف جديدُ
وحيشٌ تضيق به الأرض من زحفه والفضاء المديدُ
تعود بقاياها أو لا تعودُ
أفي كل يومٍ لكم نارٌ حربٍ تشبونها
أو هجومٌ به يستغيث الحديدُ
تُعَار خرائطه والسلاح المبيدُ
أفي كل يومٍ تكون أرضاً بواطنها من كنوزِ





وظاهرُها جنةٌ أو خلودُ
يُبدِّل خضرَتَها راسحَ الدم
فهي من الهول حمراء سوداء
لم يبقَ عود
بأشجارها أو مكان سعيد
فأين المفكرُ أين الرشيدُ
لماذا التورط في الحربِ
والحربُ أحبولةُ العصرِ
قاهرةُ الناسِ والأرضِ
فاتحةُ النار أنتم عليها قعود
وأنتم إليها الوقود

☆☆☆☆

سواقٍ مهدمة مثلما شُقت
جيوبٌ. وفُضَّت بكارة أرضٍ بتول
يبادر مثلُ عيون العصافير
تبرق بين الشباكِ
وسنبلة كاللسان الهزيل
نخيل على ضفة النهر مَحْنِيَّةُ
خِلَّتْها تستقي من شماريخها
أو تُصَلِّي صلاة الأصيلِ
ثقوب بمئذنةٍ
فاجأتها الصواريخُ في الفجر
واخترقت قبةً فوقها آية الفتح
إنَّا فتحنا لكم مدن الشرق فلتدخلوها



بيوتاً عليها حجارُ التَّنَانِيرِ

أو أنها من حطامِ الطلولِ

☆☆☆☆

بماذا تُنَابِزُنا أيها الوغدُ.. ماذا تقولُ

لماذا تَحْمِلُنَا خطأةَ الدهرِ والدهرُ غرُّ جهولُ

توافق أحلامه هوسُ الوغدِ. والدهرُ وغدٌ يصلُ

وتمكثُ خارطةُ الفكرِ تبقى العقولُ

تُصحِّحُ أخطأه أو يزولُ

وأنت ناهبُك السيلُ

والليلُ، أوقد حواك الذبولُ

☆☆☆☆

لو جاءني نهرٌ من الياقوتِ

يدفق بين شطآنِ الذهبِ

وفتحت لي مقصورةً في جنةِ الأعنابِ والرمانِ

أو قصرًا به حوضٌ من المرجانِ

ما أطفأت في صدري اللهبِ

☆☆☆☆

مهَّدت نحوي هجرةَ الغربانِ

والنملِ الذي ينمو على الديباجِ والكتانِ

والأفعى التي طارت بأجنحةِ الفراشةِ

والشياطين التي صارت قياصرةً

وقد بوأتموها في سلالاتِ النبوةِ والعربِ

☆☆☆☆

في الرملِ تفتَحُ زهرةٌ أخرى أضالعها



ويبتدئ التوهج والتوغل
في المغاليق التي فُقسَتْ
سوى هذي القواقع والغُلْبُ
والواقفين بكل مفترق لنا
والغاضبين بلا سببٍ
والآكلين لحومنا أكلاً
وقد نُفخت بطونهم كمن أكلوا الحجارة والحطبُ
غصّوا بنا . لكنهم مضغوك وابتلعوك
إلا هذه الأحجار والأطيان
والمدن التي تنمو بصخرتها كديدانِ الخشب



قمرٌ تحاصره الزواحف والعناكب
نجمةٌ تتسلق الأسوار
نهر يرفس الشيطان
أو شجر تحرك عن كُتب
وحجارة رجموا بها الشيطان ثانيةً
وقافية بها غضبٌ ولكن ليس من هذا الغضب



«أسماء» تخرج مرةً أخرى
تعاود من توغلها لتدخل في تفاصيل الوجود
«أسماء» تمتشق الهوى المحجوز
تخرج من رماد الليل
والعطش الذي رفسَ السدود
«أسماء» ثانيةً تعود





لتناقش الأشياء حين تراكمتُ
وتواجه الأحداث حين تداخلتُ
وتفك أحجية القيود
«أسماء» تخرج من حريق الورد
من مخّارة غصتْ بلؤلؤة
وظلت في حنين البحر أزماً
إلى أن جاءها وجع المخاض
كأنها اجتازتْ خرائط هذه المدن التي انتفخت
وما وضعت. سوى الأحزان والنار القديمة والوقود
هي ذي تعيدُ تناسق الأنهار
تأوي عند نخلتها التي اهتزّت
وحركَ جذعها البرق الذي
قدَحته أحجارٌ من الياقوتُ
والرملُ الذي ينشقُّ عن كنزٍ يجود بما يجود

☆☆☆☆

هي ذي على الكتبان ذات الوقد
والشيطان ذات القند
تهزج

توقظ الأرض التي ظلت مدثرةً
ومغلقة كصندوقٍ قديمٍ
وتُعاود الأشراق في الزمن البهيم

☆☆☆☆

لا ترفعوا رأساً
وكونوا مثل أشجارٍ أناختها حمولتها





وأعشاشُ الطيور

☆☆☆☆

لا ترفعوا رأسًا

فتحتكمُ مفاتيحُ الكنوز

وتحت أرجلكم تساقطت الشواهد كالقشور

وخزائن الأرض التي امتدت لها كل الجسورُ

☆☆☆☆

لا ترفعوا رأسًا

وهل تعنيكمُ نزعات هذي الأرض

إن وقفت وإن ظلت تدور

☆☆☆☆

والأرضُ تزحف نحوكم

عبرت سواحلها القديمة أو تجاوزت العبورُ

جاءت لكم بموائدٍ فيها من الرياح والحلوى

وما صنعتها طاهية العصورُ

☆☆☆☆

لا ترفعوا رأسًا

ستنزلق الأواني من على هاماتكم

ولسوف تنكسرُ الصحونُ

☆☆☆☆

لستُ ذا علم بما يأتي به الغيب وما سوف يصيرُ

بيد أني أقرأ الحربَ التي دارت وما فيها يدور

إنها الحربُ التي من خلفها الحرب..

التي لم ترها العين وتسري مثلما النار تسير





إنها حربُ السياساتِ وما تنفثُ في الناسِ
وقد طوّقت الآفاق
أو شَنّجت الأرض
وقد عمّت كما امتدتْ جسور
وشبّاكُ تلقفُ الماكثَ في فطرته الأولى
كما تمكثُ في الزرعِ القشور
والذي يقتاده العصر ولا يدري إلى أين
ولا يسمع قولاً
كبرت من حوله الأشياء والتأثتْ
ولا يملكُ حالاً
غيرَ أن يفتعلَ الحربَ التي يصلي بها الناس ويُصلي

☆☆☆☆

ولماذا يُحرقون القُببَ الخضراء
والوادي الذي فاض قباباً ومُصلّى
ورمالاً لم تكن رمالاً كهذا الرمل
أو صخرًا كهذا الصخر
بل مائدة أنبتّها الله على الأرض
وقد باغتها الغول
ومَن يرقى بأسبابٍ من البطش
وأسباب من الحرب وقد خاب وضلا







الديوان العاشر

خرائط البرق (*)

(*) نشر هذا الديوان بدعم من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عام ١٩٩٨م.







لبنان وهموم العاشق

هل تذكرين شموّعنا في الوادي
أو في السّفوح بِليلةِ الميلاذِ
ومقاهي العشّاق في «عاليه» أو
«بيروت» بين مُنادِمٍ أو شادٍ
وقوافل الرّقصِ الذي يأتي لنا
من كلّ ناحيةٍ وكلّ بلادٍ



فكانه لغةٌ تجيء مع الهوى
توحي بها الأجسادُ للأجسادِ
من كلّ فاتنةٍ كأن قوامها
متدفّقٌ من كوكبٍ وقّادٍ
(مُربّيّين) مع الكُرومِ كأنهم
نَبَتوا مع الأعنابِ والفِرْصادِ



يتشابكون أضالعاً بأضالعٍ
ملهوفةٍ وأياديًا بأيادٍ
سكن الجمالُ بيوتهم وجسومهم
ونفوسهم فهمُ بهاءُ الضّادِ
بيضُ السّرائرِ والوجوهِ ترؤّضوا
بمدائنٍ وتطهّروا ببوادٍ





ما عادَ سَمَّارُ الضَّفَّافِ كَعَهْدِهِمْ
يَتَجَمَّعُونَ بِمَوْسِمِ وَحْصَادِ
وَتَرَمَّدَتْ جَنَائِثُهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا
كَانَتْ قَدِيمًا مِنْ جَنَائِنِ عَادِ
جُمِعَتْ شُرُورُ النَّاسِ فِي دَعْوَاهُمْ
أَنَّ الْحُرُوبَ طَرِيقُ كُلِّ جِهَادِ



وَالسَّلَامُ لَمْ يَبْرَحْ صِرَاطَ مَفْكَرٍ
أَبَدًا يَقُودُ وَلَيْسَ بِالْمُنْقَادِ
وَلِذَاكَ قِيلَ بَأَنَّ عَقَّةَ عَالِمٍ
تَبْقَى وَتَذْهَبُ نَزْوَةُ الْأَحْقَادِ
لَيْسَ الَّذِي يَبْنِي كَمَنْ هُوَ هَادِمٌ
شَتَّتَانِ بَيْنَ ضَلَالَةٍ وَرِشَادِ



وَالظُّلْمُ كَانَ وَلَا يَزَالُ مَطِيَّةً
رَعْنَاءَ ذَاتِ تَخْبُطٍ وَتَمَادِ
هَاهُمْ تَجِيْشُ بِهِمْ سَطُوحُ سَفَائِنِ
تَرْسُو عَلَى الشَّطْرَانِ كَالْأَطْوَادِ
وَخِيَامُهُمْ بَيْنَ الْمَرْجِ كَأَنَّهَا
نَوَلُ الْعَنَاكِبِ أَوْ تَلَالِ جِرَادِ
مُتَبَايِنَاتُ الْجُنْدِ مَخْتَلِفَاتُهُ
مُتَشَابِهَاتُ الْقَتْلِ وَالْأَمْدَادِ
وَكَأَنَّمَا الْأَيَّامُ تَفْقَدُ شَكْلَهَا
وَتَضْيَعُ بَيْنَ تَأْلَفِ الْأَصْدَادِ





والشرُّ يقتلُ نفسه في نفسه
أبدًا وتبقى الأرض للرواد



قالوا وما لبنانُ قلتُ حبيبةٌ
كانتُ منى نفسي وحلمَ فؤادي
نهبَ الغزاةَ حليَّها وثيابَها
نهبًا وها هي في ثيابِ جداد
قالوا وما لبنانُ قلتُ جنائنُ
ومناهلُ نامتْ على الأصفاد
قالوا وما لبنانُ قلتُ سواحلُ
زرقُ خضرٍ في يدِ الجلال



قالوا وما لبنانُ قلتُ رسولةٌ
بُعِثْتُ لتتلو آيةَ الميعاد
بل جذوةٌ أخرى بأرضٍ لم تنل
نيرانُها مرفوعةٌ بعماد
رُفِعَتْ كلافَتُهُ بريقُ ضيائها
كرسائلٍ ودخانُها كمِداد
وكأنما الحجرُ القديمُ مجامرُ
وقفتُ لهذا الليلِ بالمرصاد
والنارُ من قبسٍ وكلُّ قابسٍ
منها ويئسُ النارُ تحت رماد
يتبججُونَ بأنهم نفخوا بها
وتوغلوا في تلكم الأبعاد





واستعمروا الأرضَ القديمةَ بالذي
قد جددوا من فتنَةٍ وفساد
وبأنهم نصبوا حبائلَ مكرهم
وتدّرّعوا من راسبٍ بعتاد

☆☆☆☆

ولقد شجّنتني غرفةٌ محجوبةٌ
بسرّادقِ الأشجارِ والأوراد
لا يُهتدي لطريقها إلا على
هادٍ. وكم قد ضاع فيها الهادي
في كلّ أونةٍ لنا عيدٌ بها
ونزورها في موسمِ الأعياد
ولكم نشقنا من أزاهرٍ «زينب»
فيها وذقنا من نبيذٍ «سعاد»
حلمٌ من الأحلام مرٌّ ولم يزلْ
يأتي إليّ بيقظتي ورقادي





سلمى والبيت القديم

بيتٌ ببيروت مهجورٌ ومحترقٌ
يبكي على بابه العصفورُ والشفقُ
وقفتُ منه على بُعدٍ لأنظرَ ما
أبقت به الحربُ حتى كدتُ أختنق
ما كدتُ أعرفه لولا نوافذهُ
وسلَّم كحطامِ الجذعِ مُنسحق



على الجدارِ ثقبٌ مثلما وثبت
أقدامُ غولٍ عليه فهو مُنخرق
يحاذر الطيرُ أن يَأوي له فيه
عنه انحرافٌ وفي تحليقه قلق
كأنما الحجراتُ البيضُ ما فُرشتُ
بها المقاعدُ أو تهوي لها الطرق



نأتي له حيث شئنا أو يجيء لنا
تفاحهُ الحلوُ أو جُوريُّهُ العَبِقُ
كأنما لم تعش «سلمى» به زمناً
ولا انطلقنا به من حيث ننطلق
وهكذا تفقد الأيامُ روعتها
كأنها ماخضٌ قد شلَّها الطلق





تماصعُوا الأرضَ فاهتزَّت فرائضُها
من تحتهم واحتواها العالمُ النَّزِق
بعضُ تهاوى.. وبعضُ قائم وبه
شبه انهيارٍ وبعضُ كاد ينزلق
صاروا جسورًا لمن يأتي وأكثرهم
مسالكُ لغزاةِ الأرضِ أو شقق



لو يشربونَ مياهَ البحرِ ما شَرِبُوا
أو يعلكونَ صخورَ الشوكِ ما زَهَقُوا
وواقفون على اللاشيء تسلكهم
غيابةُ العصر أو بوابها الشَّبِق
ومغلقون على اللاشيء تدخلهم
شتى الجهات بما سدوا وما غلقوا



ولا يزال حصارُ الناسِ يضربه
بعضُ على البعض مذُ صاروا ومذُ خُلِقُوا
إذا أطاحوا بجدرانٍ لهم شهقت
أخرى يُنسَّقُها بانٍ لها لبق
ويأخذ الشرُّ أشكالاً وأخبثُها
من يحرقُ الناسَ «يا سلمى» ويحترق
أرى الجسومَ رسومات تناقضُها
بواطنٌ والقليلُ النَّزِر مُتَّفِق





يأوونَ تحت شعاراتٍ ملفَّقةٍ
كثيرةٍ واحتواهمُ عالمٌ قَلِيقٌ
والنهرُ يصنع مجراه وساحلهُ
ولا يُعارُ إلى أشجارهِ الورق
تُعكَّرُ الصفوُ أشياءٌ نُعالجُها
كأننا بالذي نجلوه نختنق
تكادُ تومضُ في الأفاق خارطةٌ
خطوطُها من حنينِ الأرض تنبثق



الجبيل والتابوت

لم تبقَ في الجبلِ الحزينِ بيوتُ
نأوي لها وتهدّمت «بيروتُ»
جبيلُ كأنَّ صُخُورَهُ منحوتةٌ
من فضّةٍ وبسفحةِ الياقوت
ومدينةٌ ترسو على شطآنها
مدنُ تجيش وروحها مكبوت
ما بال هذي الأرض ينكرُ بعضها
بعضاً وتقتل نفسها وتموت
فكأنما أحجارها مرجومةٌ
بحجارها والناحت المنحوت
ألقت على إنسانها أثقالها
ووراءُ وأمامهُ الطّاغوت
أين المفرُّ؟ وكلُّ أرضٍ قلعةٌ
وجنودُها وبكلِّ بحرٍ حوت

الوحش الجديد

قد خرجَ العالمُ من كهفه
وجاءَ مثلَ الوحشِ في زحفه
ولم يكنْ وحشًا ولكنه
كلُّ وحوشِ الأرض من صنفه
أغراهُمُ البحرُ ومرجأُهُ
ويقظةُ الإنسانِ في جُرفه



والشجرُ الوارفُ في ظلِّه
ورمأله المسرفُ في لطفه
وتلكُمُ الأطواءُ ذات الذُّرَا
وصقرُها الشَّاخِصُ في طرفه
يستقبلُ الأرضَ التي أقبلتْ
تنسِفُ ما تقوى على نفسه



كأنما الأشياءُ من فوقها
ما يترك العاصفُ في عصفه
والأرضُ كالأنثى إذا جاءها
مخاضُها لا بدَّ من قذفه



كأنَّها تجاوزت أمسَّها
تَجَاوَزَ الرَّاسِيفِ فِي رَسْفِهِ
يملكُها القارِئُ أوقَاتِها
كالشجرِ الدَّانِي إلَى قُطْفِهِ
يملكُها المِوْغِلُ فِي عَمْقِها
والثَّائِرُ السَّاخِرُ مِنْ حَتْفِهِ
وَحَالَةُ الْإِنْسَانِ فِي مَوْتِهِ
كَحَالَةِ الْإِنْسَانِ فِي خَوْفِهِ

☆☆☆☆

وقد تكون الحربُ أدنى إلى
رُشْدٍ مِنَ السَّلامِ وَمِنْ ضَعْفِهِ
ولِيسَتِ الحربُ عَلَى مَعْتَدٍ
فِي صَفِّهِ كَالْحَرْبِ فِي صَفِّهِ
كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْ لَحْمِهِ
أَوْ أَنَّهُ يَشْرَبُ مِنْ نَزْفِهِ

☆☆☆☆

تَعَقَّدُ الْعَالَمُ حَتَّى غَدًا
ظَاهِرُهُ أَعْمَقُ مِنْ جَوْفِهِ
وَصَارَتِ الْأَشْيَاءُ تَيَّارَةً
تَجْرُفُ مَنْ يَسْقُطُ فِي كَفِّهِ
مَا أَجْمَلَ الْعَالَمَ لَوْلَا الَّذِي
فِيهِ مِنَ الظَّالِمِ وَمِنْ عُنْفِهِ





لوأنه يملك كل الذي
في الأرض والبحار لم يكفه
لو كانت الأنسائم من ملكه
ما خَطَرْتُ إلا على أنفه
ولا تمرُّ السُّحُبُ في أفقها
إلا إذا أومأ في طرفه
وإنما الأرض بإنسانها
وفكره وليس في عُنفه
ها هم على البحر كحيتانه
والأرض والطوفان من خلفه

☆☆☆☆

واستمروا الأفق ودُّبُوا به
يستشرفون الأرض من سقفه
تكشَّف الكون لرواده
وبعضهم قد ضاع في زيفه



النبض المختفي

قد ينضبُّ البحرُ ولا تنضبُ
حروفُهُ الخضرُ وما تكتبُ
في نبضها جِراكُ ما يختبي
خلفَ الحجاباتِ ولا تحجب
كأنها في كلِّ يومٍ لها
مسالكُ تذهبُ ما تذهب



تنقلُ ما تقذفهُ أضلُعُ
يسطعُ في صميمِها كوكبُ
ليس الذي يَغْرِفُ من لَجَّةٍ
كظاميٍّ من وَشَلٍ يشرب
قد عجبوا من شعره. إنما
أنْ يكتبوا الشَّعرَ هو الأعجب



من أين يأتي الشَّعرُ؟ ما مارسوا
فكرًا ولا عانوا ولا جرَّوا
ولا رأوا تلك التي أُخرجت
من بيتها تلطمُ أو تنحب



يَهْذُونَ بِالْعَشْقِ وَلَمْ يَعِشِقُوا
وَإِنْ يَقُولُوا فِي الْهَوَىٰ يَكْذِبُوا
وَكُلُّ مَا قَالُوهُ مِنْ غَيْرِهِمْ
يُؤْخَذُ أَوْ يُنْسَخُ أَوْ يُنْهَبُ
صَارُوا طَبُولًا لِلَّذِي يَضْرِبُ
وَلَعِبَّةٌ لِّكُلِّ مَنْ يَلْعَبُ
جَوْفٌ وَفِي أَوْدَاجِهِمْ نَفْخَةٌ
وَفِيهِمْ رَوَاسِبٌ تَرْسَبُ

☆☆☆☆

سَيَمَكْتُ النَّسْرُ بِأَجْوَائِهِ
يَحُومُ إِنْ النَّسْرَ لَا يَتَعَبُ
يَتَرَجَّمُ الرِّيحَ وَيَبْنِي لَهُ
مِنْ رِيَشِهِ عَشًّا وَلَا يَنْعَبُ
أَعْظَمُ مِنْ أَفْرَاحِهِمْ حَزْنُهُ
وَصَدْرُهُ مِنْ كَهْفِكُمْ أَرْحَبُ

☆☆☆☆

وَأَيُّ مَنْ يَنْظُرُ مَا يَخْتَفِي
وَمَا يُوَارِي خَلْفَهُ الْغِيهْبُ
وَمَنْ إِذَا وَاجَهْتَهُ بِالَّذِي
قَدْ غَابَ عَنْ عَيْنِيهِ لَا يَغْضِبُ
وَبَعْضُهُمْ فِي غِيَّهِ يَهْتَدِي
وَبَعْضُهُمْ مِنْ جَهْلِهِ يَكْسِبُ





تفاهمَ الناسُ على باطلٍ
يُغريهمُ بريقُ الخُلبِ
يسكرُ في ضياعِهمُ حسُّهمُ
والحسُّ في ضياعِهِ يُسلبُ
إن جاءتِ الأشياءُ مطوَاعَةً
لطالبٍ فما الذي يطلبُ
وكُلُّهمُ يعيشُ في يومهِ
وليلِهِ يلعبُ أو يطربُ

☆☆☆☆

وربما غنُّوا بأبياتٍ من
يكتبُها وقلْبُهُ ينحِبُ
مات «أبو العلاء» في سجنهِ
ونورهُ مشى به الموكبُ
«وأحمدٌ» هام على وجههِ
في سببٍ من خلفهِ سببُ

☆☆☆☆

كحافرٍ بئرٍ بأظفارهِ
ليشربَ الناسُ ولا يشربُ
كأنما المياه ما أطفأتُ
صداهُ أو فاضَ بها الطحلبُ
وجاءنا الحاضرُ في علمهِ
وعنفهِ وكلُّ ما يجلبُ





هَذَا عَلَى أَلْوَانِهِ عَاكِفٌ
وَذَاكَ مِنْ ضُرُوعِهِ يَحْلِبُ
وَرَجَّيْتُ الْأَكْوَانَ حَتَّى بَدَتْ
أَعْمَاقُهَا مِنْ هَوْلٍ مَا تَخْضِبُ
وَكُلُّ مَا نَرَاهُ مِثْلُ الصَّدَى
لَا خَيْرَ أَوْ شَرِّكَ يُنْصَبُ
بَعْضُهُمْ يَأْكُلُهُ الذَّنْبُ وَالْـ
بَعْضُ غَدًا يَوْقَعُهُ الثَّعْلَبُ
كَأَنَّمَا الْإِنْسَانُ قَدْ بُدِّلَتْ
فَطَرَّتْهُ أَوْ أَنَّهُ يَكْذِبُ



الأنهار والمنايع

خسئتم دماً مرّاً كأن حروقَهُ
شِعَابٌ وحُولٍ تستقيها الضَّفادُ
تكاد تجفُّ الأرض حين يمسيها
وتنكره أشجارُها والمزارع
كأن دماء الناس كالنَّاسِ بعضُها
خبِيثٌ وبعضُ ذو بريقٍ وساطع



وللأرضِ كالإنسانِ روحٌ يحسُّها
أناسٌ لهم منها هوى ونوازعُ
وما هذه الشيطانُ إلا هياكلُ
وما هذه الآفاقُ إلا صوامعُ
كأن قتادَ البرِّ منكم أصولُهُ
وفي الماء أنتم طحلبٌ وقواقعُ



إذا رُوِّضت أقدامُكم وظهورُكم
أبت فيكم أن تستقيم الأضالِعُ
تهاوت بكم أحلامُكم وتخالزت
سواعدُكم أن تحتذيها الأصابعُ



لَكُمْ أَلْسُنٌ لَا تَقْتَدِي بِقِرَائِحِ
وَفِيكُمْ نَفُوسٌ أَنْكَرَتْهَا الشَّرَائِعُ
وَقَدْ تَجْمَعُ الْأَفْكَارُ كُلُّ مَشْتَتٍ
وَلَيْسَ لِأَخْلَاقٍ تَنَاقَرْنَ جَامِعُ
وَلَنْ يَرْفَعَ الْأَشْجَارَ إِلَّا جَذُورُهَا
كَذَلِكَ مَا الْأَنْهَارُ إِلَّا الْمَنَابِعُ





الذئاب ونوافذ القرميد

لقد هجمتُ على «سلمى» الذئبُ
تنجُّ بها المسالكُ والشَّعَابُ
وكانت تحتمي بذرى جبالٍ
منيعاتٍ ويحجبها حجاب
فهل يبكي الهوى أيامَ «سلمى»
وقد ذهبَتْ كما ذهب الشباب



أم الأرض التي جفَّت عليها
خمائُلُها ودبَّ بها الخرابُ
وحاراتُ بها نحلٍ وطيْرُ
وجناتُ وساحاتُ رحاب
وشطآنًا يظللُّها حريْرُ
يباحُ بها التَّسكُّعُ والشُّراب



رأيتُ بها «سليمى» حين شَعَّتْ
جوانبُها كما التَّهب الشَّهَابُ
تُرْنِجُ جسمَها نظراتُ عشقٍ
أكْررها فيعرُّوها اضطراب





بـزرقاءِ العيون مشئت عليها
بـوادرُ صَبْوَةٍ فلها التهاب
وتنفخُ عن ضفائرها رذاذًا
كأن رشاشَهُ المسكُ المذاب
وراحت ترتدي ثوبًا قصيرًا
وفي أمثالها تزهو الثياب
فما لي والهوى من بعد «سلمى»
يُقاضيني، وكلُّ هوى سراب

☆☆☆☆

ذكرتُ نهارها فكانَ طيرًا
يُغرِّدُ بي وتسكنني القباب
قَبَابٌ يرسمُ القرميدُ فيها
سطوحًا مثلما أحمر السحاب
وأيامُ لنا في الصيفِ إني
لأعروني لذكرها اكتئاب
تناهَبَ أهلها غزوً ودُكَّتْ
منازلُها وحاتُّها تراب





الأرض ذلك الجسد القديم

تأتيك من حيث لا تدري دواهيها
دينًا لها بغتاتٍ في تجنيها
ألا ترى كيف تنهارُ الجبالُ بها
كما تساقطُ ثلجٌ من أعاليها
وكيف تنفرُ أرضٌ من مواسمها
وتطرُدُ الطيرَ عنها حين يأتيها



وكيف تُسحب من أقدام ساكنها
كما تفرُّ فرارًا من أهاليها
كأنها جسدٌ ينمو فإن قصرت
ثيابُه يرتدُّ أخرى ويريهـا
والناس في الأرض أزياءٌ لها. ولكم
ألقَتْ ثيابًا عليها لا تغطّيها



كأنما الكونُ أفكارٌ تفسرُها
حالاته يتبنّاها ويُلغيها
وفيه حكمٌ قوانيّنٍ تسيّره
كما تشاءُ ويبقى ماكنّا فيها





وفيه كالناس حالاتٌ يُعالجُها
إذا استجاشتْ وألَمَّ يُعانيها
لو يملكُ الناسُ هذي الشمسَ ما بزغتْ
أو النجومَ لفرَّتْ من لياليها
يا ربوةً خسفوا خسفاً قرارتها
وطشُّروا عالماً ينمو بواديها
ويا نوافذَ قرميدٍ مهدِّمةٍ
مثلَ التماثيلِ خرَّتْ من نواصيها

☆☆☆☆

جاء المخاضُ لأرضٍ طالما عقمت
حيناً من الدهر فاهتزَّت نواحيها
يرتادها قانِصٌ حتى إذا امتلأتْ
شباكُهُ أسقطتُهُ في مهاديها



كأني أراهم

كأني أراهم ينتشون بنشوتي
وقد سَمِعْتُ أفكارهم همسَ فِكرتي
كأني أراهم.. قادمون.. كأنهم
من الجنِّ أو فيهم مسالكُ جِنَّة
وقد سكنوا شتى الوجوه وأوغلوا
بكلِّ طريقٍ وارتقوا كلَّ قُمَّة



كأن الذي يمضي مقيمٌ بماكثٍ
يسير على هَدْيٍ قديمٍ وسُنَّة
وإن الذي يأتي مقيمٌ بساكنٍ
يَحسُّ به قبل اللقاء بمُدَّة
فيا زمنَ الحرب الذي جاء عارماً
شديداً وفيه قسوةُ المتعَنَّت



ستحرقك النارُ القديمةُ إنها
إلى الآنَ ما زالت تشبُّ بفتنةٍ
وكانت حروبُ الناسِ رداً لحرمةٍ
تُلطُّ ودفعا عن تراثٍ وحرمةٍ



فصارت (مطايا) يركبُ البعضُ نارَها
إلى غايةٍ يا بئسها من مطيئةٍ
فكم خنقوا نهرًا وداسوا متاحفًا
ببيتٍ به تاريخُ وردٍ وجنةٍ
نكرت دهاليزَ الهوى وفوانيسًا
أضاءت وجوهًا طيّعاتِ التلّفات
وحارةً حبٍّ يطرقُ الناسُ أهلها
طروقَ طيور البرّ تأوي لروضة



ودارًا لسلمى في الضفاف وغرفةً
على السطح فيها من إشاراتِ نجمة
تضيّق بها أثوابُها من توقُّدٍ
فتفتّح من شباكها نصفَ فتحةٍ
إذا دخلت في الحُسن صارت مخرجًا
إلى كلّ حُسنٍ بل إلى كلّ لذّةٍ



وإن سكنتُ في الفكرِ فهَي انتشاءٌ
تظلُّ إلى أن نلتقي بعد فترةٍ
تنامُ لتصحو في طروقي كأنها
إذا غبتُ عنها لا تلذُّ بصحوةٍ
ألا إنني في نشوةٍ من تذكري
وذو سكرةٍ من فرطِ حزني وحسرتي





فلم يبقَ من «سلمى» سوى ما أحسُّه
بِأُخْرَى ولا من دارها غيرَ رِمْةٍ
ألا إن هذا العصرَ عصرٌ تمزَّق
ألا إن هذا العصرَ عصرٌ تَشْتَّت
ولن يلتقي إلا الذين تجمَّعوا
على الحبِّ إن الحبَّ أعظمُ قُوَّة





الحرب وحطام الأشجار

مررت بالأرض فاستلقيتُ من غضب
على جذوعِ يبيساتٍ وأحجارٍ
يحومُ «حسونُهُ» فيه على جثثٍ
من الطيور على أنصافِ أشجار
فقلتُ جُذْتُ أيارٍ أو أصابُعُها
تلك التي هُدمت بيتًا «لِعشتار»



كنا نلوذُ بها حينًا وأونهُ
نأتي لنسكن في غيطان أزهار
كانت نوافيرُها تحدو جداولها
إلى مقاصير أشجارٍ وأوكار
يرتادُها كلُّ مفتونٍ وفاتنةٍ
وتحتويها عيونٌ ذات أخبار



يروحُ يقرأها أو يقتفي سببًا
فيها الذي يتقصَّى هاجسَ النار
كأنَّ مُلكَ «سليمان» يُطالعنا
من هيكَل القصر أو في مدخل «الغار»
أكاد أسمعُ همسَ الذرِّ أو رسمتُ
لي الحجارة صَوْتًا هزَّ أقطاري





يا دار «سلمى» على الشيطان إن رجموا
تلك السواحل من للعبير السَّاري
فالأرض تُنذرنا والناس تأكلنا
وأهلنا حذفونا بين أظفار
وقد ينال الذي يبغيه ذو غضبٍ
لو كان يملك تصريحًا لتيَّار

☆☆☆☆

وكم نقول بأن الأرض واسعة
ولا تقاس بأمتارٍ وأشجار
لكنهم حاصروها فهي خارجة
من الحصار وفيها هم نُؤار
لذاك قد وجد الشيطان لعبته
وراح يضرب إعصارًا بإعصار

☆☆☆☆

إن يُكرهوهم على حربٍ فإنهم
يا طالما زحزحوا من مُلك جبَّار
وطالما أشعلوها وهي خامدة
وواجهوها وكانت ذات أخطار
وقايضوا الحرب بالتقوى فما ربحت
فأردفوها بِشَرٍّ غيرٍ أشرار
والشرُّ يكبح من شرٍّ يشابهه
كما ستكشف أسرارًا بأسرار





الحرب وحطام العواصم

حذفوك بالأضدادِ ثم تقحّموا
واستنفروا الزمن الذي لا يرحمُ
ولقد أتوا من قبل أن يأتوا بمن
يتعلّقون بهم. وبعضُ منهم
وتقمّمُوا الأشياءَ وانتشروا بها
وتجهمّوا فإذا بها تتجهمّ



وإذا بها من بعدِما فسحوا لها
مدنٌ على إنسانها تتهدّم
لم تدركِ ما يأتي وألف خريطة
رُسمت لما يأتي بما لا تعلم
رفعوا العواصمَ ثم دسّوا تحتها
زلزالها.. ولكلّ خسفٍ موسم



وتداخلوا في الآخرين كأنهم
شرٌّ يُولفُ بعضه ويُتمّم
وكأنهم لم يكتفوا فتسرّبوا
في الفكر حتى أوهموا من أوهموا





وَتَوَغَّلُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي بِهِمْ
أَحَدٌ وَقَدْ يَدْرِي وَلَا يَتَكَلَّمُ
هِيَاهُ مَا امْتَدَّتْ يَدٌ لَتَنَالَ مَنْ
أَرْضٍ تُفَكِّرُ أَوْ دِمٍّ يَسْتَلْهِمُ
شَتَانٍ بَيْنَ مُحَارِبٍ فِي كَفِّهِ
قَبَسٌ يَضِيءُ وَأَخْرِي حِلْمُ
مَتَجْهِمٌ فِي ظَاهِرٍ مَتَمَزَّقُ
فِي بَاطِنٍ وَبِهِ الصَّرَاغُ الْمُبْهِمُ



وَمُشَوَّةٌ طَمِسَتْ خِرَائِطُ وَجْهِهِ
فَكَأَنَّهُ يَنْهَارُ أَوْ يَتَقَسَّمُ
وَكَأَنَّمَا الْأَيَّامُ تَنْمُو مِثْلَمَا
نَنْمُو وَنَهْرٌ مِثْلَمَا هِيَ تَهْرُمُ
هَرِمَتْ لَعْمَرِكَ أَوْ كَمَا قَالُوا لَهَا
هَزُلْتَ وَإِلَّا قَدْ بَدَتْ تَتَعَتَّمُ



وَكَأَنَّ هَذَا الْأَرْضَ إِنْسَانٌ لَهُ
نَزَعَاتُهُ وَكَأَنَّمَا هِيَ تَفْهَمُ
نُسَفَّتْ ظَوَاهِرُهَا بِمَا فِي جَوْفِهَا
فَتَحَدَّثَتْ أَوْ أَنْ صَوْتًا يَرْسُمُ
وَتَقَارِبَتْ مِنْ بَعْضِهَا وَتَبَاعَدَتْ
نَصَفٌ بِهِ نُورٌ وَنَصَفٌ مَظْلَمُ





لبنانُ إني هائم بك عاشقُ
حيثُ اتجهت وحيثُ كنتُ ومغرم
أَتَقَمَّصُ الأسرارَ ثم أحييها
شوقًا يناغي شوقَكم ويُسلم



التياب الأخرى

سكنتُ الرُّبى لا باركَ الله بالرُّبى
إذا ارتفعت أعناقُها فوق غيهبِ
وأصبحتُ مرمى كلِّ من كان هابطاً
كضفدعةٍ من فوقها ضوءُ كوكب
وذي غضبٍ من غير شيءٍ يُجيزُهُ
سوى أنه حقْدٌ وغيرُ مهذب



ولو شذَّبتُ حمقاءٍ حقْدًا بصدورها
لنالتُ ولكنْ حقْدُها لم يُشذَّب
كناهشةٍ من لحمِها في مجاعةٍ
طعامًا لأفعى أو متاعًا لعقرب
ومنطلقٍ في شخصها وهوَ ضدُّها
ويَخبطُ خبطَ المنتمي المتعصَّب



يُشابهُها في غيِّها وحقودها
ويَنفُرُ منها في طريقٍ ومذهب
فصيحٌ إذا كلَّمْتَهُ غيرَ أنه
به عجمةٌ في شخصه المتحجَّب



إذا انخفضت أمست حبائل حابل
وتعلو فتُمسي مثل سقفي لعنكب
وتنصب أشرًا لكل محلّق
وتقعد بالمرصاد للمتوئّب
تُداخل ناس في أناس كأنهم
ثياب فإن جرّلتهم تتعجب



المهد

خدعتك منه زخارف وبوارق
ما كنت تفهمها وأنت الحاذق
إن طاوعتُك به ليونة طائع
فبه لعندك طاعة وخلائق
متكرراً الألوآن محتجب بها
لو كان يُحجب فوق سطح ناعق

☆☆☆☆

ينساق للأمر المطاع لكل من
يبغي له أمراً فكل سائق
وممهد للسالكين كأنه
طُرُق عليها كل يوم طارق
أو لا تراه كأنه لنقائض
طاشت به ما فيه وجه صادق

☆☆☆☆

لا تقتدي أعضاؤه بدمائه
فكأنهن قبائل تتراشق
وكأنه نهر تفجر تحته
نهر يعاكسه وصخر عائق



عينان من دمشق

إذا التَّهَبْتُ عَيْنَاكَ مِنْ لَاهِبِ الْهَوَى
وَأَبْرَقَ فِي أَنْحَاءِ أَطْرَافِكَ الْبَرَقُ
رَأَيْتُ كَنُوزًا لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا
وَقُلْتُ وَقَدْ أَمَنْتُ إِنَّ الْهَوَى رِزْقُ
وَقُلْتُ بَأَنَّ الصَّيْفَ فِي الشَّامِ ظُلُّهُ
رَحِيْبٌ وَفِيهَا لِلْمَنَى جَانِبٌ طَلَقُ



وَقُلْتُ عَسَانَا نَلْتَقِي عِنْدَ نَهْرِهَا
وَمَاءٌ لَهُ فِي جَرِيهِ نَحُونَا شَوْقُ
يَحَاوِلُ أَنْ يَأْتِيَ وَلَكِنْ أَعَاقَهُ
مَصِيبٌ لَهُ أَوْ رُبَّمَا أُسْرِفَ الدَّفَقُ
وَفِيهَا الْقُبَابُ الْعَالِيَاتُ كَأَنَّهَا
تَعِيشُ بِهَا رَوْحٌ وَيَسْكُنُهَا أَفْقُ



وَفِيهَا بَقَايَا مِنْ ضَرِيحٍ لِفَارِسٍ
وَفِي النَّاسِ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ رَوْحِهِ خَفَقُ
كَأَنَّ الَّذِي قَدْ جَاءَ بِالْأَمْسِ مَاكْتُ
عَلَى الْأَرْضِ أَوْ فِي النَّاسِ مِنْ عِرْقِهِ عِرْقُ





فيا شامُ بل يا ياقوتةً لم تجدُ لها
إلى الآن صدرًا يحتويها: لك الحقُّ
إذا التبست أجواؤنا أو تعكَّرت
نَعيشُكٍ عشقًا ربما يهتدي العشق
كأن البقاعَ الخضرَ جبةً قادم
صحائفهُ الأفاقُ والأنهرُ الزُّرق
إلى الآن لم تبرحْ به هاجسائهُ
تجولُ وفيه من منابِعها عمق
مخاضُ قرونٍ مارسَتْ كلَّ جانبٍ
من الشرقِ أو في الشام قد سكن الشرق



الرواسب

ماذا ستفقدُ منها لو تغادرُها
وما حدثتُها لولا جاذبُها
رمت بك الريحُ فيها والرياحُ لها
مهبطٌ ولها أيضًا معابرُها
زُرْتُ بيوتهم الأولى على رمم
مأهولةٍ عبقَّت فيها مباخرُها

☆☆☆☆

كأنَّ أمواتهم غزوٌ يعيش بهم
وفيهم الفتنة الكبرى وناشرُها
مالي أراهم إني لا أرى لهم
حسًّا وليس لهم كأسٌ وسامرُها
تداخلتُهم حروبٌ وهي صامتةٌ
ومزقتُهم قراباتٌ وناكرُها

☆☆☆☆

لم أدِرِ عنهم ولكنِّي رأيتُ لهم
منازلًا هُدمتْ أو قلَّ ناصرُها
تخالط الناسُ حتى صار كلُّهم
عشيرةً أو بها ذابت عشائرُها
وصارت الأرضُ كالبيت الذي عتيقتْ
جدرائه أو بها شيءٌ يُخامرُها



فَلَسْتُ أَنْكَرُ أَنَّ الْقَادِمِينَ إِلَى
تِلْكَ الْقُرَى أُمَّ شَتَى عَسَاكِرُهَا
تَعِيشُ كُلَّ حُرُوبِ النَّاسِ أَوْ حُشِرَتْ
بِهَا الْحُرُوبُ جَمِيعًا أَوْ مُحَاوَرُهَا
مَاذَا جَنَى الْوَرْدُ كَيْمَا يَحْرِقُوهُ وَمَا
جَنَنْتُ حَدَائِقَهُ أَوْ قَالَ طَائِرُهَا



يَا رَاجِمًا بَيْتَ «سَلْمَى» فِي قِذَائِفِهِ
وَنَاسِقًا دَوْرَ حَارَاتٍ تَجَاوَرُهَا
هَلَّا اسْتَحْيَتْ مِنَ الْأَعْنَابِ تُحْرِقُهَا
وِطْفَلَةٌ سُلِبَتْ مِنْهَا أَسَاوِرُهَا
لَا أَنْكَرُ الْحَرْبَ إِلَّا أَنَّ أَفْظَعَهَا
حَرْبُ ضَحِيَّتِهَا مَنْ لَا يَعَاوِرُهَا



كَأَنَّنَا نَتَخَطَّى أَلْفَ مَرَحَلَةٍ
بِسَاعَةٍ لَسْتُ تَدْرِي مَا أَوَاخِرُهَا
يَهْدُدُونَ بِحَرْبٍ وَهِيَ قَائِمَةٌ
إِنْ الْحُرُوبَ كَثِيرَاتٌ مَصَادِرُهَا
تَجَاوَزَ الْعَالَمُ الْآتِي رَوَاسِبَهُمْ
وَشَبَّهَا فِيهِمْ حَرْبًا يُحَاصِرُهَا
وَالْفَكْرُ فِي النَّاسِ تَشْذِيبٌ لِمَا تَرَكْتُ
عَصُورُ غَابَاتِهَا الْأُولَى وَحَاضِرُهَا





الحرب وزرقاء اليمامة

سَخِرُوا «بِزَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ» عِنْدَمَا
قَالَتْ لَهُمْ أَشْجَارُ بَرٍّ تَزْحَفُ
مِنْ أَيْنَ لِلْأَشْجَارِ أَقْدَامٌ؟ وَهَلْ
تَسْتَشْرِفِينَ وَنَحْنُ لَا نَسْتَشْرِفُ
حَتَّى إِذَا بَزَغَ الصَّبَاحُ وَأَشْرَقَتْ
شَمْسٌ تَجَلَّى أَمْرُهُمْ وَالْمَوْقِفُ



وَالْحَرْبُ خُدْعَةٌ خَادِعٍ وَلَرَبِّمَا
جَاءَتْ عَوَاقِبُهَا بِمَا لَا يَعْرِفُ
وَلَقَدْ تَكُونُ بَدَايَةَ لِمَعَارِكِ
أُخْرَى تَضَاءُ بِهَا الْأُمُورُ وَتُكْشَفُ
«أَجْدِيسٌ»^(١) إِنَّكَ مَا هُزِمْتَ وَإِنَّمَا
هُزِمَ الَّذِينَ عَلَى أُمُورِكَ أَشْرَفُوا



وَلَقَدْ رَأَيْنَا زَحَفَهُمْ مِنْ قَبْلُ أَنْ
يَأْتُوا بِمَنْ سَكَنُوا بِنَا وَتَلَفَّقُوا

(١) قوم زرقاء اليمامة.





ولقد رأيناهم وراءَ ظهورٍ من
نكصوا على أعقابهم وتخلفوا
مُلِئَتْ وجوههم وجوهًا أو مضتْ
من خلفها. ومن الوجوه الأجوف
ولربما كانوا على علمٍ بهم
وبزحفهم وكأنهم لم يعرفوا



وللحجارة نبض

لم تفقد الأرض شبرًا من مساحتها
ولا استباحت ولكن هزها الغضب
وانتها رفضتهم عندما مُسخوا
والأرض ترفض أحيانًا وتقلب
كأنما هي جسم فيه من دمنا
وكلنا لتراب الأرض ننتسب



فالحجارة نبض وهي ساكنة
وبعضها محتواه الماء والذهب
والأرض إنسانها فيه ملامحها
كالنبت هذا به عطر وذا خشب
يا مَنْ رأى شجرًا يبكي بجانبه
نهرٌ يعاكس مجراه وينسحب



صار الجناء صقورًا بعدما زحفوا
في ا لوجل زحفًا إلى أن غاصت الركب
يُمطّطون صدورًا مثلما ارتفعت
قُرى النّمال بما يمرّيه مُحْتَلَب



يُكَافَأُونَ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي اغْتَرَفُوا
وَيَرْفَلُونَ بِمَا لُطُوا وَمَا نَهَبُوا
حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ غَزْوٌ تَزَجَّ بِهِ
مَجَاهِلُ الْأَرْضِ وَانْهَارَتْ قُيُوبُ
تَدَاخَلُوا فِيهِ وَانْحَاذُوا لَهُ فَهُمْ
غَزَوْ يَمِيْزُهُ عَنْ غَيْرِهِ اللَّقَبُ
هُمْ الْغَزَاةُ وَإِلَّا فَالْغَزَاةُ بِهِمْ
تَنَاسَلُوا بَلْ هُمْ أَقْسَى إِذَا ضَرَبُوا
فَمَنْ يَغْرِبُ أَعْرَاقًا قَدْ اخْتَلَطَتْ
وَهَامَةٌ يَتَطَوَّى فَوْقَهَا ذَنْبٌ
يَنْحَاذُ لِلشَّرِّ شَرٌّ حِينَ يُشَبِّهُهُ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ مِنْ مِثْلِهِ سَبَبٌ



الوسائل الجديدة

سَأَلْتُكَ هَلْ لِلشَّرِّ دَفْعٌ سِوَى الشَّرِّ
وَهَلْ يَرُدُّ الْمَكْرَ الْخَبِيثَ سِوَى الْمَكْرِ
أَيُصْبِحُ فَتْكُ النَّاسِ بِالنَّاسِ حَالَةً
يَمَارِسُهَا الْإِنْسَانُ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
فَمَا بَرَحْتُ تَنْمُو بِهِ أَوْ تَطَوَّرَتْ
وَسَائِلُهُ فِي الشَّرِّ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

☆☆☆☆

وَطَاشَتْ صَدُورٌ بِالَّذِي يَغْتَلِي بِهَا
مَنْ الْحَقْدِ أَوْ طَاشَتْ بِهَا نَشْوَةُ النَّصْرِ
ذُهِلْنَا لِهَذَا الْكَوْنِ فِي دَوْرَانِهِ
وَأَذْهَلَ مِنْهُ مَا نَرَاهُ مِنَ الدَّهْرِ
سَلِ الْبَقْعَةَ الْخَضِرَاءَ مِنْ دَارِ (زَيْنَبٍ)
وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ كَرْوَمٍ وَمِنْ طَيْرٍ

☆☆☆☆

وَنَهْرٍ يَغْذِي الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
كَطَيْفِ نَبِيٍّ يَرْتَدِي زُرْقَةَ النَّهْرِ
لِئَنْ خَدَشَوْهَا بِالرَّجُومِ فَانْهَارَتْ
تُجَدِّدُ مِنْ ثَوْبٍ وَتُبْنَى عَلَى أَمْرِ
وَقَدْ كَانَ يَرْجَى السَّلَامَ لَوْلَا وَشَائِجُ
تَوَلَّفُ بَيْنَ الشَّرِّ فِي سَاعَةِ الصَّفْرِ



القدس وحطام الحجارة

يا قدسُ إن حياة الناس مُذ وجدتُ
غزو يُبرِّره من ظافرِ ظفرُ
تجمّع الشرُّ من شتى مخابئه
كما تجمّع في المرجومة الحجرُ
والشرُّ يأخذ في شتى مراحلهِ
أزياءه وله ألوانه الآخرُ



تُبني القلاعُ لطاغٍ ثم يهدمُها
طاغٍ جديدٌ تبني إفكّه نفرُ
قد حاصروا كلَّ شيءٍ في نقائضهِ
وحرضوا من لصوص الأرض فانتصروا
وتستعيرين من ضدٍّ وسائله
فتعثرين بهم أو أنهم عثروا



كانوا على عهد «موسى» عاكفين على
ضلالهم ثم هاموا بعدما اندحروا





صاروا ذريعةً غزوٍ مُشْوِهٍ، دولٌ
قد غَرَّرَتْهُمْ بدعواهم وما شعروا
هيهاتَ ما دخلوها منذ أن عزفوا
عن الدخولِ ولا حَجَّوا ولا اعتمروا
لكنهم صنعوا منها شعائرهم
وما لديهمُ بها عِلْمٌ ولا خبر
غزوٍ يساندهُ غزوٌ يجيء به
دُمٌ خبيثٌ حواه هيكُلٌ نَخِر
إن يحرقوا القُبَبَ الخضراءَ أو دخلتْ
من غير أبوابها الغيلانُ وانتشروا
فألهُ قد خلق النيرانَ واشتعلتْ
بأمره وبها الأشياءُ تنصهرُ
وإن تعقَّنَ جسمٌ في رواسبهِ
فالأرضُ من بعضِها تنمو وتزدهر
قد حاصر الصدأُ الموروثُ أسلحةً
مخزونةً وانتضى أحجارك القدر
حجارةً خلَّتْها موسومةً فيها
من هيكَلٍ نقشُهُ أو معبدٍ أثرُ
صارت حجارتك الخضراءُ عالقةً
يُرمى بها صنمٌ أو يُقبسُ الشُّرر
ستمكتينَ مدار الفكر في زمنٍ
دُكَّتْ به حفرٌ أو رُجَّتِ الأسر





وما دخلتُكِ لكني مررتُ على
أُخرى بها منك هذا الغزو والتُّتر
قالوا أكتتب عن أرضٍ ولم ترها
فقلتُ في غيرها الأشباح والصُّور

المختفون

وما لبنانُ آخرُ من أطاحوا
ولكن عُبِّئْتُ فيه الشُّرُورُ
وصارت حجةً للغزو أرضُ
بها شتى الحروبِ ولا مصيرُ
وما دخل الغُزاةُ به ولكنُ
تواری خلفَهم غزوٌ كبيرُ



ومن يدري؟ لعلَّ الكونَ فيه
كما في الناس حسٌّ أو شعورُ
كأن الدهرَ غربالٌ قديمُ
وأكثر ما تجيش به القشورُ
هي الأيامُ تخلعُ ما عليها
وتنفضُ عن كواهلها الدهورُ



وما اختلفت حروبٌ عن حروبٍ
وإن بُعدتُ وما زالت تدورُ
ولو لم يأت هذا الغزو ممَّنْ
لهم من قبله غزوٌ مريرُ



لَجَاءَ الْآخِرُونَ لَذَاكَ قَالُوا
بِأَنَّ الْآخِرِينَ هُمْ السَّعِيرِ
تُطَارِدُنَا الرِّيحُ بِكُلِّ أَرْضٍ
وَتَحْذُقُنَا عَلَى الصَّخْرِ الصَّخُورِ
وَأَنْسَانُ يَهَاجِرُ عَنْ هَوَاهِ
وَأَخْرُفِيهِ مِنْ دَمِهِ نَفُورِ
وَقَدْ كَانَتْ حُرُوبًا هَاجِعَاتٍ
مُخْبِئَةً كَمَا دُفِنْتَ بِذُورِ



وَجَاءَ أَوَانُهَا وَلِكُلِّ حَرْبٍ
أَوَانٌ حِينَ تَضْطَرُّ الْأُمُورُ
كَأَنَّ لِكُلِّ أَوْنَةٍ شَبَابًا
يُجَدِّدُهَا كَمَا سَقَطَتْ قَشُورُ
تَرَكَمَتْ النِّقَائِضُ فَهِيَ حَرْبُ
تَدُورُ وَمِنْ ضَحَايَاهَا الْمَدِيرُ



فِيَا لِبْنَانُ يَا حَزَنًا جَدِيدًا
نُعَانِيهِ وَيَا جَبَلَ يَثُورُ
لِمَاذَا يَرْجُمُونَ الْوُورَدَ؟ مَاذَا
جَنَنْتُ تِلْكَ الْخُمَائِلُ وَالزُّهُورُ
وِظْلٌ مِثْلَمَا تَعَسَتْ رِيَاشُ
وَأَشْجَارٌ كَمَا وَقَفَ الْحَرِيرُ





وَبَيْتٌ كُنْتُ أَلْقَى فِيهِ (سَلَمَى)
وَتَلْقَانِي إِذَا التَّهَبَ الْهَجِيرُ
بِأَرْضٍ مِثْلَمَا انْفَتَحَتْ سَمَاءٌ
وَبَحْرِ تَسْتَحِمُّ بِهِ الْبَدُورُ
كَأَنَّ طَيَّورَهُ رَسَلٌ عَلَيْهَا
إِثَارَاتٌ وَقَدْ تَوَحَّى الطَّيُورُ



الأقمار

عجبتُ لهم من فتيةٍ قد تكهَّنُوا
بما سوف يأتي أو مِن الوحي لُقْنُوا
إلى الآن لم تبرحْ بهم نزعَاتُهُمْ
تُمَيِّزُهُم عن غيرهم حين تُقَرَن
نشاوى وإن لم يشربوا وصدورُهُم
خرائطُ برقٍ أو فضاءٍ مُلَوَّن

☆☆☆☆

وقد عرفوا أن الحياةَ وما بها
من الماء إن الماء يصفو ويأسنُ
ومهما يكن من أمرهم فجميعُهُم
على الفطرة الأولى وما تتضمَّن
لئن حاصرَتْهُمْ كُلُّ حربٍ وأوغَلَتْ
بهم أمٌّ شتَّى فلم يتمكَّنوا

☆☆☆☆

فما برحوا ظلاً وماءً لساكنٍ
وفيههم هوى للموت شارٍ ومزمنُ
كأنني أرى «الخيَّام» يبكي وقد صَحَا
من النوم إن الموتَ نومٌ مكفَّن
لقد عرَّفَ الأفلاك كيف مدارُها
يدور ولكن ما درى كيف تطحن



أَكَانَ لَزَامًا طَحْنُ أَرْضِ نَبَاتِهَا
زَبِيبٌ وَعَنْقَابٌ وَتَمَرٌ وَسَوْسَنٌ
وَدُورٌ كَأَنَّ الصَّخْرَ فِي حُجَرَاتِهَا
قُلُوبٌ بِهَا حَزْنٌ لَوْ الصَّخْرُ يَحْزَنُ
نَوَافِذُهَا يَبْكِي عَلَيْهَا زَجَاجُهَا
وَكَانَ بِهَا الْعَصْفُورُ يَأْوِي وَيَقْطُنُ



تَمَادَتْ حُرُوبُ النَّاسِ حَتَّى تَعَمَّمَتْ
فَصَارَتْ كَأَنَّ الْحَرْبَ فِي النَّاسِ دِيدُنُ
فَفِي كُلِّ أَرْضٍ فِتْنَةٌ وَغَطَاوُهَا
وَذُو خَبْرَةٍ فِي كَيْدِهِ يَتَفَنُّ
فَجَاءُوا بِمَوْتٍ آخِرٍ لَا تَرْدُهُ
دُرُوعٌ وَلَا حَصَنٌ لِمَنْ يَتَحَصَّنُ



وَقَالُوا هِيَ الْأَشْيَاءُ تَنْمُو مَعَ الْمَدَى
كَذَلِكَ هَذَا الْمَوْتُ يَنْمُو وَيَسْمُنُ
لَقَدْ نَفَخُوا فِي الطِّينِ فَهُوَ زَخَارُفُ
وِظْلٌ وَطِينُ الْبَعْضِ نَتْنٌ مَعْفَنُ
وَلَيْسَ الَّذِي يَبْقَى مَقِيمًا بِكَهْفِهِ
كَذَاكَ الَّذِي يَبْنِي بِنَاءً وَيَسْكُنُ
تَجَاوَزَ فِينَا الْحَزْنَ حَدًّا أَحَالَهُ
رَمُوزًا وَبَعْضَ الرَّمْزِ حَزْنٌ مَبْطُنُ



المقارنة

أَقُولُ وَقَدْ تَرَأَى مِنْ بَعِيدٍ
تَجَهُهُمْ عَالَمٌ لَا يَسْتَقِرُّ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَاضَ الرَّمْلُ لَمَّا
تَعَذَّرَ أَنْ يَفِيضَ عَلَيْهِ نَهْرٌ
وَكَيْفَ تَفَرُّ أَشْجَارٌ فَرًّا فَتَأْوِي
إِلَيْهِ مَنْ رَأَى شَجَرًا يَفِرُّ

☆☆☆☆

أَقَارِنُهُمْ بِضِدِّهِمْ فَتَحَلُّو
مِذَاقَتَهُمْ وَبَعْضُ النَّاسِ مُرُّ
يَخَالِطُهُمْ بِكُلِّ النَّاسِ لُطْفٌ
وَيَجْمَعُهُمْ بِكُلِّ الْأَرْضِ فِكْرٌ
كَأَنَّهُمْ عُروَشٌ فِي جِسْمٍ
وَأَكْوَانٌ بِأَجْسَادٍ تَمُرُّ

☆☆☆☆

وَتَحْسِبُهُمْ حُضُورًا مُذْ تَرَاهُمْ
حُضُورًا غَيْرَ أَنَّهُمْ اسْتَسْرُّوا
لَهُمْ مِنْهُمْ مَقَامَاتٌ عَلَيْهَا
مِدَارُجُهَا كَذَلِكَ لَهُمْ مَقَرٌ
وَلَيْسَ لَهُمْ عِتَادٌ غَيْرَ مَا فِي
صَدُورٍ حِينَ تَقْدَحُ فَهِيَ فَجْرٌ



أَنَارَ سَوَاحِلًا وَأَضَاءَ رَمَلًا
وَقَدْ نَفَحَ الصَّخُورَ فَهِنَّ خُضَرَ
هَمُّ الْكُتُبِ الَّتِي امْتَشَقَّتْ عُرُوقًا
فَفِي نَبْضَاتِهِمْ وَحْيٌ وَذِكْرٌ
وَأَقْمَارٌ كَلِيلِ الْأَرْضِ لَمَّا
يَطِيشُ بِهَا الظَّلَامُ وَتَكْفَهُرُ



لِذَاكَ تَرَهَّلْتُ فِيهَا عَقُولُ
وَشَنَّجَتِ الصَّدُورُ فَهِنَّ صَخْرَ
وَلَوْ مَا اسْتَعَارُوا مِنْ شُرُورٍ
تَمَدَّ شُرُورُهُمْ لَمْ يَسْتَمِرُّوا
وَلَا حَرَقُوا السَّوَاهِلَ وَهِيَ كَنْزٌ
وَلَا نَسَفُوا الْبَحَارَ وَهِنَّ تَبَر



تُبَدِّلُ زَرْقَةَ الْأَمْوَاجِ فِيهَا
وَيَنْكَرُ لَوْنَهَا سَمَكٌ وَطَيْرٌ
تَوَرَّطَ بَعْضُهُمْ بِشُرُورِ بَعْضٍ
كَبَنِيَانٍ يَخْرُ بَهُمْ فَخَرُّوا
أَقَارِنُهُمْ بِخُدَاهُمْ كَأَنِّي
أَقَارِنُ مَنْ يَجْفُ بِمَنْ يَدُرُّ



قصيدة النسق

كأنَّكَ لم تفهم ولم تتفهم
ولم تدري ما خلفَ العيانِ المطلِّسِ
لقد زحفوا من كل صوبٍ وبعضهم
أتى عن دماءٍ راسباتٍ وأعظم
كان شرورَ الأرضِ تأوي لبعضها
وفي صورٍ شتَّى تلوذُ وتحتمي

☆☆☆☆

ويجمعُها ما يجمع الطيرَ عندَما
يحوم على أمثاله ثم يرتمي
إليك فإنني لم أغالط سجيَّتي
ولا أنتمي إلا لها حين أنتمي
ألم تر هذا الكون ينمو ببعضه
كان به روحًا ولم تتكلَّم

☆☆☆☆

يجيشُ بحالاتٍ إذا ما نظرتَها
نظرتَ إلى أعضاء جسمٍ مُجسَّم
وأرفعُ كفي عن إناءٍ تسمَّمْتُ
مطاعمه أو أنه كالسمِّم



وذي غفلةٍ يأوي لها حين لم يجدْ
طريقًا يؤدي نحو رأيٍ مُحْكَمٍ
تؤانسُّهُ من ضِدِّه زخرفاتُهُ
فيقتادهُ قودَ المُطيعِ المسلِّمِ
أحاول جهدي أن أردَّ صوابَهُ
وأرفع من صوتي له وتغمغمي
فلم أر فيه أُنْ صاغٍ لناصحٍ
وليس به عُوثٌ إلى المُتظالمِ



به طربٌ للقول حين يجيئُهُ
كما تبتغي فيه ظنونُ المرجِّمِ
يوافق لغواً تستريحُ شكوكُهُ
عليه ويرضي سكرةَ المتوهمِ
أراني إذا اساتجليته لم أجذ بهِ
سوى الحالتين الصَّامتِ المتجهِّمِ



ويبقى يعاني حالةً لا يريدُها
وتشمخُ فيه صورةُ المتألمِ
أكرِّرُ فيه فكرتي كي أردَّها
إلى أمدٍ بين المواردِ والظَّمي
أقول غداً يلقي الذي قد لقيتهُ
فيثأرُ للحقِّ السليبِ المقسَّمِ





وما هذه الأيام إلا منازلٌ
ولكنها إن هُدمت لم تُرمم
ولالأرض كالإنسان فكرٌ يقودها
على الرغم من بَأنِ بها ومُهَدَّم
لها صُورٌ محجوبةٌ لا يُحسُّها
سوى قارئٍ أعماقها كالمترجم



القبس

تَنْقُلُ النّجْمُ فِي أَقْصَى سَمَاوِيهِ
فَمَا الَّذِي يَبْتَغِيهِ حِينَ يَنْتَقِلُ
وَعَادَرَتْ بَذْرَةً أَحْشَاءَ قَشْرِتِهَا
وَاسْتَبَدَلَتْ حَالَةً أُخْرَى لَهَا بَدَلُ
وَالرَّمْلُ وَهُوَ غَثَاءُ الْبَحْرِ أَكْثَرُهُ
مَلْحٌ وَعَصْفٌ هَجِيرٌ كَادَ يَشْتَعِلُ

☆☆☆☆

تَجَاوَزَتْ شَكْلَهَا الْمَوْرُوثُ ثَرْبَتُهُ
وَاهْتَزَّ فَهُوَ جَنَانٌ ظَلُّهَا خَصِلُ
نُكِّتَ طُلُوعُ خَبِيثَاتٍ وَمَا بَرَحَتْ
فِيهَا زَعَانِفُهَا الْأُولَى كَمَا الطَّلُ
وَحُوصَرِ الْوَحْشُ فِيهَا بَعْدَ مَا اهْتَرَأَتْ
أُظْفَارُهُ وَاحْتَوَى أَعْضَاءَهُ الشَّلُّ

☆☆☆☆

لَمْ يَبْقَ فِي شِدْقِهِ نَابٌ فَوَافَقَهُ
عَصْرٌ يُجَدِّدُ أَنْيَابًا وَيَقْتَتِلُ
يَحِيدُ عَنْهُ الَّذِي أَضْلَاعُهُ قَبْسُ
يَمِيلُ عَنْ عِوَجٍ فِيهِ فَيَعْتَدِلُ



(١) (*)

هي الحسنُ أو للحُسْنِ في شكلها شكلُ
أو الماءِ إلا أنها دائماً تحلو
إذا اقتربتْ قلتُ النجومُ تقاربتْ
وفيهما التي في مثلها يرتقي العقلُ
مواصلَةٌ ما كل عشقٍ موصلُ
وتعرف طعم الوصلِ، إن الهوى وصل



يخالطُ فيها فكرُها سكناتِها
إذا سكتتْ تتلو وإن نطقَتْ تجلو
يُمِيطُ الغواشي المعتمات حديثُها
وفي دمهـا الإِشراقُ أو عندها يعلو
وفي لمسها همسُ الخزامى إلى الندى
ونكهتها الريحانُ والمسك والفُلُ



أقمتُ بها في روضةٍ في جذوعِها
نقوشٌ ووفيهما للهوى سببُ سهل
لمحت بها ومضَ التفاتِ وإنها
رأت شغفي والمثلُ يجذبُه المثلُ

(*) القصائد من (١) إلى (٢٤) وردت في الأصل من دون عناوين.



تصيرُ العيونُ الشُّهْلُ زُرْقًا إذا رنتُ
معَ العشيقِ إنَّ الزُّرْقَ أوَّلُها شُهْلُ
كأنَ رموزَ الشرقِ مِن مُبْرِقاتِها
وإلا ففِيها مِن منابِعِه أصلُ
تُحدِّثني عن أرضِها وجبالِها
وما عَصْرَتُهُ والذي يبتني النحلُ
إذا جَلَسْتُ غَنَّتْ عَصافِيرُ جَسِمِها
وأطْلِقَ شَعْرُ خِلَتِه فوقَها يتلو
وفِيه جِراكُ مِن جِراكِ مفاصلِ
وفِيها ارتخاءٌ مثلما ينعسُ الطفلُ



وشعُّ قميصُ تحت ثوبٍ كأنه
قميصُ على أكتفائِه أورقُ الفُلِّ
ولم أَرِ ثوبًا قبلَهُ صارَ قَبَّةً
ظواهرُها جَسْمٌ وباطنُها ظلُّ
بلى إنَّها ظلُّ وأحْمِلُهُ معي
وأنشِقُّه.. هل يُنشِقُ الظلُّ مِن قَبْلِ



(٢)

تَقُولُ عِيُونُهَا مَا لَا تَقُولُ
وَأَسْمَعُ صَمْتَهَا لَمَّا يَطُولُ
تَقُولُ عِيُونُهَا مِنْ غَيْرِ قَوْلٍ
وَفِي حَرَكَاتِهَا قَالٌ وَقِيلُ
وَتُشْرِقُ مِثْلَمَا انْفَتَحَتْ سَمَاءٌ
تُرِينِي الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِي تَمِيلُ
وَتُسْرَعُ فِي تَدْفُقِهَا الْخَفَايَا
رَسُومًا فِي نَوَاحِيهَا تَجُولُ
بِجَسْمٍ تَهْتَفُ الْحَرَكَاتُ فِيهِ
كَأَنَّ دِمَاءَهُ النِّشْوَى هَدِيلُ
وَيَعِزُّفُ صَوْتُهَا فَكَأَنَّ نَهْرًا
يُغَرِّدُهَا وَيَسْمَعُهَا الْغَلِيلُ
يُرْنِخُنِي الْجِرَاكُ بِهَا وَمِمَّا
يُهَيِّجُنِي تَوْهُجُهَا الْجَمِيلُ
☆☆☆☆
فَيَأْرَجُ عَنَبَرٌ وَيَفْوُحُ مَسْكٌ
وَرِيحَانٌ وَيَدْفُقُ زَنْجَبِيلُ
تَجْمَعُ كُلُّ عَطْرِ فِي شَذَاهَا
وَلَيْسَ لِعَطْرِهَا أَبَدًا مَثِيلُ



يميلُ لها الهوى من حيث مالتُ
وتَقفوها النّوازعُ والميول

☆☆☆☆

إذا سمعتُ قصيدَ العشقِ أصغتُ
ومالَ بها نِعاسٌ أو حُمول
وتتركُ ظلّها في كل شيءٍ
رأيناهُ وطيفاً لا يزول
وإن فُكّرْتُ فيها خِلْتُ أني
أراها أو تراءى المستحيل
لها أبداً حضورٌ حين تنأى
وتأتي مثلاًما نضجتُ حقول



(٣)

أَتَذْكُرُ ذَاتَ الْخَالِ أُمَّ لَسْتَ تَذْكُرُ
وَحَيْمَتَهَا فِي اللَّيْلِ وَالْبَدْرُ مُقَمَّرُ
وَمَجْلِسَهَا فِي ظِلِّ أَثَلٍ، وَمَوْقِدًا
تُخْضِي بِهِ أَغْصَانَهُ حِينَ تَسْمُرُ
يُعَاوِدُهَا شَوْقُ الْبَوَادِي كَأَنَّهَا
قَبِيلَةُ عَشَقٍ فِي دَمٍ تَتَكَرَّرُ



وَمَشْرِقَةُ الْأَلْوَانِ وَفِيهِنَّ أَبْيَضُ
وَفِيهِنَّ وَرْدِيٌّ وَفِيهِنَّ أَحْمَرُ
وَفِيهِنَّ ذَاكَ الْأَشْقَرُ النَّاعِمُ الَّذِي
لَهُ زَخْمُ الْجَوْرِيِّ بَلْ هُوَ أَزْخَرُ
كَأَنَّ الدَّبَابِيْسَ الْمَشْعَّةَ فَوْقَهُ
بِرُوحِ نَجُومٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَظْهَرُ



يَرِاقِبُهَا وَجْدٌ بِعَيْنَيْكَ شَاخِصُ
إِذَا أَفْلَتْ فَاضَ الْحَرِيرُ الْمَعْطَرُ
تَجْمَعُ فِيهَا الْحَسَنُ حَتَّى حَسِبْتُهَا
مَنَابِعَهُ الْأُولَى الَّتِي تَتَفَجَّرُ



كَأَنَّ كِتَابَ الْعَشَقِ فِي نَظَرَاتِهَا
تُرْتَّلُهُ أَهْدَابُهَا حِينَ تَنْظُرُ
يُضِيءُ بِهَا عِقْدٌ قَدِيمٌ كَأَنَّهُ
عَلَى صَدْرِهَا الرِّيَّانُ يَنْمُو وَيَكْبُرُ



(٤)

سلامٌ على «سُعدى» لو انتبهتُ «سُعدى»
لشوقٍ وما أخفى ووجدٍ وما أبدى
إذا جئتها أبدتُ هواها وعندما
أُحاول وعدًا لا تُجيز لنا وعدا
أسايرها من حيثُ سارت وعندما
أُخالِفها سهواً تُخالِفني عمدا



إذا أطلقتُ ألوانها قلتُ حاصرتُ
نوازغُ نفسٍ لم تجدُ غيرها بُدا
تجيءُ إذا شاءت وتذهبُ مثلما
تشاء وفي الحالين تملأني وجدا
سقت رملَةً فاضت نوارًا وخضرةً
غيوتُ تُسَوِّي الأثلَ من فيضها قندا



تَصِيفُ به «سُعدى» إذا الصيفُ جاءها
فتملأه أنسًا ويملأها وقدا
فَطَوَّرًا على الشيطانِ تنصبُ خيمةً
وطورًا بأرضٍ رملها ينبت الندى



تَمْطِي نَقِيعُ السَّيْلِ فِي جَنْبَاتِهِ
وَقَدْ حُشِدَ النَّوَارُ مِنْ فَوْقِهِ حَشْدًا
رِيَاضُ حَبَارَى حَوْلَهَا وَزَحَارِفُ
مِنَ الْعَشْبِ وَالرِّيحَانِ تَقْصِدُهَا قَصْدًا
وَقُلْتُ لَهَا لِمَا التَّقِينَا وَأَشْرَقْتُ
بِوَادِرُهَا أَوْ خِلْتَهَا عُيِّنْتُ شَهْدًا
وَقَدْ هَيَّأَتْ مِنْ نَفْسِهَا وَعَطُورَهَا
وَنَوْبَ أَعْدُ الشَّذَرِ فِي لَوْنِهِ عَدًّا

☆☆☆☆

لَعَمْرِكَ أَنْتِ الْوَرْدُ كُلِّ مَوْسِمٍ
وَلَوْلَاكِ مَا اسْتَهْوَيْتُ فِي مَوْسِمٍ وَرَدًا
وَقَدْ كُنْتُ حُرًّا فِي الْهَوَى غَيْرَ أَنْنِي
غَدَوْتُ لَكُمْ لِمَا التَّقَيْتُ بِكُمْ عِبْدًا



(٥)

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ تَنقُذُ الْعَيُونَ
إِذَا نَظَرْتُ وَتَتَضَحَّى الشُّؤُونَ
تَمُوجُ كَأَنَّهَا سَكُورَى وَفِيهَا
جِرَاكُ مِثْلَمَا نَعَسَ السُّكُونُ
وَلَا سَبَبَ لَهَا إِلَّا لِقَاءُ
عَلَى عَجَلٍ يَحِينُ وَلَا يَحِينُ
لِقَاءُ بَعْضُهُ حَذُوُّ وَبَعْضُ
شَجُونٍ وَالْهَوَى أَبَدًا شَجُونُ
إِذَا شَاءَتْ بَقَاءً أَعْجَلَتْهَا
مَخَافُهَا الذَّكِيَّةُ وَالظُّنُونُ
وَيَدْفُقُ مِنْ جَوَانِبِهَا شِعَاعُ
يَبِينُ مِنَ الدَّوَاخِلِ مَا يُبِينُ
وَتَمَكُّتُ أَنْتَ مَشْدُوهُهَا تُعَانِي
تَدْفُقُهَا كَمَا فَاخَ الْمَعِينُ
تَجِيءُ مَعَ الْهَوَى مِنْ غَيْرِ وَعِي
كَمَنْ جُنَّتْ وَمَا فِيهَا جُنُونُ

☆☆☆☆

وَعَشَقَ هَزَفِيهَا كُلَّ عَضْوٍ
إِذَا سَكَنَتْهَا لَا تَسْتَكِينُ



مهياةً كما نَضِجَتْ دِنانُ
لِعاصِرِها أو امتَلأتْ صَحون
وَتُكثِرُ مَنْ تَلَفَّتْها وماذا
تُرى يعني تَلَفَّتْها السَّخين



مَلامَحُها تُسابقُ مَعلقِها
إليك ويغتلي فيها الحنين
وقد فتحت بكفِّكَ نبضَ كفٍّ
تُؤنِّقُها الروائِحُ والدهون
كأن أصابعَ الجُوريِّ فيها
تفتَحُ أو بها همسُ دفين
كأن حليَّها أحداقُ طيرٍ
على شجرٍ تكلَّلُه الغصون
ظواهرُها شعاعاتُ ولكنْ
مَجسِّدةٌ وباطنُها فنون
تفيضُ مواسمُ العَشرينَ فيها
وتَجُمُّدُ حينَ تنظرُها العيون



(٦)

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَقَدْ دَعَانِي
هُوَ «سَلَمَى» بِمَاذَا تَأْمُرَانِي
هُوَ مَا كُنْتُ أَحْسِبُنِي أَرَاهُ
وَقَدْ مَرَّتْ سَنَيْنٌ لَا يَرَانِي
سَوَى طَيْفٍ يُعَاودُنِي إِذَا مَا
خَلَوْتُ وَقَدْ غَشَانِي مَا غَشَانِي
وَجِلْتُ كَأَنَّنِي أَصْغِي إِلَيْهِ
كَمَا يُصْغِي الْمَعَانِي لِلْمَعَانِي



وَجِلْتُ كَأَنَّنِي اسْتَنْشَقْتُ مَسْكَ
تَضَوُّعَ أَوْ نَثَارَةَ زَعْفَرَانٍ
وَقَالَ وَلَمْ يَقُلْ: أُنْسَيْتَ «سَلَمَى»
وَعَشَقًا كَانَ فِي مَاضِي الزَّمَانِ
فَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ غَطِيَتْ وَجْهِي
حَيَاءً مِنْهُ لِمَا قَدْ أَتَانِي
لَعُمْرَكَ لَسْتُ بِالنَّاسِي وَلَكِنْ
دَهَانِي مِنْ زَمَانِي مَا دَهَانِي
تَخَطَّاهَا الْهُوَ بِالرَّغْمِ مِنْي
وَضِيَّعَنِي غِرَامِي بِالْغَوَانِي



وكننت أظنَّ «سلمى» من سماءٍ
وأين سماءُ «سلمى» من مكاني



ألم ترَ كيف تَنقِذُ اتَّقَادًا
جوانِبُها وتحتشدُ احتشادا
وقد أوشكت أن تنسى هواها
وتُنقِصُ مِن تجشُّمِه فزادا
وقلتَ بأنَّها ذهبَت وولَّى
زمانُ غرامِها من حيثُ عادا
ذكرتَ بها الشواطئَ حينَ كانت
مِن النَّشَوَاتِ عيدًا أو حصادا



وأيامًا تداخلُ بالليالي
وتطرَّدُ اللقاءَ بها اطرَّادا
تميلُ عن النهارِ إذا تجلَّى
وترتادُ الدجى فيها ارتيادا
إذا استوفى نهارٌ من معادٍ
رسمتَ بليْلِها الآتي معادا
وكيف تردُّ عشقًا جاء طوعًا
وهل تستطيعُ في العشق ارتدادا
تشعُّ كأنها من ضوءِ نارٍ
وإن كانت لِغُلَّتِكَ ابترَّادا





ولِيِنَّهُ المفاصلِ طيعاتُ
قوائِمُها وتنقادُ انقيادا
إذا التَّهَبَّتْ ظواهرُها تراءتُ
خفاياها فترتعدُ ارتِعادا

☆☆☆☆

كأن دنوها يُقصيكَ عنها
فيمتدُّ الجوى فيكَ امتدادا
كأنكَ تستشفُّ بها سماءً
ونجماً كانَ علَمَكَ السَّهادا
كأنَّ عيونَها شرفاتُ غيبٍ
رأيتُ خلالها القممَ البِعادا

☆☆☆☆

يضيءُ سوادُها فكأن شمساً
بعينِها تقمُّصتِ السَّوادا
وما كانت رسوماتُ تجلُّتُ
ولا طيفاً تدلِّي أو تهدى
وثغراً يرتدي قدحاً وجسماً
تقمُّصَ عالماً وحوى بلادا
وحنَّتُ عندما سمعتُ حنيناً
يُناغيها وقد لمستُ فؤادا
يميلُ إلى الهوى من حيثُ مالتُ
مسالكُهُ وإن كانتُ شِدادا



(٧)

أَوَمَّا أَنْ مِنْ فَوْقِ الرَّبِّ بِعَقُودٍ
وَبِأَعْيُنٍ وَضَفَائِرٍ وَقَدُودِ
الْمَشْرِقَاتِ كَأَنَّهُنَّ لَأَلَى
بِبِرَاقِعٍ وَجَوَاهِرٍ بِبِرُودِ
وَالْجَاعِلَاتِ مِنَ الرَّبِّيعِ مَخَارِجًا
لِبِزْوَغِهِنَّ وَمَوْسِمًا كَالْعِيدِ
صَبَغَ النَّوَارُ مَكَانَهُنَّ بِصَفْرِ
فِي خُضْرَةٍ مِنْ سُنْدِسٍ وَوَرُودِ
وَفَرَشْنَ مِنْ بَسِطٍ كَأَن نَقُوشَهَا
وَاحَاتٍ طَيْرٍ مِنْ طَيُورِ الْبَيْدِ

☆☆☆☆

لَوْ لَا الْحُضَارَةُ قُلْتُ مِنْ وَحْشِ الْفَلَاحِ
لَمَّا بَرَزْنَ بِأَعْيُنٍ وَخُدُودِ
يَا خِيَمَةً فِي الرَّمْلِ تُزْهَرُ عِنْدَمَا
يَأْتِي الرَّبِّيعُ بِلُطْفِهِ الْمَعْهُودِ
إِنْ الَّتِي نَهَفُوا لَهَا وَنُحِبُّهَا
وَنَهَيْمُ عِبْرَ فُضَائِلِهَا الْمَمْدُودِ
عَادَتْ نَوَازِعُهَا الْقَدِيمَةُ.. إِنَّهَا
لَا تَسْتَقِرُّ حَدُودُهَا بِحُدُودِ



تركتُ خرائطهم وعادتُ تحتذي
أعراقها في أمسيها المفقود
وتسيحُ في الخليجانِ فوق زوارقِ
منضودةٍ ببهاءها المنضود
غراءً تقفوها النوارسُ مثلما
يأوي لها في البرِّ كلُّ طريد



وعجبتُ من خيمٍ تسيّرُ بلُجةٍ
وبها المطابخُ من فنونِ هنود
كادت مفارشُها تصير حدائقاً
تنمو على الأمواجِ والجُلُود



(٨)

فُرِشْتُ مَفَارِشُهَا وَشَبَّ بِخُورُهَا
وَالْفَتْنَتَانِ نَجْوُهَا وَبِدَوْرُهَا
يَا غَرْفَةً قَعَدَ الْهَوَى بِمَقَاعِدِ
فِيهَا وَقَامَتِ جَنَّةٌ وَطَيُورُهَا
شَبَّتْ بِهَا أَضْوَاؤُهَا وَلَطَالَمَا
شَبَّتْ بِهَا أَنْفَاسُهَا وَصَدُورُهَا
جَاءَتْ بِكَاسَاتِ النَّبِيذِ تَدِيرُهَا
وَأَنَا أَدِيرُ بِهَا الْهَوَى وَأَدِيرُهَا
شَرْقِيَّةً لَوْلَا حَدَاثَةُ فِكْرِهَا
غَرْبِيَّةً لَوْلَا الدَّمَاءُ وَنُورُهَا
شَفَّتْ وَرَقَرَقَهَا الْمِصَاغُ كَأَنَّهُ
مِنْ فَوْقِهَا يَهْتَزُّ فِيهِ شَعُورُهَا
فَكَأَنَّمَا مَنْشُورُهَا مَكْنُونُهَا
وَكَأَنَّمَا مَكْنُونُهَا مَنْشُورُهَا
جَلَسْتُ ضَفَائِرُهَا قُبَيْلَ جُلُوسِهَا
فَكَأَنَّمَا هِيَ تَاَجُّهَا وَسَرِيرُهَا

☆☆☆☆

وَتَجَاوَزَ الْإِيمَاءُ فِي حَرَكَاتِهَا
وَسَكُونِهَا لَغَةً لَهَا تَعْبِيرُهَا



بلغ الهوى منها بحيثُ أحوالها
كمواسمِ الرِّيحانِ فاحِ عبيْرُها
ومن الورودِ بشائرُ عن غيرِها
لَمَّا تفوح كما تفوحُ عطورها



(٩)

ماذا يقولُ العطرُ حين يفوحُ
ومزالقُ الكشميرِ حين تسيحُ
كادتِ بها الألوانُ تنبضُ ربما
نبضتُ بها فتبوحُ حين نبوح
سكتتُ وكلّمتنا الرّفيفُ بثوبها
وتنكّرتُ وشفيفهُ مفضوح
وكأنها قالت وإن هي لم تقلُ
وتحدّث الإشراقُ والتّلميح
ملكَ الدهولُ لسانها فتحدّثتُ
أعماقُها وطريقُها المفتوح
وهي الوجوهُ مواهبٌ وأحْبُبُها
للروحِ ما شَفَّتْ عليه الروحُ
وتجسّدتُ حتى أكادَ أحوزُها
وكأنها خلفَ الظّنونِ تلوح

(١٠)

أتت وما ظنَّهَا تأتي يُرْنُحُهَا
وجُدَّ الطيرِ من أحداقِهَا السوَدِ
كأنَّهَا خرجت من عمقِ جوهرةٍ
أو أنها دخلت في ماءٍ عنقودِ
كأنَّ أهدابَهَا نيطت بالسنةِ
إذا التَّقِيْتُ بها ضَجَّتْ بتغريدِ

☆☆☆☆

تكاد تنطقُ عيناها إذا سكتتْ
معمودةً تتقصى شوقَ معمودِ
تميلُ أردافُهَا الكسلى إذا رزحتْ
مجهوداً قد حواها صدرُ مجهودِ
يضاعفُ المسكَ فيها مسكُ ما نضجتْ
صفائرها الورد أو ياقوقَةُ الجيدِ

(١١)

جاءت بلا موعدٍ منه فأفزَعَهُ
مَجِيئُهَا وقَمِيصُ الليلِ محلولُ
يكاد ينكرُها لولا روائِجُهَا
وصوتُها حين تأتي والخليل
وللعِباءِ إشراقٌ ورفرفةُ
وملمسٌ مثلُ ظهرِ الطيرِ مصقول
تميد عشقًا وألوانًا مهيأةً
كما تدانثُ إلى قطفٍ محاصيل

☆☆☆☆

لولا شعاعاتُها الأولى لما اتضحتْ
رسومُها البيضُ والسودُ الأكاليلُ
تفيضُ من فوقها سودًا ملبدةً
كأنها الوردُ لولا اللونُ والطول
وأطلقت من مغاليقِ مزررةٍ
لها دبيبٌ كما ينسابُ مجهول

(١٢)

أزاحت حجاباً فأنجلي عنه رونقُ
وياقوتةً في صدرها تتألقُ
وأبرقَ خلخالٌ لها فتخارستُ
طموحاتك الأولى وهو مازال يُبرق
له دورةٌ في ساقها قد تكاملتُ
فكلُّ اتجاهٍ روعةً وتألقُ
كأنَّ وميضَ الشذر في جنباته
عيونٌ طيورٍ في غديرٍ تُحدّق
ألفتَ الهوى من حيث لا يؤمن الهوى
وسايرتَهُ وهوَ الجموحُ المالحُ
تَوَعَّلْتَ في أفاقهِ ولربما
هبطتَ كما ينهارُ صرحٌ مُلفّق
ومَهَّدْتَ للوجدِ الملحِّ وليلهِ
ضلوفاً إذا حرَّكتها تتدفّق
دَحْثُهَا عيونٌ قد دحتها زخارفُ
تضيءُ فتدنو أو تجيشُ فتعشق

☆☆☆☆

يَظَلُّ شباكُها في الليلِ منتظراً
قدومهَ ورتاجِ البابِ مفتوح



أَضَوَّاهُ كَعْيُونِ الْقَطِّ مَبْرَقَةً
وَلِلْـسِتَارَةِ إِيْمَاءٍ وَتَلْوِيحٍ
أُخْتَاهُ قَالَ سَيَأْتِي كَيْفَ نَحْبُهُ
عَنِ الْعْيُونِ وَشَأْنُ الْحَبِّ مَفْضُوحٍ
مَا زَالَ يَهْمُسُ فِي أُذُنِي لِيَقْنَعَنِي
حَتَّى اقْتَنَعْتُ وَفِي عَيْنِيهِ تَلْمِيحٌ
وَفِي إِشَارَاتِهِ هَمْسٌ وَهَدَاهُ
يَهْفُو بِهَا الْقَلْبُ أَوْ تَدْنُو لَهَا الرُّوحُ



كَانَتْ مَهْيَاةَ الْأَلْوَانِ جَاهِزَةً
وَلِلْخَفَائِرِ هَالَاتٍ وَتَسْرِيحٍ
كَأَنَّمَا ثَوْبُهَا اللَّيْلِيُّ تَجَذَّبُهُ
أَكْتَأَفُهَا أَوْ أَطَارَتْهُ التَّبَارِيحُ
مَعْطَرٌ بِوُرُودِ الْهَنْدِ تَرْجِفُهُ
قَلَائِدُ مَثَلَمَا اهْتَزَّتْ أَرَاغِيحُ



كَادَتْ تَفِيضُ فَهَلْ رَأَيْتَ مَوَاقِدًا
فَاخَضَتْ نَبِيذًا أَوْ لَهِيْبًا أَزْهَرَا
كَادَتْ تَفِيضُ وَلَمْ تَزَلْ أَنْجَاوَهَا
عَطَشًا وَلَكِنْ قَدْ سَقَاكَ الْكُوْثَرَا
وَكَأَنَّ رَائِحَةَ الْكُرُومِ بِجَسْمِهَا
وَيَهِيْمُ فِيهَا الْفَكْرُ حَتَّى يَسْكُرَا
وَكَأَنَّهَا مَشْتَقَّةٌ مِنْ أَعْرُقٍ
صَنَعَتْ سَالَاتُهَا الْجَمَالَ الْأَشْقَرَا





منظورةً ملموسةً لكنها
تعطي الخيالَ مجالَهُ كي يُبْجِرا
تتحركُ السُّكناتُ في حركاتِها
وتُربكُ صورتُها الجمالَ مُصَوِّرا
ممن يجيء بها الخيالُ مجسِّداً
ومغرِّداً ومنمِّقاً ومعطِّرا



(١٣)

ولمّا أزاحت من قناع تكشّفت
صفائرها مثل القناع اللبّد
وشعّ لها ثوبٌ كأن وميضه
صدور حمام أو رسومات مغبّد
ورنّحني عطر لها قد تضاعفت
نوافثته من جسمها المتوقّد
فلم أر جبراً ينزف العطر قبلها
وعطراً ولكن كاد يغرف باليد

☆☆☆☆

خزائن عطر جسمها وزخارف
تجيش وفيها حالة من تمرّد
عجول إذا ما الأمر كان يهّمها
لها هاجس في وجهها المتورّد
عباءتها السوداء خيمة عاشق
حريريّة أطنابها من زمرد

☆☆☆☆

تلوذ بها عن أعين الناس عندما
تجيء لنا مثل السوداء المغرّد
إذا ما نضت عنها العباءة أشرقت
تهاويل جسم في تهاويل عسجد
تخيق بساقيها الحُجول وشوقها
تجرّد في أطراف ثوب مجرّد

(١٤)

تُضِيءُ إِذَا كَلَّمْتُهَا فَكأنما
تَدَاخَلَهَا ضَوْءٌ يُغْنِي وَيَرْسُمُ
نَوَازِعَ عَشَقٍ مَشْرِقٍ فِي مَلَامِحِ
وَحَالَةٍ وَجِدٍ قَدْ بَدَتْ تَتَجَسَّمُ
إِذَا وَقَفْتُ مَا كَانَ حَتْمًا وَقَوْفُهَا
سَوَى أَنهَا تَبْغِي عَلَيْنَا تُسَلِّمُ
مَهِيئَةً فِي كُلِّ أَنْ فَلِنْ مَضَى
لَنَا مَوْسَمٌ فِي ظِلِّهَا عَادَ مَوْسَمُ
لَهَا هَاتِفٌ فِي صَمْتِهَا يَتَكَلَّمُ
وَنَفْهَمُ مِنْهَا مِثْلَ مَا هِيَ تَفْهَمُ

(١٥)

لاحِثٌ إِلَيْكَ بِوَادِرٍ بَعِيُونِهَا
مِثْلَ الثَّمَارِ يَلُوحُ فِي غَصُونِهَا
نَشَرَ الْجِرَاكُ سَكُونَهَا فَكَأَنَّهُ
سَبَبٌ إِلَى الْمَكْنُونِ مِنْ مَكْنُونِهَا

☆☆☆☆

ظَلُّتُ تَمَارِسُهُ وَظَلُّ كَأَنَّهُ
فَنٌّ يُضَافُ إِلَى بَهَاءِ فَنُونِهَا
رَاحَتْ تُزِيحُ ضَفِيرَةً عَنْ جَانِبِ
مِنْ وَجْهِهَا الْمَشْحُونِ مِنْ شَحُونِهَا
وَبَدَتْ لَنَا الصُّورُ الْخَفِيَّةُ مِثْلَمَا
تَتَكَشَّفُ الْأَسْرَارُ عَنْ مَضْمُونِهَا
إِنْ الْوَمِيضُ يَلُوحُ مِنْ أَطْرَافِهَا
مِثْلُ الْوَمِيضِ يَلُوحُ بَيْنَ جَفُونِهَا
وَتَعَلَّمْتُ لُغَةَ الْهُوَى فَتَكَلَّمْتُ
بِحَرَائِكِهَا وَتَحَرَّكْتُ بِسَكُونِهَا
تَخْتَارُ أَلْوَانَ الْهُوَى فَتُحْيِيهَا
صَوْتًا عَنِ الْمَكْنُونِ مِنْ مَكْنُونِهَا
مِنْ أَبْيَضٍ كَصَفَائِهَا أَوْ أَحْمَرٍ
كَشَفَائِهَا أَوْ أَزْرَقٍ كَعِيُونِهَا
فُتِنَ الْجَمَالُ بِهَا كَمَا فُتِنْتُ بِهِ
فَكَأَنَّهُا مَفْتُونَةٌ بِفَتُونِهَا

(١٦)

لعمرك ما كانت غراماً منزّقا
وشوقاً أبى أن يستقرّ فحلّقا
ولكنها كانت هوى قد أحالها
زخارفٍ ثغرٍ كاد أن يترقرقا
☆☆☆☆

كأن الخطوطَ الحمرَ فيه مسالكُ
قد اتّضحت أو برعمٌ قد تفتّقا
تلين إذا لانت عظامُ كأنها
تلاشت بها إلا جُماناً تألّقا
إذا احتدمت أعماقُها خلت أكوساً
تفيض بها أو نهرَ عشقٍ تدفّقا
تعتّق فيها العشق حتى انتشت بهِ
فأسكرها لو أن عشقاً تعتّقا
تناول أقصاها وطرّز شكلها
وصيّر منها رونقاً ضمّ رونقا
وكنّت إذا استبطأتها أسرع الهوى
إليها فيلقى شوقها منه أشواقا
تفكّ ضفירותٍ تلفّفن فوقها
دوائِرَ فكت شوقها فتطالقا
☆☆☆☆



ولمّا هبطنا السهل سهّلها لنا
بريق تمطّى شكلها فتألّقَا
نزوغ عن الدرب السويّ ومنتحي
طريقًا خفيّ الجانبين مُلّقَا
إذا نَفَضْتُ من ثوبها انتشرتْ له
روائعُ وردٍ تزرع الرملَ زنبقا



(١٧)

وجاءت بميعاد الهوى يستحثُّها
شُعورٌ له إيقاعُه بشعوري
فلم أرَ جسمًا قبله قد ترنمتُ
نوازعُه من نشوةٍ وحبورِ
كأنَّ عطورَ العيدِ كنتُ نَشَقْتُها
فَسابقتُ فيها العيدَ منذَ شهورِ
ولولا هواها بالعطورِ كان لي
بِنُكْهَتِها مِن سكبِ كلِّ عطورِ
أكادُ إذا استجليتُها أنتشي بها
وأسمعُ أصواتًا لها بضميري
تقولُ استفق لما رأت من ترنحي
وما لمست من نشوتي وفُتوري
ولم تدري أني قد تجاوزتُ صَحوتي
وحلَّقَ حسي في دُخانِ بخورِ



له نكهةٌ في ثوبِها وُضْفائُرُ
إذا نَشَرْتُها قلتُ أنْ نُشوري
كأنَّ رفيفَ الثوبِ أطراقُ أعينِ
مُعَبَّاةٌ أَهدابُها ببذورِ



عرفتُ الهوى حتى عرفتُ ثيابهُ
وأزىءاً من سابغٍ وقصيرِ
وقلتُ لها لما توهَّجَ وجهُها
وشعَّتْ لمن صارتْ منابعُ نورِ
تجاوَزتِ الألوانُ فيكِ امتدادَها
وفاجأني التيارُ قبلَ عبوري
إلى أين أمضي بل إلى أين وجهتي
ومن أين دربي؟ بل وكيف مسيري
وقد قلتُ حتى لم أجِدْ ما أقولُهُ
ومارستُ هولَ الصَّمتِ رغمَ هديري
وحاصرتُ عشقاً ليس سهلاً حصارُهُ
وأنتِ سماءٌ وانطلقَ طيور



(١٨)

سَقَاكَ اللّهُ مِنْ فَيْضِ السَّوَاقي
وَوَسَّعَ مِنْ جِوَانِبِكَ الرَّقَاقِ
لَأَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مَعِ انْتِظَارِي
لَمَّا يَأْتِي وَجِئْتَ مَعِ انْعِتَاقِي

☆☆☆☆

أَتَتْكَ الْأَرْضُ زَاخِفَةً وَكُنَّا
سَمِعْنَا زَحْفَ خَطْوٍ وَانْبِثَاقِ
وَأَخْشَى أَنْ يُفَجِّرَنِي احْتِوَائِي
لِنُورِكَ أَوْ يَرْنَحَنِي انْطِلَاقِي
كَأَنَّكَ قَدْ غَرَقْتَ بِأَيِّ عَشْقٍ
صَلَيْتَ وَأَنْتِ بَارِدَةُ الرِّوَاقي

☆☆☆☆

وَأَنْتِ مَنَافِذُ الشُّعْلِ اللُّوَاتِي
تَجِيءُ مِنَ الْجِوَانِحِ وَالتُّرَاقِيسِ
دَحَاكِ الْهَاجِسِ الْأَقْصَى فَجِئْنَا
نَسِيرُ عَلَى الْأَضَالَعِ وَالْمَاقِي
بَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ لَيْلًا وَلَكِنْ
مَسَالِكَ طَارِقٍ وَمَدَى اشْتِيَاقِ
خَرَجْنَا نَقْتَفِي شَجَرًا غَرِيبًا
فَفِي أَغْصَانِهِ فَزَعُ الْفِرَاقِ



ولالأشجار أشجانٌ وفيها
مواصلَةُ الرحيلِ بلا تلاقٍ
سَلَكْنَاهُ إِلَى أَقْصَى هَوَانَا
وَوَقَّانَا، وَقَاهِ كُلُّ وَاقٍ
وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْأَشْجَارُ كُلُّ
لَهُ وَطَنٌ وَأَسْمَاءُ بَوَاقٍ

☆☆☆☆

وَكُنْتُ كَذَاكَ أَقْرَأُهَا شَرْوَقًا
بِجَسْمٍ مِنْ حَرِيرٍ وَأَتْلَاقٍ
كَأَنَّ بِجَسْمِهَا نَوْبَاتٍ بَرْقٍ
وَالَا فَهِيَ مِنْ مَاءٍ مُرَاقٍ
وَوَاضِحَةُ الْجِرَاقِ إِذَا تَمْشَى
بِهَا عَشْقٌ وَطَبِيعَةُ الْعِنَاقِ
وَمَا بَرَحْتُ ثِيَابِي فِي عَبِيرٍ
أَكْرَرْتُ فِي بَوَاقِيهِ احْتِرَاقِي



(١٩)

ولمّا أتت قالت: سلامٌ وأشرقَتْ
بوادُرُها.. طوبى لتلك البوادرِ
كأنّي إذا أبصرْتُها بعد غيبةٍ
أشاهدُها تنمو نمو البيارِ
تظلُّ إذا غابت شعورًا كأنه
سلاّمٌ عشقٍ يرتقي بالمشاعرِ
إنّ جلستُ قام الهوى في عيونِها
وأجلستني منه جلوسَ المسامرِ
ربيبةٌ أشجارٍ ونهرٍ فهاجرتُ
على الرغم منها.. يا لها من مُهاجرِ

☆☆☆☆

وقالت كلامًا عن مدائنِ أهلِها
وحاراتِها ذاتِ الطيورِ النّوادرِ
كأنّي أرى فيها ملامحَ (زينبِ)
والمسُ فيها من ثيابِ (تماضرِ)
بها غربةٌ لا تنتمي لمساكنِ
وفيهما سماتٌ من مُقيمٍ مغادرِ

(٢٠)

قالت أكتب شعراً؟ قلت أنشقه
من العيون التي تكتظ بالألق
بعض العيون رسومات وهاتفها
توحي إلي فأتلوها على الورق
قالت أشرب شيئاً كي يطول بنا
هذا الحديث فلم أرفض ولم أذق
لها جرأ الدوالي جنى تثقلها
أعنا بها وبها من هدأة الأفق
تدير خاتمها في إصبع صبغت
أظفورة فيه تحكي فوهة العبق
إذا التفت لها شععت وقد عرفت
معنى التفاني لها واستعذبت نزقي
رؤضت فيها وعمورات أحاذرها
وقد جئنت بها من حيث لم أفق
أخاف منها عليها حين ينظرها
غيري ويقلقها من أجلها قلقي

☆☆☆☆

وكُلُّهُمْ هائمٌ فيها يحاولها
ولم يروا ما أرى فيها.. ولم تثق



إني لأنشَقُّها نشَقًا والمُسُّها
لمسًا وأُسْكِنُها في زرقَةِ الحَدَقِ
وفي ضفِيرَتِها الشِقراءِ أنثرُها
نثرًا على وجهها الوردِيِّ والعُنُقِ
تلتذُّ حين أناغيها بعاطفةٍ
مشبوبةٍ.. فتشِبُّ النارُ في عُرقِي
وكنْتُ أسري بها أسري بنشوتِها
فإن وقفْنَا فتوقيتُ لنطَلَقِ
تَضمُّنِي بخوافي شَعْرِها فبها
من نزعَةِ الطير من لطفٍ ومن شَبَقِ



(٢١)

لم يبقَ إلا الرحيلُ والسَّفَرُ
ما فيهمُ سامرٌ ولا سَمَرُ
تضيغُ ألوانهم إذا شربوا
لم يَعلُوا أمرهم إذا سَكروا
الوارثونَ الحياةَ جاهزةً
ما جرُّوا همُّنا ولا اختبروا
لا يهتدي الناسُ في النهارِ بهم
ويهتدي في ضياعهم نَفَر



أجملُ من دورهم حدائقُها
وماؤها والهواءُ والشَّجرُ
والكاتماتُ الغرامِ يُخرِجُه
ممارسُ في الهوى له وطَر
وحانةُ أدْرِجَتْ بمنعطفٍ
يضيغ فيه اليقينُ والنظر



يجتمعُ المالُ والنساءُ بها
في غفلةٍ.. رَبِّ غفلةٍ ظَفَر
يا أثلةَ الرملِ قد سَقاكِ ندَى
لا ينتهي بل أغاثكِ المطر



قد جاءنا أنها قد اعتذرتُ
وأنها لا تزالُ تنتظر
يا حَبِّذاً صَوْتُهَا وهَاتِفُهَا
يسري به رَوْحُهَا وينتشر
تقول يا ليتني أطيّرُ لكمُ
أو طرْتُ لو طار قبلي البشر
ثيابي البيضُ والحليُّ وما
أعددتُّه والـلـوازمُ الآخر
جميعُها أخفقتُ وأحسبُها
تشبهني واحتواني الضُّجر



(٢٢)

لئن نَهَبْتِ بلا وعْدٍ نَكَرُّهُ
ولا لقاءٍ كما شئنا نُقَرِّرُهُ
فَلَسْتُ أَوَّلَ من ضَاعَتْ مُخْلَفَةٌ
فَوَادَهَا بين أضلَاعِهِ أُدْثَرُهُ
سَأَرْفُضُ الحَاضِرَ المَفْرُوضَ سِيدَتِي
بِالرَّغْمِ مِنَّا وَأَجْفِرُهُ وَأُنْكَرُهُ

☆☆☆☆

هل تَذْهَبِينَ وفي عَيْنِيكَ أَكْثَرُ من
عِشْقٍ يَحَاوِلُ أَنْ نَبْقَى نُفَجِّرُهُ
هل تَذْهَبِينَ ما تَكْرَهِينَ كما
أَبْقَى أَعَانِي حُضُورًا لا أَبْرَرُهُ
وقد مَكْنَتِ شَعُورًا حين يَطْفَحُ بي
يَبْدُو لِقَاءَ لَنَا فِي الغَيْبِ نَحْضَرُهُ
كَأَنَّنِي حَامِلٌ أَحْزَانٍ من عَشَقُوا
وَلَمْ يَنَالُوا وَحْزَنِي فِيكَ أَكْثَرُهُ
فَقَدْ أَتَيْتِ كَمَا لَوْ كُنْتِ جَاهِزَةً
إِلَى اللِّقَاءِ كَنَهْرٍ خَفَتْ أَعْبُرُهُ
لا مَوْعِدٌ بَيْنَنَا حَتَّى نَقُولَ كَمَا
يَشَاءُ وَعِدُّ لَه قَوْلٌ وَمَصْدَرُهُ



تُكَرِّرِينَ التفاتًا لا أقاومُهُ
فأنتحي جانبًا والقلبُ ينظرُهُ
لم أدِرِ من أنت.. كانت مقلتك لظي
يدعو وفيك شعورٌ صرتُ أشعرُهُ
وجاء صوتُك نشوانًا لأسمعُهُ
فرحتُ أنشقه نشقًا وأنفُرُهُ
وقد رأيتُ جمالًا قبلَ ذاك وما
رأيتُهُ فيك أحلاه وأكبرُهُ



يمتدُّ نحوي شهياً في تطلُّعه
بلا اكتراثٍ ويدعوني وأحذرُهُ
وما نكرتُك لكني ذهلتُ كما
يرتاعُ للبدرِ طفلٌ حين يبهرُهُ
وحاصرتني رموشٌ مثلما فُتحتُ
خزائنٌ وفمٌ قد لجَّ أحمرُهُ
وكنْتُ مذُ كنتُ دومًا أستجيبُ إلى
داعي الهوى حين يدعوني وأشكرُهُ
إذا صَمْتُ ففي صمتي هواتفُهُ
أو التبسُّتُ فحالاتي تفسِّرُهُ
والعشقُ من صفةِ العشاقِ. نكهتُهُ
فيهمُ وعالمه الأقصى وجوهرُهُ
كأنَّ طيفك مُذْ يأتي يذكِّرُنِي
ذاك اللقاء.. وإنِّي سوفَ أذكُرُهُ



(٢٣)

قالوا ابتعد عن هواها قلت ما بيدي
وكيف أخرج عن نهجي ومعتقدي
تكاد تسكنني من حيث أسكنها
فنحن في الحب كالروحين في جسد
تظل تقدح بي حتى إذا طفحت
نفسي بها خلتها تهتز في خلدي

☆☆☆☆

وكدت أمسكها من حيث أذكرها
وفي تقربها حالات مبتعد
وقد قعدت إلى أن صرت من حجر
وقد مكثت إلى أن صرت من وتد
أراقب العطش المرسوم في شفة
وما تراءى بجسم شبه متقد
وللعيون اشتها في تلقفها
وللثياب رفيف شبه مقتصد
كأن اثوابها من شعرها فها
نسجان من دمها الزاهي بلا عدد
بها نوازغ وحش وهي عاقلة
كذاك فيها هبوب وهي من زبد



بها شروق الضحى أو أنها جُبِلَتْ
من الربيع ومن ألوانه الجُدِ
جاءت لتسأل عني كيف حالتُ
وكدتُ أحسبُها ولَّتْ ولم تُعد
كأن لملمسَ كفيها وسرحتهُ
وما سلكتُ بها شوطٌ إلى أمد
تُرخي تشنَّجَ أحزاني وتفسخُ لي
من ظلِّها.. أفدي ذاك الظلَّ من سند

☆☆☆☆

كأنها اختصرتني في مسافتها
أروحُ ألهمتُ فيها وهي كالأبدِ
تهتزُّ أنحاؤها حتى إذا هدأتُ
أظلُّ أبحت عن كفي فلم أجِدِ
وقد توضعَّت من دخانِ مبخرةٍ
كأنَّ أصدافها من نشوةِ الأحد
يا ساكنَ الماءِ إنا ساكنو لهبٍ
مرؤسٍ بهمومِ العشقِ مُتَّئِدِ
تخفي مشاعلَ عينيها إذا التفتتُ
نحوي وتمنحني من حيث لم تزد



(٢٤)

على جدرانهم أثُرُ البُخُورِ
وفي حركاتهم نَزَقُ الطُّيُورِ
وقد يتلفتون لضوءِ برقٍ
تطائر من زوارق أو خُدُورِ

☆☆☆☆

إذا سكنوا البوادي طرَّزوها
خيماً تحتذي ترفُ القصورِ
وإن هبطوا السواحل أغرقوها
بنيiran المباخر والقُدُورِ
إذا غنى نديمهم استجاشوا
هوًى يُدني الشعور من الشُّعُورِ

☆☆☆☆

وإن بَعدوا يدُّك حيثُ كانوا
دُخانٌ فيه أشباحُ الجسورِ
لحومُهم شرائحُ من حُبَّارِ
على أوراكِها نهشُ الصُّقُورِ
وماؤُهم قواريرُ إذا ما
أديرَتْ نَزَقَتْ ورعُ المُديرِ
ويمتهنون أفكاراً ولكن
تجيء من الضمير إلى الضميرِ



هُمُ الصُّحُفُ الْقَدِيمَةُ فِي نَفُوسٍ
تَفِيضُ عَلَى وَجْهِهِ كَالْبَدْرِ
كَأَنَّهُمْ جَوَانِبُ مَنْ زَمَانٍ
تَجَلَّى أَوْ بِوَادِرٍ مَنْ نَشُورٍ
لِئِنْ قُرِئَتْ لَغَاتُ فَوْقِ لَوْحٍ
قَدِيمٍ أَوْ نَقُوشُ فِي صَخُورٍ



فَإِنِّي سَامِعٌ صَوْتًا بِنَبْضٍ
هَنَّاكَ وَقَارِيَّ لُغَةِ الصُّدُورِ
فِيَا وَطَنَ النُّوَارِ وَإِنْ تَقَضَّتْ
مَوَاسِمُهُ وَيَا زَمَنَ الزُّهُورِ
سَقَاكَ الْغَيْثُ بَلْ مَازَلْتَ غَيْثًا
فَإِنْ تَبَعْدُ فَسَيِّبُ مَنْ غَدِيرٍ



وِظِلُّ مَنْ حَرِيرٍ.. هَلْ رَأَيْتُمْ
بَرُوقًا فِي ظِلَالٍ مِنْ حَرِيرٍ
تَلُوحُ لَنَا فَتَمَلُّنَا شَرُوقًا
وَتَهْدِينَا إِلَى النَّبْعِ الْغَزِيرِ





الأصوات والإشارات

تُمانِعِينَ وفي عَيْنَيْكَ إِذْعَانُ
وَتَكْتُمِينَ وفي فُحُوكِ إِعْلَانُ
تَنَاقَضَتْ فِيكَ حَالَاتُ وَبَاطِنُهَا
فَكَيْفَ يُصْبِحُ إِنْسَانِينَ إِنْسَانُ
وَكَيْفَ يُدْفَنُ نَهْرٌ فِي سَوَاحِلِهِ
بَلْ كَيْفَ تَرْفُضُ طَيْرَ الْمَاءِ شَطَّانُ



مَحَاصِرُونَ فَلَا أَفَاقُنَا اتَّسَعَتْ
وَلَا تَزْحَزَحْ رَغْمَ الرَّجْمِ شَيْطَانُ
وَمَا كَثُورَ كَأَشْجَارِ الرَّمَالِ لَهَا
ضَيْفَانِ مَا بَرَحَا نَمْلٌ وَغَرِيَانِ
بَاضَ الْحَمَامُ عَلَى أَقْفَالِ كَهْفِهِمْ
وَلَا يَزَالُونَ فِيهِ حَيْثَمَا كَانُوا



أَرْضُ مُحَاصِرَةِ الْآفَاقِ مَقْفَلَةٌ
كَمَا تَقْلُصُ تَحْتَ الثَّلَجِ ثُعْبَانُ
يَهَاجِرُ الْحَبُّ فِيهَا عَنْ مَوَاسِمِهِ
وَقَدْ أَتَيْحَتْ وَيَجْفُو وَهُوَ وَلِهَانُ





قُلْ لِلْعَطَاشِ تَدْفُقُ الْيَنْبُوعُ
لَا مَأْوَهُ ضَحْلٌ وَلَا مَمْنُوعُ
كَادَتْ تَضِيءُ بِهَا جِبَارُ قُبَابِهَا
فَرَحًا بِيَوْتُ أَشْرَقَتْ وَرَبُوعُ
خَلَّتْ الطِّيُورَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ شَدَتْ
لِقَدُومِنَا أَوْ دَبَّ فِي خَشُوعُ
سَبَقَتْ رَكَائِبُنَا الضَّلُوعُ إِلَيْكُمْ
وَلَقَدْ تَطِيرُ مِنَ الْغَرَامِ ضُلُوعُ



عَيُونُ لَهَا زُرْقٌ كَمَا هَدَأَ الْبَحْرُ
وَوَجْهَهُ لَهُ أَلْوَانُهُ الْبَيْضُ وَالْحُمْرُ
إِذَا ابْتَسَمَتْ وَالْوَجْدُ يَطْفُحُ فَوْقَهَا
وَفَاضَتْ كَنْهَرٍ أَوْ بِهَا مِنْ هَوَى نَهْرُ
شَدَا عَطَشٌ حَتَّى اسْتَحَالَ أَغَانِيًا
يُسَاقِيهِ ثَغْرٌ مِثْلَمَا اتَّقَدَ الْجَمْرُ



يُؤَنِّقُهُ لَوْنٌ وَيَفْرُشُهُ هَوَى
لَهُ عَبَقٌ أَوْ فِيهِ مِنْ وَرْدَةٍ عَطْرُ
أَلَا مَنْ رَأَاهَا فِي الضُّحَى حِينَ تَبْتَغِي
زِيَارَةَ جِيرَانِ لَهَا أَوْ لَهَا أَمْرُ
مَذْهَبَةً شَقَرَاءَ شَرْقِيَّةَ الْهَوَى
لَهَا مَرْحُ الْأُنْثَى الَّتِي رَمَاهَا خُمْرُ





سلامٌ على ضوءِ الحريرِ بِشَعْرِها
تَفَرَّشَ مِثْلَ الثُّوبِ لَكِنَّه شَعْرُ
على خِرْزٍ قد صَفَّقَتْهُ مَهَارَةٌ
قلائدُ منها الزُّرْقُ والْحُمْرُ والصَّفَرُ
يقول لها والليلَ قَارَبَ نَصْفَهُ
تجاوزتِ نصفَ الليلِ قالت متى الفجرُ
أبتُ أن تريحَ الجسمَ فوق مفارشٍ
مبعثرةٍ أو يستريحَ لها فكرُ



يُشْعُ بريقُ الأعينِ الزرقِ عندما
يجول بها إحساسُها الغامرُ الثَّرُ
مِنَ الواضحاتِ الغامضاتِ كأنها
تفيضُ بسرٍّ أو تقمّصها سرُّ



تحول دونكٍ أو شالٍ يخوضُ بها
كما تخوضينَ في عطرٍ وفي ذهبٍ
ثيابُ أمسكٍ مازالتُ ترفُّ له
قمصانُها فإذا ما غِبتِ لم تَغِبِ
يكاد جسمكٍ يكسوها بروعتهِ
كما يلوحُ خيالُ السُّكْرِ في العنبِ
يجيشُ قاعُكٍ مشحونًا ومنسكبًا
وتصمتينَ وذاك السُّكْبُ في صخبِ
وذلك الصمتُ، كم صمتٍ يعالجُهُ
حتى تقولي ولا صمتٌ بلا سببِ





كأنما النّيلُ ما غابتُ سواحلهُ
ولا تزالُ ظلالُ التينِ والعنبرِ
والساقياتُ اللواتي طالما اغتسلتُ
ساقاكِ في باردٍ من مائها عذبِ
والبائعاتُ عقودَ الفلّ.. كما نُشرتُ
عقودُ أغصانهِ في غصنكِ الرطْبِ



ألا تسمعينَ كما أسمعُ
عسى تقنعينَ كما أقنعُ
تلومينني أنني لا أقيمُ
طويلاً وأذهبُ لا أرجعُ
وقد يهتدي بضياحِ الرحيلِ
مقيمٌ بلا حاجةٍ تنفعُ



وما كنتُ ذا ثقةٍ بالسَّرابِ
ولكنني بالهوى مُولعُ
هي الأرضُ واسعةٌ مثلما
يقولونَ والنفوسُ لا تشبعُ
ولستُ على البرقِ ذا سطوةٍ
لأطفئُ من بارقٍ يلمعُ



هيا اضحكي ودعي المرجانَ يضحكُ لي
ومَهِّدي للهوى الآتي على عجلِ
ها أنتِ كالقَبسِ المصنوعِ من بشرِ
يطفو على الماءِ أو يأوي إلى الظلِّ





كأن اسطورةً شرقيةً خرجتُ
من الثيابِ تردتُ أول الحُللِ
والناسُ تسكن في شتى حراشِها
ونحن نسكن بين العشق والغزلِ

☆☆☆☆

حاصرتُ عينيكِ لا أقوى اقتحامهما
ولا انصرافاً وكان العشقُ من علي
ومن وقوفي على حالٍ يحاذرها
من لا يعاني الهوى في هذه المقلِ
وخفتُ أن تذهبي.. يا طالما ذهبتُ
عني العيونُ والقَتْنِي على الأملِ

☆☆☆☆

أعدتُ لها صوتي وقلتُ لها قفي
وفسّرتُ حالي واعترفتُ بموقفِي
كأن وميضَ الغمز في حركاتِها
حديثٌ هديلٌ أو إشاراتٌ زخرفِ
وجاءت على وعدِ الهوى ومكانه
ولم أستطع تصديقَها من تلهفي
أعدتُ لها من جانب الحوض مجلساً
عليه تكايا من جِدارٍ مترَفِ
ونافورةً في مائها ضوءُ قاعِها
يلوح كجوفٍ من حمامٍ مُرفرفِ





إذا نزلت في دارة الماء خلَّتْها
من النار تطفو فوق ماءٍ وتختفي

☆☆☆☆

ألم تعلمي يا هند أني أحاولُ
لقاءك لكن ليس عندي وسائلُ
ذكرتُ ثياباً خلَّتْها منك أُخرجتُ
خمائلُها أو أخرجتُكِ الخمائل
وحوضاً كأن الماء قطنٌ ملوّنُ
يغطّيكِ أو في الماء منك مشاعل
تُضيئُين وسط الماء حتى حَسِبْتُهُ
بواطن محَّارٍ بها الوردُ نازل
عليكِ من الماء النмир لآلئُ
ومن روعةٍ من كلِّ لونٍ غلائل

☆☆☆☆

سَلُوا ليالي الهوى عن طيفِ ذكراها
هل عادني والتدامي عن حميَّها
أُعْتَاضُ بالطيفِ عنها لو يعوِّضني
وبالطلا عن لماها حين أسقَّها
شقراء كلُّ نواحيها مُحَبَّبةُ
كأنما الله سَوَّاهَا لأهواها
أشتاقُ للدار والشيطان لا عجبُ
في عاشقٍ يشتهي داراً وسُكناها





تلك الدهاليزُ ما أبهى زخارفها
وللمباخرِ عطرٌ في زواياها
كنا نُثَبِّتُ في جدرانها صُورًا
كما نُنْقِلُ أقدامها بـممشاها

☆☆☆☆

ألوذُ بالصِّمْتِ أحيانًا وتغلُبُنِي
صبايبي حين تلقاني وألقاها
حتى العصافيرُ كانت من هوايتنا
نختارُ أجملَها لوْنًا وأشجاها
كان الهوى عندما كانت ففرَّقنا
دهرُ آمالٍ صبايبي وألواها



صارية

تُضيء حليتها تحت القناع
بهالاتٍ شهياتٍ الشُّعاعِ
وأحسبُها تخلَّتْ عن ثيابِ
وإن كانت بأرديةٍ وسَّاعِ
تُديرُ أساورًا فيدور فيها
حديثٌ ليس يُسمَعُ بالسَّماعِ

☆☆☆☆

أبْتُ أن يستقرَّ لها نقابُ
على وضعٍ ففيها كالنُّزاعِ
وتأوي للسكونِ إذا أطلَّتْ
بقامتها كصارية الشُّراعِ

☆☆☆☆

- ١ -

هو مازال إذا قال فعلُ
وإذا ضاقَ بمثواه رجلُ
يحملُ العشقَ إلى الأرض التي
كلُّها عشقٌ وحبٌّ وغزلُ
وصفاءٌ رقيقٌ حتى انعكستْ
حركاتُ الكونِ فيه فاشتعلُ

- ٦١٧ -



حرسَتْ آيَاتِهَا أَشْجَارُهَا
وَجِبَالٌ مِثْلَ أَضْلاعِ جِبَلٍ
فِي ضَفَافٍ كُلِّ يَوْمٍ تَرْتَدِي
مِنْ أَنْبَاسٍ حُلَاً بَعْدَ حُلُلٍ
وَبَيُوتٍ عَامِرَاتٍ بِالشَّذَا
وَأُبَارِيْقٍ شَرَابٍ وَعَسَلٍ



وَرَثُوا الْحُسْنَ فَصَارُوا دَوْلَةً
سَبَقَتْ فِي حُسْنِهَا كُلَّ الدُّوَلِ
تِلْكَ مَنْ يَصْنَعُهَا صُنْأَةً
وَهِيَ مَنْ صَنَعَ السُّلَالَاتِ الْأَوَّلِ



- ٢ -

نَبَاتُهَا الْجَوْرِيُّ وَالسَّوسُنُ
وَمَاؤُهَا تَذْفُقُهُ الْأَعْيُنُ
كَأَنَّمَا الْجِبَالُ فِي أَرْضِهَا
قَصُورٌ جَنَّ حَوْلَنَا تَسْكُنُ
وَلَمْ تَكُنْ جِنًّا وَلَكِنَّهَا
مِثْلُ الرِّسُومَاتِ الَّتِي تَرُطُنُ
يَسْمَعُهَا الْجِسُّ فَتَسْمُوبُهُ
حَتَّى يَرَى مَا لَا تَرَى الْأَعْيُنُ



عَلَّمَتْنِي عِيُونُهَا الزَّرْقَاءُ كَيْفَ
يَنْمُو الْهَوَى وَكَيْفَ الْلِقَاءُ

- ٦١٨ -





غَزَلَ فِي الْعَيُونِ كَانَ فَأَمْسَى
عَطَشًا فَاضٌ مِنْ هَوَاهُ الْمَاءِ
وَحِبَاهَا التَّدْفِيقُ الْعَذْبُ لَمَّا
بَلَغَ الْوَجْدُ حَدَّهُ وَالْبِهَاءُ

☆☆☆☆

رَوْعَةُ الْمَنْهَلِ النَّمِيرِ احْتَوَتْهُ
جَنَّةٌ فِي ظِلَالِهَا خَضِرَاءُ
وَهِيَ شَقْرَاءُ بَعْضُهَا مِنْ حَرِيرٍ
مُحْتَوَاهُ ضَفَائِرُ شَقْرَاءُ
وَشُعَاعَاتٌ قَامَةٌ تَتَجَلَّى
فِي نَهْوِضٍ كَأَنَّهُ اسْتِرخَاءُ

☆☆☆☆

مِثْلَمَا يَثْقِلُ الْعَيُونُ نُعَاسُ
مِثْلَمَا يُتَعَبُ الطَّيُورُ الْفَضَاءُ
خَلَّتْهَا تَغْتَلِي إِذَا اخْتَدَمَ الْعَشُ
سُقُ فَفَاضَتْ كَمَا يَفِيضُ الْإِنَاءُ
هَيْبَةُ الصِّمْتِ وَالْجَمَالِ عَلَيْهَا
وَبِأَعْمَاقِهَا تُغْنِي الدَّمَاءُ

☆☆☆☆

خَلَّتْ تِلْكَ الضَّفَائِرَ الشَّقْرَ شَبَّتْ
فَوْقَهَا مِثْلَمَا يَشْبُ الضِّيَاءُ
نَمَّقَتْهَا طِبَائِعُ الصَّبْغَةِ الْأَوْ
لَى فِيهَا الْحَيَاءُ وَالْكَبْرِيَاءُ





نَسَقْتُ جِسْمَهَا ثِيَابَ قِصَارٍ
نَصَفُهَا وَاضِحٌ وَنَصَفُ خَفَاءٍ
وَكَأَنَّ الثِّيَابَ تَنْبِتُ نَبْتًا
فَوْقَهَا فَهِيَ مِثْلُهَا أَعْضَاءُ
وَلَهَا حَالَةٌ التَّدْفِيقِ فِيهَا
وَحَدِيثٌ.. لِكُلِّ ثَوْبٍ أَدَاءُ



وطن الصمود

كويْتُ يا حَبِّبَنَا السَّعِيدُ
يا ظِلُّ يا ماءُ يا وِروْدُ
يَحْرُسُكَ اللهُ يا بِلادًا
تُرابُها اللُّؤلؤُ الفَرِيدُ
وَبَارَكَ اللهُ في رَمالِ
تَجوودِها بِالخَيْرِ ما تَجوودُ

☆☆☆☆

نَحْنُ حُرُوبٌ على الأَعادِي
سَلاحُنا الصَّبْرُ والصُّمُودُ
نَجْنِجُ لِلسَّلَامِ في سَلامٍ
وَنَحْنُ دُونَ الجِمْيِ أَسوَدُ
قَالُوا لَنَا جابِرٌ فَقَلْنَا
نِعْمَ الْفَتَى الْقائِدُ الرُّشِيدُ
تَشْرِقُ في وَجْهِهِ المَعالي
وَيَبْسُمُ النُّصْرُ والسُّعُودُ
كويْتُ يا حَبِّبَنَا السَّعِيدُ
يا ظِلُّ يا ماءُ يا وِروْدُ



«نحن الفداء»

أَنَا وَأَنْتَ الْأَمَانُ
لَهَا وَنَحْنُ الْخُضْمَانُ
قُمْ يَا أَخِي فَالْإِيَالِي
دَارَتْ وَدَارَ الزُّمَانُ
وَلَنْ يُدَافِعَ عَنَّا
إِلَّا دُمٌّ لَا يُهَانُ

☆☆☆☆

فِي سَاحَةِ يَتَجَلَّى
فِيهَا الْإِبَاءُ الْمَعَانُ
بَحِيثٌ تَعْلُو نَفُوسُ
وَحْيِيَّتُ يَسْمُومُ كَانُ
نَحْنُ النَّدَاءُ لِأَرْضِ
تَزْهَوُ بِنَا وَتُزَانُ
أَنَا وَأَنْتَ الْأَمَانُ
لَهَا وَنَحْنُ الْخُضْمَانُ





الديوان الحادي عشر

كتابات فوق الأبواب القديمة (*)

(*) الديوان مخطوط ينشر لأول مرة، ويشتمل على أربع وعشرين قصيدة بخط يد الشاعر.





الكتابة الأولى

ولمّا أزاحت من قناعٍ تكشّفت
ضفائرها مثل القناعِ الملبّدِ
وشعّ لها ثوبٌ كأنّ خيوطةً
صدورُ حمامٍ واقفٍ فوق معبدٍ
وفاجأه عطرٌ بها قد تصاعدتْ
روائعه من شكلها المتوقّدِ
فلم ير جمرًا ينزف العطرَ قبلها
وعطرًا ولكن كاد يُلمس باليد
خزائنُ وردٍ جسّمها وزخارفُ
تجيشُ على شعر شهى التّمردِ
عجولٌ إذا ما الأمرُ كان يهّمها
له هاجسٌ في وجهها المتوردِ
عباءتها السوداء خيمة عاشقٍ
لها رفرفات الحائم المتفقدِ
تلوذ بها عن أعين الناس عندما
تجيء شماعًا في سوادٍ مُغرّدِ
إذا ما نضت عنها العباءة أشرقتْ
لها قامةٌ مثل الشعاعِ المجرّدِ

الكتابة الثانية

لاحت إليك بـوادِرُ بعيونها
مثلُ الثمار تلوح فوق غصونها
نشرَ الحِراك سكونَها فكأنه
سببٌ إلى مكنونها ومصونها
ظَلَّت تمارسه وظل كأنه
فنٌّ يُضاف إلى بهاءِ فنونها
راحت تُزيح ضفيرةً عن جانبٍ
من وجهها المشحون من مشحونها
وبدت لك الصُّورُ الخفيةً مثلاً
تتكشَّفُ الأسرارُ عن مضمونها
إن الوميض يلوح عن أطرافها
مثل الوميض يلوح بين جفونها
وتلوذ تحت سكونها ولطالما
أُبصرت هولَ العشق تحت سكونها
تختار ألوانَ الهوى فتُحيها
صوتًا وشفَّ الثوبُ عن مكنونها
من أبيضٍ كبياضها أو أحمرٍ
كشفاهها أو أزرقٍ كعيونها
فَتِنَ الجمالُ بها كما فُتِنَتْ به
فكأنها مفتونةٌ بفتونها

الكتابة الثالثة

ألا مَنْ رَأَهَا عِنْدَمَا أَوْغَلَ الْهُوَى
بِأَعْطَافِهَا حَتَّى اسْتَحَالَتْ مَسَاكِبَا
مَسَاكِبَ أَنْحَاءٍ تَوَلَّفَ بَعْضُهَا
كَمَا أَلَّفَ الشَّعْرُ الْكَثِيفُ الذُّوَابَا
وَكُنْتُ أَرَاهَا دُونَ أَنْ أَعْرِفَ الْهُوَى
وَكَانَتْ أُرْتَنِي حَاضِرًا مِنْهُ غَائِبَا
أَفْسَّرُهُ فِي أَنَّهُ نَزْوَةٌ بِهَا
تَمُرُّ وَلَعِبٌ. رَيْبًا كَانَ لَاعِبَا
وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْمَوْجُ شَعَّتْ لَأَلَى
بِقَاعَاتِهِ وَانْفَضَّ أَزْرَقُ ذَائِبَا
بَعِينِينَ زَرْقَاوِينَ يَا زَرْقَةَ الْهُوَى
فَدَتِكَ الْبَحَارُ السَّبْعُ مُوقًا وَحَاجِبَا
وَأَحْلَى الْهُوَى مَا يَمَلَأُ النَّفْسَ رَغْبَةً
تَرَى سَبَبًا أَوْ مَوْرَدًا حَتَّى شَارِبَا
فَيَا كَرَمَةً مَا كُنْتُ أَقْوَى اعْتِلَاءَهَا
وَكَانَتْ أَفَاءَتٍ مِنْ ظِلَالٍ جَوَانِبَا
إِلَى الْآنَ مَا زَالَتْ غَصُونُكَ غَضَّةً
وِظْلُكَ مَمْدُودًا وَطَيْرُكَ غَاضِبَا
لَنْ فَاتَنِي مِنْ مَحْتَوَاكَ عَجَائِبُ
فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحَبَّ فِيكَ عَجَائِبَا

الكتابة الرابعة

إلى قطر

يا وردُ يا عطرُ يا أطيَّارُ يا شجرُ
يا ظلُّ يا ماءُ يا خضراءُ يا قَطْرُ
مَلامِجُ لك لم يلمس روائعها
حُسْنٌ. وتسبَّحُ في أفاقها الفِكرُ
مَنِ التي حدثتني عنك قائلَةً
يكاد يخضرُّ من لطفٍ بك الحجرُ
وأنتُك الزمنُ المشتَّقُ من زمنٍ
لأنَّ ينبُضُ حيًّا وهو مندثرُ
ظلاله في الضِّفافِ الزرقِ ماثلةً
ولونه في رمالِ البيدِ منتشرُ
وفي العيون التي قد كنتُ أقرأها
شعرًا يزخرُفه «زيدون» أو «عمر»
وفي الوجوه سلالاتُ مخبأةً
وفي الدماء حنين الأرض منصهرُ
أضُمُّها وكأني قد دخلتُ بها
مدينةً في ضفاف البحرِ تزدهرُ
مَلَّت من الريح فاستلقت كمتعبةٍ
في الجُرف تغسل رجليها وتنتظرُ

الكتابة الخامسة

تقولُ له وقد مالت عليه
كما مالت ظليلاً الغصونِ
وقد أخذ الغرامُ بها وأبقى
جراً فيهِ أسبابُ السكونِ
بما احتدمتُ أيادٍ من أيادٍ
وما زخرت عيونٌ من عيون
تقولُ له: انتظرتك قبل شهرٍ
وقد نالت شكوكي من ظنوني
بأنك سوف لا تأتي. وكانت
تجاوزتِ الفتونَ من الفتون
وكان الليل شوقاً قمرزياً
يفيض على المفارشِ والصحونِ
وكانت مهَّدتُ درباً إليها
خفيّاً عن خفيّاتِ العيون
لقد لاحت بأقصاه كومضٍ
تطائرَ من خدودٍ أو جفون
وخالٍ كأن الشذر فيه
يؤلف من مخاضاتِ اللحون

الكتابة السادسة

أتت وما ظنّها تأتي يرْنُحُها
شوقٌ تجاوزَ فيها كلّ محدودٍ
كأنّها خرجت من عمق أغنيةٍ
أو أنّها دخلت في ماء عنقودٍ
كأن أهدابها أطرافُ ألسنةٍ
أو أنها سكنت أحشاء غريدٍ
وكان ينظرها من حيث تنظره
معمودة تتقصّى شوق معمودٍ
أزاح حمرة أصباغ توهّجها
وفكّ ما فكّ منها كلّ معقودٍ
وغرّق العطر فيها سكب ما نضحّت
ضفائر ونزاً من ذلك الجيد
والعطر صنفان من ماء ومن عطشٍ
مُفجّر من مياه الورد في الغيد
تميل أردافها الكسلى كما رزحت
مجهودة قد حواها شوق مجهودٍ

الكتابة السابعة

تَعْلَمُ مِنْ إِشْرَاقِهَا كَيْفَ يَشْعُرُ
وَكَمْ صُورَةٌ فِي صُورَةٍ تَتَكَرَّرُ
وَكَيْفَ الْهَوَى يَسْمُو إِذَا اعْتَرَضَتْ لَهُ
حَوَاجِزُ يَعْلُو فَوْقَهَا وَيَكْسِرُ
لَقَدْ خَاضَهَا حَتَّى أَحَالَ سَوَاقِيًّا
تَغْنِّي بِهَا بَحْرًا مِنَ اللَّوْنِ يَزْخَرُ
يَعُومُ بِأَحْوَاضٍ مِنَ الْعَطْرِ بَعْدَمَا
يَعُومُ بِهَا صَدْرًا مِنَ الْوَجْدِ يَزْهَرُ
وَيَدْخُلُ فِي أَنْحَائِهَا السَّمْحَةُ الَّتِي
يَحَاوِلُ مِنْهَا شَوْقَهُ حِينَ يُبْجِرُ
وَقَالَتْ لَهُ أَهْوَى الْقَصِيدَ فَجَاءَهَا
قَصِيدٌ عَلَى أَعْضَائِهَا يَتَنَشَّرُ
سَلَامٌ عَلَى أَنْحَائِهَا الْبَيْضِ إِنَّهَا
طَيُوفُ تَرَائِدٍ أَوْ خِيَالُ مَصُورٍ
إِذَا عَطَشَتْ أَعْرَاقُهُ نَقَطَتْ لَهُ
شِفَاهُ لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْعَشِقِ أَحْمَرُ
إِذَا الْكَأْسُ لَمْ تَأْخُذْ عَرُوقًا تَرَادَفَتْ
كَوُوسُ لَهَا أَقْمَارُهَا حِينَ تَسْهَرُ
يَلَاحِقُ لَيْلٌ شَوْقَ لَيْلٍ فَيَلْتَقِي
هَوًى بِهَوًى يَنْمُو وَيَسْمُو وَيَكْبُرُ

الكتابة الثامنة

يظلُّ شبَّاكُها في الليل منتظرًا
قدومه ورتاج الباب مفتوح
أضواءه كعيون القطّ شاخصة
وللستارة إيحاء وتلويح
أختاه قال سيأتي كيف نستره
عن العيون وشأن الحبّ مفضوح
وفي إشاراتِه همسٌ وهددة
يدنوبها القلب أو تهفولها الروح
ما زال يهمس في أذني لي قنّعتني
حتى قنّعت وفي عينيه تلميح
كانت مهياة الألوان جاهزة
وللضفائر هالات وتسريح
كأنما ثوبها الليلي تجذبه
أكتأفها أو أطارته التّباريح
معطرٌ بعطور الهند ترجفه
قلائدٌ مثلما اهترّت أراجيح

الكتابة التاسعة

أَتَذْكُرُ ذَاتَ الْخَالِ أَمْ لَسْتَ تَذْكُرُ
وَحِيَمَتَهَا فِي اللَّيْلِ وَالْبَدْرِ مَقْمُرُ
وَمَجْلَسَهَا فِي ظِلِّ أَثَلٍ وَمَوْقِدًا
تُضِيئُ بِهِ أَغْصَانُهُ حِينَ تَسْمُرُ
يُعَاوِدُهَا طَيْفُ الْبَوَادِي كَأَنَّهَا
قَبَائِلُ عَشْقٍ فِي دَمٍ تَتَكَرَّرُ
رَقِيقَةُ أَلْوَانٍ فَمِنْهُنَّ أَبْيَضُ
وَمِنْهُنَّ وَرْدِيٌّ وَمِنْهُنَّ أَحْمَرُ
وَمِنْهُنَّ ذَاكَ الْأَسْوَدُ النَّاعِمُ الَّذِي
لَهُ زَخْمُ الْجَوَرِيِّ بَلْ هُوَ أَزْخَرُ
كَأَنَّ الدَّبَابِيْسَ الْمَشْعَّةَ فَوْقَهُ
عَيُونُ عَصَافِيرٍ حَوَاهُنَّ بَيْدَرُ
يُرَاقِبُهَا وَجُدُّ بَعِينِيكَ شَاخِصُ
إِذَا حَلَّقَتْ فَاضَ الْحَرِيرَ الْمَعْطَرُ
تَفَكُّ دَبَابِيْسَ الْهَوَى عَنْ ضَفَائِرِ
فَكُلُّ اتِّجَاهٍ مَنْظَرٌ وَهِيَ مَنْظَرُ
تَجَمَّعَ فِيهَا الْحُسْنُ حَتَّى تَظُنَّهَا
مَنْابِعُهُ الْأُولَى الَّتِي تَتَفَجَّرُ



كَأَنَّ كِتَابَ الْعَشَقِ فِي نَظَرَاتِهَا
تُرْتَلُّهُ أَهْدَابُهَا حِينَ تَنْظُرُ
يُضِيءُ بِهَا عِقْدٌ قَدِيمٌ كَأَنَّهُ
عَلَى صَدْرِهَا النِّشْوَانُ يَنْمُو وَيَكْبُرُ



الكتابة العاشرة

أَمِنْ بَعْدَمَا وَلِيَ الصَّبَا أَنْتَ تَعَشَّقُ
وَتَسْهَرُ شَوْقًا طَالَمَا تَتَشَوَّقُ
أَلَفْتَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ لَا يُؤْمَنُ الْهَوَى
وَسَايَرْتُهُ وَهُوَ الْجَمُوحُ الْمَحْلَقُ
تَوَغَّلْتَ فِي أَفَاقِهِ وَلَطَالَمَا
هَبَطْتَ كَمَا يَنْهَارُ صَرْحَ مَلْفَقُ
وَمَهَّدْتَ لِلْوَجْدِ الْمَلْحَ وَلَيْلِهِ
ضُلُوعًا إِذَا حَرَّكَتْهَا تَتَدَفَّقُ
دَحْتَهَا عَيُونٌ تَحْتَ أَجْفَانِهَا الْهَوَى
يُغَنِّي وَفِي أَحْدَاقِهَا الزَّرْقُ يُشْرِقُ
وَتَغَرُّ إِذَا اهْتَزَّتْ زَخَارِفُ لَوْنِهِ
وَفُتِّحَ مِنْ إِشْرَاقِهِ وَهُوَ مَغْلَقُ
وَفَاضَتْ حَكَايَاهُ الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا
تَجِيْشُ تَهَاوِيلُ الرِّسُومِ وَتَنْطِقُ
هَنَالِكَ يَبْدُو مَا تَوَارَى كَأَنَّهَا
تَنْزُجُ حَجَابًا يَنْجَلِي عَنْهُ رَوْنَقُ
وَأَبْرَقَ خِلْخَالٌ لَهَا فَتَخَارَسَتْ
طُمُوحَاتُكَ الْأُولَى وَمَا زَالَ يُبْرِقُ



له دورةٌ في ساقِها قد تَکاملتُ
فكلُّ اتجاهٍ روعهٌ وتألُّق
كأنه وميضُ الشذر في جنباته
مناقيرُ طيرٍ في غديرٍ تُزقزق





الكتابة الحادية عشرة

تُضَيُّ إِذَا كَلَمْتُهَا فَكَأَنَّهَا
على وجهها ضوءٌ يُغْنِي ويرسمُ
وماذا سوى ما خَبَّأَتْهُ مَلامِحُ
وماذا سوى وَجْدٍ وليس له فم
إِذَا وَقَفْتُ مَا كَانَ حَتْمًا وَقَوْفُهَا
وإن سَلَّمْتُ فَالشَّوْقُ فِيهَا الْمُسَلَّمُ
يُغْنِي الْهَوَى فِي شَخْصِهَا وَعِيُونِهَا
له هَاتِفٌ فِي شَكْلِهَا يَتَكَلَّمُ
وَتَغْضَبُ حَتَّى خَلَّتْهَا تَتَضَرَّعُ
وَتُبْدِي انْكَمَاشًا مِثْلَ مَنْ تَتَوَهَّمُ
تُسَارِعُ مِنْ حَالَاتِهَا وَانْدِفَاعِهَا
وَنَعْلَمُ عَنْهَا لَيْتَهَا هِيَ تَعْلَمُ
مُهِيَّاءَ فِي كُلِّ أَنْ كَأَنَّهَا
مَعَ الشَّمْسِ تَأْتِي أَوْ مَعَ اللَّيْلِ تُظْلِمُ
لَهَا خُطَوَاتُ رَنَحَتِهَا طَرَاوَةٌ
وَفِيهَا غَمُوضٌ وَهِيَ عَشْقٌ مُجَسَّمُ





الكتابة الثانية عشرة

عيونُ لها زرقُ كما هدأَ البحرُ
ووجهُ له ألوانهُ البيضُ والحمُرُ
إذا ابتسمتُ والوجدُ يطفح فوقها
وفاضت كنهراً أو بها من هوَى نهر
شذا عطشٍ حتى استحالَ أغانيًا
وغرَّدَ حرفُ راح يرسمُه ثغر
يؤنقُه لونٌ ويفرشه هوَى
له عَبَقٌ أو فيه من وردةٍ عطر
ألا مَنْ رآها في الضحى حين تبتغي
زيارةً جيرانٍ لها أو لها أمر
معطرةً شقراءَ شرقيةً الهوى
لها مرحُ الأنثى التي دُمها خمر
سلامٌ على لطفِ الحرير بشعرها
تفرشُ مثل الثوبِ لكنه شعر
على خرزٍ قد ثَقُبَتْهُ مهارةٌ
قلائدُ منها الزرقُ والحمُرُ والخضر
يقول لها والليل قارب نصفه
تجاوزتِ نصف الليل قالت: متى الفجر





أَبْتُ أَنْ تَرِيحَ الْجِسْمَ فَوْقَ مَفَارِشٍ
مَنْمَقَةٍ أَوْ يَسْتَرِيحَ لَهَا فِكْرُ
يَشَعُّ بِرَيْقِ الْأَعْيُنِ الزَّرْقَ عِنْدَمَا
يَجُولُ بِهَا احْسَاسُهَا الْغَامِرُ النَّثْرُ
مِنَ الْوَاضِحَاتِ الْغَامِضَاتِ كَأَنَّهَا
تَفِيضُ بِسَرٍّ أَوْ تَقْمِّصُهَا سِرٌّ





الكتابة الثالثة عشرة

ومن قال أن الورد يشبه شعرها
وأسودّه ألوانٌ عاطفةٍ تشدو
به رائعاتُ الوردِ عطرٌ ورقّةٌ
وهيهاتَ لم يملكِ روائعه الوردُ
له رفرفاتٌ عذبةٌ فوق وجهها
كذاك له من فوق أكتافها حشد
عجبتُ لها من أسودٍ متضرمٍ
به ما به من لوعةٍ وبه وجد
إذا احتركتْ هاجَ الهوى بصفائرٍ
لها حركاتُ الطير قلَّصه البرد





الكتابة الرابعة عشرة

فُرشَت مَفرشُها وشَبَّ بِخُورها
والفَتَنَتانِ عِوْنُها وخُصُورها
يا غَرفةً قَعدَ الهوى بِمَقاعِدِ
فيها عَليها نَجْمُها وبَدورُها
شَبَّتْ بِها أَضواءُها ولَطالما
شَبَّتْ بِها أنفاسُها وصدورُها
جاءت بِكاساتِ النَبِيذِ تُديرُها
وأنا أديرُ بِها الهوى وأديرُها





الكتابة الخامسة عشرة

لماذا أنت تنظرُها كثيرًا
فإن غابتُ ففيك لها حضورُ
لقد ملأت بك الاوقات حتى
تكادُ بكلِّ جارحةٍ تسير
وقد أوقفَتها والسدبُ فيها
عيونٌ حول موقفكم تدور
وفاض بها الهوى حتى تراءى
بعينيهَا ورُئِحَها الفتور

☆☆☆☆

مغاني الهوى خضرٌ وصفُرٌ شعابُها
لها عَطَفَاتٌ جَمَّةٌ وصعابُها
تضيغُ بها جولأته ثم يهتدي
بأخرى لها أسبابها وعذابُها





الكتابة السادسة عشرة

فإذا حاول هذي الأعين السود
ففي تطلُّعها همس وترديد
كأن أهدابها النشوى معلقة
بصدرها فهي تصعيد وتنهيد
إذا استدارت أدارت في تَلْفُتِها
كأسًا وغرَّد في أعطافها عود
سرى بها الوجد حتى كاد يوقفها
كما توقَّف متعوب ومجهود
كأنها والهوى النشوان يمنحها
شبه انتشاء كما يرتاح عنقود
تطايرت شعل منها وخفَّفها
تطامن مثلما ينشق جلمود





الكتابة السابعة عشرة

يا واسِعَ المقلتينِ يا قمرُ
قد انتهى السامرونَ والسُّمرُ
ولم يعدْ منهمُ سوى قدحٍ
وساهرٍ هُدَّةً بك السهر
ونفحةٍ من عبيرٍ متَّكأً
قد خلفته الثيابُ والشُّعر
كأنما شَعْرُكَ الحريزُ وقد
تطايرتُ من حريره الصُّور
مهابطٌ للنجومِ في بشرٍ
يا نجمٌ بل يا حريزُ يا بشر
يا بسمَةً كالوميضِ يا شفةً
يُثقلُها الوجدُ حينَ يَسْتَعِر
ويا شعاعَ العيونِ يسكبُهُ
ترادفُ النَّظراتِ والنَّظر
قد رقدَ الراقدونَ وانتبهتُ
هواجسُ واستفاقتِ الفِكر
وانتصبَ الشارعُ الطويلُ كما
تلفَّتِ الشوقُ حينَ ينتظر





يا واسع المقلتين إنّ هوى
يسهر في عمقنا كما الشرر
يغوص في قاعنا فيشعلهُ
وفي معاني الوجوه ينتشر
يا واسع المقلتين يا عطشاً
تكاد منه المياه تنفجر





الكتابة الثامنة عشرة

ضقتُ ذرعًا بهمُ فهل ضقتُ ذرعًا
كخرافٍ في جانبِ البيتِ ترعى
نَهَبْتُ أرضَها الوحوشُ فصارت
من صنوفِ الوحوشِ فكرًا وطبعًا
يفقدُ الشيءُ لونه وهوَّاءُ
عندما يقبلُ التَّسْكُعُ وضعا





الكتابة التاسعة عشرة

نواحيك لم تبرح عبيراً وزنبقاً
ومازلت أفاق الهوى حيث حلقاً
عجبت لأشجارٍ على الملح أزهرت
وتفرشهُ ظلاً وعطراً ورونقا
تجاوزَ ملح البحر فيك مذاقه
فصار مساعاً طعمه حين يُستقى
أشمُ وروداً في صخورٍ قديمةٍ
والمح تحت الرمل نهرًا تدفقاً
أكاد إذا استنشقت لوناً لزهره
أشمُ بها شعراً وجسماً وأعرقاً
سلامٌ على البحرينِ مها تعذرت
علينا وكان الدربُ أدنى الملتقى
إذا زكروا ليل المنامِ شذني
خيالٌ يناغي جرفها والمحرقاً
ليالي ما كانت شحيحاتٍ أكؤسٍ
ولا كان ما نبغيه صعباً مُلقاً
ومن عجبٍ أني تلبثت والهوى
يهزُّ فؤاداً كان من قبل مقلقا





تَلَبَّثْتُ اسْتَقِيكَ بَحْرًا وَسَاحِلًا
سَقَاهُ الْهَوَى مِنْ فَيْضِهِ فَتَأَلَّقَا
وَحَلَفْتُ عَبرَ الْبَحْرِ عَرَجُونَ نَخْلَةً
عَلَى النِّهْرِ مَشْلُولِ الْمَلَامِحِ مُرْهَقَا
يَكَادُ يَخْزُ الطَّيْرُ حِينَ يَوْمُهُ
وَيَطْرَحُ فَلَاخًا عَلَيْهِ تَسْلَقَا
هَرَبْتُ مِنَ الْأَنْهَارِ لَمَّا تَرُمَدْتُ
وَجِئْتُكَ يَا نَخْلًا عَلَى الْمَلْحِ أَوْرَقَا
وَكَانَ عَطَاءُ الْبَحْرِ مِنْ قَبْلِ لَوْلَا
فَصَارَ عَطَاءُ الْبَحْرِ سَوْرًا وَخَنْدَقَا
يَمِيلُ وَقَارًا عَنْ نَوَاحِيكَ، خِلْتُهُ
يَجِيئُكَ مَشْلُولَ الرِّيحِ مُطَوَّقَا
كَأَنَّكَ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ حَيْثُ كَوَّنْتُ
تَرَابًا فَكُنْتَ الْبَحْرَ لَمَّا تَعَتَّقَا
وَكَانَ لِنُوحٍ حِكْمَةٌ فِي سَفِينِهِ
وَكَانَ جَدِيرًا أَنْ يَكُونَ الْمُؤَفَّقَا
وَمَا أَنْتَ إِلَّا مِنْ رَسُومِ سَفِينَةٍ
وَإِنْ كَانَ فِيكَ اللَّوْحُ تَرَابًا مُنْسَقَا





الكتابة العشرون

أقبلت في الضحى تجرُّ خطاياها
فسلاماً لخطيئها وضحاها
أقبلت والحنين يهتفُ فيها
كهتاف الطيور فوق ربّاهها
بدلت روعة الهوى مقلتيها
فهما جنتان أو مقلتاها
واحتواه تلاطم الرّبِّد الأُرّ
رقّ فيها أو أنه قد حواها
فاجأته بما يحاول منها
وأرتقه من وجدها ما أراها
وتراءت ملامح الشوق فيها
كنجوم تلوح عبر دجّاهها
وأزاحت قناعها فتجلّت
أيلة من ورائه فتلاها
من رأى منكم عبيراً يغني
وغناءً في وردة وشذاها
ورسوماً توالدت من رسوم
ككؤوس تشفّ عمّا وراها





الكتابة الواحدة والعشرون

عَلَّمَتْهُ عَيُونُهَا الزَّرْقَاءُ
كَيْفَ يَنْمُو الْهَوَى وَكَيْفَ الْلِقَاءُ
غَزَلَ فِي الْعَيُونِ كَانَ فَأَمْسَى
عَطَشًا يَنْمُو الْهَوَى وَكَيْفَ الْلِقَاءُ
وَحَبَاهَا التَّدْفِقُ السَّمْحُ لَمَّا
بَلَغَ الْوَجْدُ حِدَّةً وَالرَّوَاءُ
رَقَّةً الْجَدُولِ النَّمِيرِ تَرَاءُ
خَالَفَهُ ظِلُّ كَرْمَةِ وَمَسَاءُ
تَتَدَانِي النُّجُومُ وَالْعَنْبُ الْحَلِ
وَأُوعِيهِ وَالنَّعْمَةُ الْخَضِرَاءُ
وَهِيَ شَقْرَاءُ بَعْضُهَا مِنْ حَرِيرٍ
مَحْتَوَاهُ ضَفَائِرُ شَقْرَاءُ
وَشُعَاعَاتُ قَامَةٍ أَطْلَقَتْهَا
فِي نَهْوِضٍ كَأَنَّهُ اسْتَرْخَاءُ
مِثْلَمَا يَثْقُلُ الْعَيُونُ نَعَاسُ
مِثْلَمَا يُتَعَبُّ الطَّيُورُ فِضَاءُ
خَلَّتْهَا تَغْتَلِي إِذَا احْتَدَمَ الْوَجْهُ
دُفَافُضَتْ كَمَا يَفِيضُ الْعَطَاءُ





تحت ألوانها حراكٌ عميقٌ
وبأعماقِها تغني الدماء
خلت تلك الضفائر الشقر شبت
فوقها مثلما يشب الخياء
نمقتها أنامل الصبغة الأو
لى ففيها البهاء والإغراء
نسقت جسمها ثياب قصار
نصفها واضح ونصف خفاء
وكان الثياب تنبت نبتاً
فوقها فهي مثلها أعضاء





الكتابة الثانية والعشرون

أه من عينيك ذاتِ الذهبِ
ولشعرٍ كعقودِ الذهبِ
ولحالاتٍ قميصٍ شهقتُ
من أعاليه متونُ الشُّهبِ
ولخديكِ وما يحمرُّ من
أقحوانٍ في خدودِ العنبِ
ولثغريكِ كاد من روعتهِ
يتَهجى لغةً لم تُكتبِ
وقفَ الحُسنُ على منحدرٍ
من معانيكِ ومن مُنسكبِ
وعجيبٌ أن نرى العشقَ له
رُقعةً في شعركِ الملتهبِ
وثيابٌ خلتها قد نسجتُ
منه أو من قاعكِ المضطربِ





الكتابة الثالثة والعشرون

يَقْتَدِي بِالْمُيَاضِ يَلُوحُ
مِنْكَ وَالسَّاكِنَاتُ حِينَ تَبُوحُ
ضَرَبْتُ حَوْلَكَ الْحَصَارَ حَصُونُ
وَالْهَوَىٰ فَيْكِ وَاسْعُ وَفْسِيحُ
كُلُّ أَنْ لَّهُمْ جِدَارٌ عَلَيْهِ
مِنْ دَمِ الْعَاشِقِينَ نَهْرُ يَسِيحُ
أَعْجَزَ الدَّاخِلِينَ فِيهِ اجْتِيَازُ
وَعَلَى جَانِبِيهِ تَنْقُضُ رِيحُ





الكتابة الرابعة والعشرون

لعمرك ما كانت غراماً مُنَزَّقا
وشوقاً أبى أن يستقرَّ فحلَّقا
ولكنها كانت هوى قد أحالها
زخارف ثغرٍ كاد أن يترقِّقا
كأن الشقوقَ البيضَ فيه مسالكُ
مشى الوجدُ فيها أو نسيجُ تشقِّقا
يلينُ إذا لانت عظامُ كأنها
تلاشت بها إلا جُماناً مُفتِّقا
وكنْتَ إذا استبطأتها أسرعَ الهوى
إليها فيلقى شوقها منه أشوقا
تفكُّ صفيراتٍ تكوُّمنَ فوقها
دوائِرَ فكَتْ شوقها فتطأُّقا
لم أرَ شعراً قبله ينزفُ الهوى
وثغراً إذا شاءتِ عناقاً تأنِّقا
إذا احتدمتْ أعماقُها خلتُ أكوِّسا
تفيضُ بها أو نهرَ عشقٍ تدفِّقا
تعتَّقُ فيها العشقُ حتى انتشتُ بهِ
مجامعُها لو أن عشقاً تعتَّقا





تناول أقصاها وطَرَزَ شكلها
فصَيَّرَ منها رونقاً ضمَّ رونقا
ولمَّا هبطنا السهل سَهَّلَهَا لنا
بريقُ بعينِها نَرَا فَتَأَلَّقَا
تزوُّعٌ عن الدرب السوِّيِّ وتنتحي
طريقاً خفيَّ الجانبينِ مُلْفَقَا
إِذَا نَفَخَتْ من ثوبها انتشرتْ لهُ
روائحُ مسكِ تزرعُ الرملَ زنبقا







الديوان الثاني عشر

قبا ب الوادي الأخضر (*)

(*) الديوان مخطوط، ويشتمل على إحدى وعشرين قصيدة بخط الشاعر؛ مع ملاحظة أن تسع من هذه القصائد سبق نشرها في مجموع شعري صدر سنة ١٩٩٨م بعد وفاة الشاعر تحت عنوان «خرائط البرق»، وقد صدر هذا الديوان بدعم من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. والقصائد التسع المنشورة هي:

- ١ - الحرب وحطام الأشجار، ص ٣١.
- ٢ - الحرب والعواصم، ص ٣٣.
- ٣ - العقرب، وهي منشورة بعنوان «الشياب الأخرى، ص ٣٥.
- ٤ - الممهد، ص ٣٧.
- ٥ - القتاد والقواقع - منشورة بعنوان «الأنهار والمنايع» مع اختلاف في ترتيب أبياتها، ص ٢٢.
- ٦ - الحرب وزرقاء اليمانة، ص ٤٢.
- ٧ - الحالة القديمة، وهي منشورة بعنوان الوسائل الجديد، ص ٤٥.
- ٨ - لبنان وزمان العاشق، ص ٧.
- ٩ - الحجارة الموسومة، ص ٤٦ «مع اختلاف في ترتيب الأبيات».







كنوز الساحل الأزرق

أرى الفرقَ ما بيني وبينك شاسعاً
فلا أنتَ من شكلي ولا أنتَ من جنسي
ولا أنتَ ممن هذبتهُ مدينةُ
تهذب من أحجارها وهي من كلس
يدبُ بك الشيطانُ من كل جانبٍ
وترسي بك العاهاتُ من حيث لا ترسي
وقالوا صراعُ الناسِ رهنُ معاشهم
بلى وصراعُ الناسِ في محتوى النفس
إذا اتَّفقتْ أقوائُنا وثيابُنا
فأنتَ نقيضي في شعوري وفي حسِّي
وماذا بحربٍ يُستعار سلاحُها
لإحراقِ أرضٍ من كنوزٍ ومن قُدىس
أتنكرُ نخلاً بَعَثَروه وطشَّروا
بلابله في ساحلٍ كان ذا أنس
وبحرًا غَبَرناه لبحرٍ كأنه
جُسورُ مياهٍ تقفني مطلعَ الشمسِ





الرواسب

صاروا لكل الناس كالأضدادِ
وذئابُهم تَعوي وراء الوادي
الحاملونَ رواسبَ الزمنِ الذي
جاؤوا وإياه على ميعاد
والواقفونَ كأنما أصنامُهم
عادتُ بهم وزواحفَ الأجداد
والمجهضونَ الوارماتُ صدورهم
مما يجيشُ بها من الأحقاد
شاخَتْ بهم أظفارُهم وتهرأتْ
أنيابُهم فهم فلولُ جراد
زحفتْ تريدُ البحرَ وانكفأتْ على
شطآنه الزرقاءِ كالأعواد
يَبستْ دماؤُهم على أجسادهم
فكأنهم ماتوا بلا أجساد
أنفَتْ جياغُ الطير أكلَ مواتهم
فتظلُّ للأحياء بالمرصاد



النخلة المحاربة

ماذا أحذثكم عن الأشرارِ
والمختفين وراء كل ستارِ
صاروا وسيلةً من رآهم حجةً
للغزو وانجرفوا مع التيارِ
من كل مهتري يلوذ بمثلهِ
كممزَّقٍ يلتفُّ في أطمارِ
يقتاده زمنٌ تعفن مثلهُ
فكانه ينهارُ في مُنهارِ
عتقتُ وسائله القديمةُ وانتهى
إلا الذي مازال كالأثارِ
يا بئس ما ورثوا وما اعتنقوا وما
يتبجحون به من الأفكارِ
رفضوا السلام وعادتهم نوبةُ
للنار أو ورثوا عذاب النارِ
جلبوا الدمارَ لأهلهم وديارهم
وكذا الفجور يُحيقُ بالفجارِ
يا نخلةً في «الفاو» أحنى جذعها
رجمٌ وكانت حلوة الأثمارِ



ما كنتُ أحسبُ مذْ غُدوتِ متارساً
أنَّ النخيلَ يثور كالثَّوَارِ
أليافه كفتائلٍ وعُذوقُهُ
كمقابسٍ والجذعُ عودُ شَرَارِ
يا غابَةَ الحنَّاءِ تقطف «زَيْنَبُ»
منها وفيها منزلٌ «لِنُورِ»
سنرى بكِ الأعراسَ ثَانِيَةً وإن
كَرِهَ الغَزاةُ وموسمَ الأشجارِ
فالأرضُ يسألُ بعضها عن بعضها
وتحنُّ أقطارٌ إلى أقطارِ



النهر والحوث

نهرٌ ببغدادَ أهواهُ وأعشقهُ
وصرتُ أسمعهُ يسري ويأتيني
يكاد ينشقُّ عنه البحرُ من غضبٍ
أو فيه ما فيه من بحرٍ وتكوين
نهرٍ صارُ حتى جاء فاعترضتُ
طريقَهُ الحوثُ. أو قد أعرضت دوني

النار والثعبان

متى سيعقل هذا المنتمي أبداً
إلى الحروب ويأتيها كمفتون
عادوا إلى النار لكن لم تكنُ حطباً
بل من جسومٍ لهم تُلقى باتون
يحرّضون على الجورِ قنبلةً
ويبطشون بأرضٍ من رياحين
ويخطفون عقولَ الناس في بدعٍ
كأنهم سكنوا في حلمٍ مجنون
ترصدوا جانب الأفاق وانتبذوا
من جانب الأرض بيتَ الخسف والهون



ثم استعاروا جناح النّسر - لو ملّكوا
دمّ النسور - وطاروا كالشواهين

☆☆☆☆

متى ستصحو جبالاً في سواحلها
ورملةً تتلظى كالبراكين
كأنها شعلةٌ في كفّ قابسها
أو أنها جسدٌ ينزّو بماعون
يمارسُ الشكّ ذو فكرٍ بمسألةٍ
حتى يدلّ عليها بالبراهين
وكنّتُ أخبرتهم عنهم فما سمعوا
حتى رأوهم عياناً كالشياطين
لم تُبقِ نيرانهم منهم سوى طبقٍ
من الرّمادِ وإلا نفخَ ملعون
يظلُّ ينفخُ فيها وهي خامدةٌ
على مواقدها نفخَ الثعابين





رسومات الوتر الواحد

لعمرك ما زالت تعاني وتكتم
وتُبدي انعطافاً وهي شوقٌ مُيمَّم
وقد سكنت رملاً وملحاً فأمطرت
روامضها أو روضَ الريح مُلهم
كأن بها جنّاً قديماً وطالما
تضمّنت الأشياء ما ليس نفهم
لها هاجسٌ لا يُخطئ الظنّ بالذي
سيأتي وترخي حبلها وهو مُبرم
أرى عازفاً من أمسها وربابةً
لها وترٌ فردٌ يغني ويرسم
ولو حُ تمطّاه من الجلد يابس
فأمسى كما تندس في اللوح أعظم
كأنني أراها تشعل النار مثلاً
تراءت لموسى النار والليل مظلم
هي النار ما زالت جنوباً كأنها
أعدت لهم أو أن أرضاً جهنم
بمخزونة الآفاق من كل راجم
يظل يغني شوقه وهو يرجم

☆☆☆☆





ألم تر أننا قد بُلينا بعُصبةٍ
نحاول دفع الشرِّ عنها وتأنفكُ
وأخرى بأخرى أدرجت فكأنها
لسانٌ لها في جسمها يتحركُ
وأخرى تداني فكرها فهي لا ترى
سوى ظاهرٍ يقتادها وهو يضحكُ
وأخرى علَّتْها الراسباتُ فلم يعدُ
لها سببٌ أو أنها تتفككُ
فيا لك من شرِّ تلاقى ببعضه
يؤلفه عصرٌ بدا يتصغلكُ
سلامٌ على الصحراء كيف تثقفتُ
حجارتها والوردُ بالورد تفتكُ





الهاربون

لقد صار لا يعنيك أمرٌ لنخلةٍ
على الجرف فيها هيبةٌ وجلالُها
وقد صار لا يعنيك شأنُ لكرمةٍ
سقتك نبيذاً أو حوتك ظلالُها
كأن ظهيراتِ الصَّحارى جميعَها
بقلبك واستلقت عليك رمالُها
كأنك منها صخرها وقتادها
وما فيك منها أنقُها وجبالُها



هتاف النخلة

يا نخلة من وراء الرملِ تدعوني
من قلعة الصَّيد والغُرِّ والميامينِ
سمْعًا وطاعةً مشتاقٍ يورِّقُهُ
شوقٌ إلى الظلِّ في تلك البساتين
فأنتِ سيِّدةُ الأشجارِ قاطبةً
وإن برزتِ بِشمروخٍ وعُرجون
كأنما السَّعفُ النَّشوانُ مروحةً
تمتدُّ من باسقٍ بالمسكِ مدهون
قالوا مصيفك حرُّ قلتِ تُنعِشُهُ
خلائقٌ مثلُ أنفاسِ الرِّياحين
للباسقينِ كأن الأرض ترفعُهُمْ
على مناكبِها شُمَّ العَرانينِ
والوارفينِ إذا ما الظلُّ قَلَصَهُ
حرُّ السمومِ بظلٍّ غيرِ ممنون

وحي الظل

يا نخلةً في الجرف أوحى ظلُّها
للرمل والأحجار كيف تَضوُّعُ
سبقْتُ أضالعُنَا إِلَيْكَ عِيُونَنَا
ولقد تطير من الغرام ضلوع
كادت تُضيء بها حجارُ قبابها
تلك البيوت كما تُضيء شموع
تأوي طيورُ البرِّ عند ظلالها
ولها مصيفٌ رائقٌ وربيع

الأعداء الجدد

حاولتَ قبلَ فواتِ الوقتِ أن تجدَا
من يسمع القول لكن لم تجدُ أحدا
والقولُ كالنَّبتِ إن مرَّتْ مواسمُهُ
لم ينتفعْ زارعٌ منه وإن جَهدَا
راحت «أميمة» تبغي مَنْ يُساندُها
ممن تراه إلى أعدائها سندا
ففاجؤوها بمن كانت تظنُّ بهم
نصرُ لها فرأت أعداءها الجُدا
وأفحموها بأحداثٍ مباغتةٍ
وما تلبَّدَ في ساحاتها أمدَا
كانوا يُوارونَ مكرًا تحتَ أغطيةٍ
تمرَّقَتُ وعداً خافياً فبدا
كأنهم وشروءُ الأرضِ تسكنُهم
جسمٌ به كلُّ عضوٍ ساكنٌ بلدا
وحاصروا كل مصباحٍ بزائفةٍ
يكاد يخرقُها خرقاً إذا اتَّقدا

الصراع المختفي

هَاهُمْ يَشْنُونُ الْحُرُوبَ عَلَيْكُمْ
وَلَهُمْ حُرُوبٌ قَبْلَهَا وَحُرُوبٌ
مِنْهَا الَّتِي تَبْدُولُهَا أَثَارَهَا
مَلْمُوسَةً وَالْأَعْظَمُ الْمَحْجُوبُ
وَمُدَّتْ رُبَّنَا وَزَعِ مَشْبُوهَةٌ
مَا فِيهِ مِنْ أَسْلُوبِكُمْ أَسْلُوبُ
وَالنَّافِخُونَ بِطُونَهُمْ وَظُهُورُهُمْ
مَوْطُوءَةٌ وَكَيَانُهُمْ مِنْهُوبُ
مَهْمَا تَرَكَتِ النِّقَائِصُ وَاخْتَفَتْ
بَخْلِيطِهَا فَصِرَاعُهَا مَكْتُوبُ

الخارطة

محاصرٌ أنتَ في شتى حواجزهم
فكيف تفلتُ منهم كيف تَنطَلِقُ
ولا يزال حصارُ الناسِ يضربُهُ
بعضٌ على البعضِ مُدَّ صاروا وما اتَّفَقوا
إذا أطاحوا بجدرانٍ تقوم لهم
أخرى يُنسِّقُها بانٍ لها لَبِق
ويأخذ الشرُّ أشكالا وأخبثها
من يحرقُ الناسَ مسحوراً ويَحْتَرِقُ
إنَّ الجسومَ رسوماتٌ تناقضُها
بِوَاطِنٍ وَالْقَلِيلُ النَّزْرُ مُتَّفَق
يأوونَ تحتَ شعاراتٍ ملفَّقةٍ
ويَدْعَوْنَ أَصَالَاتٍ وما صدقوا
والنهرُ يصنع مجراه ورُبُّهُما
تصفو الميَاهُ ولكن تخبثُ الطرقُ
لو يشربونَ مياهُ البحرِ ما شَرَقُوا
أو يعلكونَ صخورَ الشوكِ ما زَهَقُوا
وواقفونَ على اللاشيءِ تدخلهم
شتى الجهاتِ فضاعوا بعدما سَحِقُوا



بعضُ تهاوى وبعضُ قائمٌ وبِهِ
شبهه انهيارٍ وبعضُ كاد ينزلقُ
صاروا جُسُورًا لمن يأتِي وبعضُهُم
مرابئٌ لغزاةِ الأرضِ أو طُرُقُ
تقاسموا الأرضَ فاهترَّت فرائضُها
من تحتهم فهمُ من فوقها مِرْقُ
تكاد تُومضُ في «الآفاق» خارطةُ
خطوطها من عروق الشَّرقِ تنبثقُ







ملحق

(قصائد نشرت في الصحف
ولم تنشر في الدواوين السابقة)







لا تقولي^(١)

لا تقولي أين فجري
ضاع في عينيك فجري
وتناهى بهواك الـ
عمرُ يا لذة عمري
يا نداءات جراحي
وابتتهالاتي وشعري
وحنييني عندما تع
صفُ أشواقِي بصدري
ملأت عيناك أيا
مي وأحلامي وفكري
أنت في ليالي شموغ
عندما يغرب بدري
وبأعماقي حنين
من سنا عينيك يسري
لا تقولي أين فجري
ضاع في عينيك فجري

(١) نشرت في مجلة الكويت، العدد (٥٠)، ١/ نوفمبر ١٩٦٤م..



ما تشائين فافعلي

ما تشائين فافعلي
حاكمي القلب واغدلي
أملكيه بنظرة
وعلى عرشه اغتالي
عاشق شفق الهوى
مُذنب فيك مُبتلي
لست أدري حبيبتي
هل تريدن مقتلي
دونك العمر كله
أي عمر يلذ لي
أنامن عاش للهوى
إن تجاهلت فاسألني
اسألني عنّي الدُّجى
تعلمي كيف ينجلي
ما تشائين فافعلي
حاكمي القلب واغدلي



لبنان والأزمان المنتهية^(١)

حَدَّثِينَا عَنْ غُصُونِ الْبَرْتَقَالِ
وَعَنِ الْوَرْدِ وَأَفْيَاءِ الدَّوَالِي
وَعَنِ اللَّيْلِ وَأَقْمَارِ الْهَوَى
وَالنَّهَارَاتِ الْفَسِيحَاتِ الظَّلَالِ
وَالسَّوَاقِي حِينَ تَزُو فَرْحًا
مَنْ عَيُونِ مَشْرِقَاتٍ فِي جِبَالِ
وَسَفُوحٍ كَظُهُورٍ سَجَدَتْ
خَاشِعَاتٍ فِي مُحَارِيبِ الْجَمَالِ
يَنْبُتُ الزَّهْرُ بِأَلْوَانِ بَوَالِي
وَالضُّحَى يَغْفُو وَيُصْحَوُ فِي اللَّيَالِي
كَيْفَ حَالُ الْجَبَلِ الزَّاخِرِ فِي
شَبْهِ سَوَاقِينِ خَلَايَا وَسَلَالِ
وَالشَّبَابِيكُ عَلَى تِلْكَ الرَّبَى
وَالْعَصَافِيرُ وَأَلْوَانِ التَّلَالِ
يَتَبَارَى الصَّخْرُ فِي إِشْرَاقِهِ
وَتَخَطَّى كَوْنَهُ فَهُوَ لَأَلِي

(١) نشرت في جريدة الهدف ٢٢/مارس/١٩٧٩.





كادت الافاقُ شوقًا تنحني
لسفوحٍ حملتُ شوقَ الأعالي
فأجابت: ما رأينا ما ترى
ربما كان بأيامٍ خوالي



قف بالمناخ^(١)

من ها هنا باب الكريم
من ها هنا باب النعيم
قف بالمناخ هناك عند
مد داخل السوق القديم
تجد البقايا من ملب
بدة عطاياهم كثوم
يتدفقون كأنهم كنز
يفيخ على العديم
ويعاودون جلاله الـ
إشراق في الزمن البهيم
وكانهم ماء السما
يسيح في عطشى الرميم
يتحركون بكل شيء
يئنبنون على النجوم
ولهم بخور في مجا
لسهم وعلم من عليم
وكانهم صنعوا ربيـ
عالم يس ينبت بالغيوم
يا حبذا تلك الوجو
ه وذكرها عند النديم

(١) نشرت في صحيفة الأنباء الكويتية، بتاريخ ١٣ إبريل ١٩٨١، العدد ٢٢٦٣ الصفحة ١٧.



الهادئون وفيهم الـ
حركات خافية الرُسوم
والغافلون وفيهم
فكُرُ تغلغل في الصميم
لا ينظرون إلى الصغى
ر ويطمحون إلى العظيم
ويُقَصِّرون من الحديد
ث وعندهم شتى الفُهوم
متواضعون ومأْكُهم
عَالٍ وحمَّالوهموم
فكأنهم صنعوا من الـ
زُيَّحانِ أو ماءِ الكُروم
فاضوا على الدنيا كما
فاض النعيم على الجحيم
قد ثَقَّفُوا ريحَ البحا
رِ ورَوَّضُوا حَرَّ السَّمُومِ
قف بالمنأخ فإنه
مأوى لبَحَّارِ حَكِيمِ
قد كان يبحث عن محـا
رِ البحرِ في خَطَفَاتِ «بُومِ»
وسفائن ألواخها
محبوكة حَبُّكَ الجُسُومِ
يُبْرُقَنَّ بين الماء والـ
أفـاقِ كالحَيِّ المقيمِ





في مدائن عمر بن الفارض^(١) (تقول عيونها)

تقولُ عيونها ما لا تقولُ
وأسمعُ صمتها لمّا يطولُ
تقول عيونها من غير قولٍ
وفي حركاتها قالٌ وقيل
إذا خفت الكلامُ بها استحالتُ
رسوماً في نواحيها تجول
رسوّمٌ مثلما اقتربتُ سماءُ
تريني الأرض من تحتي تميل
إذا سكنتُ ترنّمتِ الخفايا
وتهدأُ والهوى فيها عَجول
لها صوتان من شفةٍ وجسمٍ
كأن دماءَهُ النشوى هديل
وليس لكلّ حاجاتٍ كلامُ
يفسرُها إذا اتضح الدليل
كأن بريقَ عينيها حديثُ
ففي نظراتها قولٌ جميل
ويأتي صوتها فكأنَّ نهرًا
يُرْنهما ويسمعها الغليل

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٢/٧/٤.





يُرْنَحْنِي هَدِيلٌ مِنْ حِرَاكِ
تَوَلَّاهَا كَمَا اهْتَزَّ الْأَصِيلُ
فِيَارْجُ عَنِبرٌ وَيَفْوُحُ مَسْكُ
وَرِيحَانٌ وَيَدْفُقُ زَنْجَبِيلُ
تَجْمَعُ كُلُّ عَطْرِ فِي شَذَاهَا
وَلَيْسَ لِعَطْرِهَا أَبَدًا مَثِيلُ
يَمِيلُ لَهَا الْهَوَى مِنْ حَيْثُ مَالَتْ
وَتَقْفُوها النِّوَازِعُ وَالْمَيُولُ
إِذَا سَمِعَتْ حَدِيثَ الْعَشِقِ أَصْغَتْ
وَمَالَ بِهَا نِعَاسٌ أَوْ خُمُولُ
وَتَعَجَّبُ مِنْ ذَهُولِي وَهُوَ مِنْهَا
كَذَاكَ بِهَا لِحَالَاتِي ذُهُولُ
تَجَاوَزَ عَشْقُهَا الْإِحْسَاسَ حَتَّى
لَتَعْجَزَ أَنْ تَوَارِيهَا السُّدُولُ
وَتَتْرَكَ ظِلَّهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ
رَأَيْنَاهُ وَطَيْفًا لَا يَزُولُ
وَإِنْ فَكَّرتُ فِيهَا خِلْتُ أَنِّي
أَرَاهَا أَوْ تَرَاءَى الْمُسْتَحِيلُ
لَهَا أَبَدًا حُضُورٌ حِينَ تَنَائِي
وَتَأْتِي مِثْلَمَا نَضَجْتُ حَقُولُ





في مدائن عمر بن الفارض^(١) (كأن وجوههم)

كأن وجوههم بُقِيَا طلولٍ
فديماتٌ تسَلُّ في المآقِ
وقد سلكوا دروبًا كالحاتٍ
تعوقُ الماكثينَ عن اللّحاقِ
وما اختلفوا ولكن صَنَّفَتْهُمْ
خلائِقُهُمْ وحوالاتُ بواقِ

☆☆☆☆

وقد تجفُّ قلوبٌ في أضالعِها
كما تجفُّ بأعصانٍ عناقيدُ
وقد يُحاصرُ نهرٌ في سواحلهِ
وينزوي فسواقِيه أخايدُ
والأرضُ كالنّاسِ بعضُ رحمةٍ فُتحتُ
وبعضُهم يابسُ الأنحاءِ مسدودُ
أنهارُك الزُّرقُ ما رَوَتْ مُحوَلَتهم
يا أرض فانبتقت أنهارك السود

☆☆☆☆

(١) نشرت في صحيفة الأنباء، ١٠/١٠/١٩٨٢.





تَكَادُ بِهِ الْأَعْضَاءُ تَرْفُضُ بَعْضَهَا
وَيَنْفَرُ مِنْهُ صَالِبُهُ حِينَ يَنْسَبُ
عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ اسْتِقَامَ وَبِعُضُّهُ
يُنَاقِضُ بَعْضًا مِثْلَمَا أَعْوَجُ أَحَدُ
لَقَدْ دَبَّ فِي أَعْرَاقِهِ الْوَهْنُ مِثْلَمَا
تَجَاوَزَ أَقْصَى الْعَمْرِ كَهْفٌ وَغِيهَبٌ
أَرَادَ قِيَامًا فَانْحَنَى فِيهِ كَاهِلٌ
وَزَهَرَ أَبَى أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَنْكَبٌ





من خرائط البرق^(١)

يا صامتًا وحناياهُ ملبَّدةً
كأنها لم تجد في حجمها زخماً
طوباك أنك أجراسٌ معلقةٌ
أمام عاصفةٍ إن لم تكن قِمماً
تكادُ تقدحُ فيك الخافياتُ كما
لو كنتِ تختزنُ النيرانَ والجِماً
ما أعظمَ الغضبَ المكبوتَ مُتَّقداً
والفكرَ ملتزماً والصَّمتَ مُحْتدماً
كأنما أنتَ أفقٌ لخارطةٍ
تظلُّ تزحفُ زحفًا يشبه الحُلماً
تطيحُ بالشجرِ الذاوي الذي عتقتُ
جذوره، وتهزُّ الليلَ والظُّلماً
الخاوياتُ إذا استنطقت صامتَها
والنافخاتُ بطوناً تشبه الورماً



إلى الآن لم تبرحُ مضيئي الملامحِ
وما زالت زخاراً بشتى الصَّوارجِ
تداخلك الانسان من حيث ينتمي
لخارطةٍ فيه ولوح لوائحِ

(١) نشرت في جريدة الأنباء، ٢٠/٢/١٩٨٣.





تطائر من صدر كأن عظامه
شموغ تدلت من دم وجوارح
وحاولت ألا تقتدي بدوافع
[.....]^(١)
وأن تهتدي كالآخرين بعتمة
لهم نحتها بطش الطيور الجوارح
ولم ينظروا ما يختبي تحت صامت
وما يغتلي تحت السكون المراح
وهيهات لا تقوى اقتداء بآخر
سواك له شتى الوجوه الكوالح
يشم هوأه من أنوف معارة
ويلبث فيهم دهره لم يبارح
ملامحه مشتقة من حجارة
وفيه انهيار وهو في زئ جامح
مكثت وإياهم هوى ينكرونه
كأنك مأوى عالم غير واضح
فيا هائماً لم يلق في الأرض وجهة
سوى حزنه يا حاضراً شبه نازح
لئن أجهضوا أيامك البكر، أنهم
لمن قبلها كانوا قروناً لِناطح
ولولاهم لم يفقد الأرض شكله
ولا سقطت أوراقه كالشرائح

(١) عجز البيت مطموس من الأصل، ولم نستطع الحصول على نسخة أخرى من الجريدة.





وقد عيست أغصانهُ فكأنها
رقابٌ عليها من حديدِ الصِّفائِحِ
ولولاهمُّ لم يحترقْ جذعُ نخلةٍ
لها سُعْفٌ قد كان مثل المِراوِحِ
كأن جذوعَ النخل حين تشقَّقَتْ
خِفافَ جمالٍ أو ظهورِ تماسِحِ





في مدائن عمر بن الفارض^(١) (عجبت لها)

- ١ -

عجبتُ لها من رمليةٍ وهي سُكَّرُ
وبحرٌ تصبُّ الأرضُ فيه وتزخرُ

☆☆☆☆

كمن أخذتُ عنه اهتزازاتٍ موجهٍ
وحالاته من حيثُ يعطي ويُكثِرُ

☆☆☆☆

لئن حاصروها بالحديد فإنه
لمن بعضٍ ما فيها الذي هو أكبرُ

☆☆☆☆

وقاك الهوى إنَّ الهوى يضعفُ الهوى
على الجهل. بنس العاشق المتهورُ

- ٢ -

لك الله من أشراقة في الغياهِبِ
وبحرٌ عليه من هواها المحاربِ

☆☆☆☆

(١) نشرت في صحيفة الأنباء، الخميس ١٦/١/١٩٨٣.





أَعَادَتْ لَنَا مَا قَدْ مَضَى مِنْ خَلَائِقٍ
- لَهَا سِنٌّ مَكْتُوبَةٌ - وَمَنَاقِبِ

☆☆☆☆

كَأَنَّ عَطَاءَ الْأَرْضِ بَعْضُ عَطَائِهِمْ
وَفِيهَا الَّذِي مَا فِيهِمْ مِنْ مَوَاهِبِ

☆☆☆☆

لَهُمْ مِنْهُمْ مَا يَاقْتَدِرُونَ بِوَحْيِهِ
وَفِيهِمْ مَسِيرَاتُ الْقُرُونِ الذَّوَاهِبِ





الأصفار^(١)

ها أنتَ مثلُ جدارِ الطينِ تنهارُ
وكنْتَ تنفخُ، إنْ النفخَ غرارُ
والبسوكِ ثياباً من زخارفهم
ومططوكَ بها من حيث تختار
والشرّ يسقط في شرٍّ يشابههُ
إن لم يكن لدعاة الخيرِ أنصار
والبازُ يسكن أفاقاً ومربأً
وللتماسيحِ أدغالٌ وأهوار
يا أصغرَ الناسِ مقداراً إذا اختبروا
وكلُّ شيءٍ له حجمٌ ومقدار
مسّمرونَ علّ الألواحِ راجفةً
قلوبُهم مثلما تهتزُّ أشجار
لولا تناسقُهم في الناسِ ما سكنوا
فيهم. ولكنهم ناسٌ وأصفار
لذاك ينكرهم حسٌّ وعاطفةً
وتزديدهم مضامينٌ وأفكار

(١) نشرت في صحيفة الهدف بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٨١، وصحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/٨/٣٠.





مَغْلُونٌ وَإِنْ كَانُوا قَدْ اجْتَمَعُوا
وَرَاسِبُونَ وَإِنْ عَلَوْا وَإِنْ طَارُوا
كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تَأْبَى أَنْ يَكُونَ لَهُمْ
بِهَا مَكَانٌ وَلَا يَرْضَاهُمْ جَارٌ





الوجود المخفية^(١)

قد فاجأوكُم بأحداثٍ وأشياءٍ
لم تبلغوها. وفضُّوا كلَّ عذراءٍ
وحاصروا الأرضَ وارتادوا مجاهلها
والبحرَ حتى استباحوا كلَّ ميناءٍ
وصَيَّروا الأفقَ سطحًا يهبطون بهِ
وينبضون بانحاءٍ وأنحاءٍ
كانوا يعدون أسبابًا وحاصرُكم
دمٌ ترؤُّضٌ حتى صار كالماءِ
وشوَّهوا الزمنَ الماضي وأحسَّبه
جسمًا توقَّفَ إلا بعضَ أعضاء
وإنما الناسُ ماضٍ فيه حاضِرُهُمْ
وفيه ما فيه من صوتٍ وأصداءٍ
ما قامتِ الدولُ الكبرى ولا انتشرتْ
إلا كخارطةٍ في ذهنِ بَنَاءٍ
أن يغصبوا حارةً كانت لعائشةٍ
مأوى هواها وهَدَّوْا بيتَ أسماءٍ
فإنها حالةٌ رثت وجَدَّها
تقاربُ الشرِّ من دانٍ ومن ناءٍ

(١) نشرت في صحيفة الأنباء، ٢٩/١١/١٩٨٣.





كَأَنَّهُمْ قَدْ تَمَطُّوا فِي حَرِاشِهِمْ
كَمَا تَمَدُّ جَسُورٌ عَبْرَ أَرْجَاءِ
إِنَّا لَفِي زَمَنِ يَبْغِي الْقَوِي بِهِ
عَلَى الضَّعِيفِ وَيَأْتِي كُلَّ فَحْشَاءِ
يَجِدُّونَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَخْرَفِهَا
بِمَا يُوَافِقُ مِنْ حَالَاتٍ حَمَقَاءِ
رَثَّتْ وَسَائِلُهَا الْأُولَى فَجَدَّدَهَا
تَشَابَهُ بَيْنَ آرَاءِ وَأَرَاءِ
كَأَنَّهُمْ هَجَعُوا فِيكُمْ وَأَيَّظَهُمْ
دُوِيٌّ زَحَفٍ تَوَارَى خَلْفَ أَضْوَاءِ
أَوْ أَنْكُمْ قَبْلَ هَذَا الْغَزْوِ دَاهِمَكُمْ
تَنَاقَضُ فِي دِمَاءٍ ذَاتِ أَجْوَاءِ
وَقَلْتُمْ الْقُدُسُ ضَاعَتْ قَلْتُ مَا بَرَحْتُ
خَضِرَاءِ ذَاتِ بَسَاتِينَ وَأَفْيَاءِ
وَلَا تَزَالُ مَنَاخَاتٌ يَجِيءُ لَهَا
غَارٌ مَعَ الصَّبْحِ أَوْ سَارٍ بِظُلُمَاءِ
لَمْ يَدْخُلُوهَا وَلَكِنْ أَصْبَحُوا سَبَبًا
وَحَجَّةً لَصَرَاعَاتٍ وَأَهْوَاءِ
تَمَخَّضَ الشَّرُّ عَنْ شَرِّ يَشَابُهِه
وَالشَّرُّ ذُو أَوْجِهٍ شَتَّى وَأَزْيَاءِ



يا مصر^(١)

ويا (مصرُ) يا (نيلُ) يا (هرمَ الهوى)
ويا أولَ العشق القديمِ المعلّمِ
ويا فكرةً منحوتةً في حجارةٍ
بوادٍ مليٍّ بالشعاعاتِ مُفَعَمِ
نكرتُكِ لا أني أعاني توقّدي
إليك ولا أني أعاني تضرّمي
ولكن طيفًا جاءني منك كلما
أحاول منه مهربًا شدّني دمي
وكيف هروبي من غرام ملاصقي
وكيف انسلاخي من ضلوعي وأعظمي
تَلَبَّثْتُ حينًا ثم قلتُ هواجسُ
تجيءُ لمثلي من مكانٍ مُكْرَمِ
وبيتٌ لليلي نختبي تحت سقفيه
مع الليلِ أو بستانٍ فُلٍّ لمريم
كأن الضُّفا الخضرَ والزرَقَ في الضحى
طحينٌ نجومٍ أو تهاويلُ مرسومِ

(١) نشرت في جريدة الأنباء ١٨/١٢/١٩٨٣ م.



الطلول والحراشف^(١)

قد وافقوه زماناً مثلما خبطت
عمياء قد وافقت أحلامها السُّبُل
يحيدُ عنها الذي أضلَّه قيسُ
يميل عن عوجٍ فيها فيعتدل
يظلُّ يقدح قدحاً وهو ملتبسُ
ويسكنُ الناسَ منه روحه الثمل
يا فطرةً خمدتُ فيها مواهبها
فلا طموح ولا فِكْر ولا مُثُل
ولا حادثةً أشياء تُجدِّدها
وقد تجددتِ الأشياء والعلل
تنقَّلَ النجمُ في أقصى سماوته
فما الذي يبتغيه حين ينتقل
وغادرتُ بذرةً أحشاء قشرتها
واستبدلتُ حالةً أخرى لها بدل
والرملُ وهو غثاء البحر أكثره
ملحٌ وعصفٌ هجيرٍ كاد يشتعل
تجاوزت شكلها الموروث تربته
كما تجاوزها العبير والأثل

(١) نشرت في صحيفة الأنباء، ٢٢/٣/١٩٨٤.





أَرْضُ تَزِيحٍ دِيَا جِيهَا وَسَاكِنَهَا
وَيَمَكْتُ النَّاسُ فِيهَا مِثْلَمَا جَبَلُوا
دَكْتُ طُلُوعَ مِبَانِيهَا وَمَا بَرَحْتُ
فِيهَا حَرَا شَفُهَا الْأُولَى كَمَا الطَّلَلُ
وَاسْتَيْقِظَ الْوَحْشُ فِيهَا بَعْدَمَا اهْتَرَأْتُ
أَعْضَاؤُهُ وَاحْتَوَى تَارِيخَهَا الشُّلْلُ
لَمْ يَبْقَ فِي شَدَقِهَا نَابٌ فَوَافَقَهَا
عَصْرُ تَجَارَاتِهِ الْأَنْيَابُ وَالْفِيلُ





من كتاب الأصوات والايقاعات^(١)

(١)

وآخرين أراهم ينفخون كمن
صارت صدورهم ناراً على حطبٍ
لا يستحون إذا قالوا وإن سكتوا
صارت وجوههم صفراً من الغضب
تداخلتهم وجوه غير أوجههم
وأعين وقلوب ذات منقلب
عانيتهم ربع قرنٍ وارتضيت بأن
ألقي الغنيمة بعد الجهد بالهرب

(٢)

إن تخليت فإني مثل خالٍ
وقد تُنسى الليالي بالليالي
ليتنى أجمع ما بين الهوى
وحبيب من شموخ وجمال
وتخطينا بيوتاً غُلقت
ودرواً مُوثقات بحبال
حجبوها عن هواها فَعَدَتْ
في حجابٍ وهواها في عقال

(١) نشرت في جريدة الأنباء ١٩٨٤/٤/٨.





عجزوا أن يمسكوا الصقرَ لذا
خدَّعُوهُ بِحَمَامٍ وَغَزَالٍ

(٣)

أرني صديقاً مخلصاً لأُريكَ
ما يتركُ السببُ البعيدُ وشيكاً
وأريكَ كيف الأفقُ قبضةً قابضٍ
والأرضُ تشبه منهجاً مَسْلُوكاً
لِلوَاقِفِينَ عَلَى الْحِيَادِ وَعَشَقَهُم
يُرْقَى سَمَاءً أَوْ يَفْكُكُ صُكُوكاً
هَمَّ عَلَّمُونِي الْعَشْقَ حَتَّى لَمْ أَكُ
أَهْوَى عَلَى الْحَبِّ الْقَدِيمِ شَرِيكَ
يَا مَنْزَلاً عَبْرَ السَّوَاهِلِ لَمْ أَزَلْ
أَهْوَى هَوَاكَ وَلَمْ أَزَلْ أَرْجُوكَ





الأخشاب الأولى^(١)

سُقِيَتْ هَوَاجِرُهَا الَّتِي نَهَاها
القَافِزَاتُ بِجَمْرِهِنَّ دُجَاهَا
الْبَارِدَاتُ ظِلَالِهِنَّ وَهِنَّ مِنْ
عَطَشٍ تَجَاوَزَ حَدَّهُ فَسَقَاهَا
وَالنَافِخَاتُ بِعَالَمٍ مِنْ صَخْرَةٍ
حَتَّى اسْتَوَى فُطْغَى وَجْنٍ وَتَاهَا
وَإِذَا هُمْ احْتَشَدُوا فَلَمْ تَبْرَحْ بِهِمْ
فَتْنٌ تَهَزُّ الْأَرْضُ مِنْ أَقْصَاهَا
يَا رَمْلَةً يَتْلُو عَلَيْنَا ذِكْرَهَا
نَبَأَ الرِّمَالِ وَمَا يَضُمُّ ثَرَاهَا
مَا مُؤْمِنٌ يُوْذِي أَخَاهُ بِمُؤْمِنٍ
أَبَدًا وَلَكِنْ حَالَةٌ نَحْيَاهَا
هُوَ عَالَمٌ قَرَأُوهُ ثُمَّ اسْتَنْفَرُوا
فِيهِ الْحُرُوبَ وَغَرَّرُوا قَتْلَاهَا
وَتَجَاوَزُوا فِيهِ إِشَارَاتٍ لَهَا
كَلِمَاتُهَا وَدَوِيُّهَا وَصَدَاهَا
مِنْ ذَائِبِينَ مَعَ السَّيُولِ كَأَنَّهُمْ
مِنْ تَحْتِهَا أَثْقَالُهَا وَغَثَاها

(١) نشرت في جريدة الأنباء، ١٤/٨/١٩٨٤.





أَوْ مَدْعِينَ وَرَاثَةً لِرِسَالَةٍ
جَاءَتْ وَدَسَّاهَا الَّذِي دَسَّاهَا
عَفْنٌ إِلَى عَفْنٍ يُضَافُ لِيَحْتَوِيَ
أَرْضُهَا لَهَا أَحْلَامُهَا وَهَدَاهَا
كَسَرُوا مَنَابِرَهَا الْقَدِيمَةَ وَادَّعَوْا
أَخْشَابَهَا الْأُولَى وَمِنْ سَوَّاهَا





سويغات مع دجلة^(١)

يُحَدِّثُنِي طَيْرُهُ الْأَخْضَرُ
وَيَرْسُمُ لِي أَفْقَهُ الْقَمَرُ
وَدَجَلَةٌ بَيْنَ حَقُولِ الضُّفَافِ
وَبَيْنَ الْمَسَاءِ هَوًى يَعْبُرُ
وَمَتَكاً يَسْتَرِيحُ الْغَرِيبُ
عَلَيْهِ وَيَشْعُرُ مَا يَشْعُرُ
أَوَيْتَ لِنَخْلٍ عَلَى جَرْفِهِ
وَنَاعُورَةٍ قَرَبْنَا تَهْذُرُ
كَأَنَّ بَأَخْشَابَهَا أَضْلَعًا
تَبْتُ الْأَحَادِيثَ أَوْ تَسْمُرُ
كَأَنَّ الدَّلَاءَ بِدَوَارَتِهَا
وَتِلْكَ السَّوَاقِي بَدَتْ تَزْخُرُ
جَيُوبٌ مِنَ الْمَاءِ مَفْتُوحَةٌ
عَلَى الْأَرْضِ تَنْثُرُ مَا تَنْثُرُ
كَأَنَّ عَنَاصِرَ هَذَا الْوُجُودِ
لَهْنَ عَيُونٌ بِهَا تَنْظُرُ
وَلَوْلَا تَخَبُّطُ هَذَا الزَّمَانِ
لَمَا عَمِلَ النَّاسُ أَوْ فَكَّرُوا

(١) نشرت في جريدة الأنباء بتاريخ ١٩٨٤/٩/٤.





لَسَوْفَ تَحَارِبُ حَتَّى الْجِبَالُ
وَحَتَّى الشَّوَاطِئُ وَالْأَنْهَارُ
هِيَ النَّارُ أَنْ أُطْفِئَتْ لَمْ تَزَلْ
بَعِيدَانِهَا عِنْدَمَا تَنْكَسِرُ
كَأَنَّ خَرِيطَةً مَاءٍ عَلَى
لَهَاءِ الرَّمَالِ بَدَتْ تَظْهَرُ
يَتَرَجَّمُهَا قَارِئُ الْبُرُوقِ
يَخَالُ السَّمَاءَ مَتَى تَمْطُرُ



من أبناء الوادي القديم^(١)

(١)

خليلي في الوادي القديم لأنتما
دروغ له بل عِدَّةٌ وَعَتَادُ
لئن كنتما قد تُرتما فلطالما
ولا تنسيا أن الصراع يُراد
لئن هدموا بيتًا لليلي فقبلها
بكت دارها في الرقتين سعاد
تخلَّلَ هذا الناسَ ناسٌ شبيهةٌ
يكرُّ في أنماطه ويُعاد
لئن فقدتُ نقشًا صخور فإنها
تماسك فيها هيكل وعماد
إذا عزفت تلك النواعير حولها
تحرك فيها موسمٌ وحصاد
خليلي في وادي البلابل إننا
نكاد نلاقي دربنا ويكاد
ولكننا كلُّ له هاجسائه
وكلُّ له مقصورةٌ وبلاد

(١) نشرت في صحيفة الأنباء، ١٧/٢/١٩٨٥.



(٢)

ومرّت ذئابٌ من هنا تبتغي لها
طعامًا.. ومرّ العابرُ المتعثرُ
كأن بياض الملح أبواب فضّة
وصفرة ذاك الرمل كنزٌ مبعثرُ
وليست هي الأشياء بل ما وراءها
نقائضها في جوفها تتبلور
ويستوعب الصبرُ المفكرُ شأوه
فيبسط رأيًا أو يثور فيعذر
ولو رضيت (أسماء) بالأرض وحدها
لعاشت بما يعطيه نحلٌ وزعتر

(٣)

وما برحوا أبناء حربٍ تدربوا
على خوضها واستشرفوا كل جانبٍ
وما قرأوا ما يقرأ الناس إنما
قراءاتهم ما مارسوا من تجارب
لهم منهم ما يقتدون بوحيه
وفيهم مسيرات القرون الذواهب
وقد خرجوا من كل ليلٍ كأنما
عليهم بقايا من لهات الكواكب
بهم صورةٌ مشتقةٌ من سواحلٍ
وفيهم رسوم الأرض ذات السبابس
كأن نقوش الصخر أثارُ قادم
من الغيب أو بقيات حروفٍ لكاتب



مصر.. والحلم الكبير^(١)

ومصر لم تزل نيلًا وشِعرا
وأحلامًا تمور بما تمور
هي الشرق القديم وما توارى
به وهَيَّ الجنائن والعبير
كان جبالها اشداء صدر
كبير والهوى أبدًا كبير
كان صخورها كتب عليها
كتابات وأزمان حضور
وقد تتضاءل الأشياء حتى
تغيب ويمكث الأثر المنير
ويا مصر نحبك لا لشيء
سوى ما يستجيش به الشعور
وقد وجد الطريق إليك عشق
وراح يدلُّه شجرٌ وحُور
وأصوات تصاعد من ضفاف
كان صخورها النشوى صدور
تجاوز فيك إنسان مداه
فصار يضيئ ضجًا أو يثور
كانك تُغتَلين وأنبت ورد
ويسرف في تدفقهِ العبير

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٥/١١/٩.





لوحات على الطريق^(١) (تظل تحذفهم)

تظل تحذفهم حذفًا ولا تقفُ
أمام زحفهم من حيث قد زحفوا
زحفًا كأن حديد الأرض يرفدهم
مثل البدور ولكن ليس تنخسف
في (بارق) عوض عن (خالد) وكذا
في (ماهر) ألف (قعقاع) له خلف
يكاد يرشقكم ملح وعوسجُه
من جانب (الفاو) والجناء والسعف
كأن قتلاكُم والطير ينهشها
مقابر حذفها الأرض أو جيف
تعفن البحر من أشلائكم وغدت
ولائمًا فوقها الحيتان تعتكف
وبدلت نكهة الأسماك ريحتها
وكاد ينبت فيها الشعر لا الصدف
يعف عن أكلها من كان ذا شغفٍ
بأكلها وبه عن صيدها قرف
أناكم الموت من شتى مسالكه
والخسف والرجم والتنكيل والتلف

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٦/٣/٢١.





إن كان لا بدّ من حربٍ فما برحتُ
تلك السيوفُ ولم يبرحْ لنا هدف
نسمو به عن حروبِ المارقينَ وما
يدعوله كل دهقانٍ به صلف
يشدُّ من أزره من لا يشابهنا
في محتواه وفي بنيانه زيف
يبدّلُ الناسُ في جلدٍ ولمسه
إلا العروق وما أبقى بها السلف





حوار بين شاعرين^(١)

بعث الشاعر البحريني أحمد محمد آل خليفة هذه الأبيات للشاعر محمد الفايز:

يا مُتَرَعِّعَ الأَقْداحِ من خمرِ الهوى
أو ما رأيتَ على الكؤوسِ رغابي
إنِّي أحسُّ بها تحوُّمَ عليكمُ
وتموُّجُ فوق كؤوسِكُم كُحباب
فأنا بجسمي نازحٌ عن داركمُ
والروحُ ساجدةٌ على الأكواب
هل من صاحبِ الأَمسِ من مُتَذَكِّرٍ
أم صارتِ الأصحابُ غيرَ صاحب
حسبي مِنَ الذكري حنينٌ موجعٌ
أو ما يَرُدُّ الموجعاتِ عتابي

فأجابه الشاعر محمد الفايز بهذه الأبيات:

إن كنتَ تشرُّبُها مع الأصحابِ
فأنا فقيدُ الكأسِ والأحبابِ
وحدي مقيمٌ كالغريب وهكذا
صرنا بهذا الكونِ كالأغراب

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٧/٤/١٩٨٦.





هَمِّي كَهَمَّكَ فِي السَّمَوِّ كَأَنَّا
بِهِمُومِنَا نَسْمُو وَبِالْأَتْعَابِ
فَكَرُّ يَضِيْعُ بِغَابَةِ مَذْوُوبَةٍ
وَهُوَّى يَهِيْمُ بِبَلْقَعٍ وَسَرَابِ
يَا (أَحْمَدَ الْبَحْرَيْنِ) يَا قَنَدِيلَهَا
يَخْتَالُ بَيْنَ مَشَارِفٍ وَقِيَابِ
لَمَّا رَأَيْتُكَ بَعْدَ عَشْرَيْنَ مَضَتْ
مَتَنَقِلًا فِي النَّاسِ كَالْمَرْتَابِ
أَلْفَيْتُكُمْ أَرْضًا بِهَا نَبَتَ الْهَوَى
وَأَحَالَ رَمَلَتَهَا جَنَانٌ تَصَابِ
وَلَعَنْتُ مُنْصَرَفِي وَمِيلِي عَنْكُمْ
وَكَذَا النُّجُومُ بَعِيدَةُ الْأَسْبَابِ
وَأَكَادُ أَنْشَقَكُمْ وَأَنْظَرَكُمْ عَلَى
بُعْدٍ وَأَسْمَعَكُمْ وَرَاءَ حِجَابِ



يا جارة البان^(١)

أوى إلى الرَّمْل لما أَقْفَرَ الشَّجَرُ
وجفَّ نَهْرٌ حَسِبْنَا سِينَهُمْ
أوى إلى الرَّمْل أو عادت ملامحُه
لوجهه وهْدَاه السَّمْعُ والبَصَرُ
تتوق للنفسِ نفسٌ حين تشبهُهَا
وفي التَّبَايِنِ تَشْتِيَتْ ومنحدر
لولا النسائمُ من نجدٍ لما شَخَصَتْ
عينٌ لها حاجةٌ تهفو وتنتظر
ذكرتُها فذكرتُ القاطنينَ بها
والأَرْضُ ساكنها لا النبتُ والثمر
أكاد أسمعُ أصواتًا تُحاورني
فيها وينشدني من شِعْرِهِ عمر
قالوا الرياحُ ستمحو كلَّ خارطةٍ
على الرمالِ ولم يبرحْ بها الأثر
إذا انتهى أُنْفُهَا من قوله نطقَتْ
فيها مفاوِزُهَا أو سبَّحَ الحجر
قالوا (الرياض) فقلتُ النورُ ثَانِيَةً
يعودُ للأَرْضِ وهي السَّنْدُسُ العطر

(١) الرياض - الخميس ١٦ جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ / ٤ فبراير ١٩٨٨.



بنيانها الدين والتقوى يمدُّهما
علمُ الكتابِ وما جاءت به السير
وما تَضُمَّنَ كُتُبَانُ مَبَارَكَةٌ
والساحلانِ اللذانِ فيهما العبر
أولى العواصمِ أولى القبلتين لها
كالشمس يقبس منها النجم والقمر
جاراتها القِيبُ الأولى ومنشؤها
(فهو الفهود) و(عبدالله) والظفر
والمشرقون وجُوهًا حين تنظرهم
والطاهرون نفوسًا حين تختبر
قد رَوَّضُوا الريحَ حتى لا تمرَّ بهم
إلا رخاءً وكانت قبلُ تستعر
والأرض من جسدٍ بعضُ أسافله
والبعضُ هامته السماء والغُرر
نرا جبالٍ أناخت في حمولتها
وجنَّة تحتها الأنهار تنفجر
أسالَ كلَّ لعابٍ تحت ألسنةٍ
ونَزَّقَ الوحشَ حتى كاد ينتحر
وحشٌ تعمَّم، ما أقسى الوحوش إذا
تعمَّمَتْ فهي لا وحشٌ ولا بشر
رأت منازلَ (سلمى) أشرقَتْ وربَّتْ
أرضُ حجارُتها الياقوتُ والدُّرر
كأنها أوعزت للناس في لغةٍ
أخرى تُخاطبهم آياتها الصور





أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَرْضٍ مَقْدَسَةٍ
فِي ظِلِّهَا الْبَيْتُ وَالْآيَاتُ وَالسُّور
يَهْفُوا لَهَا النَّاسُ مِنْ شَتَى مَسَالِكِهِمْ
حَتَّى تَلَاقُوا عَلَى وَعْدٍ وَمَا شَعَرُوا
يَا حَارَةَ الْبَابِ بَلْ يَا خِيَمَةً رَسَخْتُ
أَطْنَابُهَا وَرَسْتُ أَوْتَادُهَا الْآخِر
لَأَنْتِ أَرْفَعُ مِنْ أَطْمَاعٍ مِنْ غَدْرُوا
وَأَنْتِ أَكْبَرُ مِنْ أَحْلَامٍ مِنْ صَغَرُوا
وَأَنْتِ أَقْوَى عَلَى كِبَحِ الْأَلَى جَمَحُوا
وَأَنْتِ أَرْشَدُهُمْ فِكْرًا لَوْ اعْتَبَرُوا
كَمْ حَاولُوا أَنْ يَهْزُوا مِنْكَ يَا قَمَمًا
تَوَطَّدَتْ وَيَنَالُوا مِنْكَ فَانْدَحَرُوا
هَنَّاكَ أَثَارَكَ الْأُولَى وَمَا تَرَكْتُ
عِزَائِمُ كَجُذُورٍ فَيْكَ تَنْتَشِرُ
وَمِنْ هُنَا الْهَمُّ الْآخَرَى الَّتِي فَتَحْتُ
بَوَابَةَ الْبَيْدِ فَتَحًا فَهِيَ تَزْدَهَرُ
نَمُودُجُ أَنْتِ لِلْفِكْرِ الَّذِي انْطَلَقْتُ
مِنْهُ الْحَيَاةُ وَحَقٌّ سَوْفَ يَنْتَصِرُ



قصائد للفاو^(١)

صاروا لكل الناس كالأضداد
مما يجيش بهم من الأحقاد
الحاملون رواسب الزمن الذي
جاؤوا وإياه على ميعاد
والمجهضون كأنما أصنامهم
عادت بهم وزاحف الاجداد
أشلائهم في الفاو غطت ملحاً
وذئابهم تعوي وراء الوادي
يبست دماؤهم على أجسادهم
فكأنهم ماتوا بلا أجساد
أنفت جياغ الطير أكل مواتهم
فتظل للأحياء بالمرصاد
من عهد سعد والدمار يعمهم
وثيابهم أبداً ثياب حداد
والشر يقتل نفسه في نفسه
أبداً وتبقى الأرض للرواد
رجعت شرور الغاب في دعواهم
إن الحروب طريق كل جهاد

(١) نشرت في جريدة القادسية العراقية، ١٩٨٨/٦/٣.



ليس الذي يبني كمن هو هادم
شئان بين ضلالة ورشاد
والسلم لم يبرح صراط مفكر
أبدًا يقود وليس بالمنقاد
ولذاك قيل بأن عفة عالم
تبقى وتذهب نزوة الأحقاد



ماذا أحدثكم عن الأشرار
والمختفين وراء كل ستار
صاروا وسيلة من راهم حجة
للغزو وانجرفوا مع التيارات
من كل مهترئ يلوذ بمثله
كممزق يلتف في أطمار
يقتاده فكر تعفن مثله
إلا الذي مازال كالأثار
يا بئس ما ورثوا وما اعتنقوا وما
يتبجحون به من الأفكار
رفضوا السلام وعادتهم نوبة
للنار أو ورثوا عذاب النار
جبلوا الدمار لأهلهم وديارهم
وكذا الفجور يحقق بالفجار
يا نخلة في الفوا أحنى جذعها
رجم وكانت حلوة الأثمار





ما كنتُ أحسبُ مُذْ غَدوتِ متارسًا
أن النخيلَ يثورُ كالثَّوَرِ
أليافها كفتائلٍ.. وعذوقُها
كمقابسٍ والجذعُ عود شرار
يا غابةَ الحناءِ تقطف «زينب»
منها وفيها منزلُ «لنوار»
سنرى بك الأعراسَ ثانيةً وإن
كبره الغزاةُ وموسم الأشجار
هم حاصرون ففضَّ سورُ حصارهم
شوق إليك يفضُّ كل حصار
فتخَّ فتَّتحتِ الأمانى مرّة
أخرى به في ليلةٍ ونهار
والأرضُ يسأل بعضُها عن بعضِها
وتحنُّ أقطارُ إلى أقطار

☆☆☆☆

عادوا إلى النار لكن لم تكنُ حطبًا
بل من جُسومٍ لهم تُلقَى بِاتونٍ
لم تبقَ نيرانُهم منهم سوى طبقٍ
من الرمادِ وإلا نفخ ملعون
يظل ينفخُ فيها وهي خامدةٌ
على مواقدها نفخَ الشعابين
تَرصَّدوا جانبَ الافاقِ وانتبذوا
من جانبِ الأرضِ بيتَ الخسفِ والهون





ثم استعاروا جناح النّسر لو ملّكوا
دم النّسور وأخلاق الشّواهين
متى ستصحو جبال في سواحلها
ورملة تتلظى كالبراكين
كأنها شعلّة في كفّ قابسها
أو أنها جسد ينزو بماعون
والنّائمون يظلّ خلفه شبّح
يكاد ينقّض بين الحين والحين





أغنية إلى الرحاب الزرق^(١)

رَبَّاهُ يَا رَبَّ السَّمَاءِ إِنِّي سئِمتُ هنا بقائِي
النُّورُ ملءُ الأرضِ لكنِّي أَعِيشُ بلا ضياءِ
ظمائي على شفّتي يصيحُ يَضْجُ دوماً بالنداءِ
وكأبّتي سحْبٌ بلا مطرٍ وليل من عماءِ
مات الشباب بأضلعي وذوى على شفّتي غنائِي
أعراسُ حبي في الدُّجى دُفِنَتْ وفجري في انطفاءِ
حتى الهوى ماتت ليالِيه وافراحُ اللقاءِ
عشرونَ عاماً كلّها ضاعت هباءً في هباءِ
أشباحُ ليلي لا تزال ولم يزل ليلُ الشقاءِ
ما قيمتي أنا أن بقيت بلا مُنى وبلا هناءِ
أعطيتني قلباً يحسّ وصغت روعي من ذُكَا
وملأت أعصابي لهيباً قد تغلغل في دمائي
ورميتني في عالم هيهات يفهم ما ورائي
هيهات يفهم ما أحسُّ وما توارى في ردائي
شِلُّوا أنا بيد العذاب ومضغةً بفم الفناءِ
وحقيقة حرقت وغطاها الرماد على غطاءِ
رَبَّاهُ هل وجد الوجودُ لكي يقوم على غباءِ؟

(١) نشرت في مجلة الرسالة ص ١٥ (لا يوجد تاريخ).





أَتَفْوَحُ رَائِحَةَ الْحَقُولِ لِكُلِّ خَنْزِيرٍ مُرَاءٍ
وَالْكَأْسُ هَلْ وَجَدْتُ لِتَشْرِبَهَا الْأَفْعَايُ فِي الْخَفَاءِ؟
وَالْأَرْضُ هَلْ بُسِطَتْ لِيَسْلُكَهَا اللَّصُوصُ إِلَى الْعِلَاءِ؟
الْقَمْحُ مَلَأَ الْأَرْضَ لَكِنَّ الْكَثِيرَ بِلَا غِذَاءٍ
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ لَهُمْ حَرْبٌ وَرِيحٌ مِنْ عِدَاءٍ
قَدْ شَوَّهُوا الْأَرْضَ الْجَمِيلَةَ بِالظَّلَامِ وَالرَّيَاءِ
الْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ مَاتُوا فَيَا لِلْأَنْبِيَاءِ
أَيَعُودُ «عَيْسَى» آخِرُ لَيْرَى «الصَّلِيبَ» بِلَا ذِرَاءِ
و«مَحْمَدٌ» أَيَعُودُ ثَانِيَةً «لِلْكَةِ» أَوْ «حِرَاءِ»
مَاتَتْ قَنَادِيلُ الظَّلَامِ فَيَا لِأَرْضِكَ مِنْ وَبَاءِ
كَهْفٍ دَجَوَجِي الظَّلَامِ وَبِئْسَ مِنْ أَدْعِيَاءِ
الشَّارِبِينَ دَمَ الْحَيَاةِ الْمَبْتَلِينَ بِكُلِّ دَاءِ
وَالرَّاكِضِينَ وَرَاءَ أَشْبَاحِ الدَّعَارَةِ وَالزَّنَاءِ
أَسْفِي عَلَى شَمْسٍ تَطُلُّ عَلَى كَهُوفٍ مِنْ رِقَاءِ
أَسْفِي عَلَى قَمَرٍ يَطُلُّ عَلَى الْمَقَابِرِ وَالشُّقَاءِ
أَسْفِي عَلَى مَعْنَى الْحَيَاةِ يَضِيعُ فِي التِّيهِ الْعِرَاءِ
رَبِّاهُ أَرْضُكَ هَلْ تَظَلُّ كَذَا هِرَاءٍ فِي هُرَاءِ
أَنْهَايَةِ الدُّنْيَا هُنَا؟ أَحْقِيقَةُ بَعْدَ الْفَنَاءِ؟
أَتَظَلُّ هَذِي الْأَرْضُ مَجْزَرَةُ الضَّعَافِ الْأَبْرِيَاءِ؟
خُذْنِي لِعَالَمِكَ الْفَسِيحِ لِكِي أَرَى مَا فِي الْخَفَاءِ
خُذْنِي إِلَيْكَ فَرَاشَةً، غَنَّتْ وَمَاتَتْ فِي الْغِنَاءِ
خُذْنِي إِلَيْكَ جَوَانِحًا تَهْفُو لِعَالَمِكَ الْمَضَاءِ





خذني إليك نجيمهً لهثت وذابت في السماء
أمنت فيك برغم ألامي التي ابتزّت هنائي
أمنت فيك وفكرتي استعصت على كفري ودائي
مرضى يمزقني وينتشل الحقيقة من لحائي
ولهيب أعصابي كعاصفة تُعريدُ في فضائي
عالجت إيماني الذبيح بما تبقى من رجاء
وجعلت من قلبي الممرّق شمعةً بدجى غوائي
وسلكتُ درباً كم أود بأن يؤول إلى انتهاء
مزقتُ أعصابي عليه وقد نثرت به دمائي
ويطول حيث يطول فيه - بلا نهايته - عنائي
سمراء يا لطف الورود ويا ترانيم الصفاء
سمراء يا ليل الهوى والكأس يا حلم الطلاء
سمراء يا شدو الطيور العائدات مع المساء
سمراء يا مرخ الفراشات الجميلة في الفضاء
سمراء يا ضوء النجوم المبحرات مع النقاء
سمراء يا طرب الهوادج حين تسكر في الحدا
يا أغنيات الصيف تسكبها الحناجر في سحاء
يا هدهدات الضوء في الأسحار تراث العطاء
أنا لن أموت أنا هنا أنا قمّة من كبرياء
لا تقنطي أنا إن رقدت ومات في شفتي ندائي
أنا شرفة للنور مشرقة وفجر من وفاء
نشوان ينضح بالعطور وبالجمال وبالبهاء





ما مات من غنّى بمجدِ الأرض نشوانَ الأداء
في أضلعي عشُّ من الأقمار في أبهى فضاء
فإذا فنيْتُ تذكُّري أني سأحيا في فنائي





لوحات على الطريق (وسوسة الشيطان)

وسوسة الشيطان ما وسوسا
واللَّيْلُ في أضلاعه عسعا
فلم يعد ينظر ما حوله
ولا يعي القول كمن أخرسا
إذا رأى كأنه لا يرى
شيئاً ولم يسمع ولن ينبسا
فكيف نشتاقل من أغلقت
أبوابه عنا وإن نأنسا
يا أيها النافخ في جسمه
وروحه تكاد أن تفلسا
ما عدت كالأمس له وحشة
إن غاب أو نهوى له مجلسا
ولا نرى فيك لنا غاية
وشأن من يرجو أن يئسا





لوحات على الطريق (عبيرك الريحان)

عبيرُك الريحانُ مُذْ يَعْبُقُ
له حديثٌ في الهوى شَيِّقُ
إنَّ أحاديثَ الهوى جمَةٌ
أعذبُها الصَّمتُ وما يَنْطِقُ
كم قال لي الثوبُ وغمارةُ
من فوقه تفتح أو تغلق
ونفحةٌ تهبُّ من موضعٍ
أنظره حينًا واستنشيق
تشدّني إليك تسريحةٌ
كأنها من شجرٍ ثورق
ووضع كَفِّيك على حاجةٍ
اسمُها تنبُّضٌ أو تشهق
تجمّعتُ فيكَ الصِّفَاتُ التي
يهفولها العاشقُ مُذْ يَعْشَقُ





لوحات على الطريق (عندي من الأحزان)

عندي من الأحزان ما يكفيني
فدعي همومك جانباً ودعيني
شرُّ الهمومِ همومٌ من لم يلتمس
سبباً لهم ما كنتُ وشجونِ
والأرضُ واسعةُ الجوانبِ إنما
ضاقتُ لضيق خيالك المسجون
وتسكعُ لك في خريطة رُبّة
فيها بقية عالم مدفون
ألفُ المجازر والحروب وتحتّه
كنزٌ يكاد يضيع منذُ قرون
لولا الذين ترين في قسماّتهم
شمساً تطلُّ بأوجهٍ وعيون
سكنوا الجبالَ وبعضُهم بسواحلٍ
تنمو بهم بمواهبٍ وفنون
طاش الزمانُ بغيرهم وأراهم
قد وقّروا من طيشه المجنون





لوحات على الطريق (لكم أوطانكم)

لكم أوطانكم ولي اشتياقي
وهم في رحيل أو تلاقٍ
إذا ودَّعْتُكُمْ ودَّعت خلفي
هوَّى باقٍ وآخر غير باقٍ

☆☆☆☆

لا تطلبي منه شيئاً ليس يملكه
ولا بقاءً على وضعٍ سيهلكه
يراقب الأمر عن بعدٍ فيؤلمه
ما يستشفُّ به أن سوف يدركه
يظلُّ مرتقباً دوماً يحاذره
حيناً وحيناً على بعد يشابكه
حتى غداً كل أن وسط معركةٍ
مع الحياة يعانيتها وتغرُّكه





لوحات على الطريق (تعبت من الأمر)

تعبتُ من الأمر الذي أنت تأمرُ
نطاوَعُهُ سِرًّا وجهراً ونصبرُ
إلى أن أتانا السيلُ من كل خندقٍ
وليس لنا جسرٌ يُؤدي ومعبّر
يقربنا منكم على بعد شَقْنَا
قراءة أيامٍ بدتْ تتغيّر
وموقفٌ حقٌّ قاطنٌ في مشاعرٍ
تضيءُ ضياءً أو تقولُ وتنشر
وما جحدوا منكم مواقفَ صامدٍ
على الهول بل لَجُّوا بغِيٍّ وأدبروا
وصاروا كما شاءت طموحاتُ طامحٍ
ولكنهم ضلُّوا ضلالاً وأقفرُوا
يطلُّونَ من أعلى علينا تشدُّهم
ظهورُ أراها أوشكتُ تتكسّر
أرى كلَّ أنٍ مذهباً يذهبونهُ
وفي كلِّ أنٍ فيلسوفٌ مفكر
ولم يبقَ إلا ما تراه بصيرةً
تشعُّ شعاعاً أو تسيلُ وتُمطر





لوحات على الطريق (ألغت خرائطها الصحراء..)

أَلْغَتْ خَرَائِطُهَا الصَّحْرَاءُ مَذُجَاؤُوا
كَأَنَّهُمْ رَسَمُوهَا كَيْفَمَا شَاؤُوا
وَرَا حَ يَنْفِضُ رَمْلٌ عَنْ كَوَاهِلِهِ
مَا تَحْمِلُ الرِّيحُ أَوْ يَأْتِي بِهِ الْمَاءُ
يَكَادُ أَثْلَهُمْ يُجْتَازُ وَاقِعَهُ
فَالظِّلُّ اسْتَبْرَقَ وَالْعُودُ جِنَاءُ
قَلَّ مَا تَشَاءُ. فَمَا زَالَتْ نَوَازِفُهُمْ
كَأَنَّهَا فِي عُرُوقِ الْأَرْضِ إِسْرَاءُ
لِئَن تَزْحَرْحَ عَنْ بَنِيَانِهِ حَجَرٌ
فَإِنَّهُمْ جَبَلٌ رَأْسٌ وَقَعَسَاءُ
يُرَوِّضُونَ شُرُورَ النَّاسِ فِي خَلْقِ
كَأَنَّهَا سَنَنْ شَتَّى وَأَرَاءُ





لوحات على الطريق (ابك على ظلّ..)

ابك على ظلّ تفاحٍ وليمونٍ
وابك على الورد من قُلٍّ ونسرينِ
ابك على الطير مذبوحًا على شجرٍ
كأن أغصانه أضلاع مسكين
ابك على جنّة ضاعت عهدتكم
كنتم تعيشون فيها كالسلاطين
وباسق من جنان الخلد يحرقها
وحش تنصّل من لطفٍ ومن لين
مُلْكٌ يضيع. كأن الشرق أندلسٍ
تناهبتُها طموحاتُ الشياطين
شرٌّ يلوذُ بشرٍّ. هكذا اجتمعتُ
عناصرُ الغدر في شتى الميادين
لذلك تختزنُ الأفكار طاقَتها
لساعة ليس ذو شرٍّ بمؤمن





لوحات على الطريق (أعاتب)

أُعَاتِبُ لَوْسْتَفْهَمُ مَا الْعَتَابُ
وَلَوْ رَدَّ الَّذِي ضَاعَ الْخَطَابُ
وَحَاوَلْتُ الْجَوَابَ عَلَى كِتَابٍ
بَعَثْتُ بِهِ فَأَعْيَانِي الْجَوَابُ
فَأُضْمِتُ وَالشَّجُونُ لَهَا حَدِيثُ
وَأَسْكُتُ وَالْهَمُومُ لَهَا اصْطِحَابُ
أَعَزِّي النَّفْسَ أَنْكَ لَسْتَ تَدْرِي
بِمَا تَحْوِي الْمَظَاهِرُ وَالْثِيَابُ
وَأَنَّكَ رُبَّمَا صَادَفْتَ كَنْزًا
خَلَوْتَ بِهِ وَفِي كَفِّي السَّرَابُ
وَمَا اخْتَلَفْتُ شَجُونٌ عَنْ شَجُونٍ
وَلَا هَذَا التَّمَرُّقُ وَالْعَذَابُ
سِوَى أَنِّي زَهَبْتُ وَأَنْتَ بَاقٍ
عَلَى جَمْرٍ تَحْفُ بِكَ الذُّنَابُ
تُلَاطِفُهَا وَمَا كَانَتْ لَطَافًا
وَتُطْعِمُهَا وَلَيْسَ بِهَا ثَوَابُ
فَلَوْلَ مِنْ غَثَاءِ السَّيْلِ أَلَقْتُ
بِهَا تِلْكَ الْمَسَالِكُ وَالشَّعَابُ





ولستُ أرى الذي ما لا تراهُ
ولكن ربما ضاع الصوابُ
سنكتبُ ما سنكتبُ عن زمانٍ
حوادثُهُ بها العُجبُ العُجابُ



الحمامة الساهرة

هل تذرفُ الدمعَ عيونُ الحمامِ
وهل تعاني من سهادِ الغرامِ
سمعتُها تئنُّ تحت الدُّجى
كما يئنُّ العاشقُ المستهامِ
أصغي إلى حديثها وهى لا
تدري ولا تسمعُ قولَ الملامِ
كأنها تبكي على غائبٍ
أو منزلٍ كان وأمسى حطامِ
لا يهتدي بصوتِها سامعُ
لها ولا يذهبُ هذا الظلامِ
حاولتُ أن أشكو لها مثلما
تشكو تباريحَ الهوى والهيامِ
لعلَّها تعلمُ علمي بها
لنسهرَ الليلَ معاً أو ننامِ
قلتُ لها لو أنها تهتدي
للقول أو تفهم بعضَ الكلامِ
يا جارةَ الليلِ اسمعي ساهراً
مثلكِ لا يرقدُ إلا لمامِ



عيناكِ لا تخترقان الدُّجى
وجسمك الغضُّ رقيقُ العظام
فهل تُعيريني جناحيك كي
أطيرَ أو أبلغَ بعضَ المرام
في ليلةٍ تجاوزتْ صبحَها
طولاً. وغابَ النجمُ خلفَ الغمام



يا نخلة الجرف

(١)

فارقنُّهم وبودي لو أقاطعهم
لولا الضُّروراتُ ما أقسى الضُّروراتِ
كأنهم مُسخوا لولا ملامحهم
أو أنهم دخلوا في العالم الآتي
تكادُ ترفضهم أرضُ معالمها
تقول ذراتهم ليست كذراتي
يا نخلة الجرف لا نقوى البقاء ولا
تقوينَ أنتِ رحيلاً في مسافاتي
وهَبِكِ جئتِ معي هل أنتِ قادرةٌ
على احتمال ظهيراتي العصيبات

(٢)

وللطيور حكايات وأحزنها
طيرٌ يلوذ بجرفٍ شبه مُنهدم
كأنه ومياه الجرف ترفضه
حوتٌ ترهّل مَثنَاهُ مِنَ الهرم
تقاذرُ السَّعف الهاوي كأجنحةٍ
منقضةٍ أو كأسرابٍ من الرِّخم



ظامي الجذوع كأن النخل أتعبه
وقف منتظر أو صمت متهم
ماذا تقول طيور الجرف؟ لو نطق
لأردفت حكمة من أروع الحكم
إن غص من دافقات الماء صفعها
فإن طائرها قد غص بالنغم





نهمة: كوني على حذر

كوني على حذرٍ منهم ولا تثقي
إلا بما فيك من رأيٍ ومنطلقٍ
مشى على الرمل خطومك فانبثقتُ
منابعُ النور فيه أيُّ مُنبثِقَ
ورؤُصَ الريحَ بحارٍ إليك سرى
تحت الغياهب لا يخشى من الغرق
ولا تزالين أفكارًا تجيء بها
إرادةٌ تتحدَّى حالِكِ الطرق





نهمة: لا تغضبوا البحر

ماذا تريدون من بحرٍ وبَحَّارٍ
به مخاضةٌ ريحٍ ذاتِ إعصارٍ
يكادُ يطلقُها لولا كوارثُها
لو تعلمونَ ولولا حرمةُ الجارِ
وفتنَةٌ وجَدْتُ فيكمُ مواقعَها
فأوقعْتُكمُ بَأَنْيَابٍ وَأَظْفَارِ
لا تغضبوا البحرَ إن البحرَ ذو غضبٍ
وحاذروا الرملَ إن الرملَ من نارِ



عُمان

هذي عُمانُ وهذه جَنّاتُها
والخالدانِ جبالُها وحماتُها
بنيتُ على الحجرِ العريقِ وأُريدِفتُ
بالبحرِ وانفتحتُ عليه جهاتُها
مسكتُ سواحلُها زِمَامَ عُبابِه
وتبوّأتُ أرضاً يضيءُ بُناتُها
أرضَ الشَّذا والزَّعفرانِ ونخلِةٍ
تهتزُّ حينَ نجيئُها ثمراتُها
زيتيَّةٌ خضراءُ فيها هاتِفُ
من أُمَّها رسمتُ صدادهُ صفاتُها
وكأنما تلكَ الجبالُ منازلُ
وقلاعُها فوقَ الذرى شرفاتُها
وتعدَّدتُ ألوانُها فحجارُها
ما ترسمُ الأيامُ أو كلماتُها
وكأنما تلكَ السفوحُ مهابطُ
للوحي أو صحفُ لها آياتُها
وكأنما عندَ الضَّفافِ سفائنُ
ما أُفرِغتُ أحمالُها وهباتُها



هي من نباتِ الأرضِ إلا أنها
صخرٌ عليه هيبَةٌ وسِماؤها
ومن الجبالِ حجارةٌ مرصوفةٌ
رصفًا عليها غُبْرَةٌ وحصاتها





في مدائن عمر بن الفارض (نخلة في النيل)

ويا نخلة في النيل شَذَّبَ جذعها
مرورُ رياح فَهَيَّ منها فتائلُ
رأيتُك في الحالين نورا وغربةً
تفتَّشُ عن أجزاءها وتَسائلُ
وهل ترتمي في كل أفق أضالعُ
وتذهب هدرًا أو حريقًا منازلُ
ولم يكفِها رجمُ فجاءت عواصفُ
ولم يكفِها خسفُ فجاءت زلازلُ
كلانا على الأمر الذي لا نريدُهُ
ويخبطُ فينا الخابط المتجاهلُ
وماذا يريدُ الشَّعرُ من نزعِ خاطرٍ
يناقشُ في أسفارهم ويجادلُ
وما هم بجنٍّ غير أنَّ مكانَهُم
صخورٌ عليها هيبةٌ وشمائلُ
خلاصةٌ أرضٍ تحت أرضٍ وفوقها
سماءٌ لديها هاتفٌ ورسائلُ
وما جاءنا منها قطافٌ وإنما
مقاصيرُها معمورةٌ والمناهلُ





وجاء لها عشقٌ قديمٌ وزلَّةٌ
يحاول من تكفيرها مَنْ يحاولُ
وجاء لها من كلِّ قومٍ قبيلةٌ
وما برحتُ تهفو إليها القبائلُ
وفيهما التي قالت لنا سوف نلتقي
على البعض أنَّ البعض لا شكَّ عامل
ومهدُّها رغم اختلافِ جنسها
شعورُ التي فيها شعورٌ مماثل
ويا ربَّ نقشٍ فوق صخر تَلَطَّحَتْ
زخارفُ النَّشْوَى به والرسائلُ
وفيهما مياهٌ لا تزال سخيَّةً
ولا ذبلت شطآنُها والسواحلُ





في مدائن عمر بن الفارض (لئن ذهبتي بلا وعدٍ)

لئن ذهبتي بلا وعدٍ نُقرِّره
ولا لقاءٍ إذا شئنا نُكرِّره
فلسيتِ أول من ولّيتِ مخلفَةً
فؤادها بين أضلاعي أدنَّره
وقد مكثتُ شعوراً حين يطفح بي
يبدو لقاءً لنا أتٍ سنحضره
سأرفضُ الحاضرَ المفروضَ سيدتي
بالرغم منا وأجفؤه وأنكره
هل تذهبين وفي عينيك أكثر من
عشقٍ يحاول أن نبقي نفجره
هل تذهبين إلى ما تكرهين كما
أبقى أعاني حضوراً لا أبرره
كأنني حاملٌ أحزانٍ من عشقوا
ولم ينالوا وحزني فيك أكثره
كأن طيفك مذكراً يذكّرني
ذاك اللقاء وإنني سوف أذكره
لقد أتيتِ كما لو كنتِ جاهزةً
إلى اللقاء كنهرٍ خفتُ أعبره





لا موعِدُ بيننا حتّى نقول كما
يشاءُ وعدُّ أعانيه وأسهره
ولستُ أعرفُ من أنتِ سوى زخمٍ
قد راح ينفضني نفضاً وأسُتْره
تكررين التفاتاً لا أقاومه
فأنتحي جانباً والقلبُ ينظره
لم أدري من أنتِ كانتِ مقلتكِ هوى
يدعو وفيك شعورٌ صرْتُ أشعره
وجاء صوتُكِ نشواناً فنَبَّهني
وجرّني لحديثٍ أنتِ مصدره
وقد رأيتُ جَمالاً قبل ذاك وما
رأيتُك فيك أحلاه وأكبره
يمتدّ نحوي شهياً في تطلّعه
بلا اكتراثٍ ويدعوني وأخذره
وما نكرتُكِ لكني شدهتُ كما
يرتاعُ للبدر طفلٌ حين يبهره
وحاصرته عيونٌ مثلما فُتحتُ
خزائنٌ وفمٌ قد لَجَّ أحمره
وكنْتُ مذُكُنتُ دوماً أستجيبُ إلى
داعي الهوى حين يدعوني وأشكره
إذا صمتُ ففي صمتي هواتفُهُ
أو التَّبَسُّتُ مخالاتي تفسّره
والعشقُ من صفة العشاقِ نكهتُهُ
فيهم وعالمه الأقصى وجوهره





من ظلال الألوان المخفية

سلوا ليالي الهوى عن طيفِ ذكراها
هل عادني والنَّدَامَى عن حميَّها
أعتاضُ بالطيف عنها لو يعوِّضني
وبالطُّلا عن لماها حين أُسَقَّها
سمراء كلِّ نواحيها محبِّبةٌ
كأنما الله سَوَّاهَا لأهواها
سلوا ليالي الهوى عن شاطيءِ وهوى
قلبين هامًا على الشاطئ وقد تاهَا
أشتاقُ للدار والشطآن لا عجبُ
في عاشقٍ يشتهي دارًا وسكنها
تلك الدهاليزُ ما أبهى زخارفها
وللمباخرِ عطرٌ في زواياها
كنا نثبَّتُ في جدرانها صورًا
كما نُنَقِّلُ أقدامًا بممشاها
ألوذُ بالصمتِ أحيانًا وتغلِبني
صبايتي حين تلقاني وألقاها
حتى العصافيرُ كانت من هوايتِنَا
نختار أجملها لوْنَا وأشجاها





كان الهوى عندما كانت ففرقنا
دهرُ أمالٍ صَبَابَاتِي وَأَلَوَاهَا

☆☆☆☆

أَحْنُ لِعَيْنِيكَ اللَّتَيْنِ تَأَلَّقَا
غِدَاةُ التَّقِينَا مِثْلَ طَيْرَيْنِ حَلَّقَا
لَقَدْ أَلْهَمَانِي الشَّعْرَ حِينَ تَعَذَّرْتُ
قَوَافِيهِ فِي كَأْسِيهِمَا حِينَ صَفَّقَا
عَيُونٌ وَمَا كُلُّ الْعَيُونِ جَمِيلَةٌ
وَلَا كُلُّ صَدْرِ مِثْلَ صَدْرِكَ أَوْرَقَا
لَهُ رَعِشَةُ الْوَرْدِ الَّذِي رَفَرَقَتْ بِهِ
نِسَائِمُ حَقْلِ دَغْدَغَتْ فِيهِ زَنْبَقَا
أَعْدَتْ حُرُوفَ الشَّعْرِ لِلشَّعْرِ عِنْدَمَا
تَنْصَلُّ مِنَ أَلْوَانِهِ ثُمَّ أَخْفَقَا
لَهُ مِثْلُ إِيْمَاءٍ بِسِيْمَاءِ شَاعِرٍ
حَوَاكِ خِيَالًا أَوْ تَقْصَّاصًا رَوْنَقَا
كَأَنِّي إِذَا حَاوَلْتُ شَعْرًا رَأَيْتُهُ
بِعَيْنِيكَ نَشْوَانَ الرِّسُومِ مَحْدَّقَا





كتابات فوق الأبواب القديمة (تشعُّ معاضدُها)

(١)

تشعُّ معاضدُها في الدجى
ويصحبُها طائفٌ من شذا
فصارت تحسُّ وصارت تشمُّ
خلالَ الظلامِ وصارت ترى

(٢)

بعينيكِ من إشراقكِ المتدفِّقِ
ومن روعةِ ثغركِ المتألِّقِ
فلم يدرِ لما قد حوَّتْكِ ذراعُها
يُسَمُّ عبيراً أم يعوم برونق
يفيضُ على خديكِ منه شعاعُها
ويشمخُ فيكِ الوجدُ فوق الحلقِ
كساقيةٍ صبَّت بحوضٍ تظاهرتْ
جوانبُها عن سكبِها المترقِّقِ
كأن الضفירותِ التي اعتلقتْ بها
قلادتُكِ الفيروزُ عند التَّطَوُّقِ
وحيثُ انهيارِ الثلجِ فيكِ وقد علا
مُحياكِ هولِ الوالهِ المتشوقِ





أراجيحُ وردٍ فوق وردٍ تشابكتُ
بصدرٍ على عامٍ من العشقِ مُطَبَّقِ
تضيّقُ برسغيكِ المعاضدُ والهوى
يصفّقُ في أنحاءٍ ثوبٍ مُصَفَّقِ





كتابات فوق الأبواب القديمة

(أطفأت ضوءها)

(١)

أطفأت ضوءها ونامت «عهاد»
والهوى ساهرٌ بها وقاد
أطفأت ضوءها وما انطفأ الشو
قُ ونامت ولا ينام الفؤاد
أطفأت ضوءها وغابت ستا
نُرّها الزرقُ واحتواها الرقاد
حَمَلَتْ شوقها النوافذ حتى
أنها في نقوشها تستعاد

(٢)

بلونِ خدودهم ضوءُ الزهورِ
وفي جدرانهم أثرُ البخورِ
وقد رسموا المحاسنَ فهي تبدو
وميضاً في العيون وفي الخصور

(٣)

يا أنْتَ ما أنْتَ بدرٌ
مِنَ أينَ للبدرِ ثغرٌ
مِنَ أينَ للبدرِ خدٌ
مِنَ أينَ للبدرِ شعرٌ





أَلــوَانُ حَسَنِكَ بَيَضُ
وَفِي خِيَامِكَ حَمْرُ
وَفِي عَيُونِكَ لَيْلُ
وَفِي قَوَامِكَ فَجْرُ





لبنان والنواحي الأخرى

- ١ -

تكاد به الأعضاء ترفض نفسها
وينفر منه صلبه حين ينسب
عجبت له كيف استقام وبعضه
يناقض بعضاً مثلما اعوجَّ أحدب
لقد دبَّ في أعراقه الوهن مثلما
تجاوز أقصى العمر كهفٌ وغيهب
أراد قياماً فانحنى فيه كاهل
وظهر أبى أن يستقيم ومنكب

- ٢ -

والأرض كالناس بعضُ رحمةً فتحت
وبعضهم يابسُ الأنحاء مسدود
وقد تجفُّ قلوبٌ في أضالعها
كما تجفُّ بأغصانٍ عناقيد
وقد يحاصرُ نهرٌ في سواحلِه
وينزوي فسواقِيه أخايد

- ٧٥٠ -



قراءة الحجر

ماذا تقول سوا حل الأحلام
في النّيل والأحجار في الأهرام
سكن الهوى بهما ولم يبرح هنا
أبدًا مقيمًا حيث لات مقام
إلا لممة غارف وهل ارتوى
عشق بغير فة غارف ولم
قالوا هي الأهرام قلت تلبثوا
كي نقرأ الأيام في الأهرام
حجر كأبراج الحمام تناسقت
أضلاعه أو فيه صمت حمام
تتعاقب الأعوام وهو كأنه
يسقى ويشرب من هوى الأعوام
وكأنما الصخر المبعثر حولها
أعضاء أشباح على أجسام
تستنطق الإحساس وهي هوامد
وتقول بعض القول دون كلام
أرض منابتها النقوش كأنما
جاءت حجارتها من الإلهام



نتلوا حطامَ بنائها فنرى الذي
ما غاب عَنَّا في نثارِ حطام
فإنما الاشياءُ يمكثُ بعضُها
في بعضِها. وتلوح في الأوهام
حجرٌ يحاول أن يقولَ وبعضُهم
حجرٌ ولكن من دمٍ وعظام



من خرائط البرق (لم يعلموا العلم..)

لم يعلموا العلمَ ولم يفهموا
شيئًا وإن حدثتْهم جَمجموا
ولا يَـرَوْنَ الشرَّ إلا إذا
جاءهم الشرُّ ولم يعلموا
أشياءَهم اكبرُ من كونهم
وكونُهم ضاق بما يكتُم
وأمسُّهم ما زال في يومهم
كالعطرِ في أكمامه يختُم
كأنَّه استهلكَ أسبابه
الأولى وجاء الزمَنُ المعتم
جاءهم العالمُ من حيث لم
يدروا به.. والبعضُ مستسلم
وكلُّهم يَأوي إلى قوَّةٍ
لا أحدَ من بطشِها يسلم
وكلُّهم هاجمَ إنسانَه
فيه.. وفي قُنوطه ملجم
تبلَّدَ الناسُ فلا عاقلُ
يرجى ولا ذو قوَّةٍ يرحم



وضَجَّتِ الأَرْضُ بأشلائِها
وضَجَّتِ الدنيا وضَجَّ الدَّم
تجاوَزَتْ عَصَوَرُ غَابَاتِها
أَوْ هَرِمَتْ وَالشَّرُّ لَا يَهْرَمُ
أظْفَارُهَا تنهَشُ فِي جَلْدِها
نَهَشًا وَفِي حِجَارِها تَرْجَمُ
يُحْرِقُ النَّخْلُ بِشَطَانِهِ
وَيُسْحِقُ الزَّيْتُونُ وَالسَّمْسَمُ
وَأَنْتِ يَا رَمَلًا يَكَادُ الشَّذَا
يَسْكُنُهُ.. يَا صَخْرَةً تَحْلُمُ
أَنْبِيكَ أَنْ الأَرْضَ قَدْ هَاجَرَتْ
إِلَيْكَ أَوْ فَيْكَ لَهَا مَوْسَمُ
كَأَنَّهَا تَرْمِي بِأَثْقَالِها
كَمَا رَمَى أَحْجَارُهُ الْحَرِمُ
وَلَمْ يَزَلْ لِلْفَكْرِ رَوَادُهُ
يَسْتَقْرئُ الْغَيْبَ وَيَسْتَلْهِمُ



حادث الغدر^(١)

وَقَالَكَ رَبُّكَ فِي حُلٍّ وَتَرْحَالٍ
وَجُنَّبَ النَّاسَ يَوْمًا لَيْسَ فِي الْبَالِ
تَجَرَّأُوا أَنْ يَعُوقُوا مَوْكِبًا سَلَكَتْ
رُكَابُهُ بَيْنَ أَسَادٍ وَأَشْبَالِ
عَلَى الضَّفَافِ الَّتِي لَأَنَّ مَا بَرَحَتْ
لَكُمْ بِهَا صَوْتُ مَجْدَافٍ وَمَوَالِ
وَعَنْ يَسَارِكَ أَرْضٌ طَالَمَا شَهِدَتْ
لَكُمْ مَوَاسِمَ إِنْْعَامٍ وَإِفْضَالِ
كَادَتْ مَنَازِلُهَا الْأُولَى تَرَاشِقُهُمْ
صَخْرًا وَيَحْذِفُهُمْ بَحْرٌ بِشَلَالِ
كَأَنَّمَا الرَّمْلُ وَالْأَمْوَاجُ قَدْ صَنَعَا
سُورًا مَنِيعًا وَأَنْتُمْ سُورُهَا الْعَالِي
وَأَنْتُمْ النُّخْبَةُ الْأُولَى الَّتِي ظَهَرَتْ
لَكُمْ تَصَحَّحَ أَخْطَاءُ لُجْهَالِ

(١) نظم الشاعر هذه القصيدة بعد حادثة الاعتداء الأثم على موكب حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح في الخامس والعشرين من يوليو ١٩٨٥، عندما كان يعبر موكب سموه شارع الخليج العربي متوجهاً، إلى قصر السيف العامر، حيث اندفعت سيارة كانت تقف عند فتحة جانبية حاول سائقها اقتحام موكب سموه، إلا أن رجال الحرس الأميري اعترضوا السيارة وتعاملوا معها فانفجرت وانفجرت معها إحدى سيارات الحرس الأميري، مما أدى إلى استشهاد اثنين من أفراد الحرس الأميري، أما حضرة صاحب السمو الأمير فقد حفظه الله ورعاه ونجاه من هذه المحاولة الأثمة حيث لم يصب إلا بجروح طفيفة. (نشرت القصيدة في مجلة الكويت العدد ٣٦).



واجهتُم الموتَ في شتى مواقفه
وجهًا لوجهٍ فكنتُم خيرَ أبطال
كأنكم في دروعٍ لا تلينُ إلى
سلاحٍ عصرٍ تبني كلَّ دجال
أو أنكم في سلاحٍ ليس يملكه
سِواكمُ وحصونٍ ذاتِ أقفالٍ
فقد نجوت بحالٍ لا نجاةَ بها
كأنها بعضُ آياتٍ وأمثال
يا حاقِنًا دمَ من هانت دماؤهم
وماسكًا أرضَ من هُزَّتْ بزلزال
لئن تمادى بهم مكرٌ فقد سقطوا
في مكرهم كسقوطِ الهيكلِ البالي
يا جابرًا كلَّ عظم. يا منارَ هدى
يا جوهرَ الفكرِ.. بل يا شيخنا الغالي
إنَّ الخدوشَ التي في وجهك انتشرتْ
في حادثِ الغدرِ أبكتني وأطفالي
فزعتُ أبحثُ عن شيءٍ أقوم به
فما وجدتُ وخارت كلُّ أوصالي
لأنتَ أكبرُ من شعيرٍ وقائليه
شئانَ ما بين أقوالٍ وأفعال
وقد تصبَّرتُ كي يأتي فما فسحتُ
له الهمومُ وكانت ذاتِ أثقال



وادي البابل

توّد رقّادًا لو يُتّاحُ رقّادُ
عيونُ لها حالاتُها وفؤادُ
خَليليّ في وادي البابل والضحي
أحقُّا دعتكم همّةً وجهاد
لئن كنتم قد ثرتم فلطالما
ولا تحزنا إن الصّراعَ يراد
لئن هَدَمُوا بيتًا لليلي فقبلها
بكت دارُها في الرّقتينِ سعاد
وكان صراعُ الناسِ أرضًا فأردفت
عقولاً.. وأما أنتما فسداد
ضلوعُ بهذي الأرضِ تمتدُّ فيكم
كذلك فيكم فكرةٌ وعناد
تخلّل هذا الناسَ ناسٌ شبيهه
يُكَرّرُ في أشكاليه ويُعاد
وما هذه الأفكارُ إلا سلالَةٌ
تلوحُ برسمٍ والرسومُ جماد
لئن فقدتُ نقشًا صخورًا فإنها
تماسكُ منها هيكلٌ وعماد



سلامٌ على النهرِ الحزينِ كأنه
كما قيل عنه أحمرٌ ومِداد
إذا ما غَفَتُ تلكِ النواعيرُ حولَهُ
تحرَّكَ فيه بلبلٌ وحَصاد
وقد سدَّدَ الرملُ الديونَ على التي
خطَّتْنا رَوَابٍ عندها وَهَاد
خليليَّ في وادي البلبَلِ إننا
نكاد نلاقِي درَبَنا ويكاد
ولكنَّنا كُلُّنا له معطياتُهُ
وكلُّنا له زيتونُهُ وبلاد





بيني وبينكم فضاء واسع

بيني وبينكم فضاء واسع
لن تَبْلُغُوهُ وحاجزٌ وموانعُ
شَتَّى بَيْنَ أَضَالِعِ مَطْمُوسَةٍ
واضالِعٍ فيها شعاعٌ ساطع
ولئن رَعَيْتُ بَكْمُ السَّيُولِ فَإِنَّكُمْ
رَغَوُ عَلَى تَيَّارِهَا وفواقع
ورواسِبٍ محذوفةٌ بسواحلٍ
يرمِي بها تيارُهَا المتدافع
أولاً ترى كيف استفاقتُ دولةً
فإذا بها مدنٌ وكونٌ شاسع
كانت مهابطٌ للذئاب فأصبحتُ
وحيَ الهوى والشعرَ فهي مرابع



صَبْرًا

صَبْرًا وَإِنْ قَلَّ صَبْرٌ
وَقَدْ تَعَذَّرَ أَمْرٌ
صَبْرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ
فَكُلُّ حَالٍ تَمَرُّ
هَمَّ عَصْبَةٍ تَتَاظَى
شَرًّا وَلَا تَسْتَقِرُّ
يُوحَى لَهَا ثُمَّ يَرْخَى
لَهَا عَنَانٌ وَسِتْرٌ
رَوَّاسِبُ الْأَمْسِ فِيهَا
وَمَا يَخْلُفُ دَهْرٌ
وَمَا تَجِيءُ سَيُولُ
بِهِ وَيَحْذِفُ عَصْرٌ
فِي كُلِّ أَرْضٍ خَلِيطٌ
كَمَا تَجْمَعُ طَيْرٌ

العشق أبداً

تضيءُ عيونُها فيضيءُ وجدُّ
بخديها كما يحمرُّ وردُّ
وتنفضُ عن صفائرها عبيراً
إذا قامت كما يمتدُّ وقْد
وثوبٌ ترسمُ الأزوارُ فيه
مشاوير الهوى من حيث تبدو
إذا انحرفتُ عباءتها قليلاً
فَلَاخَ خالُها برقُ ورعد
ولم أرَ قبله جسمًا توارث
به حركاتٍ وجِدٍ لا تُعدُّ
وقالت لا يزال كما عهدنا
به من قبلُ قال لها وبعد
وقالت كلُّ يومٍ فيك قلبُ
فقال وأنتِ من في الحُسنِ فرد
وقالت كلُّ يومٍ فيك عشقُ
فقال فدتكِ أسماءٌ وهند
يُخَبِّطُ في الهوى زمنًا ويصحو
عليك كأنَّ هـواك وجد



يَلاصِقُهُ هَوَاكِ فَلَا مَفْرُ
لَهُ مِنْهُ وَشَوْقٌ لَا يُحَدُّ
وَكَيْفَ يَرُدُّ عَنْ قَلْبٍ غَرَامًا
يُعَاوِدُهُ وَقَلْبًا لَا يُرَدُّ
وَكَانَتْ فِي أَقَاصِي الْوُجْدِ حَتَّى
تَهَاوَتْ مِثْلَمَا يَنْهَارُ سَدُّ
يَحُلُّ ضَفَائِرًا وَيَشْمُ مِسْكًَا
وَيَنْقُشُ فِي رِخَامٍ وَهَوَقَدُّ





في سواحل الريحان^(١)

هل للحواري من سبيل
لك يا عيون السلسبيل
يا ساحل الرِّيحانِ والـ
حناء والظلّ الظليل
فلقد طمئت ولم أجد
إلا من يُطفي غليلي
ولقد يئست من المطافِ
كما تعبت من النزول
غصت أغاني العشق أو
كأدت وأخرسني ذهولي

☆☆☆☆

أَعْمَانُ يا ذات الفضا
ءِ الرحب والأرض البتول
يا أمّ مسقط والجبا
ل الشم والخير الجزيل
لو أستطيع مكثت دهـ
ـراً فيك يا أحى حقول
يا أبحر المرجان والـ
ـياقوت يا أرض النخيل

(١) أهدى الشاعر هذه القصيدة لصاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان سلطنة عُمان.





لَأُتْرَجَمَ الْأَشْجَارَ ذَا
ت الطيرِ والفَيْضِ الْجَزِيلِ
وَزَخَّارَ الْأَلْوَانِ فِي
تَرْفِ الْحِجَارَةِ وَالْتَّلُولِ
بِكَ مِنْ فَنُونِ دَمٍ عَرِيٍّ
سِقِ النَّبْضِ دَقَّاقِ الْهَطُولِ
إِنْ الدَّمَاءُ قَبَائِلُ
وَلَنْ نَعَمَ ذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ
زَالَ الْغَزَاةُ جَمِيعُهُمْ
وَمَكَثَتْ أَنْتَ وَلَنْ تَزُولِي
وَسَتَمَكُثِينَ مَنِيْعَةَ الْـ
أَرْكَانِ رَاسِخَةِ الْأَصُولِ
فِي عَهْدِ قَابُوسِ الْأَمِيـ
سِنِ الْقَائِدِ الْفَذِّ النَّبِيلِ
وَالْمَهْتَدِي بِخِلَائِقِ
هِيَ فِي سُرَاهِ كَالدَّلِيلِ
خُلُقُ تَوَارِثِهَا الْأَبَا
ةُ الصَّيْدُ مِنْ جِيلٍ لَجِيلِ
وَالْفِكْرُ ذُو زِيغٍ يَطِيـ
شُ وَلَيْسَ كَالْخُلُقِ الْأَصِيلِ
فَرِحَتْ جِبَالُ عُمَانَ بِالْمـ
لِكَ الْمَظْفَرِ وَالْجَلِيلِ
جِبَلُ يُضَافُ إِلَى الْجَبَا
لِ الشُّمِّ وَالْمَجْدِ الْأَثِيلِ





وبه السكينة والوقا
رُ ككوكبين بلا أفول
فكانه قمرٌ ولـ
كنُ قد تواضع في النُّزول



أُعْمانُ إنني قد سلك
تُ الأرض في عرضٍ وطول
وسمعتُ هاجسها العميد
قُ وصوتُ محورها الهزيل
خلعت برأتها القديد
مةً أو تدانت للافول
وتلبَّستُ في الغامضا
تِ العاصياتِ على الحُلول
فتمسَّكي بهُدى الملي
لكِ فإنه عينُ الدليل
فلقد تمرَّسَ بالحيا
ةٍ وما توارى في السُّدول
فيه سماتُ الملهمي
نَ ورونقُ السيف الصقيل
ويكلُّ ناحيةً له
أثر السحائب والسيول



أُعْمانُ هل تُصغين لي
فلقد سمعتُ ولم تقولي





ترجمتُ هَمَّكَ في جِبا
لِكَ أَوْ جِمالِكَ في السُّهول
إنِّي عَشَقْتُكَ واصْطَفَيْتُكَ
تُك أَوْ جَعَلْتُكَ كالْخَلِيلِ
أَعْمَانُ هَلْ لِي مِنْ مَقِيْدٍ
لِ فَلَقَدْ تَعَبْتُ مِنَ الرِّحِيلِ
لَأَعْيِدَ فَيْكَ قِصَائِي الـ
أُولَى وَأَخْرِجَ مِنْ طُلُولِ

☆☆☆☆

ولقد شجاني قولُ تلـ
كَ غَدَاةَ دَاهِمَنِي قُفُولِي
قَالَتْ أَتَهْجُرُنَا وَكَأَنَّ
نَ لِقَاؤَنَا كَالسُّتَحِيلِ
وَتَرَكْتُمُهَا تَبْكِي عَلَيَّ
يَ وَبِي حَنِينٌ كَالْعَوِيلِ
لَا تَسْتَطِيعُ بِي اللَّحَا
قَ وَمَا إِلَيْهَا مِنْ وُصُولِ
وَطَفَقْتُ أَسْأَلُ عَنْ رَبِّهَا
كَ وَذَلِكَ الزَّمَنُ الْجَمِيلِ
وَمَجَالِسُ السُّمَارِ حَيَّةٍ
مِنْ نَجِيئُهَا عِنْدَ الْأَصِيلِ
وَرَوَائِحُ الْحُلُوفِ وَقْهٍ
وَوَتَاهَا وَمَاءُ الزُّنْجَبِيلِ
وَحَنِينٌ نَاعٍ وَرِيدٍ
رُ بِفَرَحَةِ النَّزْقِ الْعَجُولِ





وسقيفة كالهودج الـ
مرفوع تحت ذرى حَمِيل
وحصَّى كمنخرط القلا
ئِدِ أو كياقوتِ الحُجول
والراقصين مع السيو
فِ الهازجين مع الصُّليل
خَلَّتْ الدفوف من الطيو
رِ وصوتهنَّ من الهديل
متَّجاوبات مثالما
يُصغى الزميلُ إلى الزميل
بأكفٍّ متقدين من
عشقٍ وحمَّالي حُمول
يتألق التاريخُ في
تلك الملامح كالديل
ويرؤضونَ شراسة الـ
أيامِ والزمنِ البخيل
ويؤقرونَ الأرضَ جيـ
نَ تيطشُ في ورعِ العقول
وبذلك النهج القويـ
مِ وذلك السندِ الكفيل
في دولة السلطان (قابوس)
وقائدها المعيل (م)





قابوسُنا ملكُ إذا
ذُكِرَ الملوكُ بلا مثيل
وإذا طابتْ له البديـ
لَ فما الشمسُ من بديل
خُلُقُ يُضَاءُ بهِ وفكـ
رُ في مدى نهجٍ طويل
لكَ في عُمانَ صنائعُ
ستظلُّ من جيلٍ لجيل
فإذا مدحتكَ زدتنِي
شرفًا بمدحك والقُبُول
جَمُّ التواضعِ والفضا
ئِلُ فيكَ ليستُ بالقليل
فلمحتْ برقكَ لاحَ لي
عبرَ المهامِ كالرسول
والعِطْرُ يُنشِقُ والورود
دُ حَبِيئَةٌ خَلْفَ الفصول
والشعرُ ترجمةُ الصنا
ئِعِ والفضيلةُ في الفضيل



خلق من ذهب

(أبا عليٍّ)^(١) خُلِقَتْ مِنْ ذَهَبٍ
إِنْ كَانَ بَعْضُ الْأَنْعَامِ مِنْ خَشَبٍ
يَمْلِكُكَ اللَّهُ فِي عَنَائِتِهِ
وَلَطِيفُهُ وَاصْطَفَاكَ لِلْأَدَبِ
كَبُرْتَ عَنْ مَنْصِبِ الْوَزِيرِ فَقَدْ
أَغْنَاكَ غَرَّ الْخَصَالِ عَنْ لِقَبِ
يَشْعُ فِي وَجْهِكَ أَدَبُ السَّمَوِ إِذَا
مَا عَبَسْتَ أَوْجُهُهُ بِلا سَبَبِ
كَأَنَّكَ السَّيْفُ فِي تَوَقُّدِهِ
يَشْعُ فِي هَالَةٍ مِنَ الْحَسَبِ
وَالنَّاسُ مِنْ مَعْدِنٍ فَبَعْضُهُمْ
مِنْ جَوْهَرٍ وَالكَثِيرُ مِنْ حَطَبِ
تَأْكُلُهُ النَّارُ حِينَ تَلْمَسُهُ
وَأَنْتُمْ تَشْرِقُونَ كَالشُّهُبِ
وَالْعِلْمُ وَالْفِكْرُ وَالسِّيَاسَةُ وَالْحِكْمَةُ
حَتَّى عَلَوَتْ بِالرَّتَبِ

(١) هو الشيخ جابر العلي الصباح رحمه الله.



شيئاً فشيئاً تخرجين^(١)

شيئاً فشيئاً تخرجين
من كونكِ امرأةٍ إلى عطشٍ تُغطيه الحرائر
والصياغات الحديثة والدم المغلوب
يفلت من يديك زمام قلبك
تهبطين الأرض ذات السطح
تنسكين بين يديه
يكبح من جماحك
يطلق العطش الذي استرخى على عينيك
كالعصفورتين طواهما برد المساء
شيئاً فشيئاً تكبرين
وتهزّ جسمك نشوة العشرين
تطلق من وقوف النهر فيك
تسترخين كالشجر المحمل بالفواكه
تفتحين خزائن التفاح
ها أنت اتحدتِ وصرت خطأً ينحني للأرض
بلوراً قديماً صرت رائحة الدماء الجاهلية
صرت امرأة حديثة
يا روعة الكشمير رنحه اهتزاز العمق

(١) نشرت في جريدة الوطن، الخميس ١١ نوفمبر ١٩٧٦.





كيف تساقطت تلك الحراشف
والجلود الزرق
إنك تستعدين الغريزة من جديد
شيئاً فشيئاً صرت أحذف منه في النشوات
فاض النهر حتى أغرق القروي
كان يزيح عن مسراه أحجار الطريق
وعندما اجتمعت منابعه تدفق
أيها النهر الذي كانت غريزته تشمك
قبل أن تتغامز الألوان
قبل تراصدتك
كان يعلم أنك استحدثت عشقاً
أو أتاكَ العشق
كانن يريد أن يلقاك في الشوق المناسب
كنت أسرع منه
كأن النهر فيك تجاوز الشيطان
كنت هوى يفتش عن هوى
كانت عيونك كالبحيرات البعيدة
كنت جاهزة كفاكهة الصباح
كحلوة الأعياد
ناعمة كألوان المفارش
كنت خاتمة النساء





العطش السريع^(١)

- ١ -

العطشُ السُرْعُ في الملامح السمرء
والصور التي لها مهابط
في الأعينِ السوداء
قد علّمتُهُ الشعر والغناء
يا ثغرها الصغير يا عيونها الفضاء
يا شعرها الذي له تطايرُ الألوان
من مخاضةِ المساء
يا عزلةَ الدماء
متى؟
متى ينكشفُ الغطاء
عن هذه البيادر البيضاء

- ٢ -

ويجيء الليل بطيئاً
كحصانٍ أسود
يدخل صوتك من كل الأنحاء
صوتك صوتُ النهرِ الباحثِ عن منبعه

(١) نشرت في صحيفة الهدف بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٧٦.

- ٧٧٢ -





– ٣ –

ما جاءه أحد سواها
كان منعزلاً ومُحتدماً
وكانت كأسه العشرون جاهزةً
لقد كانت مظاهرةً من الألوان
كان العيدُ يخرج من صفائرها
من الثوب الفرنسي
الذي شهقت أعاليه
وكان العيدُ يضحكُ
في ملامحها المعبرة
في تصاميم الرداء

– ١٧٣ –



حواشي المخمل^(١)

عَلَّمَنِي كَيْفَ أَهْوَاكِ كَثِيرًا
فَلَقَدْ عَلَّمَنِي حَبَكَ أَشْيَاءَ
وَقَدْ كَانَ خَبِيرًا
عَلَّمَنِي كَيْفَ صَارَ الْوَقْتُ عِنْدِي
حِينَ أَلْقَاكِ جَمِيلًا وَقَصِيرًا
وَلَمَّاذَا يَسْتَحِيلُ الشَّيْءُ خَمْرًا
مِثْلَمَا أَصْبَحْتَ كَنْزًا وَعَبِيرًا
وَلَهُ عَزْفٌ إِذَا جَاءَ
وَأَضْوَاءُ الْخَلَاخِيلِ إِذَا جِئْتَ
وَقَدْ صَرْتَ كَمَنْ تَسْكُنُكَ الْأَرْضُ
أَوْ اسْتَوْعَبْتَ شَكْلَ الْعَطَشِ السَّامِعِ
فِي اللَّيْلِ طَيُورًا
طَالَمَا رَاقَبْتُ عَيْنِيكَ إِذَا جِئْتَ
وَرَاقَبْتُكَ خَصْرًا مِثْلَ فَتْحِ الْكَفِّ
أَوْ صَارَ ارْتِخَاءً وَفُتُورًا
وَطُمُوحَاتُ بَعِينِيكَ
وَحَالَاتُ عَمِيقَاتُ
وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا

(١) نشرت في صحيفة القبس بتاريخ ٢٥ مارس ١٩٨١.



إنني أنقلُ عن عينيك صوتاً
وكذا أسمعُ في مشيتك الوُطْفاءِ
هزُّ الشجرِ المثمرِ
عيناكِ ثُرَيَّاتُ دهاليزِ
وأضواءُ حوانيتِ
لماذا تجعلين الصمتَ أساساً مثيراً
وأنا ما جئتُ بل جاءتُ لي الأرضُ
وجاءتني السَّمَاوَاتُ
كأنِّي أحلبُ النجمَ
وما زلتُ بعينيك جديراً
يبردُ الشَّائِي
ونبقى آخرَ الأخبارِ طيرينِ
يطيرانِ إذا نامت عيونُ الناسِ
أو كنا طيوراً
جاءني العشقُ ولا أدري
وما بيني وبين العشقِ شهرٌ
مثلما يعزفُ جمرٌ
ربما تَسْكُنُكَ النارُ
ولا تَشْوِيكَ مثلي
جاءني العشقُ على ورقِ فُلٍّ
لم يكن فلاً
ولا زورقَ نِعا على الماءِ
ولا كانت فتوحاتٌ من المخملِ





بل كانت تعدُّ الشاي والثوبَ
وما أشبهك يا شعراً
على عاطفةِ المرمر ينمو
وكأنني امتطي النجمةَ عريانا
واجتازُ البحُورا





من الرسوم الأخرى^(١)

تجاوز القمر
بهاءً فصارَ من حرائر
وصر من درر
وصار من قلاند
كأنها عاطفةُ الشجر
خلخالها صوت لي
وشعرها وما انهمر
وخصرها وما سكر
وعطرها وما انتشر
وغمرة الخطو الذي يرسم أو يصنعني جسور
أنا رأيتُ النور
في جسدِ البلور
غشاؤه من نشوة الياقوت
أو غلائل الغروب
كأنها من غسل الخليل أو لبنان في الجنوب
كأنها من صحوة الشام إذا تماوجت
ونهرها الموهوب
كأنها تدخل من نوافذ الحسّ

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٢/٩/١٩٨٢.





ومن مغالِقِ الضلوع
كأنها ينبوع
يبحث عن مصبِه ونهرِه الممنوع
كأنها رقصة وهزجها
يا هودج الأرض الذي يسكنُ في هودجها
يرتفع العشق
فيمسي فكرةً في برجها
حراكها من غزل الحَمام
واقراً الفجر على زخارف الرّخام

☆☆☆☆

لم تكن برقاً ولكن
ضوء خديها من البرقِ
وعيناها مدائن
وخزائن
لم تكن عطراً وتفاخ جنائن
أو تهاويلَ مفاتن
لم تكن عشقاً ولكن
من حضور قاطنٍ في وسني
إنها فاتحةُ العشقِ الذي أدخلني
غرفة من جسد يسكنني
وبساتين من التبغ الذي أشعلني
وهي ما كانت من النور
ولا ما يشبه النور إذا اهتزَّ على الماء





ولا سرب خلاخيل وأعناق حمائم
ذهبت صورتها الأولى وصارت
صوراً أخرى.. وعيناها بدايات سلالم
يدفق المسك اذا اشتدت
وتنقاد كطاووسٍ مُسالِمٍ





حوار مع سلمى^(١)

ألم تر سلمى كيف عافت صغارها
وكيف تناست أهلها وديارها
بلى إنها قد هاجرت أو تطوعت
وقد بلغت من أمرها ما أثارها
تقول وقد مال الخيال برأسها
إلى جهة تهوى كثيراً مزارها
ويحببها عنها جدار وطالما
تهدمت الجدران إلا جدارها
أحس بشيء سوف يأتي كأنه
يعيد لسلمى رشدها واعتبارها
كأن بها من نشوة الحس زخرف
أطارث به أعماقه وأطارها
ألم تنظري كيف ولوا هروباً
وشنوا علينا الحروباً
ألم تنظري كيف صاروا رقيباً
علينا وصاروا حدوداً
ألم تنظري كيف صاروا علينا شهوداً
وصاروا جنوداً

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ٢٧/٣/١٩٨٢.





وصاروا أسودا
لقد حاصروا الحربَ حتى استحالت حروبا
لماذا يشبُّون نارا بلبنان
واعتمروا القدس حتى استحالت يهودا
تحوطنا الحربُ والعالمُ المستعارُ
وما كنتُ أدري بأن التماسيح في الماء..
مثلُ التماسيح في الأرضِ
هذي صغارُ
وهذي كبارُ
من القدس يبتدأ الإنبهارُ
من القدس مرَّ علينا النهارُ
رأينا انطلاقَ الزواحف من بشرٍ
والفرارَ الرهيبا
وخارطةً لوئوها جنودا
هي الحربُ قائمةٌ كلُّ أنٍ
وتشملُ كلَّ بلادٍ وكلَّ مكانٍ
وأنَّ الحقيقةَ في الناس صارتُ
ممارسةَ الغدرِ
صارت حبائلُ شتى
وفتكا عجيبا
فمن ذا يُغرِّبُ هذا الخليطَ المريبِ
وهذا الزمانَ الغريبِ
ومن ذا يعيدُ اتزانَ العناصرِ





من ذا يناسقُ أضدادَها
من يَفُكُّ طلاسِمَها والغموضَ الرهيبا
تدبُّ ديبيا
كذاك تهبُّ بشتى النواحي هُبُوبًا





هاجر كلُّ العالمِ كي يسكننا^(١)

إن الأشياءَ
تتجدّد كالإنسانُ
وتموت وتحيا كالإنسانُ
ما دخلوا القدسَ ولا لبنانَ
ما سكنوا الطورَ ولا سيناءَ
والأرضَ الأخرى والجولانَ
بل زحفوا في الأشياءِ
لما وقفت كلُّ الأشياءِ
وجدوا ما يشبههم
في مدن الخسف
وأسوار الأحزان
قلبوا الإنسانَ
حقنوه بالألوان الحربية
صنعوا ناراً تطحن صخرا
صنعوا ريحاً تنفخُ بحرا
وتمطّوا في الأجواء
وغداً
حين يعمُّ الطوفانُ

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٢/٨/٨.





سيرونَ بأنهم سقطوا
بنقائضهم
بحبائلهم
وشباكهم الرعناء
كل الألوان إذا ذبلتْ تصبُحُ صفراء
ولقد علمنا غريلة الألوان
والسير على الأسنان
من ينقذُ سيدتي ذات النبعين
من هذي الألوان السوداء
من زحف العالم
هاجر كلِّ العالمِ كي يسكننا
ويطوّقها
ويدجّننا
جاء العالم من خلف البحر
ومن عبر الأجواء
جاءت مدنٌ
جاءت أنحاءٌ
جاءت أزياءٌ
وانهارتْ قُبُ المِلحِ وأصبِغِ الغوغاءُ





وبعد ما طحنوا لبنان^(١)

ها هم يرفعون هراواتهم على دمشق
بعد أن مضغوا لبنان ليتلعوها
وها هم يمنحون النمل أجنحةً
ليوغل بعيداً متسرّباً في الأنوف والملابس
أنها الحربُ في الأرض العذراء
ذات الكنوز المفلوذة في كل مكان
تحت الصخور الجاثمة كالجواميس المحنطة
تحت الجدران الواقفة كالأيدي المؤشرة
وعند الشواطئ الممتدة كالسجاجيد
وفي المدن الهادئة في الليل كالحوامل
والمتشنجة في النهار كالنحل الجبلي
لقد أطلقوا نملهم الطائر
بعد أن طحنوا لبنان كي يعجنوه
وبعد أن وضعوا القدس على كفّ عفريت
ثم جاؤوا بعواماتهم الذرية
وجنودهم المدججين بالغموض
وخرائطهم العسكرية ذات الخطوط الحمر

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٨٢.



مهددين الشام بعدما ملأوا البقاع بالمصفحات
والصواريخ المدثرة بالأغصان والأعشاب

☆☆☆☆

منذ خمسين سنة وأكثر
وهم يستعدون للحرب
ومنذ أيام قليلة فقط تتجسد الخارطة
عندما ارتطمت بالعيون ارتطاماً
وعندما تلاها الناطق الرسمي
القادم من الكونغرس على صهوة طائرته
مع حقيبته الدبلوماسية المشحونة بالأوراق الأخرى

☆☆☆☆

فماذا تحاربين الحديد أيتها الأرض البكر
أيتها الطيور التي تركت رواشنها وحدائقها
أيتها النوارس المذبوحة على الشيطان
أيتها الزهور الملطخة بالدم والحليب
أيتها الجنائن المحاصرة بالحرب والقمل
والمنافقين الذين يمتنون الدعارة السياسية
والمستفيدين من الحرب لأنهم عجزوا عن المواجهة الفكرية
عجزوا عن قراءة هذا العالم الذي بدا يمتد
ليكتسح الجائمين على أشجاره كالجراد
والمتمططين على سواحله كالأشباح
والمتلثمين بالأصباغ والشعارات
أنه زمن الغريزة واجتياز الموانع



إنه زمن الإنسان المفكر لا المتسكع
والمتأرجح كذيول الأيائل الخائفة

☆☆☆☆

هم يستعدون للحرب
ومنذ أيام قليلة فقط تتجسد الخارطة
تتجسد الخارطة على حقيقتها
عندما ارتطمت العيون ارتطاما
وعندما تلاها الناطق الرسمي
القادم من الكونغرس على صهوة طائرته
مع حقيبه الدبلوماسية المشحونة بالأوراق الأخرى

☆☆☆☆

ولماذا يحاصرون الحرب؟
لماذا يرشقون العصافير بالنار
والنخل وأشجار الكرز
والينابيع وسمك الأنهار الصافية
والأطفال عند النوافير
ولماذا يطلقون النار على الحوامل
على الكتب ونماذجها الناعمة
على المقاهي وحوانيت التبغ والنبذ
على العاشقة القادمة من السوق
على ممرات الرياح ونوافذ الغرف الساهرة
على الأرض التي ملأت جيوبهم
لماذا يحاصرون الحرب فوق أرض النعناع





والقمح والعنب الذي يواصل قطافه

واخضرار دواليه في جميع الفصول

☆☆☆☆

وأنت يا دمشق

أيتها الشام

أيتها الخارجة من كل العواصف

ومن جميع الاتجاهات ناصعة

طاهرة ومتوهجة كالعنب في الفجر

ويا أيتها المغطاة بالخضرة والمنائر

أيك أن تفقدي نصاعتك القديمة

وذكاءك الذي أخرجك من الظلمات إلى النور

إياك يا دمشق

وكوني حذرة أيتها الأخت





هنا أشياء وهم وهناك جندهم^(١)

جاؤوا وما دخلوا من الأبواب

بل جاؤوا بكم

كانوا غرائزكم. وكانوا الصورة الأخرى لكم

نادوا فجاء بهم دم فيكم يمارس قتله فينا

وأرهقنا كثيرًا

جاؤوا ولم تتوقعوا

جاؤوا وكنتم تحلبون الأرض والإنسان

ما كانوا قُساءً مثلما كنتم. بلى. كانوا وحوشًا

مثلما كنتم. ولكن جدت أنيابها

وتهدمت أنيابكم فينا

وعانينا هم فيكم دهورا

أرض محاصرة بماضيها الذي حجزوه

إنسان مكشوفة نواحيه مشاع

تحت ماء وخضراء

وفي فمه غثاء الريح. يحترف الضياع

ويسكن الزمن الأخير

مدن من البلور

حارات من النعناع والتبغ المهرب

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٢/٨/٢٢.





ملتقى النهرين
أبار من الياقوت نادتهم
فجاؤوا يستحثون الحديد
ويركبونَ الريح والأنفاس
وامتشقوا البحورا
من أين لم يأتوا؟ أتوا من كل ناحية
وما دخلوا من الأبواب. لا بابَ هنا
من أين لم يأتوا؟ أتوا منكم ومنهم
أصبحوا جيشًا وأطمأحًا تنافسكم
وكانوا إخوةً في الدين
كانوا إخوة في المال
كانوا اخوة في الجنس، ثم تقاسموكم
واستخفوكم جميعًا
وسيؤغلون
وربما وصلوا ولا ندري
هنا أشياءهم وهناك جندهم
هنا أشباحهم وهناك صورتهم
هنا بصماتهم وهناك زحفهم
لقد جاؤوا ولا تدرون أو تدرون
واصطدموا بعزلتنا وغفلتكم
كان شواطئ المتوسط امتدت
لتغزونا عساكرهم وتغزوكم موانئه
كأن جسورهم تمتد في كل اتجاه



والموانع تمنع التاريخ أن يأتي
وما كانت لردع
والموانع تحجب الآتي ورؤيته
وكل سلاحهم منهم
ويمتدون
ينتشرون في المدن التي فقدت هويتها
وصارت تقتفي المدن التي رجمت ودكت
ثم عاودها المخاض، ولقحت بمعادن الأرض
التي ييغونها نهباً سريعاً.





الغضب سيد المواقف^(١)

تقولين فجأنا الطير والحوث والذئب
كوني من الطير والحوث والذئب لو تستطيعين
إن المخالب جائزة. والحراشف من صفة العصر
من لا أظافر فيه يكن نهزة للأظافر والنهش
هم علموك المناحات والدمع فأبكي كثيرا
ونوحى كثيرا
وهم علموك التسكع في الحزن
أعطوك حرية الدمع والنوح
واحتجزوا الأفق
والماء
والأرض
أين اتجاهك؟
صارت شعائرهم في اللحى وانتحال الشعارات
صارت شعائرهم أن يكونوا شرورا
تقولين فاجأنا الوحش
قولي مكثنا بعزلتنا وانتشار النقائص فينا
ونوباتنا والضياح الذي يعترينا
ولن تنتهي الحرب

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩/٩/١٩٨٢.



جددت الحرب أنيابها

وأزياءها

وساحاتها . والسلام الذي يدعون من الحرب

وحش من الحرب. نوع من الحرب

إن السلام الذي يدعون مراوحيه

واختراع سلاح جديد

تطورت الحرب، صارت قنوطاً رهيباً

وموتاً عجبياً

كأنني أصيخ فأسمع طيراً

يلقنني سورة الحرب هم جددوا آلة الحرب

ما جددوا الحرب ليس غريباً عليك الجراحات

ليس غريباً عليك اقتحام المجاهيل والصمت

إن الحروب ستبقى

وإن الحروب لشتى

وما جاءت الحرب

جاء الذين استعاروا السلاح

وجاء الذين انتميت لأشيائهم

وأزيائهم

واغمائهم

وكننت افقت اخيراً

رأيت أساطيلهم في المحيطات والأفق

صاروا ذئاباً من الناس

صاروا تتاراً حديثاً وعلماً ضريراً



لقد سقطوا في رثاث الشعارات
والبعض في هوس المال
مازلت سيّدة العقل والأرض
رغم الجراحاتِ والغدر
مازلت صاحبة الأمر
رغم انهيار الثلوج
ورغم انهيار الطلول
ورغم انتفاخ الفقاعات
لم تسقط الأرض جددت الأرض بنيانها
وانسانها واستحالتْ نشورا





من خرائط البرق^(١) (اختر موتاً من موتين)

اختر موتاً من موتين
إما أن يأكلك التمساح أو الذئب
أو أن تحيا في المابين

☆☆☆☆

كلُّ الأشياء لها
حركاتٌ تنبُضُ أو تزحفُ فيها
يتحرك كلُّ حديدِ الأرض
وتنمو كلُّ صخور الأرض
وتزحف كلُّ جبال الأرض
إليك ولا تدري

☆☆☆☆

لغة في الألوان
لغة في الحركات
لغة في كل الأشياء

☆☆☆☆

صوتٌ في الألوان
صوتٌ في الحركات
صوتٌ في كل الأشياء

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٢/١٢/١٩٨٢.





ورحيلُ لم يتوقف في سكناًِ الأكوان

☆☆☆☆

لكأني أسمع أشياء تزحف

تنمو

تحتل الأشياء الأخرى

ولغات أخرى أرسمها

وأعاقرها

ليس العالم ما ننظره

ليس العالم ما نلمسه

☆☆☆☆

تعتزل العالم أو تدخل معركة فاشلة

فالشر يسانده الشر

والخير ثواب يتأجل

تعتزل العالم أو نلبس السِنَّة

ووجوها شتى

وعيوننا شتى حتى تتحلل

تعتزل العالم أو تتقمص أشباحاً

تعتزل العالم أو تعزل نفسك

عن نفسك

عن جلدك

عن أرضك حتى نتبدل

تعتزل العالم أو ترحل

☆☆☆☆





لن يفلت منكم أحد فالخطة محكمة. أولها
أن ينقسم الإنسان إلى قسمين
يقول نعم في ظاهره
ويقول كذلك لا في باطنه

☆☆☆☆

لن يفلت منكم أحد ما داموا
قد وجدوا شكلاً آخر للإنسان
وقلبا آخر للإنسان
ومفهوماً آخر للإنسان

☆☆☆☆

لن يفلت منكم أحد ما دامت
كل الأشياء تجيء كما شاؤوا
والحرب كما شاؤوا
والسلم كما شاؤوا

☆☆☆☆

لن يفلت منكم أحد ما دمت
كتباً نتصارع
أو نوبات دماء تتقاتل
أو نزعات تتقمص تاريخاً
تتكرر فيه الحالات الأولى
وكهوفهم الأولى
وصخورهم الأولى

☆☆☆☆





إن التاريخ دم
يتحرك في جسد الأرض
لا يسعُ الجسم سوى دمه





لبنان وليالي الميلاد^(١)

هل تذكرينَ ليلةَ الميلاد في لبنان؟
وذلك العشق الذي فاض على الوديان
وشاعَ في كل نواحي الأرض والبلدان
هل سقطتُ جميعُها
ستائرَ الكشمير والريحان؟
هل ذهبْتُ قصورُها
هل هاجرت صقورُها
هل غوّرت نجومُها وانخسفتْ بدورها
وأين تلك أهلُها
وأين تلك دورُها
باكية حقولها نائحة طيورها
كأنها لؤلؤة تعيدها بحورها
تدحرجت كأنها الضياع في الميزان
مالي وللعشق الذي كان في لبنان
قد أرضعته مرّةً وبعدها
ألفته في الضياع والخسران
والحرب ذات الموت والنيران

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/١/٣.





من ينقذ الأشجار من حريقها
والطير من نعيقها
والحرب من بريقها
والهوس السكران
لو أجمعوا الأمر لما جاءتهم
ثانية زواحف الحيتان
وجاءت الزواحف الأخرى وما تزحف الشيطان
فحاصروا الجميع والمكان
وأطلقوا النار على نوافذ العصفور والألحان
على الصدور والهوى
على الثياب والشذا
وهدموا الخوان والصحون
ومزّة الليمون
والآتيات بالهوى والشذر والزيتون
والقرب السّمان
والبائعات الرقص في (بحمدون)
يا قرية بيوتها من زخرفات الخشب الريان
والحجر الصّوان
جاءت لك الذئاب من شتى جهات الأرض
جاء الخسف والطوفان
أواه لو يشبع من غسيله الحوت
ومن ألوانه الثعبانُ





من كتاب الأصوات والإيقاعات^(١)

«صوت»

يضيءُ على جنائها غمرُ لؤلؤ
وتسري بثوب شهبي ويعبرُ
تفاجئني أطيافُها عند خلوتي
فأنظرها في القلب والقلب ينظر
كأن شعاع الكحل بين جفونها
مماشي ضفاف فوقها العشق مقمر
لقد مكثت وحشية جاهلية
ولكنها في حسنها تتطور

«صوت»

يا لثوب كرموش المقل
وعيون كشعاع الشعل
جاءنا يرفل بالحسن كمن
صار بدرًا رافلا في حل
قلت لما قد أتى أهلاً وقد
قال لي أهلاً وإن لم يقل
ومكثنا نتساقى غزلاً
من عيون صُنعت للغزل

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/١/٣١.





« صوت »

كتبْتُ على عينيك أتلو نورها
وأضيء في عينيك حين أراكِ
لم أدري كيف يكون حالي إنما
أدري بأن هواي مثلُ هواكِ
أقتاتُ بالنزقِ الشهيِّ على فمٍ
وأدور حيث أدور في الأفلاكِ

« صوت »

تقول هذي العيونُ
كن عاشقًا فتكونُ
كما حدَّثتنا رموشُ
وكألمتنا جفونُ
وخاطب العشق عشقًا
شبيهه وحنينُ

« صوت »

يا حبِّذا الساقيانِ والقمرُ
وحبِّذا السامرونَ والسَّمُرُ
يا ساقييني اشربا مدامكما
وانتظرا فالحبُّ ينتظرُ

« إيقاع »

لماذا يشع السواد بعينيك حتى
يصير السواد امتداد بعيدا





ويمتزج العشقُ والشعرُ في مقتلين
يقولان كن عاشقًا مرتين
ويصبح ذاك البياض المحلق لونًا
جديدًا
ويصبح ذاك السوادُ المفرد أفقا وعيدا
فهذا يضيء اتجاهي إليك
وهذا بظلمته قد هداني
مصابيح عينيك أم هاتف قد دعاني
كأن لصوتك صوت العصافير في الماء
أو أنه طائف من سماء أتاني
كأنك مشتقة من بهاء السواحل في الصيف
أو من حقول الفواكه والطير
أو من ليالي الأغاني
لما تديرين كل اتجاهي إليك
وكل انتباهي إليك
كأنك أشهى حنين أعاني
لماذا يظل حديثك أشهى حديث
وتبقى معاني رسومك أحلى المعاني
لماذا تجيئين ما بين أن وأن
نعاسًا يخلق في يقظتي
ويطلقني من حدود المكان

« صوت »

العيون التي تحدثني
والسكوت الذي يكلمني





أيها العاشقون إنكم
من غرام العيون في شجن
ملك الحسن أو تملكني
حسنه جامع الي الفتن
يا عيون الهوى أرى سببا
من خلال العيون ينظرني

« صوت »

عيد يروح ويأتي بعده عيدُ
وأنت أنت أناشيدُ وتغريدُ
تحوزك الشمس من شتى جوانبها
وفيك ظل من الريحان ممدود
يأوي إلى رملك النشوان وردهم
فيزهر الورد أو يخضوضر العود

« إيقاع »

هل تذكرين نخلة
نأكل من سكرها الأصفر كالمرجان
مثل بيوت الشعر في عيبها الأوكان
هل تذكرين الجسر بين الليل والألوان
وكنت في قميصك المشتق من شهيتي
للأكل والنوم أرائك الكتان
وأقرأ الشعر على صحائف اللوز
واستهدي بضوء الزخرف النشوان





في ثوبك المصنوع من أبهة الشرق
ومن عاطفة الأكوان
بين ظلال التين والرمان
والظل ذي الأفنان
وألف جنس تحتنا
يموج بالعزف
وبالرقص الذي ترسمه الأبدان
يا دعوة الشوق إلى الشوق
إذا تغازت نوازع
واتفق الاثنان





هل تذكرين الداليات الخضر^(١)

هل تذكرين الداليات الخضر حين تعصرُ
وموسمَ الرياح حين يزهرُ
والليلَ حين يقمرُ
وروعةَ الجبال حين تمطرُ
هل تذكرينَ الرقصَ حين نسمر
في الحقل والأشجار حين تثمرُ
جميعهم قد رحلوا وبعضهم ينتظرُ
وبعضهم مات على دين الذي ينتحر
وبعضهم مات ولا يدري
ولا يعلم ما يجري وما يدبر
قد أحرقوا الجنة في بيروت
والبيت الذي كنا على أبوابه ننتشر
نستعرض الدنيا التي تجيئه في الصيف حيث تكبر
غلائل التفاح والكُرز الذي يحمرُّ أو يدورُ
واحترقت خيام من عادوا من القدس
ومن تورطوا في الحرب
بئس الحربُ حين تشمل الجميع بئس المنظرُ

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/٢/٦.





والحرب عمياء فكيف تبصرُ
قد حوصِر الساحلُ من أوله وحوَصِرُوا
جاؤوا من البحر
على خيل من الحديد
حتى عبروا
واخترقوا السواحل الأخرى
ومن هنا أمثالهم قد عبروا وما دروا
لم يركبوا خيلاً من الحديد
بل تقمّصوا الناس ولما يشعروا
وروضوا الانسان حتى لم يعد يفكرُ



خرجوا من الأعرابِ والعَرَبِ
وتداخلوا في سائر الكتبِ
لم يقدروا الاشياء باطننةً
وبظاهرٍ رغوٍ من الكذبِ
والناس لا تنقاد عن خلقٍ
لكنها تنقاد عن سببٍ
سلك الحديد منازلاً لهم
وأناخ بعضهم إلى الركبِ
الكل يبطش حيث شاء له
وهم على الأعقابِ والجنبِ
أسفي على الرّمان والعنبِ
ونوافذ القرميدِ والخشبِ





ومياهنَّ إذا شربنَّ ضحَى
ونهارهنَّ الواسعِ الرحبِ
وحديثهنَّ إذا جلسنَّ على
فُرُشِ الحريرِ وغصنِ في الذهبِ
ورواقٍ منعزلٍ بشقتهِ
وبما يجيء لها من الشَّهبِ
سدَّوا طريقَ دمشقَ واعتمروا
لبنانَ وانتشروا على النَّقبِ
لم أدِرِ عنها غيرَ ما ذكروا
ورأيت ما في الأرض من عجبِ
الأرضُ تزحفُ. أمس قلتُ لكم
ولقد تقمصكم من الهربِ





من كتاب الأصوات والإيقاعات^(١) (تطلقُ العشقُ بها)

تطلقُ العشقُ بها
وشعُ فيها القمرُ
كأنه يخرج من جيوبها
فتسفرُ
وأوماتُ مواسمُ الجوريِّ
حين تزخر
تقاربتُ جميعها
وفكَّ فيها الكوثرُ
كأنها من شجر التفاح حين تثمر
وصوتُها العصفورُ حين يكبر
قالت لنا سنلتقي
ولم أزل أنتظرُ

☆☆☆☆

ياخذني الشعرُ إليك ولا أدري
وأفسرُ فيك المجهول
اقرأ فيك الصحفَ الأولى
لما كان الشعرُ رسولا

(١) نشرت في جريدة الأنباء بتاريخ ١٣/٢/١٩٨٣.





وكتاباتٌ

وإشاراتٌ

ورسوماتٌ

كشعاعاتٍ تسري

هي أولُ حالاتِ الفكرِ

ينقلها الشاعرُ من صحفِ الأكوانِ إلى الشعرِ

☆☆☆☆

مازلتِ رَغمَ تعاقبِ الأيامِ

مكتوبةً بأضالعي وعظامي

مازال صوتكِ يستفزُّ نوازعي

ويضيءُ بي ويبلُّ بعضَ أوامي

والأمسياتُ المشرقاتُ كأنها

صحفٌ من الإشراقِ والإلهامِ

في كل يومِ صفحةٌ وتلاوةٌ

وبكلِّ آن دعوةٌ لغرامِ

لا تفحمني في السكوتِ فطالما

صار السكوتُ العذبُ من إفهامي

ماذا أقول وأنت صامتةٌ وفي

حركاتِ جسمك فوق كل كلامِ

جسدٌ كأن دماءه مشتقةٌ

أعضاؤه من سكرٍ ومُدامِ

وفمٌ كساقيةِ النبيذِ تدفقتُ

صورُ الهوى في لونه البسّامِ





تتوهجين كما توهج كوكب
يسري ولكن في مدار قوام
لم أدر هل سأراك ثانية وهل
مازلت ذات توقد وهيام
يا نحلة طارت مخافة لنا
من شهدها مازلت كل مرامي
ولئن ذهب فطالما ذهب بنا
أحلامنا في التيه والأوهام





الطيور والزيت العائمة^(١)

إلى أين ذاهبة
يا جزيرة زيتٍ على البحر تطفو
لماذا سلكت الطريق المؤدي لهم
وفي البحر ألف طريق وألف
وكيف التصقت
على الموج وهو جموحٌ وللريح عصفُ
لماذا ترهلت مثل زعانف حوتٍ
على السطح يقفو
ومثل كتابٍ على الماء
نقطه السمك الميت
والطير من فوقه يستشف

☆☆☆☆☆

ويا بيتها في أعالي «المنامة»
أن البحار إلى الآن مالحة
والرياح إلى الآن غدارة
وهذا زمان الحروب المعارة
وهذا زمان الجنون المسلح
هذا زمان الزيوت

(١) نشرت في صحيفة القبس بتاريخ ١٩ إبريل ١٩٨٢.





وأنت رسو على الأرض والبحر
كلتاها لك يهفو
إذا ما أدلهمت جوانب جرفٍ تبلج جرف
ومن قبل أن تشربي رغوة البحر
فيك شرابٌ طهور
وظلٌ
ولطفٌ
وفيك عيونٌ من الماء دافقةٌ لا تجفُّ
كأنك في وسط الموج صاريةٌ
وامتدأ عروقي عليها تلفٌ
وخارجة من ضباب المحيطات
وفي الأرض كفٌ

☆☆☆☆

لأي السواحل مبحرة
أنت يا بقعة الزيت
كل السواحل ملغومة والشواطئ حتف
لقد غربلوا الماء من ملحه فهو يصفو
وقد هذبوا الرمل
فهو حدائق عشق ترفٌ
فكيف الوثوب على جسد الريح
كيف أدارتها
وهي جامحة لا تكفُّ

☆☆☆☆





وفي ليلة خلفت فيها الرعود وانھیار جبال
كأن الرياح عصي رعاة
تهشُّ على السحب
تقتادها من جحور السماواتِ
أو بها خطوات على الأفق
فيها احتدامٌ وعنف
كأن البروقَ وميضُ نواجذ وحش
له من خلال الظلام والضباب زحف
وهزئت الأرضُ
فغدت بقعة زيتٍ على البحر
قد مططوا القول فيها وسفوا
وقالوا سيحترق البحر منها
كأن البحارَ من القطن
أو رغبة الموج ندف
أسيشربك البحر
أو ترسبين إلى القاع
فاتسعي يا بقاع الزيوتِ على الماء
ما برح الورد في بيتها
والنوافير فيها هديلٌ وعزفٌ





من خرائط البرق^(١)

لا ينتمي الإنسان لمبدأ في هذه الأزمان
وربما ينحاز للشيطان
يحترف التلفيق والعدوان
لاتفه الأسباب في أزمنة البهتان
أزمنة الحروب والخرائط المعاره
أزمنة الرجوع للحجارة
أزمنة الضياع في الحضارة
أزمنة المدائن المنهاره
أزمنة الأزياء والأدهان
كأننا في زمن غير الذي قد كان
قد خلعت ثيابها الأرض وألقت حملها الوديان
وهاجرت شواطئ عن دمائها وهاجر المكان
أواه لم يحتكم الناس إلى سلطان
لو يؤضع الميزان
ما بُعِثَتْ خزائن الأرض
ولا زلزلها الطوفان
دمٌ على أرائك الندمان
دمٌ على مفارش الرياحان

(١) نشرت في جريدة الأنباء بتاريخ ١٣/٥/١٩٨٤.





دَمُّ عَلَى الْأَفْنَانِ
دَمُّ عَلَى النَخِيلِ وَالشَّطَّانِ
دَمُّ عَلَى الْأَوْكَانِ
دَمُّ عَلَى حَدَائِقِ الرِّمَانِ
دَمُّ عَلَى نَاعُورَةِ اللَّيْلِ الَّتِي تَنُوحُ
عَلَى سَوَاقِيهَا الَّتِي تَلُوحُ
كَأَنَّهَا نَهْرٌ عَلَى حَقُولِهِ مَذْبُوحُ
أَهْذِهِ حَصِيلَةُ الْإِنْسَانِ وَالطَّمُوحِ؟





زمن الحرب^(١)

تتجمعُ شرورُ العالم لتؤلف للحرب المسلحة
وتنشقُّ الأرضُ كبطون الحوامل
بحثاً عن الحديد والمعادن لصنع الدبابات
وتطويرها وقد يمنحونها الأجنحة فيما بعد
لتحلق وتطحن في آن واحد
وإذا كانت هناك بلدان تتمتع بالسلام
فإنها ستشملها الحرب لأنها أصبحت كالصناعة
أجل إنها أصبحت صناعة حديثة ومتطورة
وذات وجوه كثيرة ومتعددة
وقد تكون ذات مبررات ودوافع

☆☆☆☆

تتجمعُ شرورُ العالم لمهاجمة العالم نفسه
وتنصرفُ العقول والمصانع الضخمة
لتطويرها أيضاً وجعلها قائمة واقعة
ومتسربة مع كل ذرة هواء
مع الكلمات والتصرفات والأخيلة الهاجعة
وحتى الصمت أصبح ملتهباً ومعبأ بالغليان
أنهم يهيئون الإنسان ليصبح متوحشاً وشريراً

(١) نشرت في صحيفة الأنباء ١٩٨٢/٩/٢٠.





وجاهزاً للانفجار كبلونات الأطفال
أنهم يتجهوون بالإنسان وبالأرض نحو الهاوية
وحتى الآفاق محتشدة بالحرب وصفارات الإنذار
ودبيب المركبات المشحونة بالإشارات
والأصابع الالكترونية المتشنجة
كأعصابٍ معبأة بالصرع



أسرابٌ من الذباب الأزرق يتجه نحو الشرق
أسراب من الذباب الأزرق يتجه نحو الأنهار
والصحارى التي بدأت تكتسي وتتوهج
كالاثداء المعبأة باللفظ والأنوثة
أسراب من الذباب الأزرق
يباغت الوعول التي ضلت طريقها
فانطلقت مهرولة نحو المدن الآمنة
والقرى الخضراء التي تدرّ العسل والحليب
والجبال التي تحمل مسارح الصقر
مواسم تطلعاته



طهران وبغداد تقتتلان
ويطفح الخليج بالدم والمخلفات والأسماك الميتة
وبالمخبرين السياسيين وإشارات الأقمار
وفي لبنان تحترق جبالُ الورد وبحيرات العطر
وإلى القدس والشام تتجه الصواريخ والمدافع الثقيلة





وإلى المدن والعواصم الأخرى وأرياف البلابل
تتجه وتستعر الحرب الباردة وصراع المال والجنس
إن شراهة العالم تجند الحديد لتهديم هذه الخارطة
وعلى الباخرة الذرية الجاثمة على سواحل المتوسط
تتهياً الصواريخ والطائرات الحربية
للقيام بمهامها الآتية

بعدما اشتعلت الحرب الأهلية والعقائدية
والعنصرية، والمالية، والحروب المختفية الأخرى

☆☆☆☆

تتجمع الوحول لتسد طريق الأنهار
تتجمع الوحول لكي يرشقوا بها الشواطئ
تتجمع الوحول لتحصار المدن
والأرض التي بدأت تنفض حمولتها
وأسرارها وخزائنها وخطوطها المختفية

☆☆☆☆

لقد صنعوا كل شيء للإنسان سوى السلام
لأنه لم يصنع ولم يصدّر ولا يباع
ولأنه لا يعترف بالحرب ولا يقبلها
ولأنه سيأتي بموكبه وعرائسه وشعاره
بعدما تنهراً وتنسحق كل هذه المراكب
وهذه المراكب التائهة في ظلمات العصور
والتاريخ القديم الماكث في الأدمغة الملتفة



كأفاعي الجبال المنعزلة

☆☆☆☆

أيه أيتها المدن الشقراء المنتفخة دائماً
والتي تلد كل شهر صاروخاً أو شريراً
أو داعية حرب أو سفاحا
أو سياسياً سكيراً يلوح بقبضته أو عجبرته
لماذا تلدين الجراء في الليل أيتها الشمطاء
وتطلقين دم حيضك في الشوارع والشواطئ
ولماذا تحاصرين القمر بأسراب النمل المجنح
لماذا تجهضين الفكر المبدع
وتحرفينه عن مداره وسراطه المستقيم
وتورطينه بغرائك غير الإنسانية



من كتابات الأصوات والإيقاعات^(١)

- ١ -

تكاد الأظافر تنبتُ في وجهه والقشورُ
ويُقتلَعُ الشوكُ من جلده والصخورُ
كأنَّ ملامحه أول الكهفِ
أو في مضامينه حقبة لا تسيّرُ

- ٢ -

تكادُ به الأعضاء ترفضُ نفسها
وينفرُ منه صلبه حين ينسبُ
عجبتُ له كيف استقام وبعضه
يناقضُ بعضًا مثلما اعوجَّ أحدبُ
لقد دبَّ في أعراقه الوهنُ مثلما
تجاوز أقصى العمر كهفٌ وغيهبُ
أراد قيامًا فانحنى فيه كاهلُ
وظهرُ أبى أن يستقيمَ ومذهبُ

- ٣ -

تتناسقُ الأكوانُ في تكوينِها
ويضيعُ هذا الناس كالتردّمِ

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/٥/٢٤.





وتجىء أعشاب الفصول بوقتِها
مُخَضَّاةً وتجفُّ بعدَ الموسمِ
وكأنما الأشياءُ رَغَمَ سكونِها
فيها حراكُ القائمِ المتكلمِ

- ٤ -

الكل يطمحُ أن يتلَّ النجمَ من أفاقه
ويجرُّ قرنَ الشمسِ كالحملِ الوديعِ
أو يرجمَ القمرَ البعيدَ بصخره
ويزحزحَ الجبلَ المنيعِ
أو يجهضَ الأشجارَ
أو تأتيه ماشيةٌ وساجدةٌ
ويمسك في تلايبِ الربيعِ
ويدير أفئدةَ الرياحِ بأمره
ويقودها مثلَ القطيعِ
لكنه لن يستطيع

- ٥ -

والأرضُ كالنَّاسِ. بعضُ رحمةٍ فُتِحَتْ
وبعضُهم عابِسُ الأنحاءِ مسدودُ
وقد تجفُّ قلوبٌ في أضرابِها
كما تجفُّ بأغصانِ عناقيدُ
وقد يُحاصرُ نهرٌ في رواسيهِ
وينزوي فسواقيه أخايدُ

- ٨٢٢ -





أَنْهَارُكَ الزَّرْقُ مَا رَوْتُ حَدَائِقَنَا
يَا أَرْضَ فَأَنْبَثْتُ أَنْهَارُكَ السُّودُ

- ٦ -

حُبِكَتْ وَرَقَرَقَهَا الْمَصَاغُ كَأَنَّهُ
مِنْ فَوْقِهَا يَهْتَزُّ فِيهِ شُعُورُهَا
وَتَلَهَّبَتْ أَلْوَانُهَا فَكَأَنَّهَا
لَوْلَا الرِّسُومُ سَمَاوَةٌ وَبِدُورُهَا
وَكَأَنَّمَا مَنَشُورُهَا مَكْنُونُهَا
وَكَأَنَّمَا مَكْنُونُهَا مَنَشُورُهَا
بَلَغَ الْهَوَى مِنْهَا بَحِيثُ أَحَالِهَا
كَمَوَاسِمِ الرِّيحَانِ فَاضَ عَبِيرُهَا
بَدَوِيَّةٌ لَوْلَا حَدَاثَةُ شَكْلِهَا
غَجْرِيَّةٌ لَوْلَا الدَّمَاءُ وَنُورُهَا
جَلَسَتْ ضَفَائِرُهَا قُبَيْلَ جُلُوسِهَا
فَكَأَنَّمَا هِيَ تَاغُهَا وَسَرِيرُهَا
وَتَجَاوَزَ الْإِيمَاءُ فِي حَرَكَاتِهَا
وَسَكُونِهَا لَغَةً لَهَا تَعْبِيرُهَا

- ٧ -

مِنْ أَيِّ نَاحِيَةِ حَقُولِ الزَّعْفَرَانِ
وَحُمَائِلِ الْحَنَاءِ
وَالشَّجَرِ الَّذِي بَيْنِي مَقَاصِيرِ الْجَنَانِ
مِنْ أَيِّ نَاحِيَةِ (عَمَانَ)
وَجِبَالِهَا الْبَيْضَاءِ

- ٨٢٣ -





والسوداء

والصفراء

والخضراء

كالخرز الملبَّد

أو كأحداقٍ محاجرُها الزمان

وعمائمٌ تُطوى كأروقة المتاحف

ثم تنتشرُ في وجوهِ كالمصاحف

أو بها قبس يضيء به المكان





ولكنهم لم يستطيعوا^(١)

اسمحوا للشاعر الآن

الآن فقط

أن يخلع قافيته وأوزانه

ويخرج من كهف القصيدة

ليواجه الزلزال والعاصفة القادمة

وليترجم الحديد

والمعادن الخارجة من الأرض

كحيوانات أسطورية تهاجم المدن

وتباغت الحقول كالذباب المدرب

☆☆☆☆

اسمحوا للشاعر أيها السيدات والسادة

أن يترجم لكم صوت الجرس الكبير

المعلق فوق العواصم

ذات البنوك والمفاعلات والقنابل المدللة

والإنسان المسحوق كعجين الفطائر

والرخيص كنفود الحكومات المنهزمة

☆☆☆☆

إن القصيدة التي تريدونها ساخنة كالخبز

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/٧/٢٥.



هذه القصيدة الشهيدة

قد ذهبت بلا عودة

لم يقتلوها كما يقتلون عصافير الحدايق

لم يسحقوها كما يسحقون حقول الكرز

والنخيل والبيوت العامرة

بل هاجرت بعيداً

رجعت إلى وطنها الأصلي

والذي لم يزل مجهولاً حتى الآن

ولكنها ستعود

عندما تجد لغتها الجديدة

وصوتها الجديد

☆☆☆☆

وكانت القصيدة ذات عرش

فنهبوا عرشها

وكانت ذات لسان فقطعوه

وها هي الآن صامتة جاحظة العينين

تلم أشلاءها

مثلما تلم أنثى الصقر جناحيها فوق الجبل

☆☆☆☆

إن الناس لم يعودوا يجيدون قراءة الشعر

لأنهم فقدوا فطرتهم ودخلوا في التوتر

دخلوا في حالة الهوس الأوروبي

والحذر الآسيوي



والفزع الأفريقي

وكأن العالم تمساح رأسه في الماء

وجسده فوق اليابسة

ومتى كنتِ تقرأين الشُّعرَ أيتها التماسيح

☆☆☆☆

إنه زمن الأسلحة المستعارة

وبنوك العواصم المهتدة بالحرب

والثراء المهرب والادقاع الموروث

والغباء الموظف

والمواهب المعلقة كالسمك المدجن

والزيوت العائمة كالقيء فوق الملابس

☆☆☆☆

لماذا تغنينَ أيتها القصيدة وقد خلعوا أسنانك

لماذا ترقصين أيتها القافية وقد كسروا مزمارك

وبماذا تتنفسين أيتها الحروف

وقد حشوا منخريك بالطين والسراويل الممزقة

☆☆☆☆

لقد استطاعوا أن يخرقوا حجاب الهواء

وينفخوا في الحديد ليتحرك

كأطراف الوعول المذبوحة

ويهاجم كخراطيم الفيلة الشبقة

وجاؤوا بقلوب جديدة

وعيون جديدة





واخترعوا الأواكس
والصواريخ عابرة القارات
واكتشفوا القطب الشمالي داخلين في رحم الثلج
وجاوروا المريخ
وعرفوا لغة الطير
وحركات البكتريا
واستوطنوا الماء كسمك القرش
ثم انطلقوا ليسكنوا في الأفق
كأنهم الجن أو العفاريت
ونقلوا الجبال من أماكنها كأكياس من القطن
صنعوا هذا وأكثر من هذا
ولكنهم لم يستطيعوا أن يصنعوا السلام
لم يستطيعوا أن يوقفوا الحرب
لم يستطيعوا أن يكونوا شرفاء
أنهم في الجانب المتقهقر من الإنسان
وإن سكنوا في الجانب المضيء من الأرض
ومن يدري؟
فلعلنا في الزمن الأخير
زمن التعفن والتلوث
زمن المكروب الآخر
في الزمن الآخر

☆☆☆☆

فكيف يغني الشاعر فوق الانقراض
وكيف تنتشر القصيدة في الزمن المتعفن

☆☆☆☆





لقد ولّى زمان القصيدة

إذ ليس هنا رؤيا

ولم يعد للكلمات المغردة ذلك الرنين النحاسي

فَكَسَّرُوا أَقْلَامَكُمْ أَيُّهَا الشعراء

لقد ولي زمان الشعر وجاء زمان الصمت

والانبهار أمام الاحداث الغامضة

والمهاجمة كالوباء

والمتربصة كالقطط الوحشية

☆☆☆☆

منذ أغنيات هوميروس

وحتى شهقات إليوت

والقصيدة كائناتى الصقر

لم تدخل المدينة بعد

ولم تضع بيضها عند النوافذ

وفوق اغصان الصنوبر

وغالباً ما يموت الشاعر مسمماً بدماء الآخرين

أو مقتولاً بسيوف هذيانه المنغم

أو منفياً بتطلعاته

فلماذا تمارسون عذاب الشعر أيها الشعراء

لماذا تنتحرين يا أسراب الكناري

لماذا لا تبدلين لهجتك أيتها الأميرة المنكوبة

إن هذا القطيع لا يفهمك

ولم ينظر بريق دموعك





لأنه لم يرَ كما ترين
ولم يمارسُ رحيلك في السماوات
وتوغلِكَ في الآتي
ثم تعودين إلى الأرض الخراب
وإلى الحاضر الغائب
لاهثة كالثدي الممتلئ بالحليب.





تاريخ الماء والنار^(١)

إذا كانت الأرض تغمرها المياه قبل ملايين السنين
وكانت ملتهبة تغطيها النيران والبراكين
وفقاعات اللهب المنبثق من سيول النار
وبحيرات الجمر المنتشر فوق جلدها الممزق
إذا كانت الأرض كذلك

فإني أخالكم قد خرجتم من تمخضات النار القديمة
مثلما تخرج الديدان من البطون المبقورة
والظهور المتعفنة يا دعاة الحرب
أيها المنتمون للدمار والمنحرفون مع الشر
والفتنة. وشعارات المضللين والمتعفين

☆☆☆☆

لقد انطفأت النيران القديمة
وغازت سيول البراكين في الأرض
أما أنتم فما زلتم تلتهبون وتتوقدون
ولكنه لم يكن لهباً مقدساً مضيئاً
بل أنها النار التي تتأجج في أجسادكم
لتطمس وجوهكم وتحشوها بالدخان
والغضب الوحشي البدائي المضال

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/٩/٢٦.





الذي لم يتنشق الهواء الجديد بعد
والذي لم يزل ملتهبا بغليانه وجفافه
كالأرض التي لا يأوي لها الطير
ولا تسكنها الاشجار



لقد انطفأت النيران لتكون قبساً وتهذب لتكون وقوداً
وما زلتم تشتعلون لتكونوا رماداً
والرماد بداية التراب كما أعتقد
أما القبس الذي يباغت وجوهكم
القبس الذي يضيء الفوانيس الساهرة
القبس الذي يشع في الشفاه العاشقة
القبس المنتمي للعيون البراقة المتحمسة للعشق
والخارج من جيوب القلوب المضاءة
والمعبأة بقشعرية النور المفاجئ
أما هذا القبس فلن تمارسوه
ولم يسكنكم لأنكم ما زلتم ملتهبين
وهناك فرق بين القبس المضيء
والنيران المشتعلة البشعة
كأشدق التماسيح المطاردة



ويا ليتكم تملكون طهارة النار
وزكائها أيها المنتمون لاشعالها
لقد استطاعت النار أن تأسرکم





وتتقمصكم من خلاياكم وأنوفكم وذقونكم
وتتحرك بكم وتقودكم
وتغريكم بأشعالها وتصنيعها
وتصديرها إلى العالم
لكي تعودَ لكم فيما بعد لتحرقكم
فالذي يشعل النار لإحراق الناس
سوف تحرقه فيما بعد
والذي يستضيء بقبسها سيهتدي
ولكنكم لم تفهموا حكمة النار
ولم تتمتعوا برؤية القبس المنتشي الوهاج

☆☆☆☆

وكانت الأرض من ماء ونار
فانحرفتم إلى النار. ومكث الماء في الورد
والأرحام. أو ليكون رحمًا وورداً
وأنهاراً ذات نخلٍ وكرز. وفراشاً
يأسره القبس فيجذبه من غرائزه
وبذلك يكون الفراش أول محاربٍ ضد النار
أو أكثر المحاربين جرأة
فبماذا تحاربين النار أيتها الفراشات الشرقية
بماذا تتحصن الحقائق في القدس وبيروت
وهي محاصرة بالنيران الملعونة
وكيف يعود للبنان جماله القديم
وقد خدشت الأظافر خدوده الطرية
وأحرقت ساقيه الشهيتين كقوارير العسل الأبيض

☆☆☆☆





سوف نسلط عليك الماء المفكر
أيتها النار التي لا ترعوي ولا تَعْقِل
ولا مارست التفكير أو الحياء الإنساني
وسنشعل قبس الأرض ليشتعَل
سوف نشعل الضياء في هذه الغرفة المظلمة
وسوف تعلمين كيف يفكر الماء
ويحارب الحمام
وتتسع طموحات النحل والقبس المفكر

☆☆☆☆

وما هي قيمة هذه النار المسلطة
كالسوط الذي تهرأت قبضته
فأصبح يؤخذ من جميع أطرافه
أيتها النار الفاسقة التي لم تستحم
والتي لم تتزوج بعد لأنها لا مساس
فأشعلت أوارها ودخانها في العواصم
وارتفعت عالية في كل اتجاه
كأمرأة فاسقة تمد رقبتها من النافذة

☆☆☆☆

إن النار حيوان أرضي لم يتعلم بعد
وعندما تنتقف النار ينتقف كل شيء
فمتى تنتقفين أيتها النار؟ متى؟
ولكن كيف تنتقف النار؟
وقد طُوروا شراحتها وغليانها





ومنحوها خصائصَ كثيرة
بعد أن أطلقوا أظافرهم الحادة
والسنتها المتنوعة وجبروتها الصناعي.



عودة الحلاج^(١)

أربع دولٍ تحاصرُ لبنان
في كل دولة عشرونَ دولة أو أكثر
وكأنَّ العالم كان يزحف متجهًا نحو الشرق
وعندما أشرف على لبنان والأرض التي تليه
توقف ليبتكرَ سلاحًا جديدًا
وقراصنة جددًا
وذئابًا وتماسيح أكثر بطشًا
وأشدَّ عداوةً وفسوقًا



أربع دول تحاصر الأرز
والحسونَ وعصافير النوافذ
أربع دولٍ تحاصرُ الينابيع الباردة
والسفوح الدافئة كأواخر الأروقة الملكية
أربع دول تحاصر الفلاح القادم من الريف
متجهًا نحو بيروت المهدمة
وسوق الفاكة الملطخ بالدم وعصير الطماطم



اربع دول تحاصر المقاهي في بحدون

(١) نشرت في صحيفة القبس بتاريخ ١٠/١/١٩٨٣ م.





وساحات الرقص

والطريق المتجه نحو الأقبية البعيدة

والنوافد المتدلية كسلال الكرز

والذكريات التي تحيلني إلى طوفان

☆☆☆☆

أربع دول مسلحة تحاصر العشق الأعزل

أربع دول تحاصر أسماء

أربع دول في كل دولة عشرون سفاحاً

في كل سفاح عشرون دولة

يحاصرون لبنان كالحيض الخبيث

متدفقاً من رحم الدول التي أجهضها اللصوص

وأرعرشها الهريس السياسي الحديث

☆☆☆☆

أربع دول تحاصر العالم في لبنان

أربع دول تحاصر مخلفاتها في لبنان

أربع دول تحاصر حضاراتها في لبنان

أربع دول تحاصر المسيح في لبنان

بعدما حجزت موسى وأخاه هارون في القدس

مثلما حجزهما فرعون لمواجهة السحرة والمشعوذين

في الزمن المنصرم القديم

والذي لا يختلف كثيراً عن هذا الزمن الملتهب

الواقف بين القدس ولبنان من جهة





والحرب التي يفتعلها الاستعمار الفكري والمالي
من جهة ثانية وثالثة ورابعة.



إن حصار القدس ولبنان وعذابهما الصامت
قد اطلق الأرض الهاجعة من سباتها التاريخي
أطلق القصائد من عقالها القديم
والصحراء من قتادها وعرفجها وصبيرها
والأنهار من شواطئها المهدمة الهرمة
والنخل من عزلته ومستنقعاته
وكأنني أرى الحلاج في بزة فلاح شرقي
يخرج إلى الناس ليقول لهم مرة ثانية
وقد طور مقولته القديمة:
إن العالم تحت شهوتي
وقد مكثت في قمقمها كالنار المدربة
لقد مكث جسدي وعاء حديدًا لغرائزي
إلى أن روّضها وهذبها
وسوف أطلقها في وقتها المناسب.





الغرفة المغلقة^(١)

ها أنتم ترتطمونَ بالعالم
مثلما ترتطمُ السفينةُ المشحونةُ بالجواهر
بشطآنٍ مملوءٍ بالمشعوذين والصوص
وقطاع الطرق المدججين بالليل والأسلحة
☆☆☆☆

ليس هناك وقت للتفاوض
وطرح المواضع العادلة في هذا الزمن الجامح
ولم تعدِ المفاهيمُ القديمةُ للعدل سارية المفعول
فالقضية من أولها ملفقة ومزورة
وذات ظروف ملتبسة كما يقول المكتشفون الجدد
لخرائط الأرض وطبائع البعوض
☆☆☆☆

لقد كبرت أشياءهم لتشمل مكانكم كله
وتمطّطت قاماتهم وانتفخت رقابهم
كوعول جائعة تنهش من أشجار عالية مثمرة
ولم تعدِ الأسوار والحواجز تصدهم
لأنهم يتسللون مع الهواء ويتقمصون الآخرين
إنهم السحرة الجدد المروضون النار والحديد والحجارة
☆☆☆☆

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٠/٦/١٩٨٣م.





أفراد قليلون لا يتجاوزون خراطيم الأخطبوط
أو يزيدون قليلاً

هم الذين يقودون العالم نحو الدمار
إنهم يسكنون في غرف أشبه ما تكون بالعلب
لا يدخلها أحد سواهم
وذات أبواب مخفية
ونوافذ مظلة على الأرض والآفاق

☆☆☆☆

أفراد قليلون

يترصّدون حركة الليل والنهار
ويوعزون للرياح أن تهب أو لا تهب
أو هكذا يتصورون
وبما أننا نعيش في زمن الالكترون
زمن الانفجار باللمس والانهيّار بالنفخ
فقد استطاع هؤلاء
هؤلاء البشر الذريون
الذين يلتقون في غرفة واحدة مجهولة
وقد تكون معلقة في الأفق
كبيضة أنثى رخ أسطوري
أقول

لقد استطاع هؤلاء وباللمس فقط
أن ينقلوا الأرض والبشرية من مرحلة إلى أخرى
ويوقفوا الجميع على حافة الهاوية





أو على حافة الحلم الذي أبدع الشعر
والحالة اللاحسية التي تمسك بناصية السر والنشوة

☆☆☆☆

وأنت أيتها الأرض الواقفة في الهواء كعلامة استفهام
كالقفل المتهدل

أو كإجاصة أفردتها العصافير
أنت يا ذات الزلازل التي تبقر بطنها
والأعاصير التي تهدم جبالها وكهوفها
أيتها الصخرة المفكرة

التي تجاوزت تمخضات فصولها
وحالات هيجانها عبر ملايين السنين
لكأنك على وشك الارتطام
بتلك الغرفة المنعزلة المتربصة
كالدلفين الشبق.





العصافير التي تغادر أعشاشها^(١)

تتكون الأشياء من دوافعها وصورها
وكذلك الأعمال الظاهرة
فشهوة النحلة لبناء الخلية
هي التي حددت مساحتها وأضلاعها
وعبث العصافير والأرانب الصغيرة
التي تغادر أعشاشها ومأواها
هو الذي يرسم اتجاهها الانتحاري
وضياعها في طريق السابلة



ولكن كثيرا ما ينخدع الإنسان بالألوان البراقة
وبالحركات التي لا تعبر عن الفحوى الآخر
والاتجاه الذي تشير إليه
هناك مسافة واسعة بين الهدف والدوافع
وبين الحركة والبواعث
وبين الصوت والحنجرة
ولكن الأرانب الصغيرة العابثة
التي تغادر جحورها في الليل لا تعرف ذلك
وكذلك العصافير التي لم يجفّ زغبها بعد

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٨/١٠/١٩٨٣.





والتي غالبًا ما تنزلق من أعشاشها
وهي مزهوة بحمى ارتفاعها الشاهق
الذي لم تعرف مسافته وطبيعة أرضه

☆☆☆☆

إن أغلفة البيض كلها متشابهة وناصعة البياض
بما فيها الفاسد والمتعفن من الداخل
وهذه هي مشكلة الذين يكتفون بالنظر
دون الرجّ والغربة
ودراسة الوميض المتعفن في جدارات البيض الفاسد

☆☆☆☆

اسمحوا لنا أيها السادة أن نتكلم بالرموز
والإشارات والغليان المروض
فقد تكون الأحجية أكثر بيانًا
فنحن في زمن الرموز
زمن الاختفاء المستعير وجوها
وهكذا تفقد الأشياء والأعمال هوياتها
وتصبح جاهزة للفقس والإجهاض
كالجسور الخشبية المنخورة

☆☆☆☆

إنّ العالم الحديث لم يطور الأسلحة فقط
بل طوّر الأقنعة لتسع الوجوه العريضة
الوجوه التي تتمطط وتترهل كأنداء العوانس
الوجوه التي انسلخت من دمائها وجسومها





وتعبأت بدماء أخرى وقلوب أخرى أيضاً
ولكنها تعيش معنا كالصلع الذي لا يستحي
كالورم الوراثي

كدود الأشجار الذي يدخلها من الجذور

☆☆☆☆

سأحدثكم عن تواريخ الغزو ومراحلها
ففي الزمن القديم. زمن الأسوار والقلاع
زمن المدن المحاطة بالأبواب المغلقة
في ذلك الزمن المتساقط كأسنان اللبن
كان الغزو وجهاً لوجه
وكلُّ له جنودُه وأسلحته

أما الآن التي لا تعبر عن زمنها المنهوب
ولا عن حضارتها المحاصرة بالصراصير والقش
أما الآن فقد تطور الغزو لينهار
وامتدت أظافره لتتشقق وتنحني
وأتحدت العفونة الدولية بالعفونة المحلية
التي تمهد له قبل الشروع بالرجم
ومن هنا تتجسد خريطة العالم الآتي
الخريطة التي يحاولون طمسها وخنقها
وهي أن العالم قد أصبح جسداً واحداً
والبثور التي تنتشر حول فمه
هي نفسها البثور المنتشرة حول عينيه
وآلام أرقه هي نفسه آلام سباته





وقد يحاصرون المحارب
ويجردونه من سلاحه وصوته
قبل المواجهة التي تستعرض عضلاتها المتشنجة
وعوائها المبجوح
ومن دواعي الحروب
أن يجد القوي دواعي مقنعة
للهجوم على الضعيف أو حصاره
لأنه لا يشعر بقوة خصمه أصلاً
وهذا ما يشير الى احتقاره الذي يستنفره
ويستفزّه ايضاً
إن الضعيف هو الذي يثير شهوة القوي لمهاجمته
أو محاصرته في جميع الأحيان.





الأسلحة التي لم تكتشف^(١)

جميعكم في الفخ أيها المتحاربون
وستطحنكم الحرب أو تشوهكم
لأنها لم تكن مقدسة كما كانت
ولم تكن محدودة كما كانت

☆☆☆☆

إنها ستتوغل في البحر لتقتل أسماكها الملونة
وغير الملونة أيضاً
وتهدم بيوت مرجانه وحاراته
وتعترض موكب ملكة البحر
وهي تستعرض حرسها في مخيماته اللؤلؤية
وستترب وتشوه القمصان القزحية
ذات البريق المتوهج بجميع الألوان

☆☆☆☆

وستتوغل هذه الحرب في الهواء لتخنقه
لأنها ستنتفخ الدخان المسمم في الأفق
والصواريخ التي تتلمس الأبعاد
كقرون الجراد وأصابع النشالين

☆☆☆☆

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٨٣م.





أما الأرض

فستخلع أشجارها ومدنها

مثلما تخلع العذراء حليها لتنتحر

☆☆☆☆

أن الهوس الحديث للحرب

هو آخر جرثومة في تاريخ البشرية

قد تعهدتها ودجنتها الوحشية الصناعية

وتراكم الأمراض النفسية والفكرية والخلقية

التي استطاعت أن تأخذ بزمام العالم

منذ عصوره الحجرية حتى عصر مراكب الفضاء

واختراقه بمخلفات الأرض

☆☆☆☆

إن مشكلة العالم الحديث هي انبهاره بالحرب

ووجومه أمام إفرازاتها وإنجازاتها

وتمكن الدوائر الرسمية في الدول المصدرة للحرب

أن تجند العلوم الحديثة ومواد الأرض

لمتطلبات الحرب وجنون دعائها ومضرميها

وشباكها المنتشرة في الأرض كالتجاعيد

☆☆☆☆

من رأى إنساناً يحشر نفسه

مع عشرات الثعابين في غرفة مغلقة واحدة

ومن رأى إنساناً يزحف فوق ظهر التماسيح

ومن رأى إنساناً يتكوم فوق وجهه النحل





ومن رأى انساناً تتسلق جسمه العقارب
ومن رأى انساناً يرقص فوق الحجر الملتهب
انا قد رأيت هذا
والكثيرون قد رأوا أكثر من هذا
وأغرب من هذا
في هذا العالم الذي تروّضت فيه النار
وخرجت عن طبائعها التماسيح والأفاعي
والنحل والعقارب
والحديد الذي أصبحت له أجنحة وذاكرة
ولكنني لن أرى أحداً يبتسم ويبارك
ويأمل البقاء المطمئن في هذا العالم
عندما يشاهد مخلفات الحرب في أوروبا وآسيا
وبقايا هوراشيما وحرائق لبنان في الليل
والجثث الأخرى تحت الأنقاض
والموت المعبأ تحت المتاريس والشعارات
والأشجار التي خرجت جذورها من بواطن الأرض
تم غرست أغصانها كعذارى منحنيات
وقد دفنت ضفائرهن في الوحل
إن مشكلة الفكر الحديث
تكمُن في الجشع المسلح
والمبدأ الإنساني الأعزل

☆☆☆☆

وبما أن الحربَ اكراهٌ وإرغام





لأحد الطرفين المتنازعين
وهذا ما حدث في جميع الحروب
منذ أن بنيت الأسوار والدروع
وبما أن حالة الإكراه والإرغام
واغتصاب ممتلكات الغير بالقوة
أو بالاحتياال الخبيث والمكر السيء
أمر لا تقره الأديان والتشريعات الحديثة
وكذلك لوائح الأمم المتحدة وحقوق الإنسان
إذن فالشروع بمحاربة الحرب
وترصدها واغتيالها
وإعلان بطلانها
وعدم توافقها مع الإنسان والأرض
أمر ضروري بالنسبة لأحد الأطراف
الطرف المكره لدخول الحرب
الطرف الذي فاجأته الحيل الدولية
وصناعات التدمير والإبادة والدمار
الطرف الذي حوصر قبل أن تنشب الحرب
وحارب قبل ان تبدأ الحرب
ولكنه لا يدري



إن مشكلة الطرف الآخر في الحرب الحديثة
هي دخوله بدمه وغرائزه الدفاعية
دون أن يجد سبباً مبرراً لهذه الحرب





الحرب الحديثة المتوارية خلف الألغاز
والتي تجعل المواجهة انتحاراً
والسكوت فضيلة متهمة



وكانت الحرب ذات ميدانٍ واحد
أما الآن فقد أصبحت ذات ميادين متعددة
وكانت الحرب ذات وجهٍ واحد
أما الآن فقد أصبحت ذات وجوه متعددة
وكانت الحرب بين طرفين متنازعين فقط
أما الآن فهي حشد الشرور في مكان واحد
وتوزيعه في ثكنات وجهات متعددة
ضد جهة واحدة عزلاء
لم تكتشف أسلحتها بعد



جميع الأسلحة الحديثة بضائع وصفقات
قبل أن تكون عدة محارب
لقد شاخت الحرب وتهرأت أسنانها القديمة
فلم تعد تعض كما كانت عذراء ومقدسة
بل أخذت تتخبط كالعجوز في الأسواق القديمة
التي لم تعد بضاعتها تكفي لإشباع جشعها
فابتكرت صواريخ كروز والدبابات الذرية
والأسلحة الأخرى التي يمكن شراؤها
واقنتاؤها وسرقتها





وتداولها في السوق السوداء كالأفيون
وهكذا تصبح الحرب أدوات وبضاعة
ويتورط أغلب المحاربين بهوس الأسواق
وحمل الصراعات القديمة
التي تفشت في جسد الأرض كالورم الوراثي

☆☆☆☆

ويبقى المحارب الحقيقي يبحث عن سلاحه
الذي لا تشبهه جميع الأسلحة الحديثة.





الخطوط والملاح^(١)

انهم مغلفون بالصدأ والحراشف
كالقنافذ تحت الرعد
وكالنمل المسربل بالطحين
لأنهم معبأون بالعفونة
وبالدم الرخيص المبذول
والمهياً للسقوط كالخوافر الطويلة

☆☆☆☆

ومثلما تتحاور الضفادع والصراصير بأصواتها
وانتفاخاتها الملبدة بالغرائز البدائية
يتفاهم هؤلاء بغريزة شم الأفكار
والانتماء للمستنقع الواحد
والانسجام تحت سقط المتاع
ومن يدري؟
لعل تماذي الغرائز وإسرافها
يتمخض عن ملاح فيما بعد
ويخرج البعض عن مجال بشريته
مثلما تتحول جلود بعض الحيوانات إلى حالة أخرى

☆☆☆☆

(١) نشرت بجريدة الأنباء بتاريخ ١٩٨٤/١/٣ م.





وفي استمرار هذه الحالة
حالة الإسراف في السقوط
تفقد الملامح شكلها القديم
لتدخل في شكل آخر
وجنس آخر

☆☆☆☆

وإذا كان آدم أبًا للبشرية
وكان الله قد نفخ به من روحه
وعَلَّمَهُ الأَسْمَاءَ
وأودعه عظمته
وإشراقه

فمن أين جاءت عتمة الملامح
والروائح الكريهة في الجلود والهواجس
وبهذه المرونة الفطرية

☆☆☆☆

في الأساطير القديمة
حكايات تقول كالمُتنبِّئة
تقول هذه الأساطير
إن بعض النساء قد وضعن وحوشاً
وسلاحف وثعابين
وقططاً
وفئراناً
وبعضهن قد ولدن تنيناً





وأخطبوطاً وعنكبوة في حجم العجل
وفي النشرات الطبية الحديثة
ما يبرهن على صحة هذه الأساطير
اذ تقول هذه النشرات
إن امرأة قد وضعت قرناً
وبعضهن قد وضعت دابة
والأفمن أين جاء كل هؤلاء المشوهين
من الظاهر والباطن
والمترهلين بالشر كالغلاصم المتورمة

☆☆☆☆

ولماذا لا تكون الحيوانات كالدببة
والتماسيح من هؤلاء
ومن سلالاتهم الداخلة في البشرية
التي بدأت تستنكرهم
وتعتزلهم
تعتزل عصور الأحجار الماكثة في الملامح
والكهوف في الصدور والعيون
والغابات المترسبة في الدماء

☆☆☆☆

أمعنوا في وجوه البعض تجدوا ذئاباً
وامعنوا في بعض التجاعيد
تجدوا خطوط الجريمة

☆☆☆☆





نحن في زمن التوغل في المجاهيل
والأقاليم النائية
والتهيؤ لتمشيط الفضاء والكواكب
هذا الزمن الذي بدأ يتشقق
كالأرض بعد المطر
كالأرحام قبل المخاض
ومع هذا كله
تمكث بعض القوانين المدنية بدائية
لم تؤخذ من قراءة الإنسان
ومناخات غرائزه
والدبيب القديم في مفاصله وعموده الفقري

☆☆☆☆

لقد تعقد الإنسان واكتنفه الغموض
والسبب في ذلك لأنه مكث في حالاته القديمة
وتطورت الأشياء لتغتاله وتهاجمه
كالذئب الذي وقع في الفخ
إنه محاصر بإنجازاته
وغرائزه التي تلتف على رقبته
وعندما دخل المدينة هرباً من العزلة
فاجأه الصخب المبرمج
وعندما أنشأها وأقام حجارتها
نسي شيئاً واحداً فقط
هو انها جاهزة للرجم في أية لحظة





لأنه لا يزال في ترسأبته القديمة
ولم تتحلل قشوره بعد
وما برح النتوء في جبهته كالقرحة.





ستعود الطيور مرة ثانية^(١)

على الربوة ذات القرارة والينابيع
والمطة على الوادي الأخضر
المعبأ بأشجار الكرز والتفاح
والبيوت القروية المضاءة في الليل
والمبرقة بسلال الفاكهة في النهار
والعشق المبثوث في الثياب والحركات
والوجوه المطة من النوافذ
والأبواب الموشحة بالأعشاش والقرميد
والزمن المتتالي المواسم

☆☆☆☆

على الربوة ذات القرارة ومهابط الطير
على الربوة ذات الأزهار المخبوءة
والداليات المرتفعة كالقباب الخضر
كان يسكن فتى اسمه لبنان
كان يمارس البحر والحقول
والبدواة التي تملك الماء والظل
والسجاجيد الحريرية المرصعة بالتاريخ

☆☆☆☆

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٤/١/٧.





على الربوة المطلة على العالم
والمشرفة على الارض جميعاً
والمواجهة للجهات الست
كان يعيش لبنان

☆☆☆☆

على عيون العذارى
كان يعيش لبنان

☆☆☆☆

على الوشم الأزرق المضيء
وفوق الاجساد الناصعة البياض
كان يسكن لبنان

☆☆☆☆

على الطموحات المحاصرة
على الأناشيد التي لم تكتب بعد
على بريق العاصفة
كان يسكن لبنان

☆☆☆☆

على المراعي التي لا تنضب
على الماء الذي يسقي الكنوز الطازجة
كان يسكن لبنان

☆☆☆☆

على الطريق الذي يسلكه الغرباء
على حافة الينابيع





على كل شيء كان يسكن هذا الفتى الشرقي
ذو العينين الزرقاوين
والقامة البيضاء الطويلة كالمنارة القرطبية
والمشرق كالسبائك تحت الثريات
والممتلئ كبيادر الجنوب

☆☆☆☆

كان مضيافاً وشهياً كالعسل في الفجر
وبرياً كالذهب فوق الأرصفة
وكان العالم يأتيه من كل نهر ومستنقع

☆☆☆☆

وبجوار القلعة
التي مكثت أعمدتها كالشموع المطفأة
كالأيادي المبتورة الأكف
كأقواس قزح تخرج من تحت الأرض
كالأسرجة الأسطورية
بجوار القلعة تماماً
كان يتجول لبنان أحياناً
وحيداً كالقمر
كالعقد
كعش الصقر
ففاجأته العاصفة
العاصفة التي تجمعت تحت الأغصان
مثلما يتجمع النمل تحت القشور

☆☆☆☆





كانت أجراس الكنائس تدق
وليس هناك من يسمعها
ويتعالى الأذان من جميع المنائر
وليس هناك من يسمعه
وكانت الأبواق صامتة كعادتها
الأجراس فقط كانت تقرر
الأجراس تقرر
ولبنان ينزف تحت شجرة منعزلة

☆☆☆☆

كانت الحرب الأهلية وحدها
تكفي لتطويق لبنان
وحصره بين الدموع والبحر
فلماذا أشعلوا كل هذه الحروب
ضد لبنان وربوته المرتفعة كالمائدة

☆☆☆☆

أنا الذي يعطيكم الجواب
الجواب الذي لا يعرفه غير الحزن المفكر
والذي لا تتحسسه غير الأصابع
التي انتابها الغضب المرتعش
واليقين المستند على صخرته

☆☆☆☆

لم يجيئوا ليخدشوا خدود لبنان تحت الشجرة
ولينهبوا حليه ومائدته





بل جاؤوا ليغتالوا أنفسهم
وقد كان لبنان نبياً
علّمته النبوة أن يكتبَ في البرق
ويكتب في المطر
ويكتب فوق ضفاف الساقية
ويكتب فوق الأجنحة
ويكتب فوق المناقير
ويكتب فوق الأحجار الملونة
ويكتب فوق جذوع شجر الفاكهة
ويكتب فوق النواقيس
ويكتب فوق الأديرة
ويكتب فوق المآذن
وأشربة الصياد الوطني
والجمال العائد من المدارس
والكنوز تحت الحجارة والماء
والتراب الممزوج بالصنديل
فوق هذه الأشياء كان يكتب لبنان
وكنا نقرأ ما يكتبه
وكنا نتعلم الشعر من قصائده
وكنا كلبان ننتظر الكارثة
وعندما ارتفعت النار لتخرج من النوافذ
ولحاءات الشجر
ووميض المناقير





عندما أضرموا الفتائل
وأشعلوا النار التي لم يروها
قرأنا النبوة الجديدة
قرأنا الحروب بجميع أنواعها وطوائفها
ومضرميها الذين سيحترقون بها
وستتردي الاشجار معاطفها من جديد
وستعود الطيور مرة ثانية.





الأرض المعبأة بالرموز^(١)

منذ ثلاث سنوات
وأربعة شهور. وهذه الحرب قائمة
كصنم قديم أخطأه الراجمون
منذ زمان ونحن لم نأكل من تمور البصرة
☆☆☆☆

ولم نسهر ليلة من ليالي شيراز
فالسماء يتمطاها الدخان
والأرض مغطاة بالجثث والأسلحة
أما البحر
البحر الملبد بالمحار
والكنوز المختفية تحت الماء
فقد سرقوا زرقته
وأحالوها سوداء كضمير الحرب

☆☆☆☆

وهكذا تتسلل الفتنة السياسية
وتجيء من كافة النواحي
حتى من خلال التاريخ
لاستمرار هذه الحرب الملفقة

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١١/٣/١٩٨٤.





كجنين غير شرعي

☆☆☆☆

آلاف البيوت تحترق تحت الصواريخ
آلاف الجثث تدفن في حفيرة واحدة
لكي تشتغل وكالات الأنباء المشبوهة
ولكي تسكت البلابل في الشطوط الزرق

☆☆☆☆

ومن هناك

من المدن التي فقدت بكاراتها
مدن المفاعلات والصواريخ
والسفن الفضائية المطلة على عورة الأرض
والمحدقة في جيوب النجوم
المدن التي تمتهن صياغة الأسلحة
وتدجين العلوم
من هناك تؤخذ رسومات هذه الحرب
وتحصى الأسلحة المطحونة
والرادارات المنحنية كالرقاب الملوية
والطائرات المحطمة كالأقفاص
والمحذوفة كصناديق الموائى
ودخان الزوارق المحترقة
المتصاعد من رئة البحر

☆☆☆☆

تؤخذ رسومات هذه الحرب





على بعد آلاف الأميال

أما الذين أشعلوها

أما الذين تورطوا بها فهم لم يروا شيئاً

أو أنهم يرون ولكنهم لا يفهمون

☆☆☆☆

لقد تغيرَ مفهوم الحرب

مثلما تغير مفهوم المجتمعات

كانت الحربُ تصنع أسلحتَها

أما الآن فالأسلحةُ مستعارة

وكذلك أزياءُها ودخانها

لأنها هرمت وسقطت أسنانها

لذلك فهي تستعير أسنان الآخرين

التي نخرها السوس

وأكلها العفن

وأحناها العض والنهش

ومنذ ثلاث سنوات

وأربعة شهور

وهذه الحرب تأكل بأسنان مستعارة

تأكل إنسانها المحذوف على الشيطان

كالسلاحف الميتة

تأكل الرأس مال المحلي

المحول الى أولئك الذين فقدوا أسنانهم

فلم يعودوا يأكلون كما يأكل الناس





أو يشربون كما يشرب الناس
أو يتنفسون كما يتنفس الناس
إنهم يترصدون الأرض من خلال نوافذهم البعيدة
ويلعقون الأرض من بعيد كالحياء الحار
ويصدرون حمى الحرب التي أصبحت باطلة
ولكنها موجودة لوجود المناقضات
التي استغلت لبيع الأسلحة القديمة
التي لا تختلف عن النزعات القديمة
والأمراض القديمة
والعفن القديم الذي أصبح دولياً
وجاهراً للتصدير في كل وقت

☆☆☆☆

منذ ثلاث سنوات
وأربعة أشهر. تضاف حرب ثالثة
وهكذا تتكدس الحروب المفتعلة
في هذه الأرض المعبأة بالرموز
والتمخضات التي لا يفهمها الآخرون





لا فرق^(١)

لا فرق بين الراجمينُ
والناسجينَ لك الشراكَ الخاتلينُ
والناصبينَ لك الكمينُ
ممن ترينَ ولا ترينُ..
وتعلمين وتجهلينُ
لا فرق بينهما..
أولئك يدخلون وهؤلاء يمهدون
لا فرق بينهما..
وكل أبقون

☆☆☆☆

والأرض تجمع نفسها
فكأنها أفعى يقلصها الجليد
تلقي حملتها..
وتختار الذي تختار..
من إنسانها المنحاز للإنسان
والإشراق
والقيم النبيلة

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ٢٦/٤/١٩٨٤.





والبروق الخارجات من الوريد..

الى الوريد..

☆☆☆☆

عتقت خرائطهم..

وقد طمست مسالكهم..

وكل خابط فيها ويجهل ما يريد

ما عادت الأشياء مقنعة

ولا الأحداث واضحة

وكل في دوائره

يعيد ويستعيد

فتسبيبي.. لابد من سيب جديد

☆☆☆☆

لجأوا لغول الحرب ثانية

وعادوا للمجانيق القديمة والحديد

نفخوه بالنيران

والغضب الغبي

وصيروا الإنسان شيطاناً مريد

☆☆☆☆

وتسكَّعوا بالآخرين..

تدثروا بالآبقين

الرابضين على لهاتك من سنين

والأكلين لحومك الأولى





وما زالوا غزاة من غزاة
في دمائك يقطنون
وبكل جيل يخرجون
في صورة اخرى
وفي سبب به يتسببون.





في فمي مصر.. وفي كفي حجر^(١)

للصخر عاطفة
وللأحجار ذاكرة
سمعتُ قصيدة من جانب الهرمين
يتلوها مثلثها
كنسر واقف
بين الحجارة والطلول
وسمعت ضلع الأرض منشقاً
كما فتح الكتاب
ومثلما اتسع القمر
وسمعت همس الصخرة الصماء
خلت نقوشها لغةً تقول
وكأنها وترٌ يحاوره وتر:
للصخر هاجسه
وانت ولا كأنك من بشر
اقراً
واقراً عزلة الأحجار
والزمن المدثر في حجارته
واقراً موضع الصخر الذي

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٤/١/١٩٨٥م.





نطقت ملامحه القديمة
والأزاميل التي تركت أصابعها
على وجه الحجارة كالأثر
اقراً . فقلت قرأت
واستسقيت حبر النيل
والشيطان محبرتي
وأقلامي رياش الطير
لكني نضبت ولم تزل شتى الصور
من جانب الأحجار تخرج لي
وتاريخ يواصل نبضه
بين الحجارة واهتزاز الأرض
والبحر الذي ينشق ثانيةً ليعبرَ من عبر
وتعود ثانيةً قوافلهم
وأرجع في فمي مصر
وفي كفي حجر .





أيها الصقر^(١)

أيها الصقرُ الذي طار مع الريح
وقد دربه الرعد على خوض الغمام
أيها الصقر الذي يسهر في الليل..
وفي الصبح وما ذاق المنام
زحفوا من جانب الأرض التي اهتَزَتْ
وجاؤوا في زيوت البحر
والبعض توارى
كسمومٍ في الطعام
خدعونا بالتقارير التي تكذب
والفسق الوظيفي
وبالنمل الذي صار حمام
ونساء تتقن الجنس..
وتدريب العصابات..
التي تدخل في شتى العصابات
وفي شتى اتجاهات الظلام
هم أحاطونا بغش الأرض
والفتوى التي تخرج من حقد الإمام

(١) نشرت في صحيفة الأنباء (تاريخ النشر غير موجود).





ها هم الآن على الأنهار..
والبحر الذي يخرج من زرقته الأولى..
لكي يدخل في الأسود..
والأحمر
كي يمسي ولا يصبح
أو يسري ولا يسري به الماء
وتأتيه طيور الأرض
والذئب واسراب النعام
واستمرت هذه الحرب..
وقد سلّحها الفكر السياسي
واشبه الرجال وأبناء الحرام
ذاب من تحتهم الصخر وما ذابوا...
ومن خلفهم الرمل..
وبحار على الساحل..
يستوحي شراعًا من خيام
أيها الشعر الذي ينبع من تحت العظام
أيها النجم الذي يجنح للعشق
الذي يجنح للنطق
وبالفصل
وبالبحر الذي يحرق
والأرض التي تزهق
والصقر الذي ينهض من تحت الركام





هو ذا يستشرف الأرض التي نامت..
على أسطورة الأشباح..
والشيخ الذي عاد غلام..





الحرب والصراعات الصغيرة^(١)

حربانِ دائرتانُ

ظاهرةٌ وخافيةٌ

مسلحةٌ وموعزةٌ

فأيهما تواجه

إنه زمن الحروب بكل أنواع الدمار

وبكل أنواع الشياطين التي تطلي

وتدهن بالمساحيق القديمة والحديثة

بالسياسات التي صارت مخاض الفكر

صارت محور الأشياء والأحداث

أن تلوث الإنسان

والأفق المقلب

وأزوار البحر

والارض التي اهتزت

كأذيال العصافير الصغيرة

كل هذا جاء منها

إنه زمن الرجوع إلى الحجار

حربانِ دائرتان

(١) نشرت في صحيفة الأنباء (تاريخ النشر غير موجود).





طاحتان
واضحة مسلحة
وخافية ملبّدة
تسيح بكل ميناء
وتدخل كل عاصمة
وبينهما حوار
لا بد من إحداهما
فانظر بأيهما تموت
إن لم تمت قتلاً تمت قهراً
ومنسحقاً وملتوياً
ومطروداً من الدنيا
ومرفوضاً من الأخرى
كأن الارض أنوال
تصممها نوازع عنكبوت
يتفرش الآفاق
يزحف تحت أنجمها
وينفت في مفاصلها
يمدها ويطويها
ويسمع نبضها
ويرى حبايبها الصغار
إنا هبطنا في زمان الحرب
صامئة وصاخبة





وساخنة وباردة
وواضحة وغامضة
وكل حوله حربٌ تدار
تتطور الأشياء والإنسان يسقط
او تجاور كونه وحشاً
ويخرج من ملامحه
ليدخل في أظافره
هنا زمن الخرافة حين تصبح كالْحَقِيقَة
والْحَقِيقَة حين تصبح كالْخِرافَة
أو دخول الليل في رحم النهار
حربان قائمتانُ
واحدةٌ قد اندلعتُ
وفيهم من دوافعها
وفينا من وقائعها
ولا ندري متى
سيحينُ للآخرى هبوب
بجوارنا حرب وفحوانا النقائص والحروب
بجوارنا حرب وأسلحة
تزج بها السواحل والسهوب
بجوارنا بحر تفشاه حريق الماء
تمخره الزوارق مثل حيتان مدربة
على شطآنه أبداً تجوب





بجوارنا شجر بلا ورق
وشطآن مهدمة
كما انشقت جيوبُ
وبلا بل مكسورة الأعناق
امراً بثدي واحد
ومنازل مخلوعة الأبواب
فوق سطوحها كل ممزقة
وأعشاش مبعثرة
وفي جدرانها الدم والثقوب
وعويل عاشقة
كأن بصوتها صفصافة تبكي
وساقية تلوب
بجوارنا زجوا حديد الأرض
زجوا الفتنة الكبرى
وشبوا نارها فلها وثوب
بجوارنا تمتد كفّ
من وراء البحر والصحراء
تومئ للعناكب والسلاحف
وهي تخرج من مخابئها
ووجهتها الجنوب
حربان تلتقيان
ظاهرة مسلحة





وباطنة ملبّدة سلاحهما معار
حربان يهلك فيهما الطرفان
يخسر فيهما الاثنان
تدخل من خلالهما الشياطين الكبار
حربان يبدو من خلالهما صراع آخر
ينمو ليشمل كل أرض.. إنه زمنُ الحصار.





«العالم المثلث» أوثلاثية العصر الملهب

نلتقي في قمة الرؤيا . فإن نحن هبطنا
حائط الماء افترقنا
نلتقي في الحلم النابض في عزلتنا
فإذا نحن انتشرنا
وسلكنا ذلك الدرب الذي كنا سلكنا
والذي للآن ما أدى إلى شيء رجعنا
مرة أخرى إلى حالتنا الأولى
ومن حيث بدأنا
لم نصف شيئاً إلى ما كان لكنا أخذنا
منه ما يطرح للبيع ولا نقوى على
استرجاعه حتى يؤسنا وكأنا قد وقفنا
ليمر العالم الحوت.. ولكن ليس كالحيتان
بل فيه رسوم الحوت في الليل
وشكل الذئب في الحقل ولا يفرع منا
او كتنين خرافي
له في الأفق أعشاش ومسرى
وله ظفر يشل الجبل الراسخ





أو يحفر في الأحجار حفراً
وله أجنحة تستبق الرياح
وفي عينيه توقيت الرياح
هو ذا العالم يأتينا ومن كل النواحي
فيه من ذئب ومن حوت
ومن رخ له ألف جناح وجناح.





المتلفزون^(١)

متهبيء أبداً. ومنتظرٌ على الأسوارِ

إن نبوءة الأشعار صادقة وجامعةٌ

تساقطت الحراشف والحواجز

لم يعد أحد

سوى المتسكعين...

ولم يعد احد

سوى المتلصصين من النوافذ والبراقع

لم يروا شيئاً.. وما عملوا بما أمروا

وما زالوا غزاة خلف أقنعة

وما زالوا جسوراً يعبر الطوفان منها

إنه زمن التقمص وارتداء الآخرين

☆☆☆☆

هو ذا يفاجئهم. كأن أنوفهم طمست

كأن عيونهم أنصاف محار

كأن وجوههم صحفٌ ملفقة

وأظلافٌ مشققة. وينتفخون كالجدران

ينحرفون مثل عظام أضلاع بها عوج

كناتئة الزعانف

(١) نشرت في صحيفة الأنباء (تاريخ النشر غير موجود).





جاءهم قوم أشد عداوة وأمض أسلحة
وكانوا يوعزون لهم وما عرفوا مكائدهم
وكانوا يسكنون بهم.. كأن جلودهم كانت أجنتهم
ومن أرحامهم خرجوا كما خرج الجنين
☆☆☆☆

والشرّ يشبه بعضه
يا ضيعة الأرحام.. يا زمن الخنازير
التي باضت
وما فقت.. لماذا تعلنون الحرب في صمت
علينا.. ثم لا تبغونها جهراً عليهم..
مرت الأزمات

صامته وخاوية.. وأنتم كالغزاة
ولم يكن غزواً كهذا الغزو
أو خسفاً كهذا الخسف
أو رجماً كهذا الرجم
بل كنتم دماً مرّاً
وكنتم تسكنون الناس.. وانتفخوا بكم
وأصابهم ورم السلالات التي جهضت
أصابهم انشطار الصلب أو عفن الترائب
إنهم ملّوا حصارَ دمائهم
وضياعهم في الضائعين

☆☆☆☆

طير على الأسوار يهزج





نجمة في صدر رَحٍّ.. آيةً أخرى

على أبواب تُدمَّرُ سوف تُتلى بعد حين

☆☆☆☆

وتوسوسونَ الناسَ.. تمتهنونَ قولَ الزور

والفتنَ القديمة والحديثة.. أو تدسونَ اليقين

☆☆☆☆

هو ذا يعاوده التوهج والتوغل

يلمس الأشياءَ عاريةً وناصعة

جميع خطوطهم ضاعت.. وضيعت القوافل

بعضُها نكست.. وبعض طشرتها الريح

أو أكلته أسماك الشواطئ. والقليل نجا

وأكثرهم تلفَّ في غطاء النائمين.



المحتوى

المجلد الثاني

الديوان التاسع: ديوان تسقط الحرب

- ٤٦١ القميص ودم الكذب -
- ٤٧١ الأشباح وأنوثة الأرض -
- ٤٨٠ الفتنة والأسلحة المعارة -
- ٤٨٦ المصابيح وجسد النعناع -
- ٤٩٥ ويبقى القمر منعزلاً -

الديوان العاشر: ديوان خرائط البرق

- ٥١١ لبنان وهموم العاشق -
- ٥١٥ سلمى والبيت القديم -
- ٥١٨ الجبل والتابوت -
- ٥١٩ الوحش الجديد -
- ٥٢٢ النبض المختفي -
- ٥٢٦ الأنهار والمنابع -
- ٥٢٨ الذئب ونوافذ القمر -



- ٥٣٠ الأرض ذلك الجسد القديم -
- ٥٣٢ كأني أراهم -
- ٥٣٥ الحرب وحطام الأشجار -
- ٥٣٧ الحرب وحطام العواصم -
- ٥٤٠ الثياب الأخرى -
- ٥٤٢ الممهد -
- ٥٤٣ عينان من دمشق -
- ٥٤٥ الرواسب -
- ٥٤٧ الحرب وزرقاء اليمامة -
- ٥٤٩ وللحجارة نبض -
- ٥٥١ الوسائل الجديدة -
- ٥٥٢ القدس وحطام الحجارة -
- ٥٥٥ المختفون -
- ٥٥٨ الأقمار -
- ٥٦٠ المقارنة -
- ٥٦٢ قصيدة النسق -
- ٥٦٥ القبس -
- ٥٦٧ القصيدة رقم (١) -





٥٦٩	القصيدۃ رقم (٢)	—
٥٧١	القصيدۃ رقم (٣)	—
٥٧٣	القصيدۃ رقم (٤)	—
٥٧٥	القصيدۃ رقم (٥)	—
٥٧٧	القصيدۃ رقم (٦)	—
٥٨٠	القصيدۃ رقم (٧)	—
٥٨٢	القصيدۃ رقم (٨)	—
٥٨٤	القصيدۃ رقم (٩)	—
٥٨٥	القصيدۃ رقم (١٠)	—
٥٨٦	القصيدۃ رقم (١١)	—
٥٨٧	القصيدۃ رقم (١٢)	—
٥٩٠	القصيدۃ رقم (١٣)	—
٥٩١	القصيدۃ رقم (١٤)	—
٥٩٢	القصيدۃ رقم (١٥)	—
٥٩٣	القصيدۃ رقم (١٦)	—
٥٩٥	القصيدۃ رقم (١٧)	—
٥٩٧	القصيدۃ رقم (١٨)	—
٥٩٩	القصيدۃ رقم (١٩)	—





- ٦٠٠ القصيدة رقم (٢٠) -
- ٦٠٢ القصيدة رقم (٢١) -
- ٦٠٤ القصيدة رقم (٢٢) -
- ٦٠٦ القصيدة رقم (٢٣) -
- ٦٠٨ القصيدة رقم (٢٤) -
- ٦١٠ الأصوات والإشارات -
- ٦١٧ صارية -
- ٦٢١ وطن الصمود -
- ٦٢٢ نحن الفداء -

الديوان الحادي عشر: كتابات فوق الأبواب القديمة

- ٦٢٥ الكتابة الأولى -
- ٦٢٦ الكتابة الثانية -
- ٦٢٧ الكتابة الثالثة -
- ٦٢٨ الكتابة الرابعة (إلى قطر) -
- ٦٢٩ الكتابة الخامسة -
- ٦٣٠ الكتابة السادسة -
- ٦٣١ الكتابة السابعة -





- ٦٣٢ الكتابة الثامنة -
- ٦٣٣ الكتابة التاسعة -
- ٦٣٥ الكتابة العاشرة -
- ٦٣٧ الكتابة الحادية عشرة -
- ٦٣٨ الكتابة الثانية عشرة -
- ٦٤٠ الكتابة الثالثة عشرة -
- ٦٤١ الكتابة الرابعة عشرة -
- ٦٤٢ الكتابة الخامسة عشرة -
- ٦٤٣ الكتابة السادسة عشرة -
- ٦٤٤ الكتابة السابعة عشرة -
- ٦٤٦ الكتابة الثامنة عشرة -
- ٦٤٧ الكتابة التاسعة عشرة -
- ٦٤٩ الكتابة العشرون -
- ٦٥٠ الكتابة الواحدة والعشرون -
- ٦٥٢ الكتابة الثانية والعشرون -
- ٦٥٣ الكتابة الثالثة والعشرون -
- ٦٥٤ الكتابة الرابعة والعشرون -





الديوان الثاني عشر: ديوان قباب الوادي الأخضر

- ٦٥٩ كنوز الساحل الأزرق -
- ٦٦٠ الرواسب -
- ٦٦١ النخلة المحاربة -
- ٦٦٣ النهر والحوث -
- ٦٦٥ رسومات الوتر الواحد -
- ٦٦٧ الهاربون -
- ٦٦٨ هتاف النخلة -
- ٦٦٩ وحي الظل -
- ٦٧٠ الأعداء الجدد -
- ٦٧١ الصراع المختفي -
- ٦٧٢ الخارطة -

ملحق

(قصائد نشرت في الصحف ولم تنشر في الدواوين السابقة)

- ٦٧٧ لا تقولي -
- ٦٧٨ ما تشائين فافعلي -
- ٦٧٩ لبنان والأزمان المنتهية -
- ٦٨١ قف بالمناخ -





- في مدائن عمر بن الفارض (تقول عيونها) ٦٨٣
- في مدائن عمر بن الفارض (كأن وجوههم) ٦٨٥
- من خرائط البرق ٦٨٧
- في مدائن عمر بن الفارض (عجبت لها) ٦٩٠
- الأصفار ٦٩٢
- الوجوه المخفية ٦٩٤
- يا مصر ٦٩٦
- الطلول والحراشف ٦٩٧
- من كتاب الأصوات والإيقاعات ٦٩٩
- الأخشاب الأولى ٧٠١
- سويغات مع دجلة ٧٠٣
- من أبناء الوادي القديم ٧٠٥
- مصر والحلم الكبير ٧٠٧
- لوحات على الطريق (تظل تحذفهم) ٧٠٨
- حوار بين شاعرين ٧١٠
- يا جارة البان ٧١٢
- قصائد للفاو ٧١٥
- أغنية إلى الرحاب الزرق ٧١٩





- ٧٢٣ لوحات على الطريق (وسوسة الشيطان) -
- ٧٢٤ لوحات على الطريق (عبيرُك الرياحان) -
- ٧٢٥ لوحات على الطريق (عندي من الأحزان) -
- ٧٢٦ لوحات على الطريق (لكم أوطانكم..)
- ٧٢٧ لوحات على الطريق (تعبت من الأمر) -
- ٧٢٨ لوحات على الطريق (ألغت خرائطها الصحراء) -
- ٧٢٩ لوحات على الطريق (ابكِ على ظلِّ)
- ٧٣٠ لوحات على الطريق (أُعاتب) -
- ٧٣٢ الحمامة الساهرة -
- ٧٣٤ يا نخلة الجرف -
- ٧٣٦ نهمة: (كوني على حذر)
- ٧٣٧ نهمة: (لا تغضبوا البحر)
- ٧٣٨ عُمان -
- ٧٤٠ في مدائن عمر بن الفارض (نخلة في النيل)
- ٧٤٢ في مدائن عمر بن الفارض (لئن ذهبِ بلا وعد)
- ٧٤٤ من ظلال الألوان المخفية
- ٧٤٦ كتابات فوق الأبواب القديمة (تشعُّ معاضدها)
- ٧٤٨ كتابات فوق الأبواب القديمة (أطفأت ضوءها)





- ٧٥٠ لبنان والنواحي الأخرى -
- ٧٥١ قراءة الحجر -
- ٧٥٣ من خرائط البرق (لم يعلموا العلم..)
- ٧٥٥ حادث الغدر -
- ٧٥٧ وادي البلابل -
- ٧٥٩ بيني وبينكم فضاء واسع -
- ٧٦٠ صبراً -
- ٧٦١ العشق أبداً -
- ٧٦٣ في سواحل الرياحان -
- ٧٦٩ خلق من ذهب -
- ٧٧٠ شيئاً فشيئاً تخرجين -
- ٧٧٢ العطش السريع -
- ٧٧٤ حواشي المخمل -
- ٧٧٧ من الرسوم الأخرى -
- ٧٨٠ حوار مع سلمى -
- ٧٨٣ هاجر كلُّ العالم كي يسكننا -
- ٧٨٥ وبعدما طحنوا لبنان -
- ٧٨٩ هنا أشياءهم وهناك جندهم -





- ٧٩٢ الغضب سيد المواقف -
- ٧٩٥ من خرائط البرق (اختر موتاً من موتين) -
- ٧٩٩ لبنان وليالي الميلاد -
- ٨٠١ من كتاب الأصوات والإيقاعات -
- ٨٠٦ هل تذكرين الداليات الخضر -
- ٨٠٩ من كتاب الأصوات والإيقاعات (تطلقّ العشق بها) -
- ٨١٢ الطيور والزيتون العائمة -
- ٨١٥ من خرائط البرق -
- ٨١٧ زمن الحرب -
- ٨٢١ من كتاب الأصوات والإيقاعات -
- ٨٢٥ ولكنهم لم يستطيعوا -
- ٨٣١ تاريخ الماء والنار -
- ٨٣٦ عودة الحلاج -
- ٨٣٩ الغرفة المغلقة -
- ٨٤٢ العصافير التي تغادر أعشاشها -
- ٨٤٦ الأسلحة التي لم تكتشف -
- ٨٥٢ الخطوط والملاح -
- ٨٥٧ ستعود الطيور مرة ثانية -





- ٨٦٣ الأرض المعبأة بالرموز -
- ٨٦٧ لا فرق -
- ٨٧٠ في فمي مصر.. وفي كفي حجر -
- ٨٧٢ أيها الصقر -
- ٨٧٥ الحرب والصراعات الصغيرة -
- ٨٨٠ العالم المثلث (أو ثلاثية العصر الملتهب) -
- ٨٨٢ المتلفّضون -
- ٨٨٥ المحتوى -



